علاقة ساحل عمان ببريطانيا

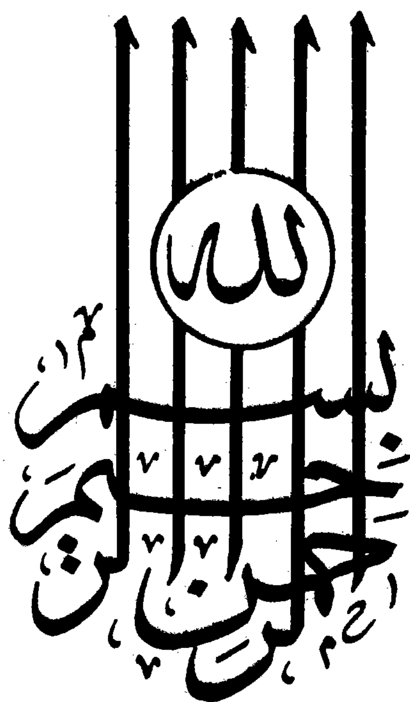
« دراسة وثائقية »

تأليف

الدكتور عبد العزيز عبد الغني ابراهيم

الرياض
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٥)


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا الكتاب يتناول بالبحث والدراسة جانبا هاما من تاريخ منطقة الخليج العربي خلال الفترة التى تسلل فيها النفوذ البريطاني ، واستطاع الهيمنة على شواطىء الخليج ..

وهو دراسة مبنية على الادلة المستمدة من الوثائق ، لبيان دور عرب الخليج في صراعهم المستميت لمقاومة تلك الهيمنة البريطانية ، بل وعدم الرضوخ والاستسلام للاساليب التى سلكتها للإبقاء على نفوذها في المنطقة ، حتى تكللت جهودهم في النهاية بالاستقلال ، واقامة دول نالت احترام العالم وتقديره ..

ولئن أفاضت هذه الدراسة ، والقت الضوء الوهاج على جزء من أجزاء الساحل الغربي للخليج ، فانها لم تغفل بقية الاجزاء حقها في القاء العديد من الاضواء ، والمعايشة الحقيقية لمراحل الصراع ، وذلك لأن الأجزاء متماسكة يكمل بعضها البعض الآخر .. يرتبط سكانه برباط وثيق الصلة ، من أبرز دعائمه الاصل والدين واللغة ..

وهى دراسة تحمل الكثير من الايضاحات ، والجديد الذى لم يكن معروفا كدراسة متكاملة في موضوعها ، والكتاب بعد هذا كله اضافة جديدة للمصادر التاريخية والمراجع التى تفيد الباحثين والدارسين والمهتمين بدراسات هذه المنطقة .. واذ نضعه بين يدى القارىء الكريم نأمل ان ينال رضاه .. ونكون به قد أضفنا الجديد لمصادرنا التاريخية .. والله ولي التوفيق ..

الـــدارة

مقدمة

بدأت العلاقات البريطانية بأهل الساحل العماني منذ أوائل القرن الثامن عشر تقريبا . وكانت في بدايتها علاقة تهادن استعمل فيها التجار البريطانيون الكثير من الروية وتجنب اللقاء . ومع مطلع القرن التاسع عشر استطاع البريطانيون ان يتمكنوا من المنطقة عسكريا في ١٨٢٠ ، ثم عملت بريطانيا منذ ذلك التاريخ على ربط المنطقة بسلسلة من الاتفاقات والتعهدات كلما اقتضت مصالحها اتفاقا او تعهدا وجلت بريطانيا عن المنطقة في ١ ديسمبر ١٩٧١ . ويسترعى الانتباه ان هذه المنطقة كانت أول منطقة في الوطن العربى قامت تنازل الاستعمار البريطانى وآخر منطقة في الوطن العربى خرجت من قبضته ، ولهذا رميت ان يكون بحثى تتبعا للعلاقات بين بريطانيا ومشيخات الساحل العمانى من خلال الاتفاقات والمعاهدات التى ارتكز عليها وجوده هنالك وشكل أساس العلاقات البريطانية مع المنطقة .

وأمر ثانٍ استرعى انتباهى وهو أنى لم أجد في المكتبة العربية دراسات لتاريخ منطقة الساحل العمانى الا اجزاء كتبها الاستاذ الدكتور صلاح العقاد وقلة من الباحثين الآخرين في دراستهم التي عنيت بالخليج كله ، بينما عمرت المكتبة البريطانية بالدراسات التاريخية عن هذه المنطقة وكثير من مراجعها يمكن ان نسميها بالتاريخ الاعتذارى ، ولذلك رأيت ان اسهم مع غيرى في وضع تاريخ المنطقة في موضعه الصحيح .

والمنطقة التى أتناولها بالدراسة هى « منطقة الامارات العربية المتحدة حاليا »[1] التي عرفت في الوثائق البريطانية باسم الساحل العمانى او ساحل « القراصنة » أولا ، ثم صار اسمها بعد هذا ساحل الصلح البحرى ، او المشيخات المهادنة والتى يجب أن ينال جهادها احترام المؤرخين العرب والمسلمين فقد كانت ساحلا للجهاد العربى عطلت مسار الاستعمار زمنا وبذلت من دم أبنائها فداء الاسلام والعروبة .

وقد رأيت ان أقسم هذا البحث الى إثنى عشر فصلا تتبعت في الأول منها صلات الخليج العربى بالعالم الأوروبى في عهد البرتغاليين ، وخلصت في الفصل الثانى الى بدء النفوذ البريطانى في الخليج وتوافق مصالحه في الأمن والتجارة مع المصالح الفارسية والعمانية .

أما الفصل الثالث فقد تابعت فيه العوامل التى ساعدت أهل الساحل العمانى على مقاومة النفوذ البريطانى ، وكان أهمها ، في قناعتى ، تكوين انسان المنطقة الذى شكلته عوامل البيئة وعركته حوادث البحر . واستقصيت في هذا الفصل علاقات أهل المنطقة بالقوى الوطنية والاجنبية المجاورة لهم وأثر ذلك في تمكن النفوذ البريطانى . ودرست في الفصل الرابع اتفاق عام ١٨٠٦ وبداية العلاقات التعاهدية في المنطقة والنتائج التى قادت اليها .

وفي الفصلين الخامس والسادس تناولت بالدراسة اتفاق ١٨٢٠ الذى جاء نتيجة لحروب طويلة متعددة شنتها بريطانيا على أهل المنطقة

---

(١) انظر الخريطة .

حتى استطاعت استعمارها عسكريا في ١٨٢٠ وجعلت عليها حامية لم تستطع لعدة عوامل ، ان تثبت في المنطقة ، ثم درست بعد هذا أبعاد الاتفاق ومراميه ونتائجه .

وفي الفصل السابع درست تجارة الرقيق وأثرها على المنطقة والاهداف البريطانية من وراء محاربتها وهل كانت دوافع الغاء هذه التجارة في تلك المنطقة لعوامل انسانية ام استعمارية .

وخصصت الفصل الثامن لدراسة معاهدة ١٨٥٣ بدأت بالظروف التى قادت اليها وانتهيت الى ملحقاتها ونتائجها .

وتتبعت في الفصل التاسع جذور العلاقات البريطانية في التدخل في ظهير الساحل وتطور علاقاتها بظهير الساحل التي تبلورت في الاتفاق الأبدى لعام ١٨٩٢ .

وفي الفصلين العاشر والحادى عشر تتبع لتطور هذه التعهدات وكيف استغلتها بريطانيا في وجه القوى والتيارات المختلفة في المنطقة منذ اوائل هذا القرن . وحاولت ان أدرس ، بايجاز ، الأساليب التى اتبعتها بريطانيا للابقاء على نفوذ تلك الاتفاقات الغريبة على المجتمع الدولى . وكانت ادارة الشئون الخارجية لتلك المنطقة هى الورقة الرابحة التي قامرت بريطانيا بها ضد القوى المختلفة خاصة المملكة العربية السعودية وايران وظهرت امام أهل المنطقة بمظهر المدافع عن ارضهم واستقلالهم ، فدرست لذلك في الفصل الثانى عشر شيئا عن طبيعة العلاقات بين مشيخات الساحل العمانى والمملكة العربية السعودية المعاصرة كما حاولت ان استقصى الدعاوى الايرانية على بوموسى والطنبين .

وقد اعتمدت الدراسة اعتمادا أساسيا على الوثائق البريطانية المتوفرة في سجلات وزارة الخارجية البريطانية (*) ووزارة الهند (**) . وهنالك ثبت بأهم هذه المراجع في الهوامش وقائمة المصادر والمراجع غير انه يجب ان اشير الى السلسلة ٣٧١ وهى سلسلة المراسلات الخارجية بوزارة الخارجية فقد كانت غنية اذ توفرت بها أغلب اتصالات هذه الوزارة بوزارة الهند . أما عن مصادر وزارة الهند فهى كثيرة متعددة لا يمكن للباحث بامكاناته القاصرة حصرها ولعله من المفيد ان نشير الى منتخبات سلدنها ، ومختارات من وثائق الهند ، ودليل الخليج وغيرها من الوثائق المنشورة .

أخيرا أرى أن أشير بأن هذه الدراسة قد نشرت بعنوان : بريطانيا وامارات الساحل العمانى ـ دراسة في العلاقات التعاهدية وذلك بمركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة في ١٩٧٨ ، وقد نفدت الطبعة الأولى في نفس العام . ولم أتمكن ـ لاسباب فنية بحتة ـ أن استجيب لطلب كريم من مركز دراسات الخليج بالبصرة لطبعها طبعة ثانية . وحين توفر لي الوقت لاعادة النظر في هذه الدراسة نقحت الكثير من فصولها تنقيحا وصل احيانا الى اضافة معلومات تاريخية جديدة لخدمة هدف الدراسة كما اضفت فصلا عن اتفاقية ١٨٩٢ . وأباح لي هذا التعديل في المادة التاريخية ان اسمى الدراسة « علاقة ساحل عمان ببريطانيا ـ دراسة وثائقية » .

ولا يسعنى هنا الا أن اشيد بمركز دراسات الخليج بالبصرة الذى يخرج علينا كل حين بالجديد المفيد في الدراسات الخليجية . ولا ريب في أن ذلك يعود لجهود وحيوية ونشاط مديره الدكتور مصطفى عبد القادر النجار وصلاته المثمرة بالباحثين في هذا المجال . كما يسرنى أن

اشيد بمركز الوثائق بأبو ظبي الذى ساهم بالتكاتف مع معهد البحوث والدراسات العربية بتحمل بعض نفقات هذا البحث . ويطيب لي هنا أن اشكر الدكتور محمد صفى الدين أبو العز مدير المعهد ، والدكتور محمد مرسى عبدالله مدير المركز .

ولصديقى الشاب الدكتور جمال زكريا قاسم ، شيخ مؤرخى الخليج العربى ، الفضل الأكبر في انجاز هذا البحث . واذكر ان الدكتور جمال قد انتزعنى انتزاعا من مجال الدراسات السودانية لاسهم بقلمى في الدراسات الخليجية ، واشهد انى قد توكأت عليه حتى استقمت في هذا المجال . ويقينى أن كل باحث في تاريخ الخليج العربى لا يستطيع أن يغفل كتب الدكتور جمال الثلاثة التي تناولت في اتساق تاريخ الخليج من ١٨٤٠ حتى ١٩٧١ ، ونرجو ان نرى له كتابا أو اكثر في الفترة قبل ١٨٤٠ لنظفر في النهاية بموسوعة جمال لتاريخ الخليج العربى .

ويسرنى ان اشير بأنى قد وجدت في مجال دراسات الخليج والجزيرة العربية نقدا مثمرا وتشجيعا طيبا من الكثير من العاملين في مجالات الدراسات العربية عموما ، أذكر منهم الدكتور صلاح العقاد ، والدكتور يوسف فضل حسن ، والاستاذ عبد الملك آل الشيخ ، والدكتور عبد العزيز نوار . فالى هؤلاء والى كل من أسهم بنقد أو بجهد في انجاز هذا العمل جزيل شكرى ، ووافر امتنانى .

وعلى الله قصد السبيل .

عبد العزيز عبد الغنى حمدون

الرياض ربيع ثانى ١٤٠٢ هـ

الفصل الأول

الغزو البرتغالي للخليج العربي

الغزو البرتغالى للخليج العربى

(التمهيد - دوافع الغزو - الطريق للهند - الفونسو البوكيرك - الثروات العربية ضد البرتغاليين - الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين في الخليج العربى - تدهور القوى البرتغالية في الخليج العربى) ..

التمهيـــد :

ظلت الدولة الاسلامية دولة موحدة طيلة عهد الخلفاء الراشدين لا يمزق لحمتها الا بعض اضطرابات لا تلبث ان تخمد حال اضطرامها . غير أن ابلغ الهزات التى تعرضت لها الدولة - بعد حروب الردة - تمثلت في الصراع المحموم الذى شب بين الأمويين والعباسيين ، وانجلى في المشرق عن نصر للعباسيين مبين حيث أثثوا لهم ملكا عضودا ، وفرّ بعض نفر من بنى أمية للغرب وأقاموا دولتهم في الاندلس .

وفي عهد الخلافة العباسية كانت بغداد قصبة الملك وحاضرة الامبراطورية الاسلامية ، وبغداد بعد ، قريبة جغرافيا من الخليج كقربها الاثنولوجى

---

* لعله من المفيد ان نشير الى ان وثائق وزارة الهند كانت حتى ١٨٢١ تشير الى الخليج بصفته الخليج العربي Arabian Gulf وليس الخليج الفارسي. انظر على سبيل المثال :

(1.0) Z. P., 3319 Range 383/12. Bombey Politcal Consltations, (Index).
(1.0) ZN P., Range E. Political & Secret Proceedings, Cols 2 - 11, 1796 - 1809.
(1.0) V/23/217 Historical Sketch of the Joasmee tribe of Arabs, From the year 1747, to year 1819. in Selections from the Records of India, (Bombay New Series No. XX1v, Bombay, 1826) p. 311.

والثقافى والحضارى فلا ريب أن كان عهد العباسيين هو العهد الذهبى للخليج العربى لأن امبراطورية العباسيين ضمت منطقة واسعة شاسعة مترامية ، كان الخليج واسطة العقد في تجارتها .

كانت التجارة تمر بطريقين مائيين هما طريقا الخليج العربى والبحر الأحمر. وازدهر طريق الخليج لأن العراق كان المقدم على مصر التى لم تكن الا اقليميا يتبع العراق ويصب في خزائنه (١) ذات الثراء الفاحش .

وبعد استقرار الامور في الشرق للعباسيين سار دولاب امور الدولة لم يوقفه الا فتنة الأمين والمأمون ايذانا باتساع الخرق في جسد الأمة الاسلامية . ثم جدت عوامل ، انفرط فيها عقد الوحدة وانتثر ، وظهرت في رقعة العالم الاسلامى دول تكبر حينا وتصغر احيانا حين تزاحم بعضها بعضا ، مما ضعضع نفوذ الخلفاء وآذن بسكون ريحهم . ومن ثم تأرجحت عصور الخلفاء بين القوة والضعف ، وصار حكم بعضهم ناجزا ولم يبق للبعض الآخر الا الاسم والرسم . وقد بدأ هذا الطور منذ خلافة المعتصم بالله الذى اتخذ من الأتراك جندا استغنى بهم عن العرب وموالى خراسان . ولما استشعر الجند الاتراك قوتهم وادركوا انهم عدة الخلفاء ومجنهم الذى يذب ، استأثروا بالسلطان وملكوا ناصية الخلافة يقودونها كالناقة الذلول .

بُلى العرب والمسلمون ، بعد هذا ، بمصائب جمة ، منها ظهور التتار الذى يصفه ابن الأثير (٢) بالحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عتمت الأيام والليالى عن مثلها . فأخذ التتار بغداد وقتلوا اكثر اهلها ، وتقضى ملك بنى

---

(١) Landen. R. G., Oman Since 1856. Disruptive Modernistion In a Traditional Arab socioty (Princeton Universty Press 1967), p. 11.

(٢) الكامل في التاريخ ، (نشر المطبعة الدمشقية والمكتبة التجارية القاهرة ١٣٤٨ - ١٢٥٨ هـ جـ ١٢ ص ١٣٨) .

العباس ، وزوت الحضارة والثقافة ، وكادت معالمها ان تندرس لولا ان تداركتها مصر في عين جالوت . وانتقلت الخلافة العباسية الى مصر بعد أن شغر منصب الخلافة لما يربو على ثلاث سنين ، وقام الأمير أبو القاسم احمد بن امير المؤمنين الظاهر بأمر الله عم الخليفة المعتصم خليفة على مصر الا انه كان لا أمر له ولا نهى ، انما حظه أن يقال أمير المؤمنين .

لم يكن الخطر المغولى وحده هو الذى هدد الحضارة الاسلامية ، انما سبقه وطابقه ثم عاش بعده ، خطر الصليبيين في الشام ينتصرون تارة ويُهزمون تارة اخرى ، حتى انتهى امرهم على يد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون في عام ١٢٩١ ، وهى السنة التى يقول عنها ابن الأثير [١] : وفيها فتحت عكا وبقية السواحل التى كانت بأيدى الفرنج من مدد متطاولة ولم يبق لهم فيها حجر واحد ولله الحمد والمنة . غير ان الروح الصليبية كانت تضطرم في الغرب ويغلى مرجلها يريد ان ينفجر في وجوه المسلمين الذين لم يزالوا حتى ذلك الحين ، في الأندلس وبدأت جيوش النصارى تتصيد المسلمين مما قيض للبرتغاليين - على وجه الخصوص - ان يكون تاريخهم سلسلة غير منفصمة من الحروب الصليبية الطويلة ضد المسلمين . وقضى تناحر المسلمين وتحزبهم وتفرقهم بأضعافهم ثم دحرهم الى الشمال الأفريقى حيث لاحقهم البرتغاليون فاستولوا على سبته عام ١٤١٥ م / ٨١٨ هـ بعد قتال مرير اشترك فيه هنرى الملاح الذى لم يكن قد بلغ العشرين بعد [٢] . وبهذا وضع البرتغاليون اقدامهم على الأرض الافريقية واتخذوها مرتكزا ينقضون منها الى أهدافهم التى حددوها .

---

(١) ابن الأثير - مرجع سبق ذكره - جـ ١٢ ، ص ١٨٧ .

(٢) DODWELL. H H. and others, The Camdridge shorter History of India (Delhi, 1964) p. 373.

دوافع الغزو البرتغالى :

نذر هنرى الملاح نفسه لأهدافه الدينية ، وأراد كما قال كاتب الحوليات البرتغالى ازورارا ، Azurara ان يهزم الاسلام « تماما ونهائيا » . واهتم هنرى الملاح بشئون البحر والأبحار وارسال البعوث الكشفية ، وانكب على تقارير مبعوثيه يعجمها ويثقفها ، وترجم هذه التقارير الى خرائط لتعين جنده في حروبهم ذات الأهداف المقررة (١) .

وقد نسجت الدوافع الدينية مع آمال البرتغاليين في الثروة والجاه ، اذ ادرك البرتغاليون ـ بداية ـ أن الحركة الدائمة للتجارة الهندية عبر ارض المسلمين تقوى في عضدهم بما تعطى من ريع الضرائب والرسوم ، وبما تدره على المسلمين المشتغلين بالسفن واعمالها ، والمرتبطين بالموانىء والمرافىء ، والذين يؤجرون الجمال ويدلون على الطرق ، أو يتولون حراسة القوافل من فيء وفير (٢) . وكان تدفق التجارة الهندية الى اوربا في ازدياد خاصة فيما يختص بالتوابل والحرير . وكان طلب التوابل مُلحّا في ذلك الوقت الذى لم يعرف فيه العالم سبل الحفظ « بالتبريد » ولما كان إطعام الحيوانات شتاء في اوربا القارسة البرد من أم مشاكل الأوربيين ، كان عليهم ذبح الحيوانات قبل الشتاء ، ثم يدرأون عن اللحم رائحة النتانة بالبهار ، كما شغفت الفئة المترفة في اوربا بالحرير المستورد (٣) .

أراد البرتغاليون أن يتحكموا في هذه التجارة ويتمكنوا منها ليدقوا عصب الاقتصاد الاسلامى ، ويتمكنوا من تحقيق هدفهم النهائى فى بناء حضارة

---

(١) Serjeant, R. B. The Portugeese of the South Arabian Coast. Hadrami Chronicles with Yamani and European accounts of Dutch Pirates of Mocha In the Seventeenth Century. (Oxford, 1963.) p.p. 4 - 5.

(٢) Ibid

(٣) Marlowe, J; The Persian Gulf in the Twentieth Century (London, 1962) p. 3.

مسيحية [1] ، وما كان للبرتغاليين من سبيل الى ذلك الا أن يجدوا طريقا يأخذهم الى الهند لا يمر بديار المسلمين . ولذلك صارهم البرتغاليين أن يساحلوا القارة الأفريقية لنيصلوا الى غاية امتدادها ثم يدلفون ذلك شرقا .

الطريق الى الهند :

بوفاة هنرى الملاح في عام ١٥٦٣ كانت تجارته قد توغلت في أفريقيه التى بدأت خيراتها من ذهب وصموغ وطيوب تصب في البرتغال . واستشرى الخطر البرتغالى بعد هنرى حتى بلغ تمبتو في عهد يوحنا الثانى (١٤٨١ / ١٤٩٥) . وقد صمم يوحنا الثانى على بلوغ ارض الهند وقصرت جهوده المضنية دونها غير أنها اثرت عن وصول بارثلميو دياز (Barthelomew Diaz) في العشرين من نوفمبر عام ١٤٨٦ [2] الى رأس الرياح الهوج الذى استبدل الملك اسمه برأس الرجاء الصالح [3] .

وفي ٨ يوليو عام ١٤٨٧ م /٨٩٢ هـ ارسل الملك عمانويل (١٤٩٥ - ١٥٢١) اربع سفن بقيادة فاسكو داجاما نجحت في ان تعبر الرجاء الصالح ، ووصلت الى ناتال في عيد الميلاد . ثم تحركت السفن شمالا حتى بلغت مالينده . وهنالك التقى داجاما بالتجار العرب وجمع منهم حصيلة خبرتهم عن الاتجار [4] في المحيط الهندى حيث لقى البرتغاليون في بداية الأمر ترحيبا من التجار العرب [5] . كما تروى كتب من التاريخ كثيرة ان داجاما سلّم سفينته

---

(١) Garratt, G. T. "Indo British Civilization" The Legacy of India (Oxford, 3rd ed 1957) p. 395.

(٢) Low, C. R., History of the Indian Navy(1613 - 1863), (London, 1877) p.3.

(٣) Dodwell, H.H. and othes, op. cit p. 379.

(٤) Ibid p. 380.

(٥) جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية (معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٩٢) .

الى ابن ماجد [1] بعد ان أثقل بالخمر رأسه . وقد لا يثبت هذا الرأى اذا أدركنا ان العرب كانوا يعضون بالنواجز على احتكار تجارة البحر الهندى ويحتجبون حقائقها عما سواهم لئلا يرتادها وكان حرصهم هذا منذ عصور موغلة في القدم حتى كان عهدا البطالمه والرومان الذين وصلوا عن طريق البحر الأحمر الى مجاهل الهند ومتاهات الصين ، وعرفت أوروبا عن طريق ، دليل الملاحة في البحر الارتيرى [2] الكثير عن المحيط الهندى وموانئه ، كما عرف الأوربيون من هذا المصدر القيم اخبارا مفصله من الموانىء التى تقع الى الجنوب من القرن الأفريقى حتى رابتا (Rhapta) . وأكاد أجزم ان تفكير البرتغاليين في الوصول الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح لم يكن مغامرة ، انما كان نتيجة لتبصر واعمال فكر ودراسة ودراية وبعد تخطيط مضن . ولا بد من أن البرتغاليين قد تدارسوا اسفار اسلافهم من الأوربيين الى شواطىء أفريقية ، وعرفوا بالرحلات التى قطعها يودوكسس الاكزينى (Eudoxus of Cyzicus) في العهد البطلمى والتى أثبتها هيرودوت في اسفاره ، وما كان من أمر عثور يودوكسس ، على حطام مقدمة سفينة عرف انها أبحرت من قادش الاسبانية ، وادرك ان لا سبيل الى ابحارها من ذلك الميناء ، حتى شرق أفريقيا الا اذا اتخذت طريقها حول قارة افريقيه . وحاول يودوكسس بعد ذلك ان يبحر من قادش على الشاطىء الاسبانى الى الهند عن

---

(١) هو شهاب الدين احمد بن ماجد السعدى او النجدي - عاش في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وعمر الى مطلع السادس عشر . له مؤلفات عدة في فنون الابحار وعلوم الملاحة والفلك . لمزيد من المعلومات عنه انظر :

انور عبدالعليم ، ابن ماجد الملاح (العدد ٦٣ من سلسلة اعلام العرب) .

جمال زكريا قاسم ، مرجع سبق ذكره ص ٨٦ - ٩٠ .

مادة شهاب الدين احمد بن ماجد في دائرة المعارف الاسلامية

قدرى قلعجي ، الخليج العربي (بيروت ، بدون) ص ٣٥٣ - ٣٥٦ وهو يرى أن ابن ماجد من مواليد رأس الخيمة .

(٢) Schoff, W. P. (ed.): The Periplus of the Arytherean Sea (London, 1958) Passim.

طريق افريقيه ، وملأ فلكه بكل شيء حتى المغنيات والعازفات على القيثار وطفق صوب ما عرف برأس الرجاء ثم لم يعد يسمع عند بعد ذلك أبدا (١) .

لم يغب التراث الأوربى عن انظار البرتغاليين الذين محصوه وارسلوا البعوث للتيقن منه وتحقيقه . وقد جاء في اخبار البرتغاليين انهم في عهد يوحنا الثانى. ارسلوا اثنين من رجالهم الى بيت المقدس ليتحسسا معلومات عن السياسة الاسلامية ولم يظفرا بطائل لعدم معرفتهما للعربية . واردف هذا الملك تلك البعثة باخرى رأسها بترو دى كافيلام (Caviham) ، وكان بترو يتقن اللغة العربية التى تعلمها في المغرب . وقد حدد الملك مهمة البعثة بجمع المعلومات عن أرض القديس يوحنا Prester Jhon ودراسة مصادر تجارة التوابل (٢) .

قامت هذه البعثة في عام ١٤٨٦ من بارشلونه ونزلت في نابولى ثم قامت الى القاهرة وتركتها في صحبة بعض التجار المغاربة الى عدن . وهنالك انقسمت البعثة حيث طفق بترو صوب الهند ، وقصد احد زملائه الى الحبشة . زار بترو أهم الحواضر على الساحل الغربى للهند ، ثم عرج في طريق عودته الى هرمز ، كما زار زيلع على الشاطىء الأفريقى ، ونزل من باب المندب حتى سفالة وقصد بعدها الى القاهرة حيث ارسل بحصيلة معلوماته الى بلده مع بعض الرسل . ويمم بترو هرمز مرة اخرى ، ورجع الى ثغر عدن ، ولحق برفيقه في بلاد الأحباش حيث انقطع ذكره كما انقطع ذكر رفيقه من قبله ، وما عدنا نسمع عنه بعدها . ورجح البعض (٣) أن اختفاء بترو كان بتدبير ملك الأحباش الذى كان يخشى زيارة الأجانب الى بلاده .

---

(١) Tarn W. W., The Greeks in Bacteria and India(Cambredge, 1938) p. 27.

(٢) Serjeant, R. B. op-cit. p. 4.

(٣) Alvarez, (Father Francisco) Narrative of the Portuguese Embassay in 'Abyssinia during the years 15 - 20 - k 527 (London, 1881, J. transed.. Lord Stanley of Alderly) p. 268.

كانت اوربا - في ذلك الوقت - تشهد فجر النهضة ، او ما يعرف بعصر الكشوف الجغرافية ، وصارت كل مشاريعهم الى دراسة وتخطيط ، فلا يعقل ان داجاما قام الى الهند دون ان يعد لهذا العمل الخطير عدته ، ويضع نفسه تحت رحمة قدر قد يقابله بماجد او يضن ولا اريد ان اقلل بهذا من قيمة الخمر الاوربى المشهور في المنطقة الهندية ، منذ عصور الرومان بأريجه الزكى ، والتى يحتمل انها كانت سبيلا للتعارف بين داجاما وبعض السفهاء . وقد لا استبعد ان داجاما قد اخذ جوقه منهم على مركبه يخدمونه ويدلون اليه بما عندهم ، ولكننى استبعد ان يكون داجاما قد اقنع ابن ماجد بقيادة مركبة خاصة وان ابن ماجد كان من طبقه رأسمالية تسيطر على المقدرات الاقتصادية في البحر الهندى حتى منطقة ساحل ملبار (١) . وفي ظنى ان الذين يسندون الى ابن ماجد قيادة مركب داجاما يظلمونه وهو الذى قال الأراجيز (٢) ينعى حظ الغرب ومآلهم امام الفرنج ، كما انهم يظلمون البرتغاليين الذين هم ، كالاسبان تماما ، آمنوا بكروية الأرض . وآية ذلك ان كولمبس قد روى في مذكراته ان ملك اسبانيا قد أمره بالوصول الى الهند مبحرا غربا (٣) .

وصلت مراكب داجاما الى الهند في ١٧ مايو ١٤٩٨ والقت بمراسيها عند نقطة تقع على بعد ثمانية أميال من كاليكوت (٤) . وكر داجاما يتنسم طريقه قافلا الى وطنه ، وبلغ لشبونه في أغسطس ١٤٩٩ ، وقد ملأ سفنه توابل وبضائع هندية .

وفي عام ١٥٠٠ قامت بعثة تجارية برتغالية كانت ذات اهمية بالغة وتأثيراً

---

(١) Serjeant, R. B. op. cit p. 117.

(٢) جمال زكريا قاسم ، مرجع سبق ذكره ص ٩٠ .

(٣) يسرى عبدارزاق الجوهرى ، الكشوف الجغرافية - دراسة الكشوف الجغرافية وتطور الفكر الجغرافي (دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٥) ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٤) Dodwell, H.H. and others, op. cit. p. 380.

بعيداً . وقد حدد هدف هذه البعثة العسكرية بقتال المسلمين في البحار الهندية . واستطاعت هذه البعثة في مدة لا تربو على الستة شهور الا قليلا ان تصل الى سواحل الهند ، وما ذلك الا بفضل التحسينات التقنية التى ادخلها البرتغاليون على بناء السفن وتجهيزها والتى كان من نتائجها انهم تمكنوا من صنع مراكب حربية ثقيلة تزن ٢٠٠ طنا قادرة على الابحار بالرياح كما انهم تمكنوا من استخدام البوصلة ، في الملاحة البحرية ، وادخلوا عليها تحسينات باضافة مؤشرين يبينان اتجاه الرياح وتقلباتها [١] .

وبدأت البحوث العسكرية والبرتغالية تذهب الى الهند تباعا حتى اتخذ ملك البرتغال لنفسه لقب (ملك الملاحه والغزو وملك تجارة اثيوبيا والجزيرة العربية والفرس والهند [٢] . وصار للبرتغاليين بعد عام ١٥٠٢ تجارة تحميها قوة عسكرية دائبة التجوال في المياه الهندية .

ويتمكن البرتغاليين من التجارة الهندية انفتح رتاج عالم جديد مختلف في صورته عن سلفه لاختلاف العلاقات الاقتصادية اذ ادى الى اكتشاف رأس الرجاء الصالح الى تغيير طرق التجارة العالمية تغييرا جذريا وقلب كثيراً من الموازين التى استقر عليها العالم زمانا وشكل ذلك بداية الاستعمار الحديث [٣] .

ففى اوربا كانت البندقية حتى منتصف القرن الخامس عشر في قمة ازدهارها الاقتصادى ، وقد أثراها احتكار تجارة الشرق والغرب ، وصارت بثروتها ومقدرتها الحربية احدى القوى الكبرى . وتوالت على البندقية المحن بعد سقوط القسطنطينية في أيدى الاتراك الذين بدأوا يفيدون من التجارة الهندية

---

(١) يسرى عبدالرزاق الجوهرى : مرجع سبق ذكره ص ٩٤ .

(٢) Dodwell, H.H. and others, op. cit. p. 380.

(٣) جمال زكريا قاسم - مرجع سبق ذكره - صفحة ٩٢ .

وتجارة شرق البحر الأبيض المتوسط ، وكان وصول فاسكو داجاما الى الهند هو الضربة القاصمة لتجارة البندقية التى بدأت تقفل اسواقها في ١٥٧٣ وخبت أنفاس جمهوريتها تماما في عام ١٧٩٦ (١) .

ارسل البنادقة الى قنصوة الغورى السلطان المملوكى على مصر يبصرونه بالخطر البرتغالى ويحضونه على قطع دابرهم في المياه الهندية لأنهم قطعوا شريان تجارته ومنعوه ريع الضرائب والرسوم والجمارك التى كان يأخذها . غير أن قنصوة الذى كان في وضع سياسى متحرج تفاقمت مشاكله الداخليةووهنت قوته . كما هاجم القراصنة الاوربيون خاصة فرسان القديس يوحنا سواحله الشمالية وتعرضت دمياط والبرلس وغيرهما لاخطار عظيمة في الفترة منذ ١٥٠٩ - ١٥١١ (٢) . ولم يستطع قنصوه نتيجة لذلك أن يفعل اكثر من التهديد بتدمير المزارات المسيحية والجهر بأنه سيطرد المسيحيين من املاكه ، لا يقيمون فيها . ولما لم يجد تهديده فتيلا هرع الى الحرب باسطول بناه في السويس ، واستطاع ان يصل الى ديو في سبتمبر ١٥٠٧ م / ٩١٣ هـ وبعد عراك مستعر تأرجح فيه النصر بين الجانبين انتصر البرتغاليون في النهاية (٣) ، وهكذا تراجعت الحملة المصرية .

لاقت تجارة مصر التى تأتيها من الشرق كسادا كبيرا ، فبعد ان كانت حكومة البندقية ترسل في كل عام قافلتين بحريتين تتكون الواحدة منهما من ٨ الى ١٣ سفينة عدا السفن التى يسيرها التجار غدت القافلة الحكومية لا تزيد عن ٣ سفن تزور ثغور مصر مرة كل عامين ، وأصبح مجيء سفن التجار

---

(١) شارل ديل - البندقية جمهورية ارستقراطية (مترجم) القاهرة ، ١٩٤٧ — ص ١٤٧

(٢) حول هذا الموضوع انظر : ابن اياس - بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ ٤ (تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م) الكتاب كله .

(٣) Do dwell, H.H. and Others, op. cit. p.p. 385 - 389.

نادرا ، ذلك لأن البنادقة ما كانوا يجدون بغيتهم من التوابل بالاضافة الى ارتفاع اسعار التوابل في مصر بالنسبة لاسعار التوابل في اوربا التى سجلت انخفاضا عظيما لوفرة ماكدسته سفن البرتغال من توابل هنالك . ورغم انخفاض اسعار التوابل فقد كان ما يجنيه البرتغاليون من تجارتها يربو على الخمسة أضعاف تكاليف حملاتهم الى الشرق [١] . وبهذا ضاعت على مصر العوائد والرسوم الضخمة التى كانت تجنيها من هذه التجارة . وأدى هذا الانهيار الاقتصادى الى ضعف المماليك في مصر ، واستعر التسابق بين العثمانيين والبرتغاليين للاستيلاء على الامبراطورية المملوكية . هاجم البرتغاليون ميناء جدة في عام ١٥١٧ ، كما نجح العثمانيون في ضم امبراطورية المماليك في بداية ذات العام مما جعل اشتباك البرتغاليين والعثمانيين أمراً لا مندوحة عنه .

الفونسو البوكيرك :

وضع الفونسو البوكيرك Albuquerque في عام ١٥٠٤ مشروعا ضخما للابحار والتجارة والغزو في البحار الهندية [٢] وسنحت فرصته في تحقيق مشروعاته في عام ١٥٠٦ حين ولاّه الملك البرتغالى امور الشرق وترك له - فيما يبدو - الحبل على الغارب ليتصرف وفق ما يملى عليه الموقف . وقد جاء في المذكرات الخاصة به ان عليه ان يخرب هرمز وأن يجتث التجارة الاسلامية في تلك البحار من جذورها . كما اكدت مصادر معاصرة له ان أوامر الملك الى البوكيرك كانت تقضى بتعويق التجارة الاسلامية في البحر الأحمر ، والاستيلاء على ميناء عدن الحصين [٣] . ولكن البوكيرك ضرب عن هذا

(١) شارل ديل ، البندية جمهورية ارستقراطية (مترجم القاهرة ١٩٤٨) ص ١٥٣ .

(٢) قدرى قلعجي ، الخليج العربي ، ص ٣٦١ - ٣٦٥ .

(٣) Miles, S. B., The Countries and The Tribes of the Persian Gulf, 2ed. 2 Vols in one, (London, 1965) p. 142.

صفحا وبدأ في تنفيذ خطته الطموحة التى ترمى الى اقامة امبراطورية برتغالية ترتكز على قلاع وحصون يشيدها على طول السواحل التى يجتازها ، وتصبح مهمتها بعد ذلك ادارة الحكام المحليين بهدف حماية التجارة البرتغالية . وبدأ البوكيرك سلسلة الحصون بقلعة أقامها في سقطره لتزويد اساطيله التى تحاصر البحر الأحمر بغرض اعاقة التجارة المصرية (١) . وطفق البوكيرك من سقطرة قاصدا الخليج ورسا عند جزيرة مصيره ، وتحرك منها حتى صار على مقربة من رأس الحد . وهنا وجد البوكيرك للعرب سفنا يتراوح عددها بين الثلاثين والأربعين بالقرب من خور حجارة فأخذها واحرقها ، ثم تقدم بعد ذلك الى خور جرمه وأحرق أربع سفن ثم تقدم الى مدينة قلهات وبدأ في ترويع موانىء وسواحل الخليج التى كان آخر عهدها بالسفن الاوربية ما عرفته في زمن الاسكندر (٢) ، وبدأت هرمز تحت وطأة الضائقة الاقتصادية حيث خنق البوكيرك الطرق البحرية التى تقود اليها كخطوة نحو تحقيق هدفه الاساسى لاغلاق الخليج العربى (٣) في وجه التجارة الاسلامية .

رمى البوكيرك الى احتلال هرمز التى كان احتلالها في نظره ، مُلِحّا وضروريا لانها تتحكم تماما في مدخل الخليج . ورأى البوكيرك ان استخدام قوته ضد هرمز يخدم الاهداف البرتغالية اكثر من استخدامها في البحر الأحمر (٤) ، ورأى البوكيرك ان يدوّخ هرمز قبل ان يقضى عليها وذلك ببتر اطرافها واعاقة طرقها ، فقصد الى مسقط التى كانت مدينة كبيرة يسكنها عدد من السكان غفير . كانت مسقط هى المخزن الرئيسى لمملكة هرمز التى كانت تغشاها كل السفن التى تبحر في تلك الارجاء ، كما كانت سوقا مزدهرة للجياد

---

(١) Wilson, A. T., The Persion Gulf. 3ed. (London 1959) p. 112.

(٢) Miles, S. B., op. cit. p. 143.

(٣) عائشة السيار ، دولة اليعاربة عمان وشرق افريقيا في الفترة ١٦٢٤ - ١٧٤١ (بيروت ١٩٧٥) ص ٢٤ .

(٤) Wilson, A. T., op. cit. p. 114 - 115.

الضامرات والتمر ، ويمدها ظهيرها بالقمح والاذرة الشامية والشعير ، فلا ريب ان غدت مدينة متأنقة ذات منازل جميلة ومتعددة [1] .

ارسل حاكم مسقط الى البوكيرك مع بعض وجهاء مدينته هدية من الفاكهة يشترى بها وده ، كما أبدى استعداده لتزويد سفن البوكيرك بما يلزمها ابتغاء مرضاته . ورد البوكيرك انه لن يرضى عن التسليم الكامل بديلا . غير ان سكان مسقط وقد خبروا ما آل اليه أمر قلهات ، التى غشاها البوكيرك ، من تخريب وقتل وذبح لم تنج منه النساء والغلمان ، وعرف أهل مسقط خبر الأسرى الذين أخذهم البوكيرك فجدع انوفهم وصلم آذانهم ثم ارسلهم طلقاء ليشهدوا على النصر البرتغالى المبين ، وليشهد به كل من شاهدهم . وعرف أهل مسقط أيضا بأن البوكيرك قد احرق خمساً وثلاثين سفينة كانت ترسو عند سواحل قلهات بعد ان عرفوا كل هذا ، أزورّوا عن هذا المصير ، وحاولوا تداركه ، ففاوضوا الغازى ، ولم تصل المفاوضات الى نتيجة [2] .

بدأ البوكيرك في قصف المدينة فألقت اليه مسقط بمفاتيحها ، وآلت اليه من غنائمها ثلاثون مدفعا وأقواساً وسهاما وحرابا وأسلحة أخرى متباينة الصنوف . وعندما همّ البوكيرك باحراق المدينة ارسل اليه السكان من جبالهم يستعطفون حتى لا تصير المدينة الى دمار . وطلب البوكيرك ١٠٫٠٠٠ أشرفيا (٦٢٥ جنيها) فدية للمدينة وأمهلهم يوما لدفعها . ولما لم يتمكن السكان من دفع المبلغ أعطى البوكيرك امره باحراق المدينة وتدمير مساكنها ، فاشتعلت المدينة نارا ، كما أضرم البوكيرك النار في أربع وثلاثين سفينة صغيرة وكبيرة كانت لأهل مسقط ، أحرق العديد من قوارب الصيد ومعداتها . وأمر البوكيرك ثلاثة من رجاله باحراق المسجد « ذلك البناء الضخم الجميل ، فانهار المسجد

---

(١) Ibid p. 113.

(٢) Miles, S. B., op. cit. p. 146.

على الرجال الثلاثة ، ولكن شكرا لإلهنا فقد خرجوا احياء أصحاء * لا جرح بهم ولا خدش » [1] ، طبقا لما ترويه بعض المصادر البرتغالية .

أبحر البوكيرك بعد هذا الى صحار التى كان عليها والى من قبل عاهل هرمز ، فتقدم الوالى مبديا الخضوع والولاء ، فرفع البوكيرك على صحار العلم البرتغالى واستصدر من أهل صحار ولاء كتبوه لملك البرتغال ، فأعطاهم البوكيرك صك الأمان وانزاح عنهم الى خور فكان .

وفي خور فكان التقى البوكيرك بمظاهر البطولة العربية من استعراض للقوى على ظهور الجياد وتلويح بالأسلحة التقليدية . واستطاع القائد البرتغالى بما ملك من أسباب القوة العصرية ان يقتحم المكان ، وهرب العرب الى البادية حين لم تجد شجاعتهم فتيلا ، وفقد من وقع في الأسر منهم أنفه واذناه ، ثم أحرقت المدينة ، ووجد البوكيرك في قلعتها الخاوية شيخاً هرماً أقعدته السنون من ان يهرب مع الهاربين ، وعرف القائد البرتغالى منه بعض اخبار عن ملك هرمز [2] .

اتجه الاسطول البرتغالى صوب رأس مسندم وتقدم الى مسقط مرة اخرى يستكشف دروب هرمز . وقد تردد قادة البوكيرك كثيرا في مهاجمة هرمز لعظم ما هم مقبلون عليه . كانت هرمز حصينة بفرسانها يزرعون الساحل على ظهور جيادهم ، وبسفنها وقد أثقلها ما عليها من رجال وعتاد ، وجاء الى البوكيرك قادته يحذرونه مغبة الهجوم فالمدينة ، في رأيهم ، ليست كالأخريات اللائى تمكن منهن [3] .

كانت هرمز في الفترة منذ ١٣٣٠ حتى ١٥٠٧ تحت حكم ملوك كانوا في

---

* كلمات تنمّ عن حقد صليبى .

(١) Wilson, A. T., op. cit. p. 114.

(٢) Low, C. R., op. cit. p. 35.

(٣) Wilson, A. T., op. cit. p. 115.

أغلب الاحيان لا يحكمون ، إذ تجسدت السلطة في أيدى وزرائهم الذين يمثلون أو ليجاركيةالتجار الموسرين . وكانت هرمز تدير الساحلين على خليج عمان ، وامتدت سلطتها حتى شملت عدة جزر كالبحرين مثلا . غير ان هرمز نفسها كانت كثيرا ما تدفع اتاوة للملك صاحب الشأن في فارس (١) .

كانت هرمز ذات ثراء عريض بما تأخذه من الضرائب والجمارك والأتاوات في المنطقة المجاورة . كما كانت هرمز تفرض الضرائب على السفن والقوارب البحرية التى تعمل في صيد اللؤلؤ تستخلصها في كل موسم حين تفد هذه المراكب اليها لاستخراج تصاريح العمل بعد دفع جعل معلوم (٢) .

يحكى ولسون نقلا عن فاريا سوسا (Faria Sousa) انه كان على هرمز ملك يدعى سيف الدين لم يشب عن الطوق بعد (٣) . وكانت مسئولية الحكم في هرمز تقع على عبده الخوجه عطاء Khoja Attah (٤) وهو رجل عنيد جرىء مقدام . عرف الخوجه عطاء خبر شنائع البوكيرك فأعد له العده من سفن وخيل ورجال . ولما وصل البوكيرك الى هرمز وجد عليها ثلاثين الف محارب ، عرف ان اربعة آلاف منهم يجيدون الرمى بالنبل ، كما وجد عند مينائها اربعمائة مركب بحرى ستون منها كبيرة ، وقد زودت السفن بالمدافع ذات الحجوم المختلفة وبرماة السهام (٥) .

فاوض البوكيرك ملك هرمز ليصالحه بشرط ان يصير تابعا للتاج البرتغالى وفشلت المفاوضات ، وبدأت الحرب وانتصر البوكيرك رغم صغر اسطوله . وعقد البوكيرك مع حكام هرمز اتفاقية تناب حيث تعهد ملك هرمز بأن يصير

---

(١) Landen R. G., R. G., op. cit. p. 19.

(٢) Miles, S. B., op. cit. p. 153.

(٣) Wilson, A. T., op. cit. p.p. 116 - 117.

(٤) Low, C. R., op. cit. p. 37.

(٥) Wilson, A. T., op. cit. p.p. 115 - 116.

تابعا لملك البرتغال وان يدفع ٩٣٧ جنيها كغرامة [١] مقابل مصروفات الاسطول كما التزم بدفع اتاوه سنوية تقدر بحوالى ٢٨١١ جنيها ، وأعفى الاتفاق سلع البرتغال من الضرائب ، كما صار للبرتغاليين الحق في ان لا يدفعوا ضرائب اكثر مما يدفع المواطنون حين يجلب البرتغاليون بضائع اخرى من مناطق اخرى غير البرتغال الى ميناء هرمز والثغور التابعة له ، وابتنى البرتغاليون بعد هذا قلعة صغيرة في مورنة Morona على الجزيرة وضعوا أساسها في اكتوبر عام ١٥٠٧ [٢] . وبهذا صارت قلهات ومسقط وصحار بعد سقوطهرمز محطات برتغالية تحمى هرمز وتدافع عن تجارتها ، غير ان نظام الحكم المحلى في الجزيرة لم يسقط [٣] وان غادر الجزيرة كثير من السكان الى الموانىء الأخرى في الخليج ، وبدأ العمران الذى عاشته هرمز لاكثر من ٢٠٠ عام يتضاءل حتى انتهى [٤] .

بسقوط هرمز وعقد اتفاق تناب استطاع البرتغاليون احتكار تجارة الخليج ، وصارت سفنهم تتحول من ثغر الى ثغر كلما عنّ لها سبب . وفرض البرتغاليون بسطوتهم سلطتهم على حكام هرمز وتوابعها . ورد البوكيرك على الشاه عباس ، حين ارسل يطلب الضريبة من هرمز ، بأن الجزيرة آلت على ملك البرتغال غنمها برجاله وكسبها باسطوله [٥] .

فرض البرتغاليون ، بما ملكوا من أسباب العلم والمعرفة التى ورثوها من العرب والمسلمين ، كلمتهم في بلاد العرب والمسلمين . فمدافعهم التى لا تجارى

(١) Dennis, R. O., Museat, Bushire, Bassorah. (Paris, 1883) p. 116.

(٢) Wilson, A. T., op. cit. p. 116.

(٣) عائشة السيار ، مرجع سبق ذكره ص ٢٧ .

(٤) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة ، ١٩٦٥) .

(٥) Sykes, Sir Percy, A History of Persia, Vol 11 (London, 1951) p. 186.

في وقتها والتى هزمت حشود هرمز الضخمة قد تطورت بتطور علم الميكانيك الذى تلقفته اوربا من الشرق ، ثم قطعت به في مدارج الرقى شأوًا بعيدا . عرفت اوربا مدافع البارود منذ القرن الرابع عشر حين شيد في اوغسبرج في ١٣٤٠ أول مصنع للبارود ، كما بدا اختراع القذائف الحديدية في عام ١٣٩١ وحدث تطور رهيب فيصناعةالسلاح قبل ان ينقضى القرن الرابع عشر لدرجة انه صار بالإمكان تصنيع مدافع للقصف من عيار ٦٠ سنتمترا ، وأصبح بعد هذا استعمال المدافع حتى الخفيف منها شائعا جدا [١] . وفي عهد شارل الثانى ملك فرنسا (١٤٨٣ ـ ١٤٩٨) حدثت ثورة في مجال المدفعية حيث خلت مدافع البرونز محل مدافع الحديد وفتحت اوربا المدارس لتدريب المدفعيين [٢] . ولم يتطور المسلمون في الشرق كتطور الغرب الذى تميز فيه القرنان الخامس عشر والسادس عشر بروح الاختراع . وقف المدّ الشرقى في التطور الحربى بعد ان بلغ غايته في حصار القسطينطينية حيث كان المدفع في تلك المعركة هو السلاح الاسلامى الحاسم ، ولا غرو أن اعتبر المؤرخون محمداً الثانى اشهر مدفعى في التاريخ [٣] .

اتجه البوكيرك من الخليج صوب البحر الأحمر بعد أن اطمأن الى قوته قاصدا ثغر عدن بغرض احكام السيطرة على محاط التجارة وغلق المنافذ البحرية امام المسلمين ، وذلك لادراكه ان التجارة البحرية في عصره كانت تسلك طريق البحر الأحمر دون طريق الخليج . ولما كانت عدن تمثل اكبر مخزن تجارى هنالك ، فلا مناص له الا السيطرة عليها لتأمين طريق رأس الرجاء . كما ساق البوكيرك هدفه الصليبى الى التفكير في غزو الأماكن

---

(١) فوللر ، أثر التسلح في التاريخ من حروب القرون الوسطى لنهاية الحرب العالمية الثانية ، مترجم ، (دمشق ، ١٩٤٥) ص ٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨١ .

الاسلامية المقدسة ، اذ جاء في كتاب له [١] ارسله للملك عمانويل في ٢٠ اكتوبر ١٥١٤ ان الاستيلاء على عدن ، واقامة قلعة على ثراها أمر لازم . واعطى البوكيرك في خطابه وصفا تفصيليا لجزيرة برم (ميون) وقال انها جزيرة منفرة جرداء تخلو من الماء العذب مما يجعل التركيز على ثغر مصوع ضرورى لضمان المؤن والامدادات ، كما ذكر البوكيرك في خطاب له تالٍ انه يستطيع حشد قوات في مصوع ينقضّ بها على قوة السلطان (المصرى) في البحر الأحمر ثم يخرِّب مكة بعدها .

ولإنجاز هذا الهدف جهز البوكيرك قوة أبحر بها في ٢٦ مركبا بحريا قاصدا ثغر عدن في فبراير ١٥١٥ م / ٩٢١ هـ وكان قوام هذه القوة ١٥٠٠ برتغالى و ٧٠٠ مليبارى . وفي طريقة الى مصوع عرف البوكيرك بخبر الثورة في هرمز فعدل عن خطته وقصد هرمز وأخمد ثورتها [٢] . واتفق البوكيرك بعد هذا مع الشاه اسماعيل على التنازل للبرتغال عن هرمز وتوابعها ، كما تنازل لهم الشاه عن ميناء جوادر على ساحل بلوشستان [٣] . وتعهد البرتغال بمساعدة الشاه في مد سلطته على البحرين والقطيف وقمع الثورات ضده في مكران [٤] . ويتضح من هذا ان الدولة الصفوية تعاونت في بداية عهدها مع الغزاة لتحقيق اطماع اقليمية في الخليج العربى وكان جزاؤهم ان نقضت البرتغال عنها العهد قبل ان ينتهى عام ١٥١٥ حين تطلعوا للبحرين واستولوا عليها ، واقاموا حصنا عند المنامة لا تزال آثاره باقية [٥] .

بعد ان اخمد البوكيرك ثورة هرمز وأضافها الى ملاك البرتغال تراجع نحو الهند وساءت صحته في الطريق وهلك في جوا في عام ١٥١٥ وقبر بها [٦] .

---

(١) Wilson, A. T. op. cit. p. 120.

(٢) Loc. cit.

(٣) عائشة السيار ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ .

(٤) Dennis, R. O. op. cit. p. 12L.

(٥) عائشة السيار ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧ .

(٦) Wilson, A. T., op. cit. p.p. 121 - 122.

الثورات العربية ضد البرتغاليين :

لم تستقر الأحوال بعد البوكيرك فسرعان ما بدأت بعد موته ثورات أهل المنطقة من عرب وفرس ، وزاد في اضطراب حبل الأمور ان البرتغاليين بدأوا يزجون بأنفسهم في الخلافات التى تنشأ بين الزعماء ينصرون أحدهم على الآخر. حدث ان قرر ملك هرمز أن يحارب الرئيس شهاب الدين حاكم قلهات ، فاستعان عليه بالقائد البرتغالى لميناء هرمز الذى وجه بدوره رئيس بحارته ليأسر شهات الدين ويحضره مصفدا الى هرمز. تقوى رئيس البحارة البرتغالى بعشر سفن كانت في طريقها من لشبونه الى الهند ونزل في قلهات . انزلت السفن قوة صغيرة تلمست طريقها في جنح الليل الى بيت الحاكم لتأخذه على حين غرة .

فشل الهجوم البرتغالى وشد عليهم الحاكم بجند غفير ، وارتد البرتغاليون وقد فقدوا بعض القتلى والأسرى كما جرح منهم عدد كبير (١) .

وفي عام ١٥٢١ م /٩٢٧ هـ حدثت ثورة منظمة ، انتظمت الساحل العربى وجزيرة البحرين بسبب عدم رضاء ملك هرمز عن التدخل البرتغالى المباشر في تنظيم الدخل وبصفة خاصة تدخلهم في اعمال الجمارك . ويبدوا ان الملك ووزراءه هم الذين اعدوا للثورة وارسلوا الكتب الى عمالهم في الأقاليم على الساحل العربى ليهبوا في وقت واحد هبة رجل واحد ضد البرتغاليين ، وان لا يتركوا منهم احدا . وحدد الملك ومساعدوه يوم الثورة وساعتها . ولما حانت ساعة الصفر ، احتال ملك هرمز على قائد الاسطول البرتغالى بأن جعله يرسل سفينتين الى شواطىء مسقط لتأديب « القراصنة » الذين ادعى وجودهم بتلك النواحى ، وجازت الحيلة على القائد البرتغالى ، واشتعلت الثورة في ٣٠ نوفمبر ١٥٢١ حين قام شاهبندر التجار بمهاجمة السفينتين الموجودتين عند ثغر

(١) Miles, S. B., op. cit. p.p. 156 - 157.

هرمز وتمكن منها ، وأشعل النار على سطح احدى السفينتين ، وما ان رآها أهل المدينة حتى اقبلوا على البرتغاليين ، فقتلوا منهم ستين او اسروهم ، ولاذ الباقون بقلعتهم لتعصمهم . وقاومت القلعة لشهور طويلة حتى اتاها مدد عسكرى من الهند قضى على تلك الثورة . أما في الاقاليم فقد لاقى البرتغاليون عنتا رهيبا ، اذ شهدت الثورة نجاحا عظيما وهلك من البرتغاليين نفر عظيم ، ولم يجد الفارون منهم من ارض الى اخرى يحطون عندها الا الأسر والقتل . وخرج حاكم مسقط عن دعوة ملك هرمز لخلافات بينهما فأجار من البرتغاليين خلقا عظيما . كما نجا برتغاليو قلهات الذين عرفوا بالثورة قبل حين من هبوبها واتخذوا للأمر عدته [١] .

وما ان صفت الأحوال للبرتغاليين حتى عاود المد الوطنى ثورته مرة اخرى . ففى عام ١٥٢٦ م /٩٣٢ هـ أرسل الملك في هرمز الى حكام مسقط وقلهات ليعلنوا التمرد ، وانتهت الثورة مرة اخرى [٢] . وبالرغم من أعمال العنف التى استخدمها البرتغاليون في قمع الثورات الا ان هرمز لم تهدأ وظلت الجزيرة تقاوم العنف بعنف أبلغ ، حتى ان ملك البرتغال امر في عام ١٥٢٩ بترحيل كافة القوى والجماعات المناوئة لهم من الجزيرة . كما انتجت الثورات المتتالية انفصال البحرين التى جهد البرتغاليون في ضمها ولم يفلحوا [٣] .

الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين في الخليج العربى :

وجدنا فيما المحنا اليه سابقا ان الصراع البرتغالى العثمانى كان قد أضحى أمراً لا مندوحه عنه خاصة حين نشط الاتراك في منطقة الخليج العربى في منتصف

---

(١) Ibid, p. 159.

(٢) Ibid, p. 164.

(٣) محمد علي الداود . العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ١٦٥٠ (مستل من العدد الثاني من مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ شباط ١٩٦٠) ص ٦ .

القرن السادس عشر واحتدم لذلك الصراع بينهم وبين البرتغاليين [1]. وزاد في حدة الصراع ضم العراق للدولة العثمانية في ١٥٣٤ مما جعل السلطان العثمانى يهتم بالخليج العربى اكثر. واشتدت حدة الصراع حين دخل امراء البصرة والقطيف والبحرين في طاعة العثمانيين [2] وحزم البرتغاليون أمرهم مع الفرس وامدوهم بالعتاد وظاهروهم بالخبراء يعلمونهم صناعة السلاح ويدربونهم عليه ويعينونهم على حرب العثمانيين.

بدأ التناوش بين العثمانيين والبرتغاليين منذ مطلع القرن السادس عشر وكان للفريقين سلسله من الحروب البحرية على امتداد السواحل العربية الجنوبية وامتدت هذه السلسلة الى الخليج في عام ١٥٤٦ م /٩٥٣ هـ حين وصلت أربع سفن من الاسطول العثمانى والقت بحممها على مسقط وتراجعت عنها ولم تسبب للبرتغاليين اضرارا جسيمة [3].

وفي ١٥٤٦ ـ ١٥٤٧ تمكن النفوذ العثمانى من البصرة وطرد العثمانيون حاكمها راشد بن مغامس الذى خلع طاعته لهم. ونادى الأمير الطريد البرتغاليين الى نصرته ووعد بإثابتهم حصنا بالبصرة. ارسل البرتغاليون لراشد حملة هاجمت ميناء القطيف واصلته بالمدافع قذفا وخطت طريقها الى البصرة. ولم يكن نجاح البرتغاليين في هذه الحملة شيئا مذكورا إذ أفسده دهاء الحاكم العثمانى وسعة حيلته [4] وما فتأ البرتغاليون يساعدون ثوار البصرة وبعض القبائل المحلية في المنطقة التى كانت تعارض السيطرة العثمانية بالرغم من

---

(١) Wilson, A. T., op. cit. p.p. 124 - 125.

(٢) عباس الغزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٣٦٩ هـ ، ١٩٤٩ م) جـ ٤ ، ص ٤٤ .

(٣) Miles, S. B., op. cit. p.p. 167 - 170.

(٤) Haje Khalefeh, The History of The Marltime Wars of The Turks, (London, 1831) p. 68.

سعى السلطات العثمانية في البصرة أول الامر الى التقارب مع البرتغاليين في الخليج العربى انطلاقا من معرفتهم لأهمية الخليج العربى كشريان للتجارة. وتثبت تقارير [1] دى ليما الحاكم البرتغالى في هرمز بأن « اياس باشا الموظف العثمانى الرئيسى في العراق مصمم على جعل البصرة مركزا مريحا للتجار » وبانه قد وصلته سفارة التاجر العربى الحاج فياض لاثبات هذا المعنى.

لم تستقم الأمور بين العثمانيين والبرتغاليين في الخليج العربى ولهذا عين الفونسو دى نورنها Alfonso De Nornha، الحاكم البرتغالى في الهند، انطون دى نورنها قائدا بقوة قوامها ١٢٠٠ رجل وارسلهم على سبع سفن مجهزة لمنازلة العثمانيين في الخليج العربى، كما طلب حاكم الهند البرتغالى الى توران شاه، حاكم هرمز، ان يمد انطون بثلاثة آلاف رجل لانجاز هذه المهمة. اقلع انطون الى القطيف ومعه الريس شرف الدين رئيس هرمز وأمير موغستان Moghistan ولم تسلم حامية القطيف التى كان قوامها ٤٠٠ رجل الا بعد حصار استمر لثمانية أيام. وتراجع انطون ولم يتقدم الى البصرة [3].

اقتنع السلطان العثمانى بوجوب تجهيز حملة بحرية كبيرة ضد البرتغاليين في الخليج العربى. أمر الباب العالى داود باشا والى العراق ان يجهز حملة يقوم بها الى البصرة حيث يتكامل مع حملة بحرية تنتظره هنالك ثم يتقدم الى هرمز ويحتلها. وأمر الباب العالي بيرى Piri باشا بتجهيز الحملة الى البصرة. جمع بيرى باشا [4] سفنا كثيرة ورجالا ومؤنا وتحرك في يونيو ١٥٥٢ ودخل خليج عمان ورابط عند مسقط. كان في مسقط في تلك الفترة القائد البرتغالى جوا دى لزبوا Joao de Lisboa الذى كان في مهمة لبناء حصن في مسقط لتأمين

---

(١) صالح اوزبران، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ (بغداد، ١٩٧٩) ص ٤١.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢.

(٣) Haje Khalefeh, op. cit. p.p. 70 - 73.

البرتغاليين المقيمين هنالك . وقد استطاع بيرى أن يتمكن من المدينة ويأسر حاميتها .

اتجه بيرى بعد ذلك الى هرمز التى كان يحكمها فعليا الفارو دى نورنها Alvaro de Noronha بالرغم من وجود حاكم وطنى بها . سلمت هرمز للقائد العثمانى واستعصت القلعة فحاصرها ثم رفع الحصار عنها بعد عشرين يوما واتجه الى قشم يلاحق التجار الذين هرعوا باموالهم الى تلك الجزيرة فتمكن بيرى من قشم واصاب من فتحها مغانم كبيرة . تراجع بيرى مثقلا بالأموال الى البصرة ثم غادرها مسرعا الى السويس فألقى العثمانيون القبض على قائدهم وأمر السلطان بإعدامه ومصادرة ثروته العظيمة [1] .

خشى العثمانيون من أن يرد البرتغاليون على حملة بيرى التى اصاب فيها العثمانيون نجاحا وقتيا أفسده طمع بيرى في جمع المال فأصدر السلطان سليمان أمره الى مراد بك سنجق القطيف السابق الذى كان وقتها بالبصرة لكى يبحر ببعض قطع الأسطول العثمانى من البصرة الى السويس حتى لا تقع هذه القطع غنيمة للبرتغاليين . وتقدم مراد بك على رأس ١٧ قطعة قاصدا مصر ولكنه تراجع بعد أن بلغ مضيق هرمز حيث قامت بينه وبين أحد الاساطيل البرتغالية معركة كبرى وخشى ان يلاحقه البرتغاليون .

أوكل السلطان بعد هذا مهمة انقاذ الاسطول الى سيدى على الريس ، أحد قواد ترسانة السويس من الذين نالوا سمعة عسكرية عالية في حروب البحر الابيض المتوسط . وصل على الريس الى البصرة في فبراير ١٥٥٤ وتحرك من هناك على رأس ١٥ قطعة حربية بعد ان استوثق من خلو مياه الخليج من السفن البرتغالية . وما ان وصل سيدى على الريس بسفنه الى خور فكان حتى وجد اسطولا برتغاليا مكونا من ٢٥ قطعة بحرية . ووقعت بين الاسطولين معركة حامية الوطيس « عجزت كلمات » سيدى على الريس عن وصفها [2] . نجا

(١) Ibid, p. 75.

(٢) Sidi Ali Reis, The Travells and Adventures of The Turksh, Admiral Sidi Ali Reis in India, Afganistan, Central Asia and Persia During the Years 1553 - 1556 (Trans, London, 1899) p.p. 9 - 11.

سيدى علي من هذه المعركة ليواجه معركة اخرى لاقى فيها ٣٤ سفينة برتغالية ولم يتمكن أى من الجانبين أن يحرز نصرا حاسما [١] . وصادف الاسطول العثماني بعد هذا حظاً رديئاً جعله يصارع العواصف والانواء . وانتهى أمر الاسطول العثماني عند سواحل الهند حيث رحب رجب خان حاكم سورات التابع لسلطان الكجرات غياث الدين أحمد بالقائد العثماني . كتب رجب خان رسالة الى السلطان سليمان يخطره بسوء الحظ الذى صادفه سيدى علي ريس فرد عليه السلطان بفرمان يقضى بارسال القبطان على برا الى استانبول والاحتفاظ بالسفن وتجهيزاتها لحين وجود فرصة سانحة لارسالها الى مصر والاحتفاظ بالمدافع في القلعة حتى تحين فرصة ارسالها الى مصر أو استعمالها ضد الكفار . تجرى نصوص الفرمان على النحو التالى [٢] ، «صدر فرماننا الشريف لبعض الاسطول الهمايوني بالتوجه لمنطقة البصرة فيما سبق . وبينما كان قدوة الاماجد والاكارم قبطاننا سيدى علي زيد مجده متوجها من البصرة الى مصر لاعادة الاسطول اليها ، لاقته سفن الكفار المقهورين في البحر ونشبت بينهما الحرب واستعر القتال فجنحت ست قطع من اسطوله الى الساحل ، وخرجت الى البحر تسع قطع اخرى من نوع القادرغه . ولكنها تشتت وتفرقت في الطريق بإرادة الله تعالى بسبب الطوفان والامطار . وانتهز الكفار الأذلاء الفرصة فطاردوا السفن حتى جنحت في آخر المطاف ست منها عند مدينة سورات ثم دخلت الميناء . وقد استمرت مراقبة الكفار الاشقياء للسفن في فرضة الميناء اربعة أشهر تقريبا .

الرجاء ان لا تدخروا وسعا في ارجاع سفن اسطولنا ، علما بأننا لا نود ان يعود القبطان المذكور بالبحر لأن السفن ستسير تحت تهديد الكفار . احتفظ

---

(١) Ibid, p.p. 11 - 14.

(٢) احمد فؤاد متولى ، « البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجرى على ضوء الوثائق التركية» مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد الرابع ، س ١٤٠٠ هـ ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

بالمدافع في القلعة . وعليك أن تحسن مساعدة العائدين برا .. لقد صممنا ، ان شاء الله تعالى ، على ارسال قدر كاف من السفن قرينة النصر وعساكر البحرية للجهاد في سبيل الله ضد الكفار الاذلاء الذين استولوا على تلك الديار . ارسل تلك المدافع برا الى مصر المحروسة في الوقت الذى تراه مناسبا ، وإذا لم تجد ذلك ملائما فاستعمل المدافع المذكورة في الفتح والجهاد ومحاربة الكفار الاذلاء ... » .

ارسلت بعد حملة على الريس بضع حملات بحرية الى الخليج العربى غير انها لم تصب الا نجاحا وقتيا وكانت الاساطيل البرتغالية تجبرها على الانسحاب . ولعلنا نلاحظ ان العثمانيين لم يكونوا في البحار الهندية ومنطقة الخليج العربى من أصحاب الاساطيل القوية وذلك لأن الاسطول العثمانى كان في هذه الفترة يستخدم سفنا صغيرة لا تستطيع التأثير الفعال على السفن المحيطية الكبيرة [1] خاصة حين يكون اللقاء في اعالي البحار . كما ان قواعد الاسطول العثمانى كانت قاصرة على البحر الابيض المتوسط حيث تتوفر امكانات بناء السفن . ولما لم يكن في مقدور الاسطول العثمانى الوصول الى المحيط الهندى عن طريق رأس الرجاء الصالح ، كان لا بد من بناء السفن في السويس أو البصرة . ووجد العثمانيون رهقا في بناء السفن في البصرة لصعوبة نقل الأخشاب الى هذا الميناء الأخير . كما أن الدولة العثمانية لم تثبت نفسها على مرافىء الخليج العربى لقلة الثروة في المنطقة وقلة العائد المادى للجند ولذلك لم يكلف العثمانيون أنفسهم عناء الحكم المستقر [2]

تدهور القوة البرتغالية في الخليج :

توسعت البرتغال وامتدت سلطتها في البحار الهندية والخليج العربى ،

---

(١) عبدالوهاب القيسى «موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية» مجلة الخليج العربي ، جامعة البصرة المجلد الثاني عشر ، العدد الاول ، ١٩٨٠ ص ٥١ .

(٢) صلاح العقاد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠ .

ودب الفساد في اوساط جنودها بعد أن أبطرتهم الأرباح الهائلة التي اصابوها من تجارة الشرق . انصرف الجند والقادة الى التجارة والثراء، واهملوا واجباتهم العسكرية (١) . وساء خلق الجند حتى اضحوا قراصنة . روى احد المسافرين الايطاليين ان سفينة برتغالية وقعت على مركبهم فتوجسوا منها لأن الجند البرتغالى كانوا يأخذون من التجار مايشاءون رضاء وقسرا . واكتفى جند تلك السفينة بأن اخذوا برميلين من الماء (٢) .

اعتمد البرتغاليون على القوة دون سواها لتحقيق اغراضهم القومية والفردية . ولم يشهد تاريخ المنطقة الا القليل من التعامل السلمى مع العرب خاصة والمسلمين عامة وذلك تمشيا مع اهدافهم الصليبية وطمعهم في الثراء . رمى ملك البرتغال لمصالحة السلطان العثمانى في ١٥٤١ حين ارسل اليه عارضا ارسال كميات من التوابل نظير ان يسمح العثمانيون للبرتغاليين بالابحار في البحر الأحمر ، ورفض السلطان العثمانى لخشيته من الروح الصليبية التى كانت تحرك البرتغاليين . كما لم يفكر البرتغاليون في استرضاء اهالى المناطق المغلوبة ولذلك صار ادارة احتكار منطقة ضخمة لحوض البحر الهندى وتوليه بالقوة لأن السياسة اكثر من ان تستطيعها دولة صغيرة ذات امكانات محدودة كالبرتغال (٣) .

دخلت البرتغال في الفترة (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠) في حكم اسبانيا وذلك عندما توحد تاجا البلدين في بلاط فيليب الثانى ملك اسبانيا (١٥٨٠ - ١٥٩٨) . وقد أثّر هذا في تجارة البرتغال وأضعفها وان لم يتلفها ، ذلك لأن سبب ضعف التجارة البرتغالية لم ينشأ عن اهمال متعمد لمصالح البرتغاليين ولكنه جاء نتيجة لتحمل البرتغال لتبعات السياسة الأسبانية الطموحة . ترك

---

(١) Wilson, A. T., op. cit. p.p. 155 - 158.

(٢) Ibid, p. 157.

(٣) Landen, R. G., op. cit. p. 22.

الأسبان للبرتغاليين أمر تجارتهم في الشرق وكانوا هم المسئولون عن تعيين نائب الملك في الهند . بل ان مستعمرات البرتغال في البحار الهندية صارت الى تنظيم بعد ان ضمت اسبانيا البرتغال اذ خصص قسم من مصلحة المالية للمستعمرات ، كما اقيم في عام ١٦٠٤ م / ١٠١٣ هـ المجلس الهندى (Council of the Indies) ليفى بأمور المستعمرات . ولم يكن سابقا للحكومة البرتغالية اى تنظيم او مجلس او وزير مختص للاشراف على الشئون الاستعمارية الا ما كان أمر ادارة فردورز دى فازندا (Verdores de Fazenda) التي كان همها الوحيد هو اختيار الجند للخدمة فيما وراء البحار ، وتنظيم بيع وشراء الصادرات والواردات [١] . غير ان كل هذا لا يعنى بالطبع ان فيليب وغيره من الملوك الأسبان كانوا ينظرون الى البرتغال على كونها اكثر من مقاطعة اسبانية يمكن تجاهل مصالحها لرعاية مصالح الدولة الاسبانية في امريكا [٢] .

بدأ هذا واضحا حين اجبرت البرتغال على ان تشترك مع الأسطول الاسبانى في الهجوم على انجلترا وما نجم عن ذلك من هزيمة الاسطول الاسبانى البرتغالى هزيمة نكراء قرب الساحل البريطانى في عام ١٥٨٨ م . وقد اعطى هذا النصر للبريطانيين الثقة في أسطولهم ، وأكدّ قدرتهم على مقارعة الاسبان والبرتغاليين الذين كانوا حتى ذلك التاريخ سادة أعالى البحار [٣] .

ظهرت انجلترا كقوة كبرى خاصة انها خرجت من حرب الوردتين وقد تحطمت العناصر الاقطاعية تماما وصارت حزمة واحدة . كما زاد في قوتها اهتمام هنرى السابع بالسفن وجهد ابنه هنرى الثانى (١٥٠٩ ـ ١٥٤٧) في تطوير الاسطول البريطانى وتزويده بمدفعية قوية . ومكّن الوضع المالى لهذا الملك ، بعد ان سلب املاك الكنيسة ، ان يصرف عن سعة لم نلحظها في اسلافه او

---

(١) Dodwell, H.H. and Others, op. cit. p. 389.

(٢) Landen, R. G., op. cit. p.p. 22 - 23.

(٣) Wilson, A. T., op. cit. p. 133.

خلفائه الذين كان البرلمان يشرف على اوجه الدخل والصرف عندهم [١] ، قضت هذه الظروف بقوة الاسطول البريطانى الذى تمكن - فيما بعد - من منازلة البرتغاليين والاسبان ودحرهم عن شواطىء بريطانيا ، ثم ملاحقتهم بعد ذلك الى السواحل البرتغالية حين هاجموا ميناء فارو .

وفي الذكرى الأولى لهزيمة الارمادا اتصل بعض التجار البريطانيين بملكتهم اليصابات Elithabeth يطلبون الاذن بالاتجار مع الهند فأجازتهم [٢] ، فلا غرو أن ارخّ المؤرخون اتصال البريطانيين بالهند كنتيجة فعلية لهزيمة الارمادا .

وزاد من مشاكل البرتغاليين أن أهل الأراضى الواطئة قد تمردوا على التاج الاسبانى منذ عام ١٥٦٦ نتيجة للمعاملة السيئة التي تلقاها سفنهم حين تغشى البرتغال . وبدأ أهل الأراضى الواطئة ، لذلك يتلمسون طريقهم في اتجاه الهند الذى كان حتى ذلك التاريخ ، مقصورا على البرتغاليين دون منافس . تكونت في الأراضى الواطئة الشركات للاتجار مع غينيا والشرق الأوسط ، وجهدت شركة فانفير Campagine Van Ver تخطط لبلوغ الهند . واستعانت الشركة بلنشتون Linschoten * الذى خدم البرتغاليين في جوا وقتا ، وجهزت بعد هذا بعثة بحرية عسكرية اسندت رئاستها الى هوتمان Houtman الذى قضى قبل ذلك وقتا في لشبونه يتحسس أساليب التجارة الهندية ويتحرى دقائقها [٣] .

---

(١) فوللر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٥ .

(٢) Sykes (Sir Percy), op. cit. p. 188.

(*) عمل لينشتون بالهند لمدة ١٣ عاما جمع فيها معلومات تتصل بنوعية البضائع وكمياتها ، وسبل المواصلات واسلوب التجارة ، ووصف الموانى والبحار والتيارات والرياح ، ونشر ذلك في ١٥٩٢ .
انظر : Wilson, A. T., op. cit. p. 158.

(٣) Wilson, A. T., Ibid p.p. 155 - 159.

التنافس الهولندى البرتغالى :

نجحت هولنده في عام ١٥٩٥ في ارسال بعثة بحرية دارت حول رأس الرجاء يشد من عزيمة رجالها سوء معاملة فيليب لمواطنيهم الذين اقفل في عام ١٥٩٤ في وجههم اسواق لشبونه ، وحرم سفنهم من صادرات الهند [١] . هدفت هذه البعثة ان تصل الى ارخبيل الملايو لكى تتجنب السواحل الهندية مما يجنبهم وبال الاحتكاك السريع بالقوى البرتغالية المتمركزة على سواحل الهند الغربية ، كما عرفت البعثة بتوفير غاياتهم من التوابل وسلع الهند في ذلك الأرخبيل .

نجحت البعثة في مهمتها ورجعت الى هولنده في عام ١٥٩٧ بثلاث سفن من أصل اربع بدأت بهن الرحلة . ولم تحقق بعثة هوتمان ، بالطبع ، إلا تجارة محدودة جدا ، ولكنها حققت انتصارا محققا بعقدها أول اتفاق هولندى مع ملك بانتام وافتتحت به ارخبيل جزر الهند الشرقية للتجارة الهولندية [٢] . وأدى هذا النجاح بدوره الى قيام شركات هولندية متعددة تنافس كل رصيفتها . وقد مكن هذا التنافس للبرتغال ان ترسل حوالى ١٣ اسطولا الى ارخبيل الملايو في الفترة من ١٥٩٨ الى ١٦٠٣ [٣] . غير ان هذا التنافس الذى استقر بين الشركات مع تطور الزمن ، قلل من ارباح هذه الشركات ، وأعاق تطورها وازدهارها وتعاونها لخيرها المشترك . وانتهى هذا التناحر الى دمج هذه الشركات جميعها في مؤسسة سميت جمعية التجارة مع البلاد البعيدة The Society for trading to Distant Countries

---

(١) Dodwell, H.H., and Others, op. cit. p. 393.

(٢) محمد على الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي (بحث مستل من مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثالث ، كانون الثاني ١٩٦١ ، بغداد ١٩٦١) ص ٥ .

(٣) Dodwell H.H. and Others, op. cit. p. 392 - 393.

التي تطورت فيما بعد وصار اسمها شركة الهند الشرقية الهولندية Dutch India Comp. والتى صارت بعد ذلك جسدا سياسيا له اتجاهاته المميزة في المستعمرات في الشرق [١] .

استقر الهولنديون اولا بعيدا عن المناطق التى يسيطر عليها البرتغاليون ، ولكنهم ما لبثوا ان توغلوا شيئا فشيئا على اراضى البرتغاليين في الهند ، وبدأ الاحتكاك . أرادت دولة البرتغال ان تصل مع هولنده الى تنسيق في أمر تلك التجارة فعقدت معها في عام ١٦٠٩ اتفاقا تجاريا عسكريا رفض الموظفون البرتغاليون في منطقة الهند تنفيذه ، وأفاد الهولنديون في ذلك الاتفاق كثيرا . اطلقت هذه الاتفاقية يد الهولنديين في تلك الأصقاع يردون عن أنفسهم غائلة الجند البرتغالى ويتوغلون في مناطق نفوذهم بينما غلت الاتفاقية عنهم يد اسبانيا في اوربا .

استطاع الهولنديون في الفترة من ١٥٨٠ الى ١٦٢٠ أن يستولوا على بعض معاقل البرتغاليين في الهند ، ثم ارغموا البرتغاليين بعد هذا على تسليم مراكزهم في الهند نهائيا [٢] . واستطاع الهولنديون ان يستولوا على المكلا في ١٦٤١ م وعقدت القوتان بعد هذا هدنة لم تثبت الا قليلا [٣] . وعقدت في ٦ اكتوبر ١٦٦١ اتفاقية السلم الدائمة بين هولنده والبرتغال ، استطاع الهولنديون بعد هذا التاريخ اثبات وجودهم الفعلى في الخليج العربى ، وبدأوا يرثون بالتدريج مواقع البرتغاليين في المنطقة . كما استطاع الهولنديون بموجب فرمان استصدروه من الشاه ان يقيموا لهم وكالة تجارية في جمبرون . وبدأ النفوذ الهولندى يتوغل في الأرض الفارسية حيث قامت العديد من البعثات الهولندية في الفترة من

---

(١) Ibid, p.p. 392 - 393.

(٢) محمد على الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية ... ص ٣ .

(٣) Dodwell, H.H. and Others, op. cit. p. 394.

١٦٥٢ الى ١٦٦٦ بزيارة اصفهان خصهم الشاه بشراء الحرير على امتداد الأرض الفارسية وتصديره دون جمارك [1] .

وبهذا ظهرت في المنطقة قوة اوربية اخرى نافست الاحتكارات البرتغالية ، وكسرت طوقها الضيق ، وآذنت بسكون ريح البرتغاليين في المنطقة .

---

(١) Sykes, (Sir Percy), op. cit. p.p. 192 - 194.

الفصل الثانى

بدء النفوذ البريطانى فى الخليج

بدء النفوذ البريطاني في الخليج

(محاولات البريطانيين الأولى للاتجار مع الشرق ـ تأسيس شركة الهند الشرقية وبدء اتصالها بالخليج ـ التعارك البريطاني البرتغالي ـ عرب عمان يقضون على القوى البرتغالية ـ التنافس البريطاني الهولندي ـ التنافس البريطاني الفرنسي) ..

محاولات البريطانيين الأولى للاتجار مع الشرق :

بدأ البريطانيون يطمحون في ربع تجارة الشرق ، كما المعنا سابقا ، بعد هزيمتهم للارمادا في ١٥٨٨ وراودتهم رغبة طرق الشرق عن طريق رأس الرجاء الصالح بعد ان هان عليهم أمر الاسطول البرتغالي .

كانت هنالك قبل هذا التاريخ ، محاولات بريطانية للاتجار مع الشرق برا . ولعل السير انطوني جنكنسون Jenkinson كان رائد هذه المحاولات وإمام المغامرين البريطانيين في هذا الشأن . وصل جنكنسون الى فارس في ١٥٦١ م /٩٦٨ هـ حيث قابل الشاه طهماسب الأول Tamasap وسلمه خطابا من الملكة اليصابات ، غير ان الشاه لم يحسن استقبال انطوني جنكنسون ولم تسفر سفارته عن أمر ذي بال [١] . ويمم فارس بعد جنكنسون اربعة آخرون هم : جون نيوبري J. Newberie ورالف فيتش

(١) Aitchison, C. U., A Collection of Treaties, Engagements and Sands Relating to India and Neighbouring Countries (Calcutta, 1856) Vol. VII p. 3.

R. Fitch ووليام ديدس W. Deeds وجيمس ستورى J. Story ، وكان هؤلاء يحملون خطابا من الملكة اليصابات ايضا ، وصل هؤلاء الرجال الى طرابلس الشام في ١٥٨٣ م /٩٩١ هـ ثم غادروها برا الى بغداد ومنها للبصرة . ركب الرجال الأربعة الخليج حتى هرمز حيث اسرهم البرتغاليون . وأفلت نيوبرى سالما من اسر البرتغاليين ووصل الى بريطانيا حيث نشر في عام ١٥٩١ م / ٩٩٩ هـ تقريرا عن خيرات الشرق التى لا حصر لها من « توابل وعقاقير وأنسجة حريرية والمطرزات الفارسية الأنيقة والخيول الصافنات ، ولؤلؤ البحرين [١] .... » .

اسال هذا التقرير لعاب الانجليز الذين طمعوا في اقتسام الثروة التي كانت قصرا ، في هذه المنطقة حتى هذا التاريخ على البرتغاليين [٢] .

حاول البريطانيون التجارة مع الشرق عن طريق الشام ووادى الرافدين برا ، غير ان اهتمام البريطانيين بهذا الطريق تقلص كثيرا بعد ان هزموا الارمادا [٣] ، وازداد طمعهم في التجارة الهندية بعد ان شاع خبر وقوع السفينة البرتغالية سانت فيليب (St. Philip) في ١٥٨٧ في أسر القرصان الانجليزى دريك DRAKE وتحقق الانجليز من الثراء الفاحش الذى يصيبه البرتغاليون من تجارة الشرق [٤] . وأكدت تقارير نيوبرى ، وفيتش بعده ، خبر الثراء . فصمم البريطانيون على الإفادة منه . كما كان لرفع أهل الأرض الواطئة سعر الفلفل من ثلاثة شلنات للرطل الى ثمانية شلنات تأثيرا [٥] بالغا في ازدياد التصميم البريطانى على بلوغ ارض التوابل .

---

(١) Pinkerton John, General collection of the Best and most Interesting Voyages and Travells in all Parts of the World, Many of Which are now first translated into English (London, 1805 - 1811) Vol. IX p. 407.

(٢) Wilson, A. T., The Persian Gulf p.p. 133 - 134.

(٣) Foster, Willian, England Quest for Eastern Trade (London, 1933) p. 32.

(٤) Wilson, A. T., op. cit. p. 133.

(٥) Howley, D. The Trucial States, (London 1970) p.p. 73 - 74.

كانت نواة شركة الهند الشرقية هى الشركة التى تكونت في لندن بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٥٩٩ تحت اسم اتحاد التجار المغامرين بهدف الاتجار مع الشرق . دفع هؤلاء رأسمالا قدره ثلاثون ألفا من الجنيهات وتقدموا الى الملكة طالبين الإذن بالاتجار مع الشرق . فوجهت الملكة مستر جرانفيل F. GRANVILLE لبحث الأمر فأوصى بإقراره . وصادقت الملكة بموجب مرسوم ملكى على الشركة تحت اسم :

(The Governer and the Company of Merchants of London Trading into East Indies (١)).

وتكونت لجنة الشركة من اربعة وعشرين عضوا برئاسة الوجيه ALDERMAN SMITH عرفت اللجنة باسم (لجنة المدراء) وقامت الملكة في ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠ م / ١٠٠٩ هـ بمنحهم التصديق بالاتجار . وقد جاء في المرسوم الذى اكتسبت به الشركة شرعيتها ، أنها قامت اساسا للاتجار الى آسيا وافريقيا وجزر تلك المناطق وموانيها ومدنها الصغيرة منها والكبيرة ومناطقها الشاسعة بهدف استكشافها ومد خطوط للبحرية البريطانية الى تلك المناطق لتطوير التجارة على ان يكون ذلك لحساب الشركة وبأموالها ، وقد حظرت الملكة بموجب هذا المرسوم على نفسها واسرتها ان لا تعطى اى امتياز في تلك المناطق لأى كائن آخر الا بموافقة الشركة المعنية ، وان تعفى أول أربع رحلات من الجمارك ، وان تصرح لهم بإخراج مبلغ ٣٠٫٠٠٠ جنيه نقدا او عينا من البلاد سنويا (٢) .

وبدأ مجلس المدراء يمارس اعماله في تجهيز السفن ، واختيار قادتها ، ورؤساء القوافل البحرية ، كما بدأ في شراء السلع التى ستأخذها الحملة معهم (٣) . وتحركت أول رحلة من ميناء وولدوش Waldwich في ١٣ فبراير

---

(١) Low, C. R., History of the Indian Navy p.p. 4 - 7.

(٢) Kay, J. W., The Adminsteration of the East Indian Company (London April 2 th, 1853) p. 105.

(٣) Low, C. R., op. cit. p. 6.

١٦٠١ على ظهر أربع سفن هى الرد درجون Red Drgoon التى تحمل ٦٠٠ طنا وعلى ظهرها ٢٠٠ رجلا بقيادة الكابتن جيمس لانكستر الذى سمى ادميرالا للاسطول . وكانت السفن الثلاث الأخرى هى هكتور Hector التى تحمل ٣٠٠ طنا وعليها ١٠٠ رجلا ، وسوزان Susan التى تحمل ٢٤٠ طنا وعليها ثمانين رجلا ، وحرستهم سفينة صغيرة تحمل مئة طن وعليها أربعون رجلا (١) .

رجعت البعثة بعد عامين الى لندن تحمل سلعا كثيرة لعل أهمها الفلفل الذى جاءوابمقدار مليون طن منه . كما استطاع البريطانيون بيع أقمشتهم الصوفية في بلاد المغول وطلبوا المزيد من الأقمشة الصوفية التى وصلت وعجزت الشركة عن بيعها في تلك المنطقة .

عرفت وكالة الشركة من ستيل Steele ، وهو بريطانى وفد الهند من فارس ، ان الأقمشة الصوفية التى عجزت الوكالة عن تصريفها فى تلك المناطق يمكن بيعها في فارس ذات الشتاء القارس ، وأضاف ستيل أن اسعار شراء الحرير في فارس تنقص عن اسعار شرائه في حلب بمقدار النصف . وقد دفعت هذه المعلومات بالوكالة الى ايفاد ستيل كراوثر Crouther الى اصفهان ليفاوضا الشاه في أمر التجارة الانجليزية ويستصدرا منه فرمانا بترسيمها (٢) .

زودت الوكالة ستيل كراوثر بخطابات للسير روبرت شيرلى Sherly وهو بريطانى وفد فارس منذ عام ١٥٩٨ مع أخيه انطونى شيرلى وستة وعشرين تابعا ، وقدما نفسيهما كفارسين تركا بريطانيا حين بلغتهما شهرة الشاه وقررا

(١) Kay, J. W., op. cit. p. 108.
كذلك : Low, C. R., op. cit. p. 5.

(٢) Sykes, (Sir Percy), op. cit. P P. 188 - 189.

الدخول في خدمته . ورحب الشاه بالأخوين وبادلها الهدايا ، وقبل خدمتهما ، ووثق فيهما (١) . ولا يخفى بالطبع ان الهدف الحقيقى لهذه الرحلة كان صليبيا في المقام الأول يريدان ان يدفعا الشاه الى عمل مشترك مع القوى المسيحية ضد الاتراك المسلمين ، كما هدف الأخوان كذلك الى تمهيد طريق التجارة بين فارس وبريطانيا (٢) .

عندما وصل مبعوثا الشركة الى فارس قابلا السير روبرت شيرلي الذي كان قد رجع لتوه من رحلاته في اوربا حيث اوفده الشاه في مهام سياسية . ونجحت البعثة في ان تحصل على فرمان من الشاه يأمر مواطنيه ان يرحبوا بالبريطانيين وسفنهم التى تصل الى الجاسك أو أى موانىء اخرى بمملكته (٣) .

أدى هذا النجاح بالشركة ان تدفع بالسفينة جيمس **James** بقيادة ادوارد كانوك **E. Cannock** الى ميناء الجاسك في ديسمبر ١٦١٦ م /١٠٢٥ هـ . وغادرت البعثة الجاسك الى اصفهان حيث أكرم الشاه وفادتها ، وصرح لهم بأنه يعتبر ان الملك جيمس هو كأخيه تماما . كما وعد الشاه باعطائهم ميناء الجاسك أو أى ميناء آخر يرغبون فيه . وانتهت البعثة الى اتفاق تمتعت بموجبه الشركة بامتيازات دامت طيلة القرون التالية (٤) .

ولعل الشاه كان مدفوعا الى تصرفه هذا بعاملين اولها : عداؤه للأتراك ، فأراد ان يحاربهم اقتصاديا بتحويل ما تبقى من التجارة الشرقية التى تمر بأرض الأتراك الى المرور بالخليج العربى حتى لا يفيد الأتراك من هذه التجارة بأى صورة من الصور . وكان العامل الثانى هو رغبته في الحصول على سعر أعلى . وقد وجد الشاه ضالته في شروط الشركة (٥)

---

(١) Ibid, p. 133.

(٢) Aitchison, C. U., op. cit. p. 1.

(٣) Wilson, A. T., op. cit. p. 136.

(٤) Abdul Amir, British Interests in the Persian Gulf (London, 1967) P.P. 5 - 4.

(٥) Sykes (Sir Percy) op. cit. p. 189.

عندما كان كانوك في فارس يناقش شروط الاتفاق تحرك سرب من سفن البرتغال الى الجاسك يبحث عن السفينة جيمس فما وجدوها لانها كانت قد أبحرت الى سورات . غير ان الشركة وقد أصابت هذا النجاح ، قررت رغم كل شيء ، ان تستمر تجارتها مع فارس ، فكان لا محيص من وقوع اشتباكات عسكرية بين الطرفين . وكان أول تعارك بين سفن القوتين في الخليج بالقرب من سواحل الجاسك في ٢٨ ديسمبر ١٦٢٠ م / ١٠٣٠ هـ انتصرت فيه سفن الشركة [١] كما انتصرت مرتين من قبل ، مرة في ١٦١٣ م قرب سواحل الهند ، ومرة اخرى في ١٦١٥ م بالقرب من سورات . وقررت الشركة ان تكون لها اسطولا محليا ليعين تجارتها في المنطقة وتقويها ضد سياسة البرتغال التى ما كانت تسمح لأى سفينة في الاتجار بتلك المياه ما لم تحصل على تصريح يخولها ذلك ، وبدأ الاسطول البريطانى للشركة بالسفينة دلفن Dolphin وهويل Whale و ٤ فرقاطات فكان هذا هو نواة الاسطول في المنطقة [٢] .

التعارك البريطاني البرتغالى :

دب الوهن في النفوذ البرتغالى في الخليج واخذ في ازدياد نسبى منذ عام ١٦٠٢ م / ١٠١١ هـ حين بدأ البرتغاليون يخسرون مواقعهم على الساحل الفارسى كما جلى البرتغاليون عن البحرين في نفس العام حين استعمرها منهم الشاه الفارسى وقد خسر البرتغاليون قبل الجاسك ـ كما أشرنا سابقا ـ معركتين أمام البريطانيين وبدأت الغارات الفارسية على هرمز منذ عام١٦٠٨مكما أخذ الشاه جمبرون في ١٦١٥ م / ١٠٢٤ هـ [٣] .

لم يجد البرتغاليون مناصا بعد هذه الهزائم المتتالية الا في تشديد قبضتهم على

---

(١) Sykes, OP. cit, P. 190

(٢) Low, C. R., op. cit. p. 132.

(٣) محمد على الداود ، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ص ١١ .

الساحل الغربى للخليج ، فبدأو غزو صحار التى هاجموها في١٦١٦م بمساعدة بعض القبائل العربية المجاورة (١) وخربوها خشية من ان تنافس ما تبقى لهم من مستعمرات في هرمز ومسقط . وقد لاحق الفرس البرتغاليين على الساحل الغربى للخليج واجلوهم عن رأس الخيمة في١٦٢٠م وبدأ الشاه بعد هذا يستعد لاسترداد هرمز من البرتغاليين الذين هان عليه أمرهم خاصة بعد أن أحس قوته وذلك بإنتصاره على الاتراك في ١٦١٨م / ١٦١٩م . وأراد الشاه أن يستعين على البرتغاليين في هرمز بالبريطانيين يساعدونه بإسطولهم فأشار الأمام خولى خان ، حاكم فارستان ، على رجال الشركة بما يراه الشاه وطلب منهم التعاون على تنفيذ هذا الأمر والا فان امتيازاتهم التى حصلوا عليها ستكون عرضة لإعادة نظر الشاه فيها (٢) . أشكل الأمر على رجال الشركة وأشتبه ، خاصة وأن الشركة لم تكن تبغى حتى ذلك الوقت الا الربح من التجارة وكان شعارها (٣) « خذ واذهب » *) .

عقد رجال الشركة اجتماعا على ظهر السفينة جوناس Jonas واتفقت الاراء بعد اختلاف على التعاون العسكرى مع فارس (٤) بشروط أهمها إقتسام الغنائم والاسلاب مناصفة بينهم وبين الفرس ، ثم اقتسام الضرائب التى ستجنيها هرمز بعد أخذها من البرتغاليين ، وان تعفى السلع الانجليزية التى ترد هرمز من كل ضرائب ورسوم ، وأن يدفع الفرس نصف النفقات التى سيصرفها الأسطول . كما قضت شروطهم بتسليم الأسرى من المسلمين الى الفرس ، والأسرى المسيحيين الى البريطانيين . ووافق أمام خولى على شروطهم (٥) ،

---

(١) Wilson, A. T., OP. cit., P. 144.

(٢) محمد على الداود ، العلاقات البرتغالية ... ص ١٤ .

(٣) Kay, J. W., OP. cit., P. 105.

(*) "No Way but to remove and Go"

(٤) Low, C. R., op. eit. p. 38.

(٥) Sykes (Sir Percy), op. cit. p. 191.

وبدأت العمليات الفارسية الانجليزية في اوائل ١٦٢٢م وانتهت بسقوط هرمز في ١ فبراير حين سلم البرتغاليون القلعة الى البريطانيين . اخذ البريطانيون ١٧ مدفعا غنيمة من قلعة هرمز ، كما اسروا ألف رجل فيهم قائد الحامية البرتغالى . ثم أتم الانجليز في ظرف وجيز التمكن من هرمز ، وسلموها للفرس الذين نهبوها وصادروا متاجرها وأموالها وأضحت « مثلا حيا للخراب » (١) .

احتج التاج الاسبانى لدى التاج البريطانى على اشتراك الشركة البريطانية في الهجوم على هرمز واحتلالها واجرى التاج البريطانى بعض تحقيقات . ووقفت الشركة الى جانب موظفيها الذين ابرموا الاتفاق فلم ينلهم سوء (٢) ، خاصة وان الشركة قد اشترت رضاء الملك جيمس برشوة قدرها ١٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى ، ودفعت مبلغا مماثلا للدوق بكنجهام قائد البحرية البريطانية . ولم تظفر الشركة من هذه العملية بعائد مادى اذ لم تزد قسمتهم من الغنائم والاسلاب عن ٢٥٫٠٠٠ جنيه ولكنهم كسبوا هرمز ذات الموقع الاستراتيجى على فم الخليج وجعلوا منها ـ لحين ـ قاعدة استراتيجية لاسطول الشركة (٣) .

بعد فتح هرمز استقر ممثلو الشركة في جمبرون التى صارت مركزاً للنشاط التجارى والسياسى في الخليج لمدة المئة والخمسين عاما التالية . وبدأ الانجليز منذ هذا التاريخ يحاولون توطيد اقدامهم المضطربة فوق مياه الخليج خاصة بعد ان تنكر الشاه للكثير من وعوده حتى انه لم يقابل بعثة السير دوسور كتون D. Cotton الا بفتور شديد (٤) .

---

(١) Low, C. R., op. cit. p. 43.

(٢) Wilson A. T., op. cit. p. 144.

(٣) Curson, G. N., Persia And Persian Question. Vol. II (London, 1892), p. 419.

(٤) Aitchison, C. U., op. cit. p. 2.

عرب عمان يقضون على السيطرة البرتغالية :

أما البرتغاليون فأنهم بعد اندحارهم من هرمز كرسوا جهودهم في مسقط التى ارادوها بديله لهرمز ليجذبوا اليها تجارة الخليج . وكان لثغر مسقط كل المزايا التى تجعل له الزيادة على الموانى الأخرى في الخليج الا انه لم يكن كذلك للبرتغاليين الذين لم يسوسوا التجار المحليين ليكتسبوا رضاهم ، كما لم يسترضوا القبائل في ظهير الميناء وإن بدأوا بعد اندلاع الثورات الوطنية باستمالة البعض بالهدايا والهبات [١] . لفت الثورات مدينة مسقط واحاطت بها فحاصرتها في نهاية عام ١٦٤٩ م / ١٠٦٠ هـ واستطاع العرب التسلل الى المدينة بليل فاضطر قائد الحامية البرتغالية للتسليم في ٢٣ يناير ١٦٥٠ م . وقد وصل الاسطول الذى ارسله الوالى البرتغالى في جوا Goa لانقاذ حامية مسقط متأخرا مما أفقد البرتغاليين آخر معاقلهم على الساحل الغربى للخليج . وأخذت نشوة النصر سلطان بن سيف فنادى في قيمة بالجهاد وأبحر وراء البرتغاليين في البحار الهندية ولاحقهم على السواحل الجنوبية للجزيرة العربية والسواحل الشرقية لأفريقيا وقطع دابرهم واستأصل شأفتهم مع نهاية القرن السابع عشر .

ويلاحظ ان أغلب الحصون البرتغالية قد آلت لعرب عمان وليس لأى من القوتين الاوربيتين في الخليج او لفارس ذلك لأن الامام سيف طبقا لما يذكره المؤرخ العمانى ابن حميد السالمى « حارب النصارى في جميع الأقطار وعمل لهم مراكب عظيمة في البحر وعظم جيشه وقوى سلطانه وأخذ من النصارى ممبسه والجزيرة الخضراء وكلوه وباتا وغيرها من البلدان التى بالزنج ومن البلاد التى بالهند [٢] » ، فلا غرو ان كان للعمانيين قصب السبق في ضم الموانىء والقلاع التى كانت تشكل جزءا من الامبراطورية البرتغالية ثم أعادوا تأسيس

(١) Miles, S. B., Countries and Tribes of Persian Gulf, p. 191.

(٢) السالمى (الامام نور الدين عبدالله بن حميد) تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان (القاهرة ، ١٣٥٠ هـ) جـ ٢ ص ٩٨ .

النفوذ العربى بعد ذلك . وقد اتهم كثير من المؤرخين الاوربيين العمانيين بممارسة القرصنة حين أرخوا للوقائع التى حدثت بين البرتغاليين والعمانيين وقد أثبت السالمى [1] رسالتين تظهران ان القرصنة كانت هى المحرك الحقيقى والدافع الاساسى عند البرتغاليين بينما كان دافع الجهاد هو الروح الطيب الذى ساق أهل عمان في دروب الفداء . جاء عند السالمى « هذا كتاب من النصارى للامام سيف بن سلطان البصرى : الحمد لله فاطر السموات والأرض . انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . إعلم بأننا جنود الله مخلوقون من سخطه ، مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق لشاكى ولا نرحم عبرة باكى . قد نزع الله الرحمة من قلوبنا . فالويل كل الويل لمن لا يتمثل لأمرنا .. قد خربنا البلاد واهلكنا العباد وأظهرنا في الأرض الفساد . فان اعجبكم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا . وان انتم أبيتم وعلى بغيكم تماديتم بالحصون منا لا تمنع ، والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع لأنكم اكلتم الحرام وضيعتم الجمع فأبشروا بالذل الجذع . اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون فان اعجبكم كلامنا اننا كفرة وقد صار عندنا انكم فجرة ، قلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، كثيركم عندنا قليل وعزيزكم عندنا ذليل . قد ملكنا الارض شرقا وغربا واخذنا كل سفينة غصبا ، قد ارسلنا اليكم هذا الكتاب فاسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطاء ولم تبق لكم باقية وينادى عليكم بالفناء . هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وقد انصفناكم وارسلنا عليكم جواهر الكلام والسلام » . ورد الامام كما جاء عند السالمى ايضا « (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير) . وقد

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .
راجع كذلك :
صالح اوزبران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (مترجم) (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٤ ـ ١٥ .

حصل الوقوف على هذه الكتبة الشاهرة لقولكم قد نزع الرحمة من قلوبكم ، فهذا من أقبح عيوبكم وأشد وأشنع . وبغيتم وذكرتم انكم كافرون. الا لعنة الله على الكافرين ، من تعلق بالاصول فلا يبالى بالفروع . ونحن المؤمنون حقا لا يصدنا عنكم عيب ولا يدخلنا شك ولا ريب . والقرآن علينا قد نزل وهو رحيم بنا لا يزال . وخيولنا برية وبحرية ، وهممنا سامية علية ، ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله) .

وقولكم ، قلوبكم كالجبال ، وعددكم كالرمال : الجزار لا يبالى بكثرة الغنم الكثير ، وان الله مع الصابرين . فنحن بالمنع عالية امينة ان عشنا سعداء وان متنا شهدا (الا ان حزب الله هم الغالبون) وقد (جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال) وقل لصاحبك إذا رصع وشيد مقالته حصل الوقوف على هذا الكتاب كصرير باب وطنين ذباب (سنكتب ما قالوا ونمد لهم من العذاب مدا) وما عندنا بعد ذلك الا الخيل ، تمطر بالويل والنار مظهرة العار ، والسيوف مسقية بالحتوف . والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ، واطاع الملك الاعلى ، واختار الاخرة على الأولى والصلاة والسلام على خير الانام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام » .

يرى لاندن أن ما قام به العمانيون يمكن أن يسمى حربا بحرية اكسبتهم الريادة في الخليج حين انفرجت عنه القبضة البرتغالية [١] ، وأصبحت قوة العمانيين كبيرة بدرجة تخشاها اساطيل الأوربيين من بريطانيين وهولنديين [٢] .

أثارت مظالم البرتغاليين روح النخوة والفداء في نفوس العمانيين فالتفوا

---

(١) Landen, R. G., Oman Sinse 1856. p. 23.

(٢) Coupland (Sir Reginal) East Africa and its Invaders, From the Earliest Times to thd Death of Seyyid Said in 1866. (London, 1968) p. 18.

حول الامامة وبعثوها من رقادها الذى دام زمنا طويلا ، وقامت اسرة اليعاربه بجمع قوى عمان المتفتتة شيعا وقبائل حول فكرة الخلاص من الحكم الأجنبى ، فقام الامامان الاولان ، ناصر بن المرشد وسلطان بن سيف بتحرير صحار ومسقط وغيرها من المناطق العربية [1] .

التنافس البريطاني الهولندى :

انتهى أمر البرتغاليين في الخليج العربى وبقيت فيه قوتان اجنبيتان الى جانب القوى الوطنية . تنافست هاتان القوتان مع بعضها البعض واصطرعتا مع القوى المحلية مجتمعتان وفرادى . فقد اتصل شاه فارس بالمقيم البريطانى في جمبرون يطلب منه المساهمة في اسقاط مسقط وضمها الى فارس عارضا عليه نفس المزايا والامتيازات في ميناء مسقط كالتى يتمتعون بها في جمبرون . غير ان الانجليز لم يكونوا في تلك الفترة يملكون من العدة والعتاد ما يمكنهم من هذا الغزو [2] ، وازدادت لذلك حدة حرب العمانيين للتجارة الفارسية .

كان للبريطانيين وكالة في جمبرون ، جهد الهولنديون لافتتاح وكالة مماثلة في جمبرون حتى نجح هربرت فسنيش **H. Visnich** في ان يستصدر في عام ١٦٢٣ م فرمانا من الشاة اسس الهولنديون بموجبه وكالتهم هنالك . وقد اضرّ هذا بمصالح الانجليز الذين رفض الهولنديون ان يدفعوا لهم رسوما أو جمارك . وصار هذا سببا صريحا للاحتكاك الدائم بين القوتين . خاف الانجليز غدر الهولنديين وتآمرهم مع الفرس خاصة وأن الهولنديين قد ساعدوا الفرس ، كما ساعدهم الانجليز ، في تشتيت الاسطول البرتغالى الذى قام بمغامرة يائسة لاسترداد هرمز في عام ١٦٣٠ م / ١٠٣٩ هـ .

---

(١) محمد على الزرقا ، عمان قديما وحديثا (ط ٢ ، دمشق ، بدون ،)ص ص ١١٣-١١٤.

(٢) Historical Sketch - Rise and Progress of the Government of Muscat Commencing with the year 1694 - 1695 A Continued to year 1819. Prepared by Francis Warden S. R. XXIV.

استعمل الهولنديون مختلف الأساليب للابقاء على قوتهم التجارية وتطويرها على حساب التجارة الانجليزية حتى انهم اضحوا يدفعون اسعارا أعلى للسلع الفارسية يشترونها ، ويبيعونهم السلع الاوربية بأسعار دون اسعار التكلفة ، كما كان الهولنديون يرشون المسئولين الفرس [1] اكثر مما كان يفعل الانجليز. واستعمل الهولنديون اساليب شتى مع الحكومة الفارسية للابقاء على نفوذهم التجارى وتطويره ولم يتوانوا عن استعمال القوة حين وجدوا ذلك مناسبا فأرسلوا اسطولا ضخما بقيادة بلك Block هاجموا به قشم ولم يتمكنوا منها . صالح الشاه الهولنديين على هدنه بعد ان قبل مطالبهم وحصلوا منه على مرسوم يخولهم شراء الحرير من أى بقعة في بلاد فارس دون ان يدفعوا ضريبة أو رسما. بذ الهولنديون بذلك الانجليز في التجارة الفارسية . وقد لاحظ هذا الرحالة ماندسلو Mandeslo حين وقف بجمبرون ، بندر عباس في عام ١٦٣٨ م / ١٠٤٨ هـ وقال أن تجارة هولنده كانت اكثر رواجا في ذلك الميناء من التجارة الانجليزية [2] .

تطور الأمر بين القوتين الانجليزية والهولندية الى عداء صريح يضرمه التحاسد التجارى الدولى بصفة عامة ، والتنافس بينهما في الشرق بصفة خاصة . يؤيد هذا ما ارتآه بعض أعضاء الشركة الانجليزية من أن تجارة فارس لا تساوى الجهد الذى تبذله الشركة هناك ، فرد وكيل الشركة في بندر عباس ينادى ببقاء الشركة في المنطقة خوفا من تحول الهولنديين من التفوق التجارى الى السيطرة السياسية في منطقة الخليج العربى [3] .

أما على المستوى الدولى فقد وافق البرلمان الانجليزي في عام ١٦٥١م على لائحة الملاحة التى نصت صراحة على تحطيم اسطول هولندا التجارى . وقد

---

(١) Abdul Amir, op. cit. p. 7.

(٢) Wilson, A. T., op. cit. p. 28.

(٣) Abdul Amir, op. cit. p. 7.

أعلن كروموبل الحرب على هولندا في عام ١٦٥٢م. وحاول الهولنديون ان يستعدوا البرتغاليون الذين كانت قوتهم في الخليج « تلفظ انفاسها الأخيرة » على الانجليز فلم يوافقوا . وبدأت الحرب بين القوتين في اوربا وفي الشرق ثم هدأت وثارت مرة اخرى في اوربا في الفترة بين ١٦٦٥ ـ ١٦٦٧م ولكن أثرها في الخليج لم يكن واضحا تماما [1] .

ومنذ عام ١٦٨٨م أخذ النفوذ الهولندى في الخليج يتدهور وطغى النفوذ الانجليزى عليه . بعد ذلك حين بدأت هولندا تفقد مراكزها التجارية لصالح انجلترا التى بدأت في تطبيق مذهب كروموبل (الماركتيلى) الذى كانت غايته تجريد سائر الدول من ثرواتها والسيطرة على أسواقها وارغام الآخرين على الشراء من اسواق بريطانيا والحيلولة بينهم وبين بيع منتوجاتهم [2] . كما ادرك شاه فارس في تلك الفترة ان الأمور تسير في صالح انجلترا فقرر ان يرمى بثقله الى جانبها وخصّ الوكالة الانجليزية في اصفهان بزيادة في عام ١٦٩٩م، وضن بزيادة مماثلة للوكالة الهولندية رغم محاولاتهم [3] . كانت القارة الاوربية تمور بالخلافات كانت هنالك الحرب بين فرنسا وهولندا في سنة ١٦٧٧م التى شغلت هولندا عن مستعمراتها فيما وراء البحار ، كما كانت هنالك الثورة الانجليزية التى اطاحت بآخر ملوك آل ستيوارت وصار عرض انجلترا الى وليام اورانج (وليام الثالث) عاهل هولندا ، وساد علاقات انجلترا وهولندا وئام أضعف روح المنافسة ، وأعقب هذا حرب الوراثة الاسبانية ١٧٠٢ ـ ١٧١٣م التى انتهت بمعاهدة اترخت وصار لانجلترا السيادة على امريكا الشمالية . واكتسبت انجلترا بموجب هذه الاتفاقية او المعاهدة امتيازات تجارية في امريكا الجنوبية التى كان

---

(١) Wilson, A. T., op. cit. p. 165.

(٢) فوللر ، أثر التسلح في التاريخ ص ٨٩ .

(٣) Sykes (Sir Percy) op. cit. p. 200.

معظمها تابعا لأسبانيا ، كما احرزت انجلترا مراكز مهمة في حوض البحر الأبيض المتوسط ، أما هولندا فقد خرجت من هذه الحرب منهكة لم تصب الا استرجاع حدودها القديمة . ولهذا بدا موقف هولندا الدولى أضعف من انجلترا كثيرا ولم تعد منذ ذلك الحين ندا لها [١] ، وبات ضعف هولنده في الخليج واضحا منذ اواخر القرن الثامن عشر وبدأ العرب ينهكون ما تبقى من قواها .

هاجم الشيخ عبدالله أمير جزيرة قشم السفينة الهولندية نانسى Nancy في ٢٣ أبريل ١٧٥٣ م / ١١٦٧ هـ عندما مرت بالقرب من الجزيرة فأحرقها بعد ان غنم ما بها [٢] ، ولعل هذه الحادثة تمثل ذهاب هيبة الهولنديين وسط العرب .

لم يبق للهولنديين في الخليج الا جزيرة خاراج Karag حيث كان لهم فيها في عام ١٧٥٦م قلعة بها ستون جنديا نظاميا بالاضافة الى مائة من العبيد المسلحين بالسيوف والخناجر ، كما كان لهم بالجزيرة سفينة عليها ستة عشر مدفعا ، وكان للهولنديين كذلك ثمان سفن لصيد اللؤلؤ الذى كانوا يمارسونه في سرية . وقد جلى الهولنديون عن بندر عباس في عام ١٧٥٩م تاركين اياه للاحتكارات الانجليزية التى لم يبق لها من منافس سوى التجارة الفرنسية التى بدأت تطل برأسها منذ عام ١٧٦٠ م /١١٧٣ هـ .

انتهى أمر الهولنديين في الخليج حين قام الشيخ مهنا حاكم جزيرة الريج بالاستيلاء على خاراج في عام ١٧٦٥م وأضاف الجزيرة الى ممتلكاته بعد ان طرد منها الهولنديين الذين انسحبوا من الخليج الى جنوب شرق آسيا واندونيسيا التى بقوا بها حتى منتصف القرن العشرين .

---

(١) زكى صالح ، بريطانيا والعراق حتى ١٩١٤ ـ دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري (بغداد ، ١٩٦٨) ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(٢) محمد على الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ص ١٤ .

التنافس البريطاني الفرنسي :

اعقبت المنافسة البريطانية في الخليج ما كان قبلها من منافسة انكليزية هولندية ، كما اعقبت الأخيرة ما كان قبلها بين البريطانيين والبرتغاليين من صراع عنيف . ولكن هذه الأطوار الثلاثة المتتالية لم تكن متمايزة بحيث يبدأ الواحد منها حال انتهاء الآخر ، بل كانت متداخله بحيث تظهر بوادر الجديد منها قبل انتهاء القديم . ويمكننا على هذا ان نقول ان المنافسة الفرنسية الانكليزية ، على قدم ظهورها ، لم تكن محسوسة بصورة فعالة حتى اواسط القرن الثامن عشر حين حل النفوذ البريطاني مكان الهولندي ، ولم تبلغ هذه المنافسة أشدها الا بظهور بونابرت على مسرح الشرق حين احرزت بريطانيا انتصارها الأول على بونابرت في ١٨٠١ فكان نصرا مبينا وان لم يكن حاسما (١) .

بدأت أولى محاولات الفرنسيين للاتجار مع الشرق في ١٦٠١ م / ١٠١٠ هـ حين قام بعض المغامرين الفرنسيين بقيادة فرانسوا بيرارد دى لافال DE LEVAL من ميناء سانت مالو ST. Malo ويمموا شطر المشرق سالكين طريق رأس الرجاء الصالح . وانتهى المشروع بارتطام سفينتهم بصخور ناتئة بالقرب من جزر مالاديف Maledive بالقرب من سواحل الهند الجنوبية . وتأسست بعد ذلك شركة الهند الشرقية في ١٦٠٤ م ولكنها كانت مؤسسة هزيلة ما ان بدأت حتى قعدت عن العمل . وكانت الشركة الفرنسية أضعف من أن تخط لفرنسا سياسة فعالة في الشرق (٢) . كان ريشيلو ، رغم اهتماماته المتعددة ، يرى ان تجارة الشرق يجب الا تهمل . ارسل ريشيلو بعثة برئاسة لويس دى شيس DE SHAYES الى الشاه عباس لعقد معاهدة تجارية . وانتهت البعثة في القسطنطينية قبل ان تبلغ فارس لخلاف طرأ بين دى شيس

---

(١) زكي صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

والسفير الفرنسي لدى الباب العالي [١] . وحدث بعد هذا ان وفد فارس راهبان فرنسيان رحب الشاه بزيارتهما التى لم تثمر في علاقات البلدين عن شيء ذي بال .

كان وزن فرنسا في الخليج طفيفا رغم محاولات ريشيلو الجادة لاظهار ثقلها في الشرق ، قام ريشيلو في عام ١٦٤٢ م / ١٠٥٢ هـ ببعث شركة الهند الشرقية الفرنسية من جديد ، كما قام وزير الخارجية الفرنسية كليبر بارسال بعثة الى بلاط الشاه في عام ١٦٦٤ م وساتطاعت هذه البعثة ان تحصل على اعفاء من الرسوم الجمركية لمدة ثلاث سنين ، كما حصلت على امتيازات مماثلة لتلك التى حصل عليها الهولنديون والانجليز . وأقام الفرنسيون ، بعد هذا ، وكالتين احداهما في بندر عباس والاخرى في اصفهان [٢] وصار لهم نشاط تجاري طفيف مع البصرة [٣] . غير ان علاقة الفرنسيين بالخليج لم تكن في هذه الفترة وثيقة بحال رغم انهم نشطوا في بعث الدعاة الدينيين الذين وصلوا الى العراق تباعا منذ عام ١٦٣٨ م ، وعملوا ببغداد والبصرة ، ولم يسفر عملهم عن شيء يذكر [٤] .

كانت المنافسة البريطانية اكبر من أن يتحداها الفرنسيون . قويت شركة الهند الشرقية في هذه الفترة كثيرا خاصة منذ ١٦٦١ م حين صدر لها مرسوم ملكى اعطاها الحق في تسيير كل المواصلات والتجارة من المملكة الى الهند ، ومنحهم هذا المرسوم حق سن القوانين في تلك المناطق واعلان الحرب والسلم

---

(١) DE RIALLE, G., An attempted French Embassy to Persia under the auspices of Cardinal Richellieu. Including an unpublished instructions. By: Lowis XIII, A. Q. R., Vol. I, Jan. 1890, P.P. 165 - 172.

(٢) (1.0) Report on commerce of Arabia & Persia. By S. Manesty & H. Jones, 1790 - 1.

(٣) (1.0) L./P & S/20.C. Handbook of Arabia p. 20.

(٤) Kelly, J. B., op. cit. p. 54.

مع أى أمير أو ملك شريطة ان لا يكون من النصارى [1] . مكن هذا المرسوم للشركة من تجييش الجيوش واقامة القلاع وتأسيس المستعمرات وحيازة الذخيرة والعتاد . وفي مرسوم ملكى لاحق اعطيت الشركة حق صك العملة في مناطقها بما تراه مناسبا [2] وبهذا أصبحت شركة الهند البريطانية قوة سيادية مستقلة الارادة تعمل وفق ما تراه في تلك المناطق بعيدة عن كل اشراف دستورى أو نفوذ دولى .

استطاع الفرنسيون في عام ١٦٧٠م ارسال فيلق بحري قوى تمكنوا من أن يقيموا به في عام ١٦٧٣ /١٦٧٤م قلعة لرئاستهم في فورت لويس . أما اهتمام فرنسا بمسقط فقد بدأ في وقت مبكر فمنذ ١٦٦٧م دافع دى لالين [3] De Lalain وهو مبعوث فرنسى الى فارس عن اقتراح بمحاولة السيطرة على مسقط والاحتفاظ بها كقاعدة حربية متقدمة . كما دعا بعض ممثلى فرنسا في فارس الى عقد تحالف فرنسى فارسى ضد عمان ، وهو أمر كان الساسة الفرس يطمحون اليه بشدة . غير ان فرنسا حين تم لها احتلال ايل دى فرانس في ١٧١٥ خففت أطماعها في مسقط حيث كانت ايل دى فرانس اكثر مواءمة لاهدافها . وتعزز في هذه الفترة مركز الشركة الفرنسية في الهند وبدأت تطمع في منافسة الشركتين الهولندية والبريطانية في منطقة فارس ، وحققت بعثة فرنسية الى فارس في ١٧٠٥م بعض النجاح في استمرار تعزيز العلاقات الفرنسية الفارسية حين عقدت مع الشاه في ١٧٠٨م معاهدة صادقت عليها فرنسا في ١٧١١ .

كان سعى الفرنسيين في المحيط الهندى مختلفا عما سعى اليه الهولنديون

---

(١) Kay, J. W., op. cit. p. 118.

(٢) Loc. cit.

(٣) صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٧١٠ (بغداد ، ١٩٧٩) ص ٣٨ .

والبريطانيون في تلك المناطق . فبينما كانت غايات هاتين القوتين في بداياتها تجارية كانت غاية الفرنسيين تجارية سياسية تقوم على ضم مستعمرات كلما كان ذلك ممكنا وليس على الوكالات التجارية كما كان دأب الهولنديين والبريطانيين ، بل وحتى البرتغاليين . ولهذا ظلت فرنسا تنظر للبريطانيين في الشرق نظرتها لهم في اوربا على انهم اعداء وبهذا استعر التنافس بين القوتين في المحيط الهندى الذى أصبح حقل تعارك وتقاتل بين القوتين [١] .

تزايد نشاط عرب مسقط البحرى في عهد سلطان بن سيف الثانى (١٧١١ ـ ١٧١٨م)وأراد الشاه أن يستعين بالبريطانيين والهولنديين ضد مسقط بحريا ولم يستطع فقرر الالتجاء الى الفرنسيين أرسل الشاه مبعوثا الى باريس يطلب دعم فرنسا واسفرت المفاوضات عن عقد معاهدة بين الطرفين في ١٧١٥م تضمنت للفرنسيين حقا في الامتيازات مماثلا للقوى الاوربية الأخرى [٢] ولم تصادق فارس على هذا الاتفاق لعدم ورود اشارة فيه الى تكوين تحالف ضد عرب مسقط . وبالرغم من دفع قناصل فرنسا لفارس للتصديق على هذا الاتفاق لم تصدق الحكومة الفارسية عليه الا في١٧٢٢م حين استجابت بعثة فرنسية الى فارس في ١٧٢١م لبعض ما اراده الفرس . وكانت القوات الافغانية في هذا الوقت تطبق على اصفهان وتحاصرها ، وكان هذا بداية لحقبة شديدة الاضطراب في تاريخ فارس كادت ان تتوقف فيها التجارة الأجنبية كليا . وقد دعا هذا الفرنسيين الى سحب مركزهم من بندر عباس كلية . وقد حاول الفرنسيون اعادة تجارتهم الى بندر عباس في١٧٤٠م ولكنهم ما لبثوا ان ادركوا عدم جدوى الاحتفاظ بمركز تجاري هناك ، فاغلقته في ١٧٤٣ . وبالرغم من اغلاق المركز واصلت السفن الفرنسية ترددها على المنطقة بشكل غير منتظم وممارسة تجارة محدودة في بندر عباس وبوشهر .

---

(١) زكى صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥ ـ ٦٧ .
(٢) صالح محمد العابد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

شهدت البحار الهندية ومنطقة الخليج العربى تناحر السفن الحربية الفرنسية والبريطانية في حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ ـ ١٧٤٨م) ، وحرب السنوات السبع (١٧٥٦ /١٧٦٣م) وحرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥ ـ ١٧٨٣ م)وكان الفرنسيون قد اتخذوا من ايل دى فرانس وجزر أخرى أقل اهمية مركزا للأنقضاض على السفن البريطانية (١) .

بدأ اهتمام البريطانيين بالخليج العربى يزداد في هذه الفترة التى ظفرت فيها بريطانيا في اوربا بالنصر في كثير من الميادين وتضاءلت القوة الفرنسية في الخليج العربى أمام القوة البريطانية . وبدأت الشركة منذ عام١٧٦٣ م تتعامل بالقوة مع امراء الهند حين لا تجدى السياسة وبدأت الشركة في هزيمة زعماء الهند فرادى ومجتمعين وتمكن نفوذ البريطانيين من البنغال منذ عام ١٧٦٤ حين هزموا مير قاسم وقوى مركز الشركة في الهند فحولت جزءا من طاقتها الى الخليج (٢) .

شهدت عمان عددا من المصادمات بين سفن الفرنسيين والانجليز بدأت عام ١٧٤٩ م / ١١٦٢ هـ حين هاجمت بعض السفن الفرنسية سفنا بريطانية في ميناء مسقط (٣) . ثم حدث عام ١٧٥٩ ان حاولت ثلاث سفن فرنسية اكراه سفينة انجليزية على الخروج من مياه مسقط وقد اعان حاكم مسقط السفينة الانجليزية وارسل قذائفه على الفرنسيين ففروا الى عرض البحر ، ثم دلفوا على بندر عباس وحطمت كبرى هذه السفن الوكالة البريطانية هنالك فاضطر الانجليز للانسحاب من مقيمتهم تلك الى البصرة حيث ركزوا عملياتهم التجارية في هذا الميناء ، ورفعوا مقيميتهم البصرة الى وكالة (٤) كما حدثت

---

(١) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسي ص ٣٣ .
(٢) Abdul Amir op. cit. p. 68.
(٣) Skeet, 1, Muscat and Qman. The End of an Era (London, 1974), p. 41.
(٤) زكى صالح ، مرجع سبق ذكره ص ٨٠ .

محاولة اختطاف مماثلة في عام ١٧٦١ م لسفينة انجليزية كانت ترسو في مسقط ورد حاكم مسقط المعتدين . تعرضت العلاقات العمانية الفرنسية الى ازمة حادة في ١٧٨١ م / ١١٩٥ هـ حين قامت احدى قطع الاسطول الفرنسي بأسر الفرقاطة العمانية « صالح » قرب صحار حين كانت « صالح » تبحر من الهند الى البصرة محملة بالبضائع . وأصل هذا الحادث ان السفن الفرنسية بعد ان أسرت السفينة البريطانية بكليربج Beclerbeg واصلت الى مرفأ مسقط لتأسر سفينة فرنسية اخرى كانت راسية هناك وفشلت في مسعاها لدفاع الوالى العمانى عنها . وعلى الأثر اتجهت السفن منسحبة وصادفت احدى القطع البريطانية السفينة العمانية واسرتها . واستطاع العمانيون أن يثأروا (لصالح) بعد شهرين حين وصلت سفينة فرنسية الى مسقط للتزود فاحاطت بها سفينتان عمانيتان فاستسلمت . أمر امام مسقط الوالى بفك أسر السفينة الفرنسية وارسلها الى بورت لويس ومعها خطاب احتجاج لما حدث لصالح . كما كتب الامام رسالة اخرى الى لويس السادس عشر مقترحا الابقاء على علاقات الصداقة القائمة بين فرنسا وعمان . ولقى موقف الامام هذا دعما من حاكم ايل دى فرانس وابدت فرنسا اعتذارها وارسلت السفينة كوريه دى فرانس Courier de France تعويضا للامام عن سفينته صالح ، وبالرغم من أن هذه السفينة قد وقعت في أسر طراد بريطانى وهى في طريقها لمسقط الا ان العلاقات العمانية الفرنسية قد تحسنت . وفي ١٧٩٠ م ارسلت فرنسا السفينة اسكوريال Escurial تعويضا ثانيا لمسقط عن السفينة صالح . أبحرت اسكوريال بعد أن دشنت تحت اسم صالح في صحبة احدى الفرقاطات حتى بلغت مسقط . وبالرغم من أن صالح الجديدة كانت صغيرة جدا لا تقارن بصالح الحقيقية الا أن هذا التصرف من جانب الفرنسيين قد جعل حاكم مسقط يرحب بتعيين قنصل فرنسى يزوده حاكم مسقط بدار اقامة رسمية دون مقابل .(١)

(١) وصالح محمد العابد ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧١/٦٩ .
Skeet, 1, op. cit. p. 42., Miles, op. cit. p p. 270 - 274.

وعندما شبت الحرب بين فرنسا وبريطانيا في عام ١٧٩٣م صارت فرنسا تنظر للخليج كقاعدة هامة في حالة قيامها بحملة ضد الهند ، ذلك لأن فرنسا كانت في موقف المهاجم وكان اختيار قواعد لها في الخليج العربى الزم لتهديد الهند بصورة مباشرة . كما اخذت فرنسا في هذه الفترة تنشط في ارسال البعوث التى خشى الانجليز خطر تفاقم امرها . وكان من أهم بعثات فرنسا الى الشرق الأوسط البعثة التى قام بها عالمان من علماء الطبيعة هما بروجير واوليفير (Bruguiere & Oliver) في السنوات الأولى من عمر الثورة حيث زارا تركيا في ١٧٩٣ ، ومصر ١٧٩٤م ، ثم سافرا الى فارس عبر حلب وبغداد ، ووصلا الى طهران في ١٧٩٦ . وفي طهران التقى بروجير واوليفير باغا محمد خان رئيس وزراء الشاه ويبدو انهما لم يظفرا منه بطائل . والجدير بالذكر ان هذه البعثة كانت عالية في مظهرها الخارجى غير انها في حقيقتها كانت تبحث عن مدخل ينفذ من خلاله النشاط الفرنسى الى فارس .

وقد أصدرت الحكومة الفرنسية قرارا بتأسيس قنصلية لها في مسقط وتعيين بوشمب M. Beauchamp كأول قنصل فرنسى هناك. وقد جاء في أمر تعيينه ان قنصلية مسقط انما انشئت للتجسس على حركات الانجليز في الهند ودراسة الأحوال الداخلية لهذه البلاد ، وكذلك دراسة الطرق التى يتخذها غزو فرنسى الى الشرق . وقد تعذر قيام القنصلية لأسباب لعل اهمها ان الفرنسيين قد قاموا باعتداءات على السفن المسقطية لآت الحرب الفرنسية الانجليزية بدعوى ان تلك السفن لم تكن تحمل وثائق دالة على هويتها . كما لم يسارع الفرنسيون باستمالة سلطان مسقط لانهم كانوا يعتبرونه تابعا للاستانة . ولهذا فقد الزمت الحكومة الفرنسية بوشمب بالطواف في ارجاء الدولة العثمانية قبل ان يصل الى مسقط التى لم يبلغها لوصول الحملة الفرنسية الى مصر ويمم بوشمب صوب مصر بدلا عن مسقط [١] .

---

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ... ص ٦٦ - ٦٧ .

أما بريطانيا فقد قامت سياستها على استمالة سلطان مسقط لأن الانجليز كانوا يدركون عمق اتصالاته مع جزر موريشوس التى تحكمها فرنسا وما قد يستتبع هذا من توافق سياسى وتجارى . ثارت شكوك بريطانيا منذ عام ١٧٩٦م من قيام حكومة عمان بالتنصل من موقفها الحيادى طبقا للتقارير التى أشارت الى قيام سفن مسقط التجارية بنقل المعلومات عن تحركات السفن البريطانية الى ايل دى فرانس [موريشوس] وبان بعض الفرنسيين كانوا يمرون بشكل متكرر عبر مسقط وهم في طريقهم الى فارس والشرق الادنى . وعزز القلق البريطانى ان التجار العمانيين كانوا يحققون ارباحا وفيرة من بيع وشراء البضائع والسفن البريطانية التى كان يأسرها الفرنسيون . كما ان التزايد النشط في التجارة بين مسقط وبورت لويس قد اضعف الحصار البريطانى المفروض على ايل دى فرانس منذ ١٧٩٤ . ولهذا قام دنكان حاكم بومباى بارسال مبعوث الى مسقط ليستطلع الموقف ويطلب الى سلطان بن احمد (١٧٩٣ - ١٨٠٤م) أن يحدد موقفه بشكل قاطع . وقد رد سلطان بالخطاب التالي : [1] « بما انه منذ الازمان السابقة قد ربطت سلاسل الصداقة والود بين بلدينا ، فبحمد الله ، طالما كان هناك نفس يتردد في الجسد ، فان بستان المحبة والاخلاص سيظل يانعا بماء العاطفة والولاء . ولهذا السبب فان اصدقاء الشركة الموقرة هم اصدقائى واعداءها اعدائى .

ومع ظهور بونابرت في مصر اوفدت الشركة مهدى على خان الذى عينته مقيما لها في بوشهر ، الى مسقط ليحاول ان يصل الى اتفاق مع سلطان مسقط وقد أفلح في ذلك . ووقع سلطان مسقط في ١٢ اكتوبر ١٧٩٨ / ١٢١٣ هـ تعهدا * بأن لا يكون للفرنسيين او الهولنديين وكالة أو مركز تجارى على أرض

---

(١) صالح محمد العابد ، مرجع سبق ذكره ص ٧٣ - ٧٤ .

(*) يتكون هذا التعهد في سبعة بنود يتعهد في اولها السلطان ان لا يفارق هذه القولنامه ابدا وينص اخرها على اعطاء البريطانيين حق انشاء وكالة مسلحة في بندر عباس .

انظر : Kay, J. W., The life and correspondence of Major. Gen. Pir John Maclcolm, Vol. I, (London, 1856), P P. 130 - 135.

مسقط ، وان يمنع سفن هاتين الدولتين من دخول المراسى المسقطية حين توجد بها سفن بريطانية ، وان يستغنى عن خدمات الفرنسيين الذين هم في خدمته [١] .

وبحملة بونابرت على مصر دخلت قضية الوجود البريطانى الفرنسى في المحيط الهندى والخليج العربى طورا جديدا حيث دأبت فرنسا الى ضرب بريطانيا في الهند وجهدت بريطانيا لتثبت ارجحيتها في المنطقة ضد النفوذ الفرنسى حتى لا تضار مصالحها . وانقشع الخطر الفرنسى في الخليج مؤقتا حين انتهت حملة بونابرت في مصر الى فشل ذريع ، وفي اغسطس ١٨٠١ م بعثت شركة الهند الشرقية الى الادميرال نلسون تقول :

أن شركة الهند الشرقية قد قررت بالاجماع في جلسة عقدها مجلس ادارتها بتاريخ الأربعاء ٢٤ ابريل ما يلى : ان ترفع الشكر الى الادميرال نلسون الجليل الاحترام ، للخدمة الجلى التى اسداها لشركة الهند الشرقية بانتصاره الخالد على الاسطول الفرنسي عند مصب النيل في الأيام الثلاثة الأولى من شهر اغسطس ١٧٩٨ م. وقد قرر مجلس ادارة الشركة باجماع اعضائه ان يعبر عن عظيم تقديره لما ترتب على هذا الانتصار من منافع عظيمة وهامة لمصالح شركة الهند الشرقية. والمجلس اذ يرد هذا الانتصار في تلك المعركة الرائعة للقيادة الرشيدة لسيادته يرجو من سيادته ان يتفضل بقبول مبلغ عشرة آلاف جنيها هدية لسيادته [٢] .

ولم تعد فرنسا ، بعد انكسارها في مصر ، قوة تخشاها حكومة الهند او تحذر خطرها في الخليج في هذه الفترة فبدأت حكومة الهند توجه همها نحو أهل منطقة الخليج لتسوسهم بالدبلوماسية أو بالحرب .

---

(٢) (1.0) Historical Sketch . Rise and Progress of the Govt. of Muscvt Commencing from the year 1674 - 1675 and continued to year 1819.

(٢) نقلا عن: .Prepared by Warden, F, in S-R.1 XXIV
زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، وولادة دولتى سوريا ولبنان ، (بيروت ١٩٧١) ص ١٥ .

الفصل الثالث
الأوضاع السياسية فى الخليج
عند بدء السيطرة البريطانية

الأوضاع السياسية في الخليج
عند بدء السيطرة البريطانية

(تمهيد ـ الظواهر الطبيعية وأثرها على السكان ـ التكوين الجيولوجى ـ الموقع ـ مظاهر السطح ـ والتربة ـ المناخ ـ القرصنة الأوربية ـ بدء ظهور القواسم على مسرح الأحداث ـ علاقة القواسم بعمان حتى انفصالهم الفعلى عنها ـ علاقة القواسم بالساحل الشرقى للخليج وجزره ـ علاقة القواسم بالبحرين حتى مطلع القرن التاسع عشر ـ البريطانيون يبدأون بالساحل الشرقى وجزره ـ بدء التعاون البريطانى الفارسى ضد المصالح العربية ـ القواسم ينازلون البريطانيين) .

تمهيد :

كان الساحل العمانى هو أعقد المشاكل في السياسة البريطانية تجاه الخليج . خاف البريطانيون ، بدء أمرهم ، خطورة الحملة الفرنسية على مصر وما يمكن ان تسببه من تأثير على طريق الهند ، ثم خشوا بعد انقشاع خطر الحملة وصفاء الأمور لهم في المنطقة على تجارتهم التى ارادوا ان يجروها دون دفع أتاوة او رسم لأهل الخليج .

عمدت السياسة البريطانية ، خاصة بعد عهد الحملة الفرنسية ، الى القاء الخليج تحت ربقتها ، فأبعدوا عمان عن حيادها وربطوها الى عجلتهم ، خاصة وان امام عمان كان يملك السفن التى تجرى باسمه لآلاف الأميال بين الشرق الأفريقى والهند . كان الامام العمانى منذ ١٧٠٠م حاكما لمجتمع اقتصادى تحكمه قوى الأساطيل التجارية ، واصبح شديد الشبه بملوك هرمز من قبله اكثر من

شبهة بالأئمة الجلنديين الذين اسسوا الامامة الاباضية في الجزء الجنوبى الشرقى من الجزيرة العربية [1] .

واستطاع سلطان مسقط ان ينقض على البحرين في عام ١٨٠٠م بعد فترة من العلاقات المتوترة وتمكن من الاستيلاء عليها محتجا بأن حكامها لم يدفعوا رسوم سفنهم المبحرة من الهند الى مسقط في طريقها الى البحرين . وسلم الشيخ سلمان جزيرة البحرين لمسقط بعد ان تساقط اليه أن بعض أهل البحرين اتصلوا بسلطان مسقط سرا يستحثونه على الغزو . وأدرك الشيخ ان عاقبة المقاومة لا بد سائرة الى خسارة [2] فاستسلم وسلم اخاه رهينة لمسقط . ثم ثار الشيخ سلمان بمعاضدة السعوديين في عام ١٨٠٨م حين توفى الرهينة . وتمكن أهل أبو ظبي من الجزيرة في ١٨١٠ [3] ، الا ان البريطانيين أمنوا في هذه الفترة كل ضرر يأتيهم من البحرين التى كانت تستمد سياستها من مسقط ذات الصلات الطيبة بالبريطانيين .

كان للبريطانيين اتفاقات عدة [4] مع الدولة العثمانية ضمنت لهم التحرك بسهولة في الأجزاء الشمالية من الخليج . واستطاعت حكومة بومبى ان تنشىء لها قنصلية في البصرة الراقدة عند نهاية خط الملاحة في الخليج العربى وقد صدر لهم بذلك فرمان منذ ١٧٦٤ [5] . وكانت البصرة تقع في منطقة تشغلها قبيلتان هما قبيلة المنتفق التى تسيطر على غرب المدينة وكانت مواليه لمتسلم

---

(١) Landen, R. G., Qman Since 1856 p. 56.

(٢) محمد خليفة بن حمد بن موسى النبهانى ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ) ص ١٢٨ .

(٣) (1.0) L/P & S/10/1045. From Issue No. 1690 of August 29, 1832.

(٤) Report on Commerce of Arabia and Persia. By Samule & Harvard Jones, 1790.

(٥) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسي (الالف كتاب ١٢١ القاهرة) ص ٢٢ .

البصرة ، وقبيله كعب التي تسيطر على شرق المدينة وكان ولاؤها متذبذبا بين العثمانيين والفرس . وقطنت بالقرب من البصرة قبيلة الظفير التى كان ولاؤها لباشا بغداد ومتسلم البصرة [1] . كما كانت اسرة من المماليك الكرج تحكم بغداد حكما أشبه بالمستقل ولكنها كانت في امور السياسة الخارجية تلتزم أوامر الاستانة . ولذلك كان ولاة بغداد ينفذون نظام الامتيازات الاقتصادية للأوربيين . كما كان ولاة بغداد يعتمدون على الهند في استجلاب الأسلحة البريطانية الصنع كما كانوا يتلقون عونا فعليا احيانا ضد الهجمات الفارسية [2] . أما الكويت فقد استقر آل صباح فيها واقاموا حولها سورا منذ ١٧٧٠ وعمل آل صباح بالتجارة وحسنت علاقاتهم بالبريطانيين حتى ان مانستي Manesty نقل مقيمية البصرة الى الكويت في ٣٠ ابريل ١٧٩٣ م / ١٢٠٧ هـ حين ساءت العلاقة بينه وبين متسلم البصرة [3] .

أما فارس ، فقد عمد البريطانيون في هذه الفترة على تأجيج نار الخلافات بين مقاطعاتها وبين جيرانها . كلف اللورد ويليسلي Wellesly في١٧٩٨م مهدى على خان مقيم الشركة في بوشهر ان يسعى جاهدا لبث الفرقة بين زمان شاه وفتح على شاه ليشغل زمان شاه عن تطلعاته في الهند . وكتب مهدى على شاه الخطابات من بوشهر الى طهران يردد فيها ان لكبح شاه فارس لشاه الافغان حسنتان : (*) اولاهما في الأولى والاخرى في الآخرة ، ثم يسترسل مهدى على خان ، من طرف خفى ، فيصف الجيوش الانجليزية التى غلبت فئة منها قليلة مكونة من ٧٠٠ جندى فقط فئة كثيرة تربو على ٣٠٠٫٠٠٠ .

---

(١) Abu Hakima, A., History of Eastern Arabia. The Rise and Development (Bahrain & Kuwait) (Beirout, 1965), p. 36.

(٢) Kelly, J. B., Britain and the Persian Gulf, 1795 - 1880 (Oxford, 1968), p. 54.

(٣) Brydges, An Account of His Majasty's Mission to the Court of Persia (London, 1834) p. 13.

(*) الحسنة التي سيصيبها في الأولى ضم المنطقة والحسنة الأخرى رضاء الله . وقد قصد مهدى على خان استغلال الخلافات المذهبية بين الشاهين لشغل الرجلين ببعضهما عن النفوذ البريطاني .

ويرمى مهدى بهذا الى القاء الرعب في قلب الشاه ليستقيم في علاقاته بالانجليز . وبعد ان فتح مهدى على خان للحرب بابا بين الشاهين سافر الى طهران في خريف ١٧٩٩ حيث قابل الشاه وبذل له النفيس من الهدايا وزين له العداء مع الافغان ثم كرّ الى بوشهر راجعا ليجد مالكولم في انتظاره [١] .

تزود مالكولم بالنصائح من مهدى على خان وطفق الى طهران حيث أغدق على الشاه الكثير من الهدايا أيضا . وأثمرت بعثة مالكولم عن انحياز الشاه للانجليز وعقد مالكولم مع الشاه اتفاقا تجاريا وعسكريا قضى باعطاء التجارة الانجليزية امتيازات أوفى . كما قضى بأن لا يسالم شاه فارس شاه الافغان الا اذا ترك الأخير نيته في غزو الأراضى الهندية . وعد الانجليز الشاه بتزويد جيشه بالذخيرة في حالة مهاجمة الأفغان له أو الفرنسيين [٢] وبهذا صارت فارس حليفة للانجليز وآمنوا شرها خاصة حين فقد الشاه كل أمل له في فرنسا النابليونية بعد عقد اتفاق تلست في عام ١٨٠٧ [٣] .

لم يبق للانجليز في منطقة الخليج العربى منطقة لم يتحكموا فيها الا منطقة ديار بنى خالد ، والعجمان ، وبنى هاجر ، وبعض بطون آل مرة ، وغيرها من المناطق التى يمتد لها النفوذ العثمانى وينحسر . وقد شغلت احداث داخلية الجزيرة العربية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية اكثر هؤلاء وأنشغل امراء الاحساء والقطيف بحماية مراعيهم الوفيرة ضد المد السعودى ، ولم يعبأوا بالسيطرة الهامشية للانجليز في الخليج .

غير ان مناطق القواسم على الساحلين الشرقى والغربى للخليج كانت مصدرا للذعر الدائم للانجليز في الخليج العربى [٤] تعرقل نشاطهم الاقتصادى

---

(١) Ibid, P.P. 298 - 300.

(٢) Ibid, p. 301.

(٣) Aitchison, C. U., op. cit. p. 6.

(٤) Saldanha Report of Captain Malcolm on the state of trade Between.

وتهدد وجودهم ذاته . وقد ساعد القواسم في موقفهم الصلب ضد التجارة البريطانية عاملان يختصان بالمنطقة اولها طبيعى ، والآخر بشرى يتمثل في تمرس القواسم في البحر والابحار ، وعامل وافد الى المنطقة تمثل في ظهور القرصنة الأوربية في المنطقة .

المظاهر الطبيعية وأثرها على السكان :

أ ــ التكوين الجيولوجي :

في البدء كانت الزلازل والاضطرابات التى عمت القشرة الأرضية وشكلت سمات العالم الجيومورفولوجيه وأبرزت قسماته المتغيرة ابدا بفضل العوامل الطبيعية التى ما فتأت تعمل منذ ان وجدت . وقد أصاب منطقة الخليج العربى بطبيعة الحال من هذه الاضطرابات ، وزاد من تأثره ان يقع في منطقة رخوة من قشرة الأرض لم تقو على مواجهة الضغوط الجانبية عندما مارت القشرة الأرضية .

كانت هذه المنطقة جزءا من بحر داخل قديم تراكمت فيه رواسب بحرية مختلفة خلال العصور الجيولوجية المتتالية فتكونت بفضل ذلك طبقات متتالية من الصخور الجيرية والطينية يعلو بعضها بعضا . ولما تعرضت هذه المنطقة للضغوط التى أتت من ناحية الكتلة العربية الأفريقية من جهة ، ومن ناحية الكتلة الآسيوية من جهة أخرى ، ارتفعت بعض اجزاء ذلك البحر القديم وصارت ارضا يابسة يباب ، أما الجزء الآخر من البحر فقد دفعه الضغط الى أعلى دفعا قويا فتقوس وازداد تقوسه والتواؤه حتى أضحى على هيئة سلاسل جبلية ضخمة شكلت الساحل الشرقى للخليج وميزته . أما حوض الخليج نفسه فقد انثنى أمام الضغط فتقوس الى أسفل وتقعر حتى أضحى منطقة حوضية بين منطقتين مرتفعة شرقية ومنخفضة غربية . ولم يكن هذا الحوض

حتى عصر البلايوستوسين متصلا بالمحيط الهندى ، فقد وقفت جبال عمان التى تعتبر امتدادا لجبال زاجروس على ساحل الخليج الشرقى دون ذلك . غير انه في عصر البلايوستوسين ، تكسرت منطقة هرمز وانفلقت جبال عمان عند زاجروس بعد ان كانتا رتقا واحدا فاتصل الخليج بالمحيط .

أثر هذا العامل الجيولوجى كثيرا على شخصية السكان على ساحلى الخليج ، فبينما صار العرب المجاورون للساحل أهل بحر منذ بداية تاريخهم قفلت الجبال بين الفرس والبحر وحالت دون اتصالهم به . لم ينجح الفرس في البحر والابحار رغم معاناة نادر شاه (١٧٧٢ ـ ١٧٤٣م) التى اورثته اسطولا حربيا كبيرا . تبين نادر شاه ميزة الاسطول في تحقيق تطلعاته في الغزو والتوسع فخلقه وجعل عليه ، في بداية الأمر ، فارسيا عينه في وظيفة ادميرال الساحل ، ولم يكن ذلك الفارسى ـ حتى لحظه تعينه ـ قد رأى سفينة بعد أو بحرا [١] .

ب ــ الموقع :

يمتد الخليج ذراعا بحريا في إتجاه شمالى غربى الى جنوبى شرقى بين خطى عرض ٢٠ و ٣٠° درجة شمالا و ٤٨ و ٥٦° شرقا بين مدينة الفاو على الطرف الجنوبي للعراق حتى رأس سندم على مضيق هرمز حيث يتصل خليج عمان بالبحر العربى . وتبلغ مساحة الخليج ٩٧٤٥٠ ميلا مربعا . وتنتشر في هذه المساحة جزر كثيرة خاصة في أطراف الخليج وفي وسطه ، وأكبر جزره هما جزيرتا البحرين وقشم . كما تكوِّن قطر أكبر شبه جزيرة في الخليج [٢] : وتمثل جزر الساحل الغربى ومياهها الاقليمية الطرف الاقصى للوطن العربى

---

(١) (1.0) L/P & S/20 - C. 227, Selectione from the State Papers Regarding the East India Company Connections with the Persian Gulf, Prepared by Saldanha Calcuta, 1908) Public Diary No. 4 of 1740 - 1741 P P. 45 - 57.

(٢) محمد متولى ، حوض الخليج العربي (القاهرة ، ١٩٧٠) جـ ١ ص ٣٠ ـ ٣١ .

بعد ان تآكلت اطرافه الممتدة على الساحل الشرقى للخليج بفضل التغول الفارسى .

ويحتل الخليج ، بموقعه ، مكانا فريدا بالنسبة للعالم من ناحية والعالم الاسلامى من ناحية اخرى . فسواحله الغربية تضم المنافذ الطبيعية للأقاليم الداخلية الفسيحة ، كما يتصل الخليج في نهايته الشمالية بنهرى دجله والفرات بعد ان يكونا قد اخترقا ازاضى تركيا والعراق [1] .

أثّر هذا الموقع المتفرد للخليج في تاريخه وجعله حلبة منافسة بين القوى التي تبغى السيطرة السياسية والتجارية في كل عصر وفي اى مصر شرق الخليج . ادى هذا الموقع الى ان تنشأ في الخليج حواضر ساحلية تعاملت مع العالم الخارجى منذ المدنيات القديمة وان لم يساعد الموقع ، كما ارى ، على نشؤ ونمو حضارات متفردة ، اذ ان طبيعة الخليج القاسية قد جعلته ـ قبل ظهور البترول ـ معبرا ولا شيئ فوق هذا . والعبور ليس بذى اثر بعيد اذ لم تفد منه الا الفئة الحاكمة وثراة القوم وبعض الجاليات الأجنبية التي استقرت في المنطقة الساحلية ولم ترسل الى الداخل اى اشعاعات حضارية او تترك اثرا اقتصاديا يرتجى . ولذلك كان بعض الحكام في المنطقة يتعاونون مع الانجليز مدفوعين بضعفهم او بشهوة الثراء او بكليهما معا لتوافق مصلحة هؤلاء مع اولئك . اما الذين لا يملكون فقد كانوا ينظرون الى ذلك العبور بكثير من الريبة والشك والحذر حتى اذا تيقنوا اهدافه هاجموا تلك السفن العابرة . ان الشر لا يجرى في دماء اهل الخليج ويغوص الى عصبهم كما يقول لاندن [2] الذي يرى صوابا في حركة النضال العربي في البحر ـ في تلك الآونة ـ حربا بين الذين يملكون والذين لا يملكون ، خاصة وان العرب كانوا بحارة مهرة ومحاربون اشداء كما

(١) عبدالحميد غنيم ، مشكلات الحدود السياسية في الساحل الغربي للخليج العربي (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الجغرافيا كلية الاداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٥) غير منشور ص ٣ .

(٢) Landen, R.G, OP. cit, P. 52.

تصورهم وثائق حكومة بومباى في عام ١٧٥٣م [١] . ولعل ابرز مثال للحكام الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح الانجليز هو سعيد بن سلطان الذي عرف ان خدمة مصالحه لا تكون الا بمداهنة الانجليز في الخليج ، وظل سعيد يساندهم كما اشاروا له بالمساعدة ، وصار الانجليز يستخدمونه لتحقيق هدفين من اهدافهم : اولهما لمعالجة موقفهم المزمن ضد الفرنسيين ، وثانيهما لضرب كل حركات الجهاد في الخليج خاصة فيما يتصل بالحركة السلفية في نجد [٢] .

ليس في الخليج ، في السنوات التي اعالجها هنا ، شيئا يستلفت نظر الانجليز غير موقعة . ولم تكن الشركة الانجليزية رغم اتفاقاتها المتكررة مع حكام فارس تجنى من الخليج ربحا مذكورا . فهي لا تأخذ من فارس الا البهار والحرير الخام وصوف كرمان Kirman ، كما كانت الشركة تشترى النحاس وترسل به الى الهند [٣] وليس لانجلترا التى كانت هي نفسها تصدر النحاس الى الأقطار الأخرى . كما كانت الشركة تعمل في بعض كميات من اللؤلؤ تصدرها للأسواق الأوربية [٤] . وعملت الشركة ايضا على تأجير بعض سفنها للتجار مما اكسبها ربحا قليلا [٥] ، ولم تفد الشركة من النشاطات المذكورة شيئا كثيرا .

كان موقع الخليج هو الذي جعله موضع تنافس في عصر ساد فيه منطق البقاء للأقوى . هذا المنطق الذي صبغ القرن التاسع عشر وشكل سياساته ، وشهد تقاتل القوى على الممرات الحيوية وتكالبها على المضايق . كانت القوى العالمية تتناحر فيما بينها على الدردنيل ، ومرمرة ، والقسطنطينية ، والخليج العربي ، والبصرة ، كما تنافست على الطرق الطبيعية الطويلة الممتدة كطريق

---

(١) Abdul Amir, British Interests in the Persian Gulf p. 32.

(٢) Skeet, I., Muscat (Qman the End of an Era p. 45.

(٣) Abdul Amir op. cit. p. 123.

(٤) مانع العتيبة ، اقتصاديات ابو ظبي قديما وحديثا (بدون ، ط ٢ ، ١٩٧٣) ص ٣٤ .

(٥) Abdul Amir op. cit. p. 32.

بلغراد سالونيكا ، وبلغراد القسطينطينية بغداد ، وممرات طرطوس بين آسيا الصغرى وسوريا [1] . ومن هنا نبعت اهمية الخليج وازدادت حين اضحت البصرة من أهم مراكز التجارة في الشرق ، فاليها كانت تفد الكثير من سلع الهند وتنقل عبرها الى فارس وسوريا وجزيرة العرب والأناضول ، كما كان جزء منها يصل الى سواحل البحر الأبيض المتوسط حيث ينقل الى اوربا ، كما تأتي الكثير من صادرات هذه البلاد الى البصرة وتنقل منها الى الهند [2] . وكان العرب يقومون بدور الوسيط في نقل البضائع بين الهند والعراق وداخل شبه الجزيرة . ونتج عن ذلك اتحاد مصالح عدة فئات منهم لمقاومة تغلغل نفوذ اى دولة كبيرة تظهر في المنطقة [3] .

كان طريق رأس الرجاء الصالح طويلا فأراد الانجليز ان يستبدلوه بآخر خاصة بعد حرب السنوات السبع التي اندلعت في اوربا ولم يتبين الانجليز في الهند خبرها الا بعد عام كامل [4] . فأراد الانجليز استبدال طريق الرجاء بطرق اخرى تحقيقا لسرعة البريد ، وتوفيراً للجهد والوقت والمال . فكان امامهم طريق الخليج وطريق البحر الأحمر . وقامت شركة الهند الشرقية البريطانية بتجربة ارسال خطاب مؤرخ في ١١ فبراير عام ١٧٦٢ من بومباى في ٢٤ فبراير ١٧٦٢ عن طريق الخليج العربي الى لندن كما ارسلوا نسخة من نفس الخطاب الى لندن من بومباى بتاريخ ٧ مارس ١٧٦٢ عن طريق البحر الأحمر . بلغ الخطاب الأول لندن في ٢٢ اكتوبر وبلغها الآخر في ١٦ نوفمبر من العام ذاته . وكان الفرق بين الطريقين ثلاثة عشر يوما امتاز بها طريق الخليج على طريق

---

(١) Lewis, L. V. T., "EuropianImperialism in the Middle East" Background of the Middle East New York. 1952. p. 123.

(٢) عبدالأمير محمد امين ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (بغداد ١٩٦٦) ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) صلاح العقاد ، معالم التغيير في الخليج العربي (القاهرة ١٩٦٧) ص ٧ .

(٤) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسى ، ص ٢٢ .

البحر الأحمر . ولما لم يكن الفارق الزمني كبيرا فقد ترك مجلس مدراء الشركة الأمر الى الرئيس والمجلس في بومباى لاختيار الطريق الأصلح . وقد حبّذ الأخيرون استعمال كلا الطريقين مع تفضيل طريق الخليج (١) . والغت الشركة ارسال البريد عن طريق رأس الرجاء لأن الفارق الزمني بينه والطريقين الآخرين بيِّن لا يحتاج الى دليل .

كان للبريطانيين قنصلية بالبصرة منذ عام ١٧٦٤م/١١٧٧ هـ ، وكانت خطتهم في تسيير البريد تقتضى ان تكون البصرة محطة نقل للرسائل التي تفد من الخليج وتسلمه لطريق القوافل عبر الفرات ، ويعبر البريد بادية الشام إثر ذلك وينتهى الى حلب حيث تتولى الوكالة البريطانية التابعة لشركة البحر الأبيض نقله بسفنها الى الجزر البريطانية . وصار هذا الطريق للانجليز مقدما على طريق البحر الأحمر وذلك لعدم وجود تمثيل سياسى او تجارى لبريطانيا في المدن المصرية ولعقبة اخرى وضعتها الامبراطورية العثمانية حين منعت القوى المسيحية من ان تبحر في البحر الأحمر بين مخا والسويس خشية على الأماكن الاسلامية بالحجاز في ان تنتهك . وقد استطاع وليم جريج Greig ان يعقد اتفاقا بين مصر وحكومة الهند في ٧ مارس ١٧٧٥ م/ ١١٨٩ هـ ، نصت بعض بنوده على حرية الملاحة وتخفيض الرسم الجمركى واعترضت حكومة القسطنطينية على هذا الاتفاق ووقفت ضده واصدرت بصدد هذا فرمانا في ١٧٧٩ م تؤكد فيه منعها الدول المسيحية من تسيير سفنها بين جده والسويس (٢) .

جـ — مظاهر السطح والتربة :

يمكننا تقسيم ساحل الخليج العربي الى منطقتين ساحليتين تمتد الأولى من سواحل العراق حتى ابوظبي وتشمل الكويت والاحساء وقطر وجزء من ابو ظبي ، ويلاحظ ان هذا الساحل كثير الانخفاض يبدو في شكل سهل مسطح

---

(١) Abdul Amir op. cit. P P. 66 - 67.

(٢) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ... ص ٢٢ - ٢٣ .

تظهر فوقه احيانا تلال وشعاب صخراوية ، اما الجزء الثاني فيكوِّن المنطقة من ابوظبي حتى رأس الحد وهو ساحل منبسط ذو تلال متصلة تبدأ عند رأس مسندم وتتصل ببعضها البعض في رأس الحد . والساحل بجزئيه رملي منخفض يرتفع تدريجيا نحو الداخل وتكثر الألسنة الرملية والجزر الساحلية والرملية والأخوار والسبخات خاصة في المنطقة من ابوظبي الى رأس الحد[1] .

الى غرب المنطقة الساحلية يمتد نطاق عريض من الكثبان الرملية يتراوح عرضه بين ٢٠ و ٤٠ كيلومترا . وتتعاظم هذه الكثبان كلما اتجهنا غربا وتتباين حجوما واشكالا واطوالا حتى يصل ارتفاع بعضها الى ١٠٠ متر تقريبا .

يمتد هذا النطاق من ابوظبي الى رأس الخيمة على شكل مثلث رأسه الى الشمال وقاعدته في الجنوب ويستعصى اجتيازه الا لمن عرف دروب الصحراء . والى الغرب من نطاق الكثبان الرملية يمتد نطاق عريض من الأراضي المنبسطة ينحصر بين نطاق الكثبان الرملية وبين النطاق الجبلى الذى تتألف منه جبال عمان ذات الارتفاعات الشاهقة . وتنحدر المياه من الجبال الى هذه الأرض المنبسطة وتزيد في استوائها كما تزيد الرواسب من خصوبة هذه الرقعة . ويمتد هذا النطاق الأخير من واحة البوريمى في الجنوب ويشمل بعض رقاع من رأس الخيمة وام القوين .

تقع جبال عمان الى الشرق من هذا النطاق وهو نطاق عريض من الأراضي الجبلية والوعرة يصل عرضه الى نحو اربعين كيلومترا . وهي جبال التوائية حديثة التكوين يصعب اجتيازها لارتفاعها ووعورة مسالكها فلا يسهل اجتيازها الا في مناطق محدودة للغاية[٢] . في مناطق الأودية التى تنحدر شرقا وغربا والتى اهمها وادى سيحى ووادى حام .

---

(١) (1.0) L/P & S/20 - C. 189, H. B. A. p. 4.

(٢) محمد متولى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٠ - ٨٥ .

اما الساحل الذي تمثل هذه المنطقة ظهيره ، فهو كما اسلفنا شديد التضرس تكثر فيه الالسنة الرملية وتجاوره الجزر الساحلية الرملية و « الخيران (*)» ويتميز بانتشار السبخات(**) . وسواحل المنطقة في مجموعها مجدبة . كانت النتيجة الطبيعية لهذا تعذر الملاحة البحرية للمراكب البحرية الكبيرة على مقربة من الساحل بسبب قلة العمق ، وصعوبة الحصول على مرافئ على هذا الساحل .

ويعتبر وجود (الخيران) متعددة من المظاهر البارزة على ساحل المنطقة . وقد قامت على رؤوس هذه الخيران مراكز العمران المختلفة(٢) ، استقرت عندها جماعات من صائدى الاسماك واللؤلؤ الذين وجدوا عندها الحماية في هياج البحر كما حمتهم من غارات القبائل البدوية . وتعتبر مدن دبى والشارقة وعجمان وام القوين ورأس الخيمة من المدن التي تدين بنشأتها وازدهارها الى تلك الحماية الطبيعية التي وفرتها «الخيران» . في هذه المناطق تبلورت الوحدات السياسية المختلفة القائمة في المنطقة .(٣)

اما الحواجز البحرية والجزر الطولية فهي من اهم ما يميز منطقة الساحل العمانى . وهى عبارة عن رواسب رملية تمتد امتدادا طوليا بموازاة الساحل لا تبعد عنه الا بضع كيلومترات . وهي قليلة الارتفاع حيث لا يتجاوز ارتفاع اكثرها اكثر من بضع عشرات من الأمتار فوق مستوى البحر ولا يزيد طولها في معظم الاحوال ، عن عشر كيلومترات ولا يتجاوز اتساعها بضع مئات من الامتار وكثيرا ما تعمل عوامل التعرية في هذه الجزر فتحولها الى مجموعات من الجزر تجاور بعضها بعضا مما يعوق الملاحة في المنطقة لكثرة وجود الجزر الغاطسة . ويزيد في اعاقة الملاحة في هذه المنطقة انتشار الشعاب المرجانية التي

(*) جمع خور وهو لسان من البحر يمتد الى اليابسة لبضع كيلومترات .

(**) مستنقعات تعرضت للجفاف فاختفت مياهها السطحية وبقيت ارضها متشبعة بالماء والاملاح . Admirality, Persian Gulf Pilot. 9th. ed. (London, 1942) p. 158.

(٢) محمد متولى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠ - ٢٤ .

(٣) محمد متولى ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

تنمو في مياه الخليج الضحلة الدافئة[1] . ويزيد انتشار البحيرات الساحلية والمستنقعات في صعوبة الملاحة قرب الساحل ، وكثيرا ما تجف هذه المستنقعات فتتحول الى سبخات حين يتحول سطحها الى الجفاف وتبقى الأرض مشبعة بالمياه والأملاح[2] .

وتتكون منطقة ابوظبى من مناطق ساحلية وداخلية جافة كثيرة الرمال ويتميز ساحلها بكثرة السبخات كسبخة مطى التي هي أكبر سبخات هذا الساحل . كما تتميز داخلية ابو ظبى بالكثبان العالية التى تتعاظم كلما سرنا الى الداخل حتى تندمج اخيرا في رمال الربع الخالى الذى يقع الى الجنوب فيها . وقد لعبت صحراء الربع الخالى دورا بارزا في عزل المشيخات الساحلية عن جيرانها الأقوياء كما لم يقل دور السلسلة الجبلية في هذا المجال عن ذلك اذ فصل بين مناطق الخليج العربي وسهل الباطنه[3] .

وفي صحراء ابوظبى نجد عددا من الواحات والجيوب الزراعية لعل اهمها واحة ليوا ، وواحات البوريمى التى لا تقع وسط الرمال كما هو الحال في ليوا ، انما تقع في النطاق الذى ينحصر بين منطقة الرمال في الغرب وبين جبال عمان في الشرق . وتستمد البوريمى مياهها من تلك الجبال بواسطة عدد من الأفلاج التى حفرت الى جانبها . ولهذا كانت الزراعة من المهن القديمة في ابوظبى لوجود الأراضى الصالحة للزراعة[4] . ويملك البوفلاح أراضى كبيرة في تلك الواحة يزرعونها نخيلا ، كما امتلكوا الحدائق فى قرى الظواهر . يملك البوفلاح كذلك معظم الأراضى في قريتى هيلى والقطاره وقرى العتيمى

---

(١) (1.0) L/P & S/20/189, H. B. A. p. 7.

(٢) محمد متولى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤ ـ ٢٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٤) مانع العتيبة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٦ .

والمعترض والعينى ، وتملك الأسرة الحاكمة جميع الأراضى في قرى القويقعى والمسعودى والجاهد [١] .

ويوجد في منطقة ابو ظبى مراعى كثيرة بالقرب من واحة البوريمى ، وفي المناطق المحيطة بحواضر ليوا في الاقليم الغربى لابوظبى . واكثر رعاة ابوظبى أهل رحلة وان اقام بعض منهم في الواحات والقرى التى تحيط بها المراعى ، كما توجد في ابوظبى مناطق تكثر فيها الغزلان والوعول والمها والأرانب [٢] . وقد وجه هذا الثراء النسبى في الزرع والضرع ابوظبى توجيها برياً وليس ساحلياً ، فلم يشتهر أهل ابوظبى من البنى باس والمناصير والعوامر بتصيد السفن في الخليج العربى ، وذلك لأنهم كانوا في أكثرهم رعاة يسكنون الداخل يرعون ابلهم التى هى من خير أنواع الأبل في الجزيرة العربية ، واقتصر نشاطهم الساحلى على صيد الأسماك واللؤلؤ.كانت لأهل ابوظبى في هذه الفترة عدد من القوارب الخفيفة مجهزة لصيد السمك لا يتسع الواحد منها لأكثر من أربعة اشخاص [٣] . ولم تنفذ قبائل هذه المنطقة الى الساحل الا في عام١٧٦١م/١١٧٤هـ ، حين نجح الشيخ عيسى بننزح الشيخ عيسى بن نهيان من البوفلاح ، وهى احدى بطون البنى باس ، أن يستقر بقومه في ابو ظبى حيث شيّدوا فيها عشرين منزلا . ونمت المنطقة نموا سريعا حتى بلغ عدد المنازل اربعمائة في فترة سنتين فقط [٤] . ولذلك فلا تكاد تحس بالعلاقة ، في هذه الفترة بين بريطانيا ومنطقة ابوظبى التى لم يستقر رجالها على البحر

---

(١) كيلى ، ب ، جـ ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية (مترجم ، بيروت ١٩٧١) ص ٧٢ .

(٢) مانع العتيبة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) (1.0) Extracts from brief notes containging Historical and other Information connected with the Province of Oman, Muscat & adjoining Country, Prepared in year 1818 by Cap. R. Taylor in S. R. I. XXIV.

(٤) Henell, H. S. B., in S. R. I. XXIV p. 363.

استقرارا يمكنهم من الزود عنه ، كما كانت الأرض بخيرها ابلغ تأثيراً عليهم من البحر وتجارته التى لم يكن لهم فيها طويل باع ، فلا ريب أن قطن الشيخ عيسى وابنه الشيخ ذياب بعده داخلية المنطقة(*) ليزوروا منطقة الساحل بين آن واخر[١] .

اما شبه الجزيرة التى تقع عليها مشيخات الخليج العربى الأخرى فهى تختلف عن أبو ظبي في طبوغرافيتها فهي عبارة عن شبه جزيرة مثلثة الشكل رأسها في الطرف الشمالي لجزيرة مسندم وجانبها الشرقي على خليج عمان وجانبها الغربى على الخليج العربي ، وتمتد قاعدتها بين عمان وأبو ظبي . وهى تضم حاليا امارات دبي والشارقة وعجمان وام القوين ورأس الخيمة والفجيرة بالاضافة الى جزء من عمان . وتؤلف جبال عمان الالتوائية العمود الفقرى لشبه الجزيرة ، وتنتشر الاراضى الجبلية في رأس الخيمة ، وتفصل بين الاراضى الجبلية والمناطق الساحلية بعض جيوب زراعية في شمال الامارة وجنوبها في مناطق شعم والصالحية . وجبال رأس الخيمة مرتفعة ، شديدة الوعورة ، صعبة المسالك الا لخبير . كما ان سواحل رأس الخيمة الممتدة لحوالى اربعين ميلا تكسوها الرمال على طول امتدادها ، وهى في امتداداتها الشمالية تختلف عن بقية سواحل المشيخات العمانية حيث تعانق صخور الجبال مياه البحر مباشرة . وتمتد هذه المرتفعات في امارة الفجيرة كذلك . أما سواحل أم القوين وعجمان فتتميز بكثرة الرمال وشدة الانبساط [٢] .

تضم منطقة الخليج العربى عددا من الجزر يربو على المئتين . ويقع معظم هذه الجزر في الجزء الغربى من الخليج بالقرب من سواحل هذه المشيخات

(*) كان اغلب شيوخ ابو ظبي ، في الفترة التي سبقت ظهور البترول يعيشون في ليوا والعين .
انظر : Anthony, J. D., Arab states of the Lower Gulf, People, Politics, Petroleum. (Washington, 1975) p. 126.

(١) جمال زكريا ، البناء التاريخي لدولة الامارات العربية المتحدة ، بحث غير منشور ص ٤

(٢) Admiralty p. G. P. p. 158.

خاصة أبو ظبي التى تتبعها ١٢٢ جزيرة أهمها أرزنه ودلما وداس وقرين والسليلي [١] . وتختلف جزر الخليج في أحجامها وأشكالها ومسافتها من الساحل قربا وبعدا حيث نجد ان بعضها قريب جدا كما هو الحال في جزيرة صير بنى ياس التابعة لأبو ظبي وبعضها كداس التابعة لأبو ظبي كذلك بعيدة عن الساحل . ومن أمثلة الجزر البعيدة من الساحل الطنبيين التابعين لامارة رأس الخيمة . ومعظم هذه الجزر ـ ان لم نقل كلها ـ كالشفوع في شكلها يميزها ذيل بارز من الجانب الجنوبى او الجانب الجنوبى الغربى [٢] . وهو ذيل احدثته الرياح السائدة في المنطقة وقد اعطت هذه الذيول للمراكب البحرية الوطنية التى تعرف مسالكها حماية من الرياح السائدة والأمواج الثائرة . كما مكن السطح الرملى عند سواحل هذه الجزر «لهلب» المركب ان يغوص الى القاع . ويؤم هذه الجزر المختلفة صائدوا اللؤلؤ والاسماك ، كما تنتجع اليها بعض القبائل شتاء طلبا للماء . ففى صير بنى ياس مثلا تتجمع مياه الأمطار في البرك الصخرية او تغوص لتبقى تحت الرمال مياها باطنية .

ولعلنا بهذا السرد لمظاهر السطح والتربة قد استهدفنا توضيح حقائق منها : ـ

ــ ان عرب الساحل العمانى كانوا منذ أمد بعيد أهل بحر وذلك لأن الحياة الحيوانية على أرض المنطقة اليابسة فقيرة بطبعها فقرا يتناسب مع فقر البيئة الصحراوية في الحياة النباتية ، ولذلك فقد اتجه اهل المنطقة الى البحر يتلمسون الحياة في مياهه وفوقها . وكان البحر اكثر سخاء حيث وهبهم ما لم تهبه الأرض اليباب ، ووجدوا في الأحياء التي تعيش فيه

---

(١) وزارة الصناعة والتجارة الكويتية (ادارة البحوث) ، امارات الخليج العربي ـ الكويت ص ١٦ .

(٢) Admirality, P. G. P. p. 84.

(٣) انظر ، خريطة دولة الامارات العربية ، مركز الوثائق والدراسات ، وزارة شئون الرئاسة (دولة الامارات العربية ، ابو ظبي ، ١٩٧٣) .

والتجارة التى تجرى فوقه مما يعتمدون عليه في حياتهم البسيطة . وقد قضت طبيعة الظهير المجدبة ان تكون منطقة الساحل منطقة عبور في الأزمان المختلفة .

— ان ظهير الساحل غير مضياف نظرا لسيادة الظروف الصحراوية اذ يمثل هذا الظهير امتدادا لداخلية بلاد العرب . وتمثلت لذلك مناطق الاستقرار البشرى في المنطقة الساحلية . ولا تنطبق هذا كثيرا على منطقة أبو ظبي التى تمتلك مجموعة من الواحات أورثت قبائلها ثراء نسبيا حيث لم تعتمد على البحر اعتمادا كليا [1] كاعتماد المجموعات الأخرى التى لم يكن لديها الا جيوب زراعية صغيرة لا تكاد تفى بما يحتاجه أهل منطقتها ، الشيء الذى جعل اعتمادهم على البحر لازما ، وجعل البريطانيين والاستعماريين من قبلهم يزهدون في البر يبتعدون عن التدخل العسكرى برا للفقر المريع الذى يلف المنطقة .

— وجود عدد من الخيران التي تربط دائما بالنتوءات الصخرية ساعد على نمو مناطق استقرار بشرى لارتباط سكان المنطقة بصيد السمك والغوص في « الهيرات » والنقل البحرى . كما ساعد وجود عدد من الجزر على كسر حدة الرياح وحماية السفن والقوارب الوطنية وساعد في الوقت نفسه على ابتعاد السفن الأجنبية التى لا تعرف مداخل هذه الجزر ودروبها . كما يلفت الانتباه ان المنطقة الواقعة الى الجنوب من أبو ظبي (من خطم ملاحة حتى رأس مسندم) اكثر تضرسا من المنطقة الساحلية لأبو ظبي التى تسودها الرمال والسبخات ، الشيء الذى جعل مجموعة القواسم اكثر اعتمادا على البحر من مجموعة بني ياس . كما ساعدت التضرسات الكثيرة سفن القواسم على الاختفاء من السفن المعادية المطاردة لها . الشيء الذي جعل سفن القواسم اكثر تعرضا للسفن البريطانية .

---

(١) صلاح العقاد ، معالم التغيير في الخليج العربي (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٩ .

—ان الساحل الغربى للخليج العربى كان وعرا صعب المسالك المائية لا تعرف سفن الأجانب طرقه ومساراته - قبل دراسته جغرافيا - بينما كانت ساريات العرب تجري فيه بسهولة ويسر ، فقد خبروا بالزمن دروبه وعرفوا منافذها واستعملوا مراكب بحرية توائم طبيعة المكان .

—أعطت السبخات والرمال والجبال وغيرها من العوائق الطبيعية المنطقة حماية طبيعية ، وان كانت مؤقتة ، ضد هجمات السفن الأجنبية وتثبيت المدافع والاليات الأوربية المستحدثة .

د — المنـاخ :

الخصائص المناخية المميزة لهذه المنطقة هى حرارة شديدة في الصيف ، وشتاء بارد عاصف المطر (١) .

ولوقوع ساحل هذه المنطقة ضمن الخليج العربى بين خطى ٢٠ و ٣٠ درجة شمالا فان أشعة الشمس تطرقه لساعات طويلة ، اذ تبلغ فترة ظهور الشمس في هذه العروض نحوا من $\frac{١}{٢}$ ١٣ ساعة في يوم الصيف $\frac{١}{٢}$ ١٠ ساعة في يوم الشتاء وليس بين أشعة الشمس والأرض سحب تحجب الأشعة او تخفف من لسعتها . ونجد لذلك ارتفاعا ملحوظا في درجات الحرارة التي يصل معدلها الى ٤٥° م درجة في الصيف خاصة في يوليو (٢) .

تسيطر الرياح الشمالية على الأقليم طوال السنة وتصل ذروتها في منتصف الصيف خاصة في الأربعين يوما التي تبدأ في ٦ يونيو وتنتهى في ١٦ يوليو ،

---

(١) (1.0) Kemball, A. B., S. M. I. P. R. F. C. H. A. S. P. C.

كذلك : H. B. A. p. 13.

(٢) محمد متولى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠١ .

وتعرف هذه الرياح في المنطقة باسم (بارى الخبير) وتجعل هذه الرياح من المنطقة منطقة ابحار غير مأمونة في تلك الأيام بفضل ما تدفعه تلك الرياح من امواج هادرة وما تحمله من أتربة تجعل الرؤية متعذة او معدومة تماما في بعض الأحيان . ويصل معدل الرؤية في البحر في فترة العاصفة الترابية الى ربع ميل ، ويمتد هذا المعدل الى نصف ميل في اليوم التالي للعاصفة [١] .

أما الرطوبة فنسبتها مرتفعة طوال العام حيث يصل حدها الأقصى الى ١٠٠ ٪ أما معدلها الأقصى فهو ٨٨ ٪ [٢] ، مما يجعل الرؤية في كثير من أيام السنة شبه متعذرة او متعذرة تماما ، وذلك لتكاثر الضباب . كما تكون الرؤية على البحر ضعيفة جدا في الساعات الأولى من الصباح حتى تنجلى عند الشرق . وكثيرا ما يكون الحال كذلك في الفترة من اكتوبر حتى مارس [٣] .

وفي كتاب الادميرالية البريطانية [٤] تلخيصا لأحوال الملاحة على الجانب العربى ونصه :

"When navigating up or down the gulf vessels should Keep Along the Persian shore; When visiting the Arabian shore, vessels should always anchor at dusk, if possible".

وقد أسهم هذا الجو المتناهى في صعوبته على عرقلة الملاحة البريطانية ولعلنا نلاحظ ان العرب كانوا يستغلون طبيعة المناخ استغلالا حربيا ذكيا فكانوا كثيرا ما يهاجمون السفن البريطانية في لساعات الأولى من الصباح وينتهزون فرصة الضباب لتقرب سفنهم من السفن البريطانية وينجون بذلك من قذف المدفعية ويتلاحمون بالسيف والرمح مع البريطانيين الذين كانوا يخشون هذا النوع من الحرب ويتجنبونه ما أمكن اذ لا تفيد اسلحتهم النارية في الدفاع

---

(١) Admirality, P. G. P. p. 93.

(٢) دائرة التخطيط ابو ظبي ، النشرة الاحصائية ، ١٩٧٤ ص ٦ .

(٣) Admirality, P. G. P. p. 32.

(٤) Ibid, p. 17.

عنهم حين يجدون العرب بأسلحتهم التقليدية معهم على ظهر المركب . كما أفادت هذه الأحوال المناخية في عدم تفكير البريطانيين في اقامة مراكز مسلحة لهم على تلك المنطقة اذ لا يستطيع الاوربى تحمل وهج الحر وقيظ الهجير .

قضت هذه العوامل الطبيعية المختلفة بعدم محاولة البريطانيين للتوغل في داخلية البلاد وملاحقة قبائلها ، ادركوا ان بأسهم لا يفيد ، فأبتدعوا حيلة الاتفاقات الاذعانية بعد الحملات الحربية المتكررة ليوقفوا العمل العسكرى للقبائل فوق البحر الذى يهمهم ويتركوا القبائل لتتقاتل فوق الأرض التى ما كانت تهمهم . ادرك البريطانيون ان الغنم الذى سيصيبونه من استعمار الأرض المجدبة قليلا لا يقارن بنكايات العرب الشديدة ، كما ادرك البريطانيون ان اقتتال القبائل في الداخل يضعفها ويفككها ويزرع الاحن والثارات فيما بينها ويحول دونها وحزم أمرها في اتحاد يطارد البريطانيين فوق مياه الخليج .

وقضت هذه العوامل الطبيعية المختلفة انّ يعتمد العرب على البحر يصطادون ويعملون بالتجارة البحرية قبل ان تحفها بريطانيا بأسباب العلم والحضارة ثم تبطلها بالحملات العسكرية . حرم البريطانيون العرب من التعامل مع المناطق التى كانوا يتاجرون معها في الهند والتى كانت تمدهم ببعض المؤن كما امدتهم بالأخشاب التى كانوا يستعملونها في بناء سفنهم وقواربهم .

عزل هؤلاء العرب الذين يشهد لهم البريطانيون (١) انهم تدربوا على الفروسية منذ نعومة اظفارهم في صيد السمك والغوص لصيد اللؤلؤ ، وهو عمل غير متصل يقطعه الشتاء حين تحل العواصف ، ويتكدر البحر ، ويضن بخيره ولا يصبح صيد السمك ممكنا الا في الخيران ، ومن ثم تضحى مراكب الصيد كما أصبحت مراكب التجارة قبلها دون عمل اقتصادى يورث اهله

(١) Kelly, G. B., Britain and the Persian Gulf 6411, P. 45.

ربحا ، وخيم لذلك على المنطقة فراغ قضى ان يتجه اهل الاقليم الى البحر يضربون بشجاعتهم وقواهم كل سفينة تتجرأ على مياههم ولا تعترف بحقهم في الخليج العربى .

ان قسوة حياة الصحراء والفقر الذي لف أهلها زمنا ، وغنى التجارة التى تعبر الخليج وتمرس أهل المنطقة في البحر والابحار زاد في شجاعة الشجعان وجعلهم يأخذون كل سفينة غصبا . وزاد من عزم العرب في المنطقة وفود القراصنة الاوربيين للخليج الذين كانوا طلائع الغزو الاستعمارى .

القرصنة الأوربية :

لم تكن الحروب البحرية قصرا على القواسم وغيرهم من العرب الذين كان قدرهم الحفاظ على عروبة الخليج في عصر ساده منطق البقاء للأقوى فقد اشتركت في الحروب البحرية السفن البريطانية والفرنسية وغيرها من السفن الاوربية . كان العرب أصحاب حق يذبون عنه وكان الاوربيون أصحاب طموح وطمع يعملون من أجله بالقرصنة التى اباحتها دولهم وأعترفت برجالها ابطالا قوميين . وصار هؤلاء القراصنة طلائع للاستعمار الحديث كما صار رجال البحر الأوربيين سدنه الاستعمار انبنى على اكتافهم وتحملوا عبئه [1] .

كان عالم الملاحة في الشرق قبل ان يبتلى بالأوربيين من امثال كابتن كيد Kidd [2] وغيره منظما مدروسا يعمل بالتقاليد العربية الموروثة . كان المنادى يخرج الى شوارع المدينة وبيده جرس يدقه ويعلن بأعلى صوته عن وصول سفينة او قيامها كما يعلن عن اتجاه سيرها والبضائع التى تحملها . كما كانت السفن

(١) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، ص ١٤ .
(٢) سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي جـ ٢ القاهرة ١٩٦٧ ص ٤٧ - ٤٨ .

العربية تقلع وتصل في مواقيت معلومة يحكمها سير الرياح في الغالب . وكانت سفن العرب تسير في قوافل يتعاون أهلها ضد الرياح والمياه الثائرة واخطار البحر الأخرى [١] .

لم تنتشر القرصنة في بحار العرب الا بمجيء أوربا لتحكم في المنطقة العربية وتفرض نفوذها على بحارها . ادخل البرتغاليون تصاريح البحر وحددوا مسارات السفن العربية ليسهل عليهم استغلالها . وعمّ البحر بعد هذا تعارك وتطاحن بين القوى الأوربية ، ودخل العرب يحالفون هذه القوة ضد تلك ، ويتصيدون سفن اعدائهم منفردين او متحالفين . وبدأت السفن العربية تكثر من السلاح والعتاد لتواجه مشاكل البحر التى أثارها الاوربيون صار العرب يبنون السفن الكبيرة لتحمل عددا من الجند اوفر مما كانت تحمله سابقا . غير ان الفكر العربى في الذخيرة وصناعة السلاح قد قصر دون الفكر الاوربى وبدأ الأوربيون يتحكمون تدريجيا في المقدرات العربية .

بدء ظهور القواسم على مسرح الأحداث :

تلم شبه الجزيرة العربية في امتدادها الشاسع المترامى رجالا تختلف اهواؤهم ومشاربهم وامزجتهم باختلاف مناطق سكناهم واجواء مناطقهم بحيث يمكن تقسيم سكان شبه الجزيرة الى ثلاثة صنوف : رجال صحراء ورجال جبال ، ورجال بحر ، وأهل الساحل العمانى كأهل البحرين والكويت بحارة شغوفون بالبحر [٢] لجأوا اليه حين طردت قسوة البيئة الصحراوية العرب نحو الساحل .

ولا توجد لدينا تحديدات قاطعة ببدء الاستقرار العربى في منطقة الساحل العمانى ، الا انه من الثابت ان القبائل العربية قد سكنت هذا الساحل قبل

---

(١) Sergeant, The Portuguese of the Southern Arabian coast P.P. 34 - 40.

(٢) Sanger, R., The Arabian Peninsula (New York 1958) p. 149.

الميلاد بزمن غير يسير [1] . ركب هؤلاء العرب البحر وصارعوا انواءه منذ فترة تاهت منا في جوف الزمن فأصبح البحر جزءا من تراثهم .

جاءت بريطانيا الى الخليج لتفرض الأمن لتجارتها بعد ان أمنت الى حين التدخل الفرنسي . وبدأت بريطانيا توجه همها نحو عرب الخليج الذين بدأوا منذ عام ١٧٩٩ م / ١٢١٤ هـ يتصيدون مركباتها البحرية وكانوا قبلها لا يفعلون .

ولم يكن الساحل العربى تحت امرة قائد واحد يسهل تهديده وترغيبه كما كان دأب البريطانيين في المناطق الأخرى على الخليج انما كان قسمة بين القبائل التي كان القواسم وبنو ياس أشهرها .

يرى(كلى)صوابا أن التكوينات القبلية في منطقة الساحل العمانى شديدة التعقيد ، ويصل الى ان لفظ القواسم هو اسم العلم لا يدل على قبيلة بعينها انما استعمل ليشير الى تجمع قبلى كانت قيادته للقواسم وشيخهم الذى يحكم في الشارقة ورأس الخيمة ، كما استعمل اللفظ بصفة خاصة ليدل على عائلة الشيوخ الحاكمين في المنطقة . والقواسم ، كما يرى واردن هم جنس من العرب ينتهون الى نجد ويطلق عليهم اسم الغافريين احيانا وانهم كانوا ينزلون على الجهة الشمالية من الكعبة [2] .

لعب القواسم في تاريخ عمان دورا بارزا حين اشتركوا في الحروب الأهلية التى عصفت بدولة اليعاربه . فبعد وفاة سلطان بن سيف انقسم العمانيون قسمان : أيد قسم إمامة سيف بن سلطان الثانى ، وأيد الآخر مهنا بن سلطان ابن ماجد . وبدأت الحروب بين القبيلتين وقتل في غمارها مهنا بن سلطان [3] .

---

(١) جمال زكريا قاسم ، البناء التاريخي لدولة الامارات العربية المتحدة ، بحث غير منشور ، ص ٧ .

(٢) Warden, F., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٣) Barger, G. B. History of Immams and Seyyids of Oma n. (Original source by Salil b. Razik) From A. D. 661 - 1856. p. 95.

وتصالح القوم في عمان على نبذ الرجلين .. الحي والمتوفى .. واجموا أمرهم على يعرب بن بليعرب إماما . وسرعان ما بدأت الخلافات حين نادى بعض أهل الرستاق بسيف اماما وطلبوا الى بليعرب بن ناصر العمل لانتزاع الامامة لوضعها في موضعها . وتمكن بلعرب من اجبار بنى هناه للدخول في طاعة سيف . وانتهت الحروب الأهلية حين تدخل وجهاء القوم واقنعوا يعرب بالتنازل عن الامامة فتنازل وصار سيف اماما .

وحدث انقسام رهيب في احتفالات البيعة حين وفدت قبيلة بنى غافر واهالى بهلى ثم تمردت بقيادة محمد بن غافر . جمع بدو الظاهرة وبنو ريام وبنو قطب والنعيم محمد بن غافر وضموا اليهم يعرب بن بليعرب الامام المخلوع وتكونت جبهة كبيرة حققت الكثير من الانتصارات على الامام الشرعى وخاله في مناطق الصقال والجوف ودهنك والجانى [١] .

وصل محمد بن غافر ويعرب الى الرستاق وحاصراها ثم انتصرا عليها واعتقل محمد بلعرب بن ناصر وثبت سيفا على الإمامة اذ توفى يعرب في اثناء القتال . ولم يعجب بنو هناة تسلط محمد الغافرى ورابطوا في معاقلهم في بركة ومسقط . وكان انقسام جديد بين الغافرية بزعامة محمد بن ناصر والهناوية بزعامة خلف بن مبارك الهناوى .

وفي غمار الحروب التى اعقبت هذه الفترة برز رحمة بن مطر كأحد القادة الأقوياء في المعسكر الذى يتزعمه محمد بن ناصر . سار رحمة بن مطر الى بركة وانتصر على خصومه من امثال قرع الدرمكى في مكان يسمى قاسم . وربما كان هذا هو السبب في تسمية اتباع رحمة بن مطر بالقواسم . وانسحب رحمة بن مطر الى منطقته بعد ان انتصر لمحمد الغافرى على بركة [٢] .

---

(١) Parget, O.P. cit, P.P. 102/106.

(٢) عائشة السيار ، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيه في الفترة ١٦٢٤ - ١٧٤١ ، ص ١٨٦ .

يرى كلي [1] ان سكان أرض الخيمة في القرن الثامن عشر كانوا ينتمون الى الخواطر وهم فرع من القسم الجنوبى لقبيلة النعيم الذين يقيم معظم ابنائهم في الظاهرة . أما الشارقة ، الميناء الثانى للقواسم فيعمره بنو قتب . ويرى كلى كذلك ان سكان المنطقة التى تقع عند جزيرة الحمرة وام القوين من قبائل زعاب والعلا على التوالى حيث حلت الأخيرة مكان الأولى في القرن الثامن عشر . أما عجمان فسكانها من البوخريبان وهم فرع من قبيلة النعيم . وتقيم قبائل المزروعى والحبوس في التلال التي تقع خلف الساحل ولم يكن للقواسم عليهم يد قوية . ويستطرد كلى فيقول ان القواسم في رأى بعض المؤرخين قبيلة هاجرت من العراق وفي رأى البعض الآخر قبيلة نجدية حلت المنطقة في القرن الثامن الميلادى . ثم يأتى كلى برأى غريب يرده الى القواسم انفسهم وهو احتمال انهم هاجروا من بلاد فارس .

يرى سيد نوفل [2] كما يرى محمود بهجت سنان [3] في القواسم قبيلة عربية نزحت من العراق في سامراء وديار بنى قاسم ويرجع المؤلفان القبيلة الى اصول عدنانية ويضيف سنان ان القواسم قد وفدوا الى عمان منذ نيف وثلاثة قرون في عهد جدهم الأكبر كايد القاسمى واستقروا في القرن السابع عشر على القاطع الغربى للخليج العربى واتخذوا من مدينة جلفار [رأس الخيمة] مقرا لهم .

يناقش أحد الباحثين [4] هذه الروايات المختلفة ويدحض الرأى القائل

---

(١) Kelly op. cit. P.P. 17-21.

(٢) الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ـ الكتاب الثاني ـ امارات ساحل عمان ، ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٣) امارة الشارقة ، السلسلة السياسية رقم ١٥ (بغداد ، ١٩٦٥) ص ١٥ .

(٤) عبدالقوى فهمى محمد ، القواسم : نشاطهم البحرى وعلاقاتهم بالقوى المحلية ١٧٤٧ ـ ١٨٥٣ رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب جامعة عين شمس ١٩٨٠ (غير منشورة) .

بأن القواسم قبيلة وفدت من العراق او انهم فرع من قبيلة الهولة العربية التي كانت تقطن الساحل الشرقى للخليج فيما بين بردستان بندر عباس . ويرجع الباحث أصل هذه الرواية الى الرحالة الدنماركى نيبور Neibur الذى ذكر ان شيوخ الصير ينحدرون من قبيلة الهولة . ومن المعروف ان القواسم كانوا يسيطرون ، في الفترة التى زار فيها نيبور بوشهر والبصرة ، على بعض موانىء الساحل الشرقى للخليج في كونج ولنجة وان بعض عرب ذلك الساحل وفدوا للاقامة على الساحل العربى وعاشوا بين القواسم . ومن المرجح ان مايلز الذى اعتمد هذه الرواية قد اعتمد على رواية نيبور في هذا الصدد . أما ما تردد عند بعض الكتاب الاوربيين من أن القواسم سيرافيون فيدحضه ما ذكره وكيل شركة الهند الشرقية في مسقط حين ذكر ان بعضا من أهل سيراف قد وفدوا على هذه المنطقة وحصلوا من الاسرة الحاكمة في رأس الخيمة على حق الانتماء للقواسم فصاروا قواسما .

أما من نسب القواسم الى الظفير فقد اعتمد على ابن غنام من (1) انه « في سنة ١٢٠٩ هـ سار سعود بالمسلمين يريدون غزو عرب الشمال فأغار على القواسم - وهم عرب من آل ظفير ، كبيرهم ابن عفيصان (*) - وكانوا مجتمعين في ارض الحجرة . فلما باغتهم لم يستطيعوا الثبات الا قليلا ثم ولو منهزمين وأخذ المسلمون اغنامهم ومحلتهم واثاثهم وابلهم نحو الف وخمسمائة بعير » غير ان قواسم الظفير هؤلاء هم غير قواسم ساحل عمان . يؤيد هذا ان حملة السعوديين على قواسم الظفير كانت في ١٢٠٩ هـ بينما كانت حملتهم على قواسم عمان في ١٢١٤ هـ كما يورد ابن غنام ان رئيس قواسم الظفير هو ابن عفيصان بينما الثابت ان رئيس قواسم عمان في تلك الفترة هو صقر بن راشد .

---

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد تحقيق ناصر الدين الاسد ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(*) جدير بالذكر أن ابن عفيصان هذا هو غير ابن عفيصان (سليمان ثم ابراهيم ابنه) وهما من قادة الدولة السعودية في زحفها تجاه الخليج العربي .

كما يفيد ابن غنام ان سعود قاتل قواسم الظفير في أرض الحجرة (الحجارة) وهى منطقة على الحدود بين نجد والعراق . أما اشارة (عرب الشمال ، التى وردت عند ابن غنام فالمقصود بها شمال نجد وليس شمال عمان أو الشمال او الشمالية التى تطلق احيانا على منطقة الساحل العمانى .

ترجح وثائق بومباى [١] ان القواسم قبيلة عربية ترجع بأصولها الى عدنان وكانت تسكن نجدا قبل ان تحل منطقتها الحالية ويقول القواسم انهم يصلون بنسبهم الى الرسول (ص) . وحقيقة الأمر - كما يقول جمال زكريا قاسم [٢] أن القواسم قبيلة عربية وفدت من العراق بعد هجرتها الأولى من وسط الجزيرة العربية حيث كانوا يعرفون في نجد ببنى الغافرى كما يستدل على ذلك من كتب ومعاجم الأنساب . ويؤكد هذه الحقيقة انحياز القواسم الصريح ضد القبائل الهناوية .

علاقة القواسم بعمان حتى انفصالهم الفعلى عنها :

كان القواسم في الفترة موضع دراستنا يسيطرون على جزء كبير من مدخل الخليج ولا يعترفون بسلطة او سيادة الا لشيوخهم وحكوماتهم القبلية . امتدت السيطرة السياسية للقواسم في هذه الفترة على لنجة واجزاء كبيرة من الجزر التى تقع قربها وكانت لهم معاقلهم في قشم وكنج Kunj ولفت [٣] .

استقل الشيخ رحمة بن مطر على أثر انتهاء حكم اليعاربة في ١٧٤١ ، واعترف له الامام احمد بن سعيد بالسيادة والاستقلال في منطقته [٤]

---

(١) Wardon, F. H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٢) الاداعاءات الايرانية في الخليج العربي - أصول المشكلة وتطورها ، بحث مستخرج من المجلة المصرية للدراسات التاريخية - المجلد العشرون (القاهرة ، ١٩٧٣) ص ١٩١ .

(٣) Lorimer, J. G., op. cit. p. 630.

(٤) محمود بهجت سنان ، امارة الشارقة ص ١٦ .

والقبائل التى تدين له بالولاء وفي عام١٧٦٥م اتخذ الشيخ رحمه بن مطر من رأس الخيمة قاعدة له . وكان من نتيجة استقلاله هذا ان سلك القواسم سلوكا غير سلوك امام عمان مع البريطانيين كما دخل القواسم في سلسلة من الحروب مع الامام احمد الذي دأب بعد اعترافه باستقلالهم ، على فرض سيادته عليهم ، فلا غرو ان قام القواسم بتعقب السفن العمانية ، ولا غرو ان اشتجر أمر الفريقين واحتدم الخلاف بينهما ووجد البريطانيون المنفذ وسط هذا الخلاف فتدخلوا .

كان القواسم وحلفاؤهم يعاملون امام عمان كما تقتضى مصلحتهم الذاتية ومن ثمّ تأرجحت العلاقة في هذا الوقت بين الصفاء والجفاء الا انهم كثيرا ما دخلوا في معارك ليردوا عنهم طموح الأمام العمانى بالسيادة عليهم . فقد استقل القواسم كما اسلفنا القول عن سلطة عمان بعد فترة المعارك الأهلية بين قواسم رأس الخيمة وبعض الفئات في عمان . واستفاد القواسم من الفوضى التى أكلت قبل عمان في تلك الفترة وبدأوا يزحفون جنوبا لتوسع رقعة الأرض التى بين أيديهم فحاول الشيخ رحمة القاسمى ان يستولى على صحار [(١)] .

وفي١٧٥٨م ثبت الامام احمد بن سعيد سيطرته على عمان فاتجه الى حرب القواسم وغيرهم من قبائل العرب الذين كانوا مستقلين تماما بطبيعة الحال . واستطاع امام عمان ان يجد اعترافا من القواسم بسيادته عليهم ولكنه كان اعترافا تجنب به الفريقان شر النزال . وقد اسرع ملا على ، احد حلفاء القواسم لمناصرتهم في هذه المعركة التى لم تقع . ولم يستمر الصفاء كثيرا بين القواسم والامام فقام القواسم في ١٧٦٠م بمساعدة ملا على ايضا بالاستيلاء على سفن عمانية كانت تحمل ارزا وغيره من السلع للوكالة البريطانية في بندر عباس [(٢)] .

في عام١٧٦٢م قام أحمد بن سعيد امام عمان بارسال السيد على بن سيف

---

(١) Lorimer, J. G., G. P. C. Vol. 1 p. 632.

(٢) Ibid, p. 633.

على اربعة سفن كبيرة وعشر داوات لحصار منطقة القواسم . وأصابت الحملة بعض النجاح حين اعترفت المنطقة فيما خلا شيخ جلفار (رأس الخيمة) بقيادة الامام . ورد الشيخ صقر أمير رأس الخيمة بمساعدة عمه عبدالله بحملة استطاعت ان تهدد الرستاق مما اضطر امام عمان ان يستقبل سفارة من بعض شيوخ القواسم . وتمخضت هذه البعثة عن قناعة الامام باستقلال جلفار وتوابعها عن سلطته خاصة وان الشيخ راشد بن مطر كان قد جعل نفوذه محسوساً في كل منطقة الصير الممتدة من خور فكان حتى رأس مسندم ثم الشارقة [١] . وقوى القواسم بهذا الاعتراف السياسى من عمان بينما اتجه الائمة العمانيون الى محالفة القوى الأخرى وبخاصة البريطانيين ضد القواسم .

علاقة القواسم بالساحل الشرقي للخليج العربى وجزره :

سيطر امام عمان على تجارة الخليج بعد دحر البرتغاليين لا ينازعه على السيادة التجارية فيه الا التجمعات القبلية على ساحل الخليج . كما بدأ الفرس يتطلعون الى الخليج والاتجار فيه ولهذا تناقضت مصالح أهل الاقليم وتناحرت كما ذكرنا ، وقصّرت حروب الفرس مع الافغان باع الفرس اكثر حين شغلتهم عن الخليج وتجارته واتاح هذا للمشيخات العربية ان تقوى على البحر . كما ان افتقار الفرس المزمن لاسطول قوى عكس عجزهم في تعاملهم في البحر مع من يفترض انهم يرتبطون بالولاء لهم كعرب الهولة والمطاريش [٢] .

أما بالنسبة للعرب فقد كان دورهم في ملاحة الخليج العربى رائدا في مختلف العصور . ويتضح وجود عرب عمان ، بصفة خاصة ، في المنطقة التى تجاور بندر عباس (جمبرون) منذ ١٧٢٠م . وقد استطاع السيد راشد الذى

---

(١) Loriner, Loc. cit.

(٢) احمد طربين ، بناء الدولة ، الفصل الأول في : دولة البحرين دراسة في تحديات البيئة والاستجابة البشرية (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥) ، ص ١٥ .

يرجع لوريمر [١] كونه شيخ رأس الخيمة ان يستولى على ياسيدو في جزيرة قشم واقام له قاعدة تجارية هنالك أثرت تأثيرا كبيرا على عوائد بندر عباس ونالت منها . ولما كان البريطانيون يجنون نصف تجارة بندر عباس رأوا ان يقوموا بحملة على قشم لتدمير قوة هذا الشيخ العربى حتى لا تضار مصالحهم .

ارسل البريطانيون قوة عسكرية بقيادة درابر Drapper وكيل الشركة في بندر عباس على السفينتين المسلحتين بريطانيا وبيجال Begal وفرقاطتين . واستطاع درابر ن يدمر مركز الشيخ في الجزيرة وكان نصرا للبريطانيين اتاح لهم استرجاع ما فقدوه من ضرائب . كانت حملة درابر امتدادا لحملات القرصنة البريطانية على اهالى الخليج العربى الذى عملت فيه سفن القرصنة البريطانية تحت ظل العلم البريطانى زمنا لا فرق بين هذه الحملة والقرصنة السابقة الا ان القراصنة الأوائل من البريطانيين كانوا يعملون لحسابهم بينما عمل درابر لحساب شركة الهند البريطانية الشرقية .

ورغم المحاولات الجادة للشركة البريطانية لتقويض سلطة العرب واضعاف قبضتهم على الساحل الشرقي وجزره الا انهم كانوا الاعلين فحتى ظهور نادر شاه الانشارى الذى أصاب ثراء عريضا بما سلب من فضه وذهب وجواهر من المغول . واستطاع الشاه أن يشيد بهذا المال اسطولا كانت نواته بعض سفن اشتراها من الشركة البريطانية وجدد لهم الشاه بتلك المناسبة بعض الامتيازات [٢] ، وأكد الشاه رضاه وحمايته للشركة حين باعته سفنا اخرى [٣] وزاد الشاه في قوته البحرية بأن اشترى من سورات بضع سفن اخرى .

---

(١) G. P. C. p. 634.

(٢) (1.0) Public Diray No. 9 of 1735.

(٣) (1,0) Public Diray No. 10 of 1735 - 36.

سير الشاه اسطوله على البحرين وعمان منتهزا فرصة تعارك الأسر والقبائل العربية وتطاحنها في هاتين المنطقتين وضمها (١) . وكان معظم رجال اسطول نادر شاه عربا مما ادى الى اثارة الأمن والثأرات بين القبائل وبعضها وبدأت هذه القبائل تزيد في قوتها البحرية لتواجه قوى الفرس المتزايدة (٢) .

كان اسطول نادر شاه رغم قوته في القطع البحرية يفتقر الى الضبط والربط اللازمين للأساطيل العسكرية اذ كان ضباطه من الفرس الذين لم يعايشوا البحر وجنده من العرب الذى شق على الضباط الفرس أن يسوسوهم فثاروا على ضباطهم في عام ١٧٤٠ وقتلوا منهم نفرا وذهبوا ببعض قطع الاسطول الى خور فكان . واستطاع نادر شاه استرجاع اسطوله بمساعدة سفن الشركة الانجليزية . وقد علق وكيل الشركة في بندر عباس بأن على الشاه ان يعلم هؤلاء العرب الطاعة والا فلن يستطيع الاسطول الفارسى ان يقوم بمهامه (٣) .

آلت قيادة الاسطول الفارسى الى عربى هو الملا على خان الذى تولى أمر تنظيمه وضبطه . غير ان وفاة نادر شاه احدثت فراغا في منطقة الخليج اذ عاد الفرس يقتتلون صراعا على السيطرة وبدأ العرب الذين كانوا تحت نير الفرس ينتفضون للتخلص منهم (٤) . وانقسم اسطول نادر شاه الى قسمين وآلت جل سفنه الى ملا على شاه الذى اصاب منه اربع سفن كبيرة في حالة جيدة وعدد آخر من السفن الكبيرة أقل جوده عن سابقتها ، كما ورث عنه عددا من الترانكى والسفن الصغيرة (٥) . واستطاع ملا على أن يستولى على هرمز ودعا القبائل

---

(١) Lockhart. L. Nadir Shah Campaigns in Oman p. 166.

(٢) Abdul Amir, M. A., op. cit. p. 26.

(٣) (1.0) Public Diary No. 4 of 1740 - 41.

(٤) عبدالأمير محمد امين ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ص ٢٢ - ٢٣ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٠ .

العربية الى مناصرته . كان راشد بن مطر من المساعدين الأقوياء لملا على فقام بمساعدة رجاله من القواسم في عام ١٧٦٥م ليساعد ملا على حاكم هرمز جمبرون وميناو ضد السلطات الفارسية ، واستطاع القواسم في تلك الفترة ان يستولوا على قشم لفت ولنجه وشيناص (١) . وتصدر القواسم مسرح الاحداث في الخليج فهم أهل بحر نشطون لا تنقصهم الخبرة او الجرأة أو الشجاعة (٢) . استطاع القواسم بقيادة راشد بن مطر الذى عرف كيف يستثمر علاقاته بملا على شاه لافادة القبيلة من أن يكون أقوى شيخ في منطقة الساحل العمانى ، وصارت سفن ملا على تساعد القواسم وتظاهرهم واستطاع القواسم بهذا انتزاع قيادة المنطقة من بنى النعيم الذين كانوا يقودون منطقة الساحل العمانى ويؤثرون في سياستها قبل هذه الحوادث (٣) .

حرص ملا على شاه على ان تكون علاقاته مع القواسم قوية وان يحافظ على ودهم لأن ملا على وجد نفسه بعد وفاة نادر شاه الانشارى مكلفا بدفع الجزية لاكثر من جهة في فارس تدعى السيادة على بندر عباس ، كما وجد نفسه معرضا لتهديد ناصر خان حاكم لار الوراثى (٤) وكثير من عرب الخليج الذين قاموا في غياب القوة الضابطة بمغامرات بحرية كثيرة لعل أبلغها أثرا ما كتبت عنه سجلات شركة الهند الشرقية حين قامت قبيلة كعب في عام ١٧٤٧م بقيادة الشيخ سليمان بالتعرض للسفن القادمة للبصرة (٥) عمل ملا على ان يتوصل الى اتفاق مع الشيخ عبد الشيخ شيخ بنى معين فحالفه . واستمر التحالف قائما

---

(١) Komball, Chronological table of Events in SIR XXIV.

(٢) Wilosn, A. T. op. cit. p. 201.

(٣) Warden, F., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٤) Sykes (Sir Percy) op. cit. p. 132.

انظر كذلك : Abdul Amir, M. A., op. cit. p. 28.

(٥) مؤلف مجهول ، تاريخ امارة كعب العربية ، تحقيق وتعليق على نعمة الحلو (النجف ، ١٩٦٨) ص ٤٠ .

منذ عام ١٧٤٨ الى١٧٥١م كما تحالف ملا على مع شيخ بوشهر وبندر ريق ووثق هذا التحالف بزواج ابنته لأحد البناء شيوخ الهولة . وقد أدى فشل الملا على في بعض حملاته ان تفرق عنه عرب الهولة ورحلت جماعاتهم الى البحرين فلم يجد الا الاستعانة بالقواسم فزوّج بنتا له أخرى للشيخ رحمة بن مطر القاسمي [١] الذى عرف كيف يستغل المير على ليدفع اكثر ويبذل أكثر ليحتفظ بالتحالف قائما ، ورفع هذا كثيرا في شأن القواسم [٢] .

استطاع ناصر خان حاكم لار الوراثي ان يأسر ملا على في عام١٧٥٢م ولكنه عاد فأرجعه الى منصبه حاكما على بندر عباس بعد ان عاهده على السمع والطاعة . غير ان الملا على عصى أمر ناصر خان حين أمره الأخير بالابحار الى البحرين في حملة ضد عرب البحرين . أعلن ملا على تمرده واتخذ من هرمز قاعدة له استقل بها ولم يستطع ناصر خان ان يوقع به لانشغاله بمناطحه كريم خان [٣] .

أثر هذا التناحر والتنافر بين القوى الوطنية في الخليج العربى على الشركة البريطانية التى بدأ وضعها في المنطقة يتحسن وصارت تجارتها الى ازدهار ملحوظ على حساب القوى الأوربية الأخرى والقوى الوطنية [٤] التي كانت تتقاتل من اجل السيادة الاقليمية . كان ساحل الخليج الغربي خاليا من كل تنظيم سياسى الا ما كان من أمر وحدة القبيلة ولم تشذ عن هذه القاعدة الا عمان لوجود المذهب الاباضى ونظام الامامة [٥] . ولهذا كانت كل القبائل والوحدات تقتتل لا لشيء الا لتزيد من الرقعة التى تحت امرتها . استطاع ملا

---

(١) عبدالأمير محمد امين ، مرجع سبق ذكره ص ٢٣ .

(٢) (1.0) Public Diary No. 34 of 1760.Bombay Castle, 15 April 1760.

(٣) عبدالأمير محمد امين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤ .

(٤) Abdul Amir, op. cit. p. 132.

(٥) سليم التكريتى ، الصراع على الخليج العربي ، ص ٢٨ .

علي في مايو ١٧٥٥ م / ١١٦٨ هـ بمساعدة صهره رحمة القاسمي ان يهاجم الشيخ عبد الشيخ ، شيخ بنى معين الذى عينه كريم خان حاكما على بندر عباس وهرمز وقشم . ولم يقدر ملا على على عبد الشيخ بادىء الأمر ، اذ استطاع هذا الشيخ دحر القواسم ورد حملتهم في ١٧٦٣م . ولكن القواسم ما لبثوا ان جردوا حملة كبرى في ١٧٦٩م اغارت على المنطقة حين عرفوا خبر وفاة كريم خان . ولم يتمكن القواسم من البنى معين في هذه المرة ايضا الا ان وفاة الشيخ عبد الشيخ فت في عضد بنى معين فاستسلموا للقواسم وملا على . ودانت لهذا الحلف القاسمى منطقة كبيرة على ساحلى الخليج شرقا وغربا شملت كل المنطقة الممتدة من بندر عباس الى هرمز وقشم حتى رأس الخيمة (١) . ولم يعد للقواسم من قوى عربية منظمة تنافسهم سوى قوة امام عمان احمد بن سعيد الذى عاركهم لاحراز السيادة البحرية المطلقة (٢) . ومن هنا كان بداية التحالف العمانى البريطانى . واقتضى التناحر العمانى ان يساند ملا على حلفاءه القواسم ضد امام عمان كما اسلفنا القول ، وكان القواسم بدورهم يظاهرون ملا على لاستعادة بندر عباس . قام القواسم من قواعدهم في قشم ولفت ولنجه وشيناص بحملة على بندر عباس يشدون بها ازر قوات ملا على ولكنهم لم يفلحوا في اجلاء حامية خان لار التى كانت تسيطر على قلعة المدينة فكرّوا راجعين . وقد قدرت حشود القواسم في هذه المعركة بألف رجل يقودهم الشيخ راشد بنفسه . وقام خان لار إثر هذه الحملة بمظاهرة عسكرية بحرية على لنجة ورأس الخيمة ولكنه وجد في الميناءين مواقع محصنة تحصينا صده عن مهاجمتها ، كما وجد رجال القواسم وقد اعدوا للرد عدته فتراجع عنهم ولم يصب من هذه الحملة سوى تدمير قشم .

ثار أهل هرمز في ١٧٦٠م على ملا على وأسروه واستولوا على « فايز

---

(١) Abdul Amir, M. A., op. cit. p. 29.

(٢) عبدالأمير محمد امين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

ربانى » ، احدى سفينتيه الكبيرتين [1] ولكن الملا على ما لبث ان افلت من الأسر ولجأ الى القواسم الذين اعانوه في الهجوم على هرمز . قام تجمع القواسم بحملتين على هرمز وفشلتا . ولكن ما أن حل عام ١٧٦٥ م / ١١٧٨ هـ حتى كانت قشم ، هذه الجزيرة الرابضة عند مدخل الخليج العربى . خاضعة لملا على ولحلفائه القواسم . كما كانت هرمز في مواجهة بندر عباس تابعة لملا على ايضا وبهذا ساد النفوذ القاسمى مدخل الخليج وكان لا بد من الاحتكاك بالبريطانيين . [2]

علاقة القواسم بالبحرين حتى مطلع القرن التاسع عشر :

كانت القبيلة والتحزب والطائفية هى السمات المميزة لعرب الخليج مما أضعف من شأنهم ومكن للشركة البريطانية ان تعبث بمقدراتهم . وكان العرب يقاتلون بعضهم بعضا تقاتلا يؤججه التناقض الاقتصادى .

وفي السبعينات من القرن الثامن عشر كانت قبائل الساحل الشرقى للخليج العربى مستقلة استلالا اشبه بالناجز . وقد ارقّ هؤلاء نجاح الزبارة التجارى فساروا اليها في ١٧٧٧م بقيادة شيخ بوشهر . واستطاع عرب بنى كعب في الساحل الشرقي للخليج ان يقوموا بعمليات عدائية ضد سفن العتوب في الزبارة والكويت . وما ان حل عام ١٧٨٠ حتى كانت جميع الأطراف في الساحل الشرقى تستجمع قوتها استعدادا لمعركة ضد البحرين [3] ، وانقسم العرب فريقان : فريق الساحل الشرقى ويضم عرب بنى كعب ، وبندر ريق ، وهرمز ، والفريق الثانى بقيادة العتوب [4] . وانصاع شيخ القواسم الى الفريق

---

(١) Gambroon Diary, Feb. 18,1760.

(٢) عبدالأمير محمد امين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

(٣) امل الزياني ، البحرين في ١٧٨٣ الى ١٩٧٣ (بيروت ، ١٩٧٣) ص ٤٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٤ .

الأول بعد ان فشل شيخهم في التوسط بين العتوب وقبائل الساحل الشرقى . وقد دفع الشيخ القاسمى الى عداء العتوب ان بعض نفر من أفراد هذه القبيلة استولوا في غمرة الاحداث على قارب من قواربه ، واعدموا له ثمانية عشر رجلا من رجاله (١) ، فدفعه ذلك للحرب دفعا . ولم يشترك امام عمان في هذه الحوادث رغم انه قد ارسل في ١٧٩٩ مع مطلع الأحداث سفينة في زيارة ودية الى الزبارة .

قام محمد بن نصر بن مدكور بقيادة حملة كان جل أفرادها من عرب الساحل الشرقي يقدر عددهم بألفى رجل بشن هجوم على الزبارة لم تنزل هذه الحملة على الزبارة مباشرة انما احاطت بها وحاصرتها حينا من الدهر ثم نزلت بعد ذلك الى البر وكمن العتوب لعرب بوشهر وانتصروا انتصاراً شحذ هممهم لمواصلة المعركة لفتح البحرين ، قام أحمد آل خليفة بمساندة بعض القبائل البحرية التى تقطن قطر كقبائل المسلم من حويله ، وآل بو على والسودان من الدوحة ، والمنانعة من أبو ظلوف ، والنعيم النازلين بشبه جزيرة قطر ، بهجوم على البحرين ، وتمكن هذا التجمع القبلى من اجتياح قلعتى المنامة والمحرق اللتين سلمتا في ١٨ يوليو ١٧٨٣ م / ١١٩٧ هـ (٢) .

ولما استقر لأمر الآل خليفة في البحرين احجموا عن المعارك البحرية ومناهضة السفن الوطنية والأجنبية وذلك لما للجزيرة من ثراء نسبى في الزراعة وكثرة خيرات اللؤلؤ على سواحلها واعتدال مناخها بالنسبة لما جاورها . واكتفى شيوخ الجزيرة بما عندهم ولم يدخلوا الجزيرة في صراع مع الآخرين ولذلك لا نجد لهم في هذه الفترة وحتى مطلع القرن التاسع عشر مشاكل مع القواسم الذين كانوا يحاولون فرض سيطرتهم على البحر . الا ان الامام سلطان بن احمد هاجم

---

(١) Lorimer, J. C., G. P. G. Vol. 1, p. 633.

(٢) امل الزيانى ، مرجع سبق ذكره ص ٤٤ .

الجزيرة واستولى عليها . وصارت علاقة القواسم بالجزيرة مرتبطة بعلاقتهم بأمام عمان حسنا وسوءا حتى خرجت الجزيرة من يده حين اتصل آل خليفة بالسعوديين الذين أشاروا لقائدهم ابن عفيصان بمساعدة آل خليفة لتخليص البحرين لهم .

البريطانيون يبدأون بالساحل الشرقي وجزره :

كانت هذه الحركات والاضطرابات بفعل القوى الوطنية في منطقة الخليج في فترة لم يستقر فيها في الشرق مفهوم السيادة القومية فكانت كل قوة تحاول ان تمد سيادتها على القوى الأخرى .

ودخل البريطانيون حلبة الصراع حين وقعوا في ١٢ ابريل ١٧٦٣ م / ١١٧٦ هـ اتفاقا مع الشيخ سعدون شيخ بوشهر تمكنت الشركة بمقتضاه من أن تقيم لها محطة تجارية بذلك الميناء وقد وثق كريم خان ، حاكم فارس الجديد ، هذا الاتفاق وارتضاه وأكـده بأن سمح للشركة باقامة وكالة تجارية ومنازل في بوشهر او أى منطقة اخرى تقع تحت السيادة الفارسية . كما اعفى كريم خان تجارة الشركة من الضرائب والرسوم والمكوس وخفض في قيمة الضرائب المحلية التى يجبيها الحكام المحليون من الرعايا الاتراك الذين يتجرون في السلع الانجليزية . وأعطى هذا الاتفاق للشركة البريطانية حق استيراد المنسوجات الصوفية الى بلاد فارس . وزاد كريم خان بأن وعد الشركة باستخلاص ديونها المحلية ، وحماية سفنها التى تتحطم على السواحل الفارسية ، كما وضع موظفى الشركة الذين يعملون في فارس تحت ظل القوانين البريطانية فيما يخص القضايا المدنية والجنائية ، واكتفى من الشركة بأن لا تساعد او تأوى اعداءه [1] .

---

(١) عندما انتهت الأسرة الصفوية في ١٧٢٢ انتهت معها امتيازات الأوربيين التي سبق ان حصلوا عليها . لم تتمكن القوى التجارية الأوربية من هولندية وبريطانية وفرنسية من التعامل مع نادر شاه بالاسلوب التي كانت تريده . ولذلك وبالرغم من ثراء نادر شاه بدأت التجارة الأوربية =

فتحت هذه الاتفاقية الباب على مصرعيه للتدخل البريطانى في الخليج . بدأ هؤلاء يتدخلون في مشاكل الوطنيين بطريقة سافرة خاصة وانهم لم يستطيعوا ان يوقعوا هذه الاتفاقية الا بعد لأى حين استثاروا الشيخ ناصر باتفاق ود Wood مندوب الشركة مع المير حسين حاكم بندر ريق فانساق الشيخ سعدون لتوقيع هذا الاتفاق خوفا من ان تنصرف التجارة الى بندر ريق .

استطاع ود ان يذهب الى بندر ريق حين لم تجد مفاوضاته مع الشيخ سعدون اولا لانه طلب مبلغا تدفعه التجارة الانجليزية كرسوم جمارك . وفي بندر ريق قابل ود المير حسين الذى اعطاه كل ما سأل من امتيازات حتى يزدهر الميناء وبدأ ود يستقر في بندر ريق ولكن سرعان ما شبت المشاكل بين أفراد البيت الحاكم وقتل المير مهنا اخاه حسينا وكثيرا من اصدقاء ود . وخلع المير مهنا والشيخ على مرسوم العلم الانجليزي من على ساريته وهرب ود الى البصرة لاجئا استحق اللوم من الشركة رسميا التى عبرت له في خطاب لها بأنه لو خاطر بالبقاء في بندر ريق لأمكن إنقاذ المير حسين من ذلك المصير ، كما أمر ود بأن لا يفارق مركزه مرة اخرى الا باذن مسبق من جمبرون (١) .

كان المير مهنا يقف عدوا لدودا للانجليز واصدقائهم في المنطقة من أمثال

= تدهور بعد مقتل نادر شاه ومجئ ابنه شاه رخ الذي كان يحكم من خراسان في الشمال ، تمزقت فارس بالصراعات . حكم كريم خان الزندى (١٧٥٠/١٧٧٩م) في شيراز في الجنوب وحكمت القبائل القاجارية أقليم مازندران Mazandaran ومدت نفوذها الى الشمال الغربي . وزاد من سؤ الأمر مهاجمة السفن الفرنسية في ١٧٥٩ للوكالة البريطانية في بندر عباس التي خدمت تجارة الشركة البريطانية لاكثر من قرن وثلث . جاء هذا الاتفاق لانشاء وكالة بوشهر التي صارت بؤرة النشاط السياسي والتجاري البريطاني في المنطقة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، انظر :

Hurewitz J. C., The Middle East in African world Politics P.P. 84 - 86.
Lockhart, Nadir Shah. P P. 282 - 290.
Aitchison, C. U., op. cit. P P. 8 - 12.

(١) (1.0) Saldanha, From Alexander to Doglas Wood 24 July 1756.

أمام عمان الذى استطاع المير قطع تجارته الى البصرة في فترات متلاحقة . وبلغت جرأته ان استطاع في ١ يناير ١٧٦٦ م / ١١٧٩ هـ من ان يستولى على السفينة الحربية للامام . وقام المير مهنا في ١٧٦٧م بالاستيلاء على اسطول صور بحجة انه لم يسدد العوائد الجمركية (١).

جهد الانجليز للقضاء على المير مهنا لئلا يقوى أمره فأرسلوا له في الفترة ١٧٦٥/١٧٦٧م قطعات قوية لمساندة الاسطول الفارسى المهاجم للجزيرة ، ورد المير المهاجمين على اعقابهم ولم تخضع الجزيرة الا حين ثار اهلها على أميرهم المير مهنا الذى لم يجد مناصا من الفرار . وهرب المير مهنا الى البصرة حيث لاقى حتفة قتيلا (٢) .

استطاعت الشركة بموجب الاتفاقية التى أبرمتها مع الشيخ سعدون واكدها كريم خان ان تجد ارضا قانونية ثابتة تقف عليها لرد غائلة العرب الذين تسببوا لها في خسائر مادية اغمضت العين عليها قسرا . اورثت هجمات القواسم في عام ١٧٥٩م على بندر عباس الشركة خسائر جسيمة لم تعوض عنها . كما أثرت الاضطرابات البحرية بقيادة القواسم وبنى معين على تجارة الشركة في الخليج العربى تأثيرا جسيما (٣) . واشتهرت الفترة ١٧٦٨/١٧٦٩م بأنها فترة اضطراب بحرى وقعت فيها (ركبه) أهل عمان وأهل البحر قاطبة (٤) . وقد وجدت الشركة كذلك انه من الضرورى ان تستعمل قوتها لتهدئة الخليج العربى الثائر خاصة وان الأمر في الهند قد بدأ في هذه الفترة يصفو لهم حين رجحت كفته لصالحها . وازدهرت التجارة وانعكس هذا النشاط والازدهار في مواصلات الشركة على الخليج التى بدأت تتكاثر وانتظمت مواعيد

---

(١) Lorimor, J. G., op. cit. p. 633.

(٢) المؤلف مجهول ، تاريخ امارة كعب ، تحقيق نعمة الحلو - ص ٤٠ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

وصولها . ثم ان الشركة كسبت فوق كل هذا صداقة كريم خان وأمنت جانب الأتراك الذين بدأ موقفهم في الخليج يضعف .

بدء التعاون البريطانى الفارسى ضد المصالح العربية :

طلب كريم خان من ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية ان تضع في مياه الخليج سفينتين من سفنها وتعهد ان يدفع جُعلا معلوما لصيانتهما سنويا . وافقت حكومة الهند مبدئيا على الأمر فأرسلت الى مقيمها في بوشهر تطلب اليه ان تضع سفينة واحدة تحت امرة كريم خان « ان كان هذا يخدم اغراض الشركة » [1] ، وقد فعل . وكانت خطوة هامة في طريق فرض سيادتهم على مياه الخليج اعقبتها خطوات اخرى بتعاون الشركة عسكريا مع كريم خان في حملاته ضد القبائل التي تقطن الساحل الشرقى للخليج العربى ووضعها تحت ادارة حازمه [2] . وبهذا صار الانجليز طرفا واضحا في مجرى الصراع على السيادة في الخليج بعد ان كانوا يوجهونه من طرف خفى ، وصار هناك أساس ثابت للتعاون الفارسى البريطانى ضد المصالح العربية . وقد ادرك القواسم والعمانيون ذلك والتقى الطرفان يوحدان جهودهما لابقاء مياه الخليج تحت سيادتهما الوطنية وتناسيا خلافاتهما حينا .

بدأ واضحا ان سياسة كريم خان تهدد استقلال الساحل الغربى من الخليج العربى بعد ان خنقت بمساعدة الاوربيين القوى العربية الساحل الشرقى . قام الاسطول العمانى في ١٧٧٣م بتدمير سفينتين لبندر عباس وانسحبت السفن المسقطية تحتمى برأس الخيمة . غير ان هذا الصفاء بين الطرفين لم يستمر كثيرا وسرعان ما نشب بينهم القتال في ١٧٧٥ م . واعتمد شيخ رأس الخيمة على مصادره وطارد السفن العمانية ، كما هاجم شيخ رأس الخيمة

(١) Saldanha, Public Diary No. 1753, Pombay Castle, 15 April 1770

(٢) Kelly, J. B., op. cit. p. 52.

بعض سفن بوشهر واستولى عليها برغم انها تحمل شحنات خاصة برعايا الامام (١) .

القواسم ينازلون البريطانيين :

تنازل الشيخ رائد لابنه صقر بن راشد في ١٧٧٧ م / ١١٩١ هـ عن شياخة القواسم بعد ان قاد الاب جولة القواسم الأولى في الخليج العربى ضد القوى المختلفة التى تبغى السيطرة عليه ، غير ان افتقار هذا الشيخ الى فكرة تتبلور حولها اهدافه اقعده عن بلوغ مرماه . ولم يكن الشيخ الا زعيم قبلى قاوم الشيوخ الآخرون ادعاءاته في السيادة وصدوه . الا ان علاقات القواسم بالقوة التى عددناها تحالفا وقتالا أفادتهم في غنم اصابوه وتدريب على الحياة القتالية فوق البحر ، وقد شدّ كل هذا من ازرهم حين لاقوا البريطانيين ونازلوهم . صار الحكم في القواسم الى صقر ، وحافظ هذا على استقلال القواسم حيث ورث عن أبيه وضعا صعبا للغاية خاصة مع امام عمان الذى لم يكن يفتقر الى القوة ولا الى الايديولوجية واستمرت العلاقات بين القوتين العربيتين يشوبها التوتر الذى بلغ ذروته في عام ١٧٨٠ م / ١١٩٥ هـ .

حكم صقر من رأس الخيمة وامتدت رقعته في أرض القواسم من رأس الخيمة حتى دبى وشملت الشارقة وجزيرة الحمرة وام القوين وعجمان . وزاد الشيخ من قوته حين صالح البنى معين وأصهر اليهم بزواجه من بنت الشيخ عبدالله شيخ قشم . وانتهت خلافاته مع تلك القبيلة وكسب ودهم واطمأن الى مساعدتهم وتفرغ بعد هذا للانكليز وحلفائهم . قام الشيخ صقر بن راشد مع اتباعه في نهاية عام١٧٧٨ م بالاستيلاء على سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية كانت في طريقها من بومباي الى البصرة وقادوا السفينة الى رأس الخيمة وطلبوا فدية لها تقدر بأربعة آلاف روبيه (٢) ، ولما لم يجاب طلبهم استرقوا البحارة

---

(١) Lorimer, J. C., op. cit. p. 633.

(٢) Howley, D., Trucial States, p. 94.

والمسافرين . ولربما قصد القواسم بهذا الأجراء ان يستخلصوا من الشركة البريطانية بعض رسوم المرور أو لربما قصدوا به تعويض بعض خسائرهم التى نجمت عن هيمنة الشركة على تجارة الخليج ومساراتها الى العالم الخارجى ، تلك الهيمنة التى اوقفت تجارة القواسم وعطلت سفنهم . ويمكننا كذلك اعتبار تلك الحادثة رد فعل لتعاون البريطانيين مع الفرس ضد المصالح العربية في المنطقة .

ولا يمكن بحال ان تسمى هذا الاجراء قرصنة بحرية كما وصفته مصادر الهند البريطانية لأنه جزء من حرب استنزاف اقتصادى شنتها قبيلة ذات أفرع وبطون شديدة الشبه بالدولة في بنيانها ، بل هى الدولة نفسها في اعتبار القواسم وحلفائهم .

وقد شهد عام ١٧٩٧م هجومين قامت بهما قوارب القواسم ضد السفن البريطانية . ففى ١٠ مايو ١٧٩٧ م / ١٢١١ هـ هاجم رجال القواسم السفينة باسين Bassein التى كانت ترفع العلم البريطانى واستولوا عليها عند الرمس واقتادوها الى رأس الخيمة حيث احتجزها القواسم ليومين ثم تركوها حين أمرهم شيخهم بذلك [١] . ولم يشأ البريطانيون في هذه الآونة ـ ان يدخلوا في معارك ضد القواسم . وعاد القواسم في اكتوبر من العام ذاته لمعاداة البريطانيين . كان اسطول القواسم بقيادة صالح ابن أخى شيخ القواسم راسيا عند بوشهر بغرض قطع الطريق على سفن صور حين تؤوب من البصرة قاصدة ديارها . وتسلم الاسطول القاسمى ، بناء على طلب مقدم الى ممثل حكومة الهند في بوشهر ، كمية من البارود وطلقات المدافع من سفينة الشركة البريطانية فايبر Viper المسلحة بأربعة عشر مدفعا . وما ان آلت الذخيرة البريطانية الى اسطول الشيخ صالح حتى انقلب على السفينة فايبر بينما كان بحارتها يتناولون افطارهم .

---

(١) Warden, F., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

وأفلتت فايبر من الاسر بعد صراع عنيف مع القواسم هلك في أثنائه قائدها الملازم كوثر Couther واثنان وثلاثين من بحارتها الخمسة والستين . وسعت الشركة الى شيخ القواسم تسأله فتملص من الحادث وأنكره ، وأكد انه يكن لهم احتراما عظيما . والقى الشيخ مسئولية الحادث على الشيخ صالح الذى سار الى ذلك الساحل دون علمه وأضاف ان الشيخ صالح أقام بين عرب بنى خالد وهم اولو عنف وضراوة ، وان الشيخ صالح تزوج منهم وانفلت من القبضة القاسمية . وعاد الشيخ القاسمى وادعى ان فايبر هى التي بدأت باطلاق النار [١] واستحقت بذلك الهجوم عليها . وذكر الشيخ للمقيم البريطانى ان اتباعه من القواسم لا يهاجمون الا السن العمانية فقط ، ولا يمسون سواها بسوء أبدا .

وهنا لا يفوت الباحث ان يلاحظ ان سفن الشركة كانت تشجع القتال العربى في البحر حين تريد قوة عربية ان تهاجم قوة عربية اخرى ، فأمدت رجال القواسم بالذخيرة والعتاد بغرض تعميق الخلاف بين القبائل حتى تضعفها ثم تنقضّ لتجهز على سيادتها الوطنية على البحر بعد ان تكون قد انهكت قواها وهدتها . وتظهر بريطانيا بعد هذا كله على انها القوة المتمدنة التى تريد اقرار السلام في المنطقة ومنع المشاحنات البحرية وكبح القرصنة [٢] .

كانت بريطانيا تعلن دوما ان سياستها تقوم على عدم التدخل في الشئون الداخلية لأهل الخليج ، وان غاية مراميها هنالك حفظ الأمن والعمل على سيادة القانون . ولكن الأمر الواقع كان غير ذلك اذ تدخلت بريطانيا في المنطقة كما سنرى تدخلا بلغ نخاع هذه المنطقة وعمل على زعزعة النسيج الديناميكى للخليج بأسره [٣] . ان ما أعلنه البريطانيون مرارا من عدم التدخل

---

(١) Warden, F. H. S. J. in S. R. I. XXIV.
كذلك Lorimer, J. G., op. cit. p. 634.

(٢) سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي ، الكتاب الثاني ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣) Landen, R. G., op. cit. p. 56.

في مسائل الخليج الداخلية كان مقدمة لمدرسة دبلوماسية تستعمل حتى الآن اسلوب « عدم التدخل في المسائل الداخلية » [٢] لتصل به الى تحقيق مآربها .

جاهد القواسم لإقرار سيادتهم على سواحل الخليج في وقت لم تستقر فيه الأحوال الدولية بعد . ووقف دون السيادة لهم فيه عقبات لعل أهمها تناحر القبائل الأخرى وتنافسها لمد سيادتها وتجارتها ، وتدخل الفرس بمساعدة بعض القبائل التى تقطن الساحل الشرقى للخليج العربى في الظفر ببعض جزر الخليج ومد سيادتهم على الساحل الغربى احيانا . كما أفسدت دولة عمان طموح القواسم حين نازلتهم . واستطاع البريطانيون ان ينفذوا من خلال هذه المتناقضات التى شجعوها حينا من الزمن . غير ان هذه المتناقضات بدأت تسهل للقواسم حين ارتضوا اتباع الدعوة السلفية وركنوا الى دولة آل سعود وقوي بها عضدهم . ورأى البريطانيون بعد هذا أن لا مناص من التدخل العسكرى السافر حتى لا تقوم دولة كبرى على الخليج تخضع قبائله المتناحرة ، وتقيم فيه السلم وترعاه وتصير من ثمّ تجارتهم مطالبة برسوم مرور من قبل دولة ذات سيادة ومنعة .

صمم البريطانيون على ضرب القواسم دون ان يحتكوا احتكاكا مباشرا بالسعوديين الذين ادرك البريطانيون ان مهادنتهم ومداهنتهم اجدى لهم من الاحتكاك المباشر بهم [٣] . فالسعوديون يسيطرون على داخلية الجزيرة العربية التى يصعب على البريطانيين السيطرة عليها في ذلك الزمن . وخشى البريطانيون على بريدهم الصحراوى من ان يتعطل ولذلك تقربوا بالعطايا والهبات ولم يحدث بين القوتين السعودية والبريطانية حتى هذا التاريخ عراك مباشر الا مرة واحدة حين هاجم السعوديون الكويت واسهم حرس الوكالة البريطانية في رد

---

(١) Skeet, I., op. cit. p. 45.

(٢) Brydges, (Sir Harford), A Brief History of the Whabee, Vol. II

الهجوم . وأسرع ما نستى في ١٧٩٩ م / ١٢١٤ هـ بعد هذا الحادث مباشرة بشجب ما كان ويعتذر عنه ويتقرب الى حكام الدرعية بالهدايا والاعطيات . وبهذا بدأ أول اتصال مباشر بين البريطانيين والسعوديين في الخليج وسنتتبع في الفصول التالية تطور هذه العلاقة فيما يخص منطقة الساحل العمانى .[١]

(١) Brydges, (Sir Herford), An Account of His Majesty's Mission to the Court of Persia P P. 12 - 16.

الفصل الرابع

التعهد القاسمي في ١٨٠٦م ونتائجه

التعهد القاسمي في ١٨٠٦م ونتائجه

(التمهيد ـ بدء الاتصال السعودى بالخليج ـ السعوديون والساحل العمانى ـ قرصنة ام جهاد ؟ ـ القواسم يجاهدون الكفار ـ حملة عام١٨٠٥م ـ مفاوضات مسقط ـ الاتفاق وشروطه ـ نتائج الاتفاق ـ ذيول اتفاق ١٨٠٦م) .

التمهيد :

يقول كلى (١) أن هناك قوتين ليس لهما أدنى صلة بالخليج شاء الحظ لهما ان يلعبا دورا بارزا في احداثه في غضون القرن التاسع عشر ـ هاتان القوتان ، في تعريف كلى ، هما « الوهابية » التى استطاعت في وقت ما من ذلك القرن ان تستحوذ على ممتلكات على ساحل الخليج ، وحكومة الهند التى لم يكن لها بالخليج ارض ولكنها مارست في الخليج نفوذا لا يضاهى .

وحين نقر ما ذهب اليه هذا المؤرخ فيما يخص حكومة الهند لا نفهم ما يرمى اليه حين جعل « الوهابية » بعيدة الصلة بالخليج العربى الذى هو حدود الجزيرة العربية مهد الدعوة السلفية ، وسواحل الخليج أقرب الى الدرعية من سواحل البحر الأحمر ، والوصول اليها سهل ميسور . كما تتوفر على سواحل الخليج العربى المياه الباطنية مما أعطى مجالا لممارسة الانتاج الزراعى والاستقرار البشرى (٢) الأمر الذى يجعل أتجاه الدعوة اليها أمر لازم . ثم ان منطقة الخليج

(١) Britain and The Persian Gulf p. 45.

(٢) يوسف محمد السميط ، الخليج العربي ، دراسات في اصول السكان (القاهرة ، ١٩٧٠) ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

العربى ، بعد ، هى اكثر انفتاحا في ذلك الزمن على العالم الخارجى بفضل التجارة التى شارك فيها أهل المنطقة حتى غلبهم البريطانيون على أمرهم . كما كان آل سعوديقولون بأصل احسائى .ويذهب بعض المؤرخين ان السعوديين استوطنوا الاحساء اولا حيث كانت لهم درعية هنالك فلما استقروا في المنطقة الجديدة سموا ديارهم الجديدة باسمها (١) . يضاف الى هذا كله ان امراء الاحساء ارادوا خنق دعوة التوحيد في مهدها وارسل سليمان بن محمد الخالدى (١٧٣٦ -١٧٦٢ م) الى عثمان بن معمر التميمى (٢) شيخ العيينة يطالبه بطرد ابن عبد الوهاب « الذى أفسد قوانين كلية واخل بقواعد اصلية في حكومات نجد » . وهدد سليمان عثمان بأنه سيقطع عنه نتاج جنته ذات النخيل التى يصل ثمن انتاجها ما يزيد على ٦٠٠٬٠٢٠ ريال في السنة (٣) . وقد قام امراء الاحساء بغزو نجد مرارا وقصفوا الدرعية بالمدافع وحاولوا دحرها . ولما استشعر آل سعود قوتهم كان أمرا طبيعيا ان يدركوا ثأرهم لما لحق بهم على أيدى امراء الاحساء (٤) .

دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب المسلمين ليرجعوا الى ما كان عليه السلف الصالح وترك ما كانوا عليه من زيارة القبور والتبرك بها والتوسل بالموتى لقضاء

---

(١) «الدرعية» نسبة الى الدروع وهم بطن من بنى حنيفة اما نسبة لها ابتداء أما منقولة عن قرية في الخط أسمها الدرعية قد بادت وكان يسكنها قوم من الدروع فنسبت اليهم فلما استوباؤها وأنهكتهم حماها جاءوا الى بنى عمهم في وادى حنيفة (حجر) و (الجزعة) وما فوق الرياض . وكان يرأسهم رئيس يقال له (ابن درع) وكان يرأس الوافدين (مانع المريدى) جد الاسرة السعودية .... » راجع : عبدالله بن محمد بن خميس ، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية.، معجم اليمامة ، الجزء الاول (الرياض ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م) ص ٤١٦ .

(٢) عثمان بن حمد بن عبدالله بن محمد بن حمد بن معمر من بنى سعد من تميم ، تولى في بلد العيينة بعد ان قتل أخوه محمد بن حمد الملقب خرفاش سنة ١١٤٢ هـ ، انظر هامش ابن بشر ص ٢٢ جـ ١ بتحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .

(٣) Abu Hakima op. cit. p. 39.

(٤) عبدالكريم غرايبة ، قيام الدولة السعودية العربية (القاهرة ، ١٩٧٤) ص ٧٠ .

الحوائج وكشف الكروب . كما نهى عن زيارة الشيوخ واعطائهم النذور. وحارب الشيخ البدع والخرافات التى سادت مجتمع الجزيرة العربية في اليمن وحضرموت وحلب ودمشق والعراق والقطيف والبحرين والاحساء [1] وغيرها من البلاد الاسلامية . وشكلت المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة عموما ميدانا مثاليا لنشر الدعوة السلفية حيث يشكل أهل السنة أقلية ضئيلة من سكان تلك الأصقاع التى تنتشر فيها مذاهب الشيعة والخوارج . وشيء آخر هو ان اتصال سكان المنطقة بالسواحل الفارسية وسواحل افريقيا الشرقية قد هدد التوازن المذهبى والعرقى فيها . واستعان أئمة عمان مرارا بالجنود الفرس مما خلق للفرس نفوذا في هذه المنطقة . كما ادرك آل سعود ان غزو هذه المناطق لنشر الدعوة السلفية لن يجلب لهم متاعب مع العثمانيين والعالم الاسلامى السنى بصفة عامة بل انهم بغزوهم لتلك الجهات سيقابلون بترحيب العالم الاسلامى السنى ولم يستطع حتى المؤرخون المعادون للسعوديين الا ان يشيدوا بذلك العمل السعودى [2] .

بدء الاتصال السعودي بالخليج :

حدث أول لقاء بين الخليج والسعوديين حين قام عريعر بن دجين في عام ١١٧٢ هـ (١٧٥٨ م) على رأس قبائل بنى خالد وتحالف مع بعض امراء اجزاء نجد المختلفة في الرياض واليمامة والوشم وسدير ومنيخ بغرض القضاء على السعوديين واستئصال شأفتهم في الدرعية . وفشل هذا التحالف حين انسحب منه البعض وأعلنوا خضوعهم للدرعية وأقروا دفع غرامة لها تكفيرا لما كان منهم [3] . ومات عريعر دون ان يحقق هزيمة الدرعية ، وانتشرت بموته

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد (مكة المكرمة ، ١٩٣٠م) جـ ١ ص ٢٢ .
(٢) عبدالكريم غرايبة ، مرجع سبق ذكره ص ٦٩ ـ ٧٠ .
(٣) عثمان بن بشر ، مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ٤٢ .

حروب اهلية بين ثلاثة من أبنائه هم دجين وبطين وسعدون . وظفر سعدون بالسلطة على عشيرته بعد ان قتل أخويه . ولم يستطع سعدون من غزو آل سعود بقبيلته التى مزقتها الحروب (١) .

انقلب الوضع منذ ١١٩٨ هـ ١٧٨٤ م حين قامت جحافل السعوديين لغزو الاحساء حيث سار في تلك السنة سعود بالمسلمين قاصدا الاحساء فصبح أهل العيون وهجم عليهم (٢) . وقفل راجعا الى نجد . وتهدأ العمليات الحربية للسعوديين على الاحساء حتى عام ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م حيث ارسلت الدرعية سليمان بن عفيصان بأهل الخرج وغيرهم الى الاحساء (٣) وأصابت عملياته نجاحا . واستمرت العمليات العسكرية السعودية لنشر الدعوة في مناطق الخليج العربى في ١٢٠٣ هـ حيث سار سعود الى بنى خالد ثم قصد الاحساء ونازل أهل المبرز كما نازل قرية الفضول شرقى الاحساء (٤) وكانت وقعة غرميل في ١٢٠٤ هـ من المعارك الحاسمة في تاريخ الاحساء حيث حازأصحاب سعود في تلك المعركة غنائم كثيرة وفتحا مبينا (٥) .

لعلنا نستطيع أن نفسر الجهود السعودية المضنية في تلك المنطقة بعوامل ثلاثة (٦) . كان الخلاف المذهبي هو أهم تلك العوامل التى اججت الصراع . فقد عشعشت في ذلك الاقليم قبل قيام الدولة السعودية الكثير من المذاهب

---

(١) حسين بن غنام ، روضة الافهام لمرتاد حال الامام وتعدد غزوات ذوى الاسلام المسمى بتاريخ نجد ـ تحقيق ناصر الدين الاسد (القاهرة ، ١٩٦١) ص ١٥٠ ـ ١٥٤ .

(٢) عثمان بن بشر ، مرجع سبق ذكره ص ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٥ .

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٦) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ ـ ١٨١٨م ١١٥٨ ـ ١٢٢٣ هـ ط ٢ (القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

والمبادىء التى لا تتفق مع مبادىء الدعوة السلفية السنية التى كان آل سعود حملة راياتها . أما العامل الثانى فهو ما كان من هروب بعض القبائل النجدية الى الاحساء والعمل من هنالك مع امراء الاحساء ضد الدرعية . وكان لزاما على الدرعية ملاحقة هؤلاء الفارين ومعاقبتهم . أما العامل الثالث فهو العامل الاقتصادى حيث تكثر في الاحساء الواحات الخصبة ، كما تشرف الاحساء على سواحل الخليج العربى حيث الحركة التجارية والمصائد البحرية التى كانت تشكل مصدر رزق وفير وقتها .

سار سعود بجيوشه في ١٢٠٦ هـ الى القطيف وحاصر أهل سيهات واخذها عنوة كما اخذ عنك [١] . وأصابت انتصارات سعود في ١٢٠٧ هـ في الاحساء أصداء واسعة حتى اتته المكاتبات من أهل الاحساء يدعونه اليهم لمبايعته . وتمكن سعود من فرض مبادىء التوحيد حين هدم القباب التى بنيت على القبور وازال مظاهر الشرك ورتب المساجد وأقام العلماء . وما لبث أهل الاحساء ان نقضوا العهد بعد ان فارقهم سعود [٢] . غير ان سعود استطاع في ١٢٠٨هـأن يؤدب العصاة وذلك حين نزل بجنوده على الاحساء ثم استولى على قرية الشقيق وسار الى المبرز ثم الى الجبيل وعين براك بن عبد المحسن اميرا من قبله [٣] ورجع الى الدرعية . اخلص براك أولا للدعوة السلفية وطارد المتمردين على الدرعية ولكنه ـ فيما يبدو ـ عاد الى النكوص بعهده [٤] .

تمرد بعض أهل الاحساء على النفوذ السعودى في ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م فرماهم الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود بقائده ابراهيم بن عفيصان فثبت

---

(١) عثمان بن بشر ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .
(٤) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩١ .

لهم وهزمهم [1] . وبرغم ماكان بعد ذلك من استعانة بعض المتمردين بسليمان باشا والى بغداد على الدرعية الا ان دعائم الدولة السعودية اصبحت في الاحساء ثابتة الاركان [2] . وعين الامام عبد العزيز القائد ابراهيم بن عفيصان الذى وصفه بانه ولده « وهو العمدة في الدين لا يكون بعد سعود أحد أحب الى منه » اميرا على الاحساء وجعل أمير القطيف من توابعه وأمره أن يفعل « كل ما يراه صلاحاً للدين ومقوما لأمور المسلمين » [3] .

الامتداد السعودي الى قطر والبحرين :

لما بلغ القائد ابن عفيصان مقره في الاحساء واستقرت له الأمور فيها رأى أن ينقل الدعوة السلفية الى عتوب الزبارة في قطر فكتب الى الامام عبد العزيز يسأله ذلك فوافقه الامام [4] . ارسل ابن عفيصان بعض رجاله لمحاصرة الزبارة ومنع المترددين عليها عن طريق البر من حطابة وسقاة ، والزبارة بغير تردد هؤلاء « يضيق بها المعاش لانه لا ماء فيها ولا حطب يحصل بقربها فماؤها وحطبها على فرسخ ونصف فرسخ وعند اكثرهم مواش من ابل وغنم وبقر لا مرعى لها الا البرية » [5] .

شدد ابن عفيصان الحصار على الزبارة وتمكن من فريحة والحويلة واليوسفية والرويضة من نواحى قطر ، وظلت الزبارة صامدة . غير ان العتوب

---

(٢) عثمان بن بشر ، مرجع سبق ذكره ص ١٠٥ .
(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩١ - ٩٢ .
(٣) مؤلف مجهول ، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آالشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، بدون ، ص ٧٥ .
(٤) حسين بن غنام ، مرجع سبق ذكره ص ١٨٠ .
(٥) لمع الشهاب ص ٧٩ .

« لما شاهدوا محاصرة ابراهيم بن عفيصان لهم ، وانه لا يندفع الا بقوة تامة وهم ليسوا بالمقاتلين له خارج السور ، اتفق رأيهم بالحمل من الزبارة بالكلية ورحلوا الى البحرين » [1] .

نقل سليمان آل خليفة كل اسرته من الزبارة الى البحرين في ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م ولم يستقر المقام بتلك الأسرة في البحرين طويلا حتى تمكن سلطان ابن احمد حاكم مسقط من غزو البحرين في ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م وعين اخاه سعيدا حاكما عليها من قبله ، وأخذ معه الشيخ محمد أخا الشيخ سليمان الى مسقط رهينة يتقى بها ثورة آل خليفة . واضطر آل خليفة الى النزوح للزبارة مرة أخرى حيث عادوا اليها هذه المرة بأمان من آل سعود . ولما بلغ آل خليفة خبر وفاة الشيخ محمد ، الرهينة في مسقط ، طلبوا مساعدة الدرعية لاسترداد البحرين . وانجز القائد السعودى ابراهيم بن عفيصان المهمة في ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٨ م ودخلت البحرين في طاعة آل سعود [2] . وثار آل خليفة على سلطة الدرعية وتمكن ابراهيم بن عفيصان من اكثرهم وسيقوا الى الدرعية ليقضى في أمرهم [3] .

أدت مقاومة آل خليفة المستمرة الى استرجاع البحرين الى نفوذهم مرة أخرى واستعان القائد السعودى برحمة بن جابر الجلاهمة . وهُزم رحمة في معركة خكيكرة في ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م [4] . وجرت مفاوضات بين آل خليفة والسعوديين لم تثمر عن شيء . ولهذا تطلع السعوديون الى القواسم حتى يعززوا قوة نجد البرية الضاربة بأخرى بحرية لا تقل عنها شجاعة وبأسا .

---

(١) لمع الشهاب ـ ص ٧٩ .

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، مرجع سبق ذكره ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) عثمان بن بشر ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٣١ .

(٤) محمد خليفة بن محمد بن موسى النبهان ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ط ٢ (القاهرة ، ١٣٤٢ هـ) ص ١٣٦ .

السعوديون وعمان :

ترجع العمليات السعودية في عمان الى اواسط القرن الثامن عشر الميلادى وشغلت ما تبقى من القرن حتى نهايته [١] . كانت حالة عمان السياسية في هذه الفترة مضطربة بسبب النزاع الذى شجر بين عرب الشمال وعرب الجنوب من عدنانية ويمانية او من غافرية وهناوية . اختلف هذان القسمان الكبيران على امامة سيف بن سلطان في ١٧٣٥م عقب انتهاء حكم اليعاربه .

أبى الكثيرون مبايعة سيف ثم عادوا في ١٧٤٠ وبايعوه . ولما لم تحمد سيرة سيف بن سلطان أقالوه ففر الى فارس ينشد عونها . أمدته فارس بجيش غزا به عمان فتنازل بليعرب عن الامامة يرجو بذلك حلا للأشكال وبويع سلطان بن مرشد بن عدى اليعربى .

وازداد اضطرام الفتنة وتعددت المعارك ضد الفرس حتى حسمها زعيم ولدته الاحداث هو احمد بن سعيد البوسعيدى حشد قوى عمان وجمع شملها وطرد الفرس ونودى به اماما في ١١٦٧ هـ (١٧٤١ م) . واستقرت البلاد حتى وفاته في ١١٩٦ هـ ، وحل ابنه سعيد مكانه . ولم يعقد لسعيد شرط الاجماع فتناول لابنه احمد الذى نقل عاصمته من الرستاق في الداخل الى مسقط في الساحل وكانت هذه النقطة مقرونة بالعزوف عن طلب البيعة فانقسمت بذلك البلاد العمانية الى ثلاث مناطق حيث اختص السلطان بمسقط ، واختصت الامامة بالداخل وانفصلت مشيخات الساحل العمانى [٢] .

---

(١) كانت أول مرة تذكر فيها «الوهابية» في سجلات شركة الهند الشرقية في ديسمبر ١٧٨٧ حين كتب مقيم الشركة في البصرة مخبراً عن قيام الدولة السلفية السعودية وتحركاتها : انظر

Abu Hakima "Political Movement of Arabia and its Impact on India In the 19th Century" India and the Arab World, ed., S. M. Ahmed (New Delhi, Sept. 1969) p. 21.

(٢) أمين سعيد ، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة (بيروت ، بدون) ص ٤٤ - ٤٨ .

عاصر استيلاء اسرة البوسعيد على الحكم في عمان بداية ازدياد نفوذ آل سعود في نجد . وفي الوقت الذى بلغ فيه تفوذ الدرعية الخليج العربي وأصبح يجاور عمان كان الحكم في عمان لسلطان بن احمد بن سعيد ١٢٠٦ ـ ١٢١٩ هـ / ١٧٩٢ ـ ١٨٠٤ م وفي عهد هذا الحاكم بلغت جيوش آل سعود الى عمان وباتت تهدد مناطقها حتى قلب مسقط [١] .

بنى ابن عفيصان قصر الصبارة في منتصف الطريق بين بلدتى الجبرى وحماسا وأصبح هذا القصر منذ ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ مقرا للقوة السعودية في منطقة عمان . وفي ١٢١٤ هـ / ١٨٠٠ م قامت الجيوش السعودية تحت امرة سالم بن بلال الحارقى الذى كان قد تعين على البوريمى بدلا من ابن عفيصان فوصلت حتى تخوم عمان الغربية وباتت جميع قبائل النعيم والظواهر وبنى قتب تابعة لسلطان الدرعية . كما دخلت في طاعة آل سعود قبائل البنى بوعلى وبنى راسب [٢] وبهذا أضحت البوريمى أحدى المعاقل الرئيسية للقوات السعودية .

اضطر سلطان بن احمد الى طلب الصلح من الامام عبدالعزيز بن محمد على ان يدفع لبيت مال الدرعية خمسة آلاف ريال سنويا . ولما اغتيل سلطان بن احمد في ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ تولى حكم عمان بدر بن سيف الذي ظاهر السعوديين وجدد التعهد بدفع مبلغ معلوم لبيت مال الدرعية ، كما قبل بدر باقامة وكيل سعودى في مسقط للعمل على جمع الزكاة . غير ان مقتل بدر بن سيف على يد سلطان بن سعيد وتولى سلطان السلطة هز من نفوذ الدرعية في عمان . وتجددت الحروب بين المنطقتين حيث غزا مطلق المطيرى من قاعدته في البوريمى عمان عدة مرات في الفترة ١٢١٢ ـ ١٢٢٦ هـ ١٨٠٧ ـ ١٨١١ م وذلك بمساعدة قواسم عمان . وبمعركة خور فكان اصبحت جميع عمان ، كما يقول ابن [٣] بشر ، تحت ولاية سعود وباتت الجيوش السعودية على مقربة من

---

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، مرجع سبق ذكره ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ .

(٣) مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

اسوار مسقط ، كما سقطت مطرح للسعوديين . وادى سعيد المال المطلوب لخزينة الدرعية ولكنه في الوقت نفسه سعى للتحالف مع شركة الهند البريطانية ورجالها في الخليج العربي ضد زحف الدرعية .

السعودية والساحل العماني :

بدأت جيوش السعوديين تغزو عمان منذ عام ١٢٠٦ هـ ١٧٩٢ م ولما رأى البنو ياس انهم لا قبل لهم بآل سعود وقادتهم ارسلوا الى الدرعية يعاهدون على البيعة وعلى ان يسَوقوا الزكاة الى السعوديين في كل عام . وانضمت بعد هذا قبائل النعيم للسعوديين .

كانت النعيم هى اكبر القبائل في الضاهرة ، وكانوا غافرية سنين شجعانا في الحرب اقاموا في ديار متفرقة أهمها دهنك وكابل وسينانه وحفيت (١) . وقد سبب انضمامهم للدعوة السلفية خلافات مع باقى أهل عمان من غير الغافريين اتهموهم بأنهم لم يظاهروا آل سعود الا لأنهم نجديون مثلهم (٢) .

حرض الامام عبد العزيز قبائل النعيم للاتصال بصقر بن راشد القاسمى وبذلوا له النصيحة لينضم الى دعوة ابن عبد الوهاب ويكون من جندها . كما أمرهم بأن يحاربوه اذا امتنع ووعدهم بتجييش من الدرعية اذا اعياهم قهره .

رفض صقر الانصياع في بادىء الأمر فدارت بينه وبين النعيم معارك عجز النعيم بعدها عن اخضاعه . فأمد الامام عبدالعزيز النعيم بألف رجل تحت لواء راشد بن سنان المطيرى . بقى راشد في البوريمى وارسل قسما من قوته مع النعيم حيث حاصروا رأس الخيمة ولكنهم تراجعوا منكسرين .

---

(١) Miles, S. B. Countries and Tribes of the Persion Gulf p. 432.

(٢) سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة الكتاب الثاني ص ٥٠ .

وجاءت المنطقة حملة اخرى بقيادة مطلق المطيرى قوامها أربعة آلاف رجل ، ضبط مطلق الطرق وحبس المياه عن أهل رأس الخيمة الذين تحملوا الحصار لمدة سبعة عشر يوما ثم جنحوا للصلح بعد ذلك . وأكرم مطلق صقر وعاهده كما عاهد كبار القوم في المنطقة [(١)] .

أمّر الامام عبد العزيز اميرا على كل من رعاب وطينج أهل الجزيرة الحمراء والرمس . ونقض هؤلاء عن أنفسهم طاعة القواسم وقالوا لمطلق : « نحن ننهب في البحر ونجاهد المشركين ونؤدى الخمس من الغنائم ونريد ان تأخذ لنا من القواسم داوات [(*)] ، وبغال [(**)] لأننا لا نملك الا خشب صفار [(***)] ، مثل بتاتيل [(****)] وبقاقير [(*****)] . » ونقل مطلق الرسالة لأهل رأس الخيمة حين قال لهم : اقتضى الوقت ان نسير في البحر ونقتل من لا يقبل طريقنا فان ابيتم ذلك فدونكم اخوانكم في الدين زعاب وطينج فأدفعوا لهم قدر عشرين داو سيتولون الأمر عنكم وستكون سفنكم دين عليهم ولها سهم في الغنائم » . وادرك القواسم أن زعاب وطينج هم الذين اثاروا الأمر وحرضوا مطلق وعرفوا ان لا بد لهم من أن يسيروا في البحر للجهاد [(٢)] حتى لا يفقدوا سفنهم ويفوتهم شرف الجهاد .

---

(١) لمع الشهاب ص ٧٨ - ٧٩ .

(*) الداو : مركب بحرى كبير كان يحمل التجارة بين الهند والخليج انظر وصفه في :
Low, C. R., History of the Indian Navy, Vol. 1. p. 169.

(**) البغلة مركب اصغر من الداو انظر الصورة والوصف في :
Thesiger, W. Arabian sands 5th. ed. (London, 1965) p p. 257 - 258.

(***) خشبا صفارا = قوارب .

(****) لصورة النيل انظر : سيف مرزوق الشملان ، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي جـ ١ ص ١٣١ .

(*****) عن البقاقير انظر :
Thesiger, W. Ibid. p. 258.

(٢) لمع الشهاب ، المرجع السابق ص ٨١ .

ومن هنا بدأ القواسم يجاهدون البريطانيين على البحر جهادا اعيوهم به . وقد صار للقواسم في اثناء هذه الفترة أسطول يصل الى عشرين سفينة يرأس كل سفينة منها نائب او مقدم مسئول مباشرة للحسين بن على الوالى السعودى في المنطقة (١) والذي يتبع القائد مطلق المطيرى .

اتهم البريطانيون القواسم بالقرصنة والصقوها بهم حتى سموا ساحل المشيخات العمانية بساحل القرصنة ولكن لا اجد ما يستوجب تلك التسمية خاصة اذا عرفنا ان دعوة ابن عبد الوهاب قد عبرت في هذا الوقت ساحل الخليج واستقرت بشرقة حيث كان الشيخ قضيب شيخ لنجه وابن عم سلطان بن صقر القاسمى يؤمن بها (٢) وأصبح الخليج بحيرة تسودها دعوة التوحيد حيث كان لسفن الساحلين في الشرق والغرب ريادة الملاحة في الخليج . واختلفت طبيعة حرب القبائل العربية المؤمنة بالدعوة السلفية فوق مياه الخليج عما كان عليه الأمر سلفا . كانت الحرب التى تثور بين القبائل فوق الخليج وصول الدعوة السلفية الى سواحله حرب قبائل تطمح كل منها في أرض الأخرى او بمالها او حرب قوى عربية ضد من يطمع في ارضها ومالها . ولكن الأمر اختلف حين اتبع القواسم راية السلفيين اذ صاروا اتباع دولة تؤمن بايدلوجية معينة تقتضى الجهاد ، وصار القواسم ينفذون أمر هذه الدولة بايمان وعزم .

قرصنة ام جهاد ؟

ان القرصنة في التعريف القانونى هى كل اعتداء مسلح يقع في عرض

---

(١) صدرت الأوامر من الدرعية للحسين بن على ان يكثر من السفن على البحر ليجاهد بها الكفار والمنافقين على ان يؤدى خمس الغنيمة للدرعية .
(1.0) Bombay Pol. & Soc. Pro. Range 383, Vol. II Pol. Cons. of 24 Mar. 1809.

(٢) (1.0) Boards Coll. Vol. 192, Seton to Duncan, 14 Aug. 1805

البحر من مركب لحسابه الخاص . أما غرض القرصان فهو سلب ونهب السفن أيا كانت هويتها او خطف وسبي الاشخاص الموجودين عليها أو الأمرين معا . ولذلك يعتبر القرصان عدوا للجنس البشرى . أما مراكب التصدى Carsaires فتختلف عن مراكب القرصنة حيث تعتدى الأخيرة لحسابها الخاص لتحقيق مغانم او اغراض شخصية بينما تقوم مراكب التصدى باسم دولة محاربة تتبعها وتعمل لحسابها بالتصدى للمراكب التابعة لدولة العدو أو الدول المحايدة فتأسرها او تغرقها لأسباب متصلة بالحرب القائمة . ولم تعتبر مراكب التصدى من الاعمال غير المشروعة الا بعد تنظيم الحرب البحرية بموجب اتفاقية باريس ١٨٥٦ (١) . ونحن اذ نأخذ بهذا التعريف القانونى لا يمكننا ان نضع ما كان يقوم به القواسم موضع القرصنة اذ دفع السعوديون القواسم الى البحر وعمل هؤلاء تحت ظل دولة تتناهض الذين لا يعترفون بمبادئها .

لم يكن القواسم صعاليك قتله كما تصورهم وثائق الهند في تلك الفترة (*)

(١) على صادق ابو هيف ، القانون الدولي العام ط ٧ (القاهرة ، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥) ص ٤٢٩ ـ ٤٣٢ .

(*) لعل ابلغ هذه الصور ما جاء في Malcolm, Sketches: p. 15. من « انهم متوحشون همهم القرصنة ، ومتعتهم القتل ، يغلفون سفالتهم بغلاف من التقوى والايمان . لن ينجو المرء بحياته ، اذا ظفروا به ، حتى اذا اعطاهم كل ما ملكت يداه . لأنه مسطر في الكتاب المقدس انه حرامٌ نهب الاحياء وحلال تجريد الموتى » ، هكذا ! ولعل هذا الكاتب يشير للآية الكريمة (ما كان النبى ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) انظر الانفال الآية ٦٧ او لعله قصد الحديث الشريف ، من قتل قتيلا فله سلبه وهو حديث اتفق الائمة الا أحمد بن حنبل ، بأن الرسول (ص) قد قاله بصفته قائدا في موقعتي حنين ومؤته وهو ليس بتشريع تقضى بسلب كل كافر مقتول . ويرى احمد بن حنبل (الذي يستمد منه السلفيون) انه تشريع ومن ثم فهو ملزم . انظر شهاب الدين ابى الفضل العسقلانى (ابن حجر) فتح البارى بشرح البخارى جـ ٦ (القاهرة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م) . وبالطبع لن يستطيع مالكولم الذي حارب القواسم دولته في الخليج العربي وقاوموا اهدافها الاستعمارية أن يصور القواسم الا بهذه الصورة القاتمة .

كان الشيخ على بن محمد الذى بيده الفتوى والذى كان سعود يطيعه كاطاعته لأبيه الشيخ محمد ، « لا يجب المجالسة الا مع آل سعود ولا يضيف احدا قط الا أهل رأس الخيمة فانهم اذا وفدوا سعودا لم يأكلوا الا عند الشيخ » . وقد اعتبر الشيخ وهو قمة السلطة التى تفتى في التشريع ، ان ما يصيبه القواسم من تعرضهم للسفن رزقا حلالا طيبا حتى ان الشيخ كان لا يأكل هو وعياله الا من الهدايا التي تبعث بها رأس الخيمة اليه . كان الشيخ على يقول : كل ما غنمه أهل رأس الخيمة هو احل من حليب الوالدة [١] . كما شهد احد ضباط بحرية بومباى بأن القواسم لم يكونوا قساة بطبعهم غير ان أشد ما يدهشه انهم يقدمون اسراهم قربانا ، ويفعلون ذلك في وقار دينى مهيب . فالقواسم حين يأخذون سفينة يطهرونها بالماء والعطور ويقودون بحارتها واحدا اثر واحد يضعون رؤوسهم على مقدمة السفينة ويبترونها وتدوى هتافاتهم الله أكبر ، الله أكبر [٢] .

كان القواسم أهل دين ومثل يؤكد ايمانهم وتدينهم ما يروى من ان العتوب رغبوا في الدخول الى طاعة آل سعود حين إستبانوا عمق تدين القواسم وشدة ورعهم وادركوا ان فضل ذلك راجع للسعوديين الذين ارتضوا العمل بدعوة ابن عبد الوهاب والذين كانوا يبعثون بالمعلمين الى المناطق التى تدين لهم بالولاء يفقهون الناس في أمر دينهم [٣] . أن القرصنة لا تتفق مع الدين الاسلامى الذى تمسك القواسم بأهدابه ، ولا يسندها العرف العربى . بل ان وثائق الهند التي تدمغ القواسم بالقرصنة جاء فيها عن ما يسمى بساحل القرصنة بأن سكانه قد اتخذوا منذ القدم التجارة البحرية وصيد اللؤلؤ وسيلة لمعيشتهم [٤] .

---

(١) لمع الشهاب ص ١٧٧ .

(٢) Kelly, J. B., op. cit. p. 111.

(٣) لمع الشهاب ص ٨٣ .

(٤) سيد نوفل ، مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٤٩ .

كانت شركة الهند الشرقية البريطانية تريد ان تقضى على منافسة التجار العرب وتذهب بمركباتهم التى ضاقت بها ذرعا وتوقف ابحار هذه المركبات ونقلها للمتاجر بين الخليج والهند وشرق افريقية لجأت حكومة بومباى بعد اطمئنانها الى زوال خطر التهديد الفرنسي الى ضرب النشاط العربى التجارى الذي قوى بانتماء القواسم الى دولة آل سعود . صار القواسم حينئذ يتعرضون لسفن التجارة العمانية والبحرانية واتسع نطاق عملياتهم فلم يجدوا حرجا من التعرض لسفن البريطانيين الذين يختلفون عنهم دينا وملة وعرقا . وكان القواسم يبغون منع هذه السفن من احتكار تجارة الخليج العربى لكى لا تصير مقدرات الخليج السياسية والتجارية للأجانب من غير المسلمين . وقد عضد القواسم في ذلك ان الدولة السعودية الأولى كانت تحض على مقاومة السلطان الأجنبى وترى ان اى نشاط في الخليج لا بد من ان يكون تحت السيطرة السعودية أو على الأقل ان تقوم السفن المبحرة فيه بدفع الجزية لهم [1] . ولم يكن هذا بمستساغ عند البريطانيين الذين تفاقمت خسائرهم في الخليج حتى بلغت في مدى العشر سنوات التى اعقبت عام ١٧٩٣ م حوالى الثلاثة ملايين من الجنيهات [2] وكانت خسائر عمان أشد ضراوة وأنكى وبالا فهى لم تصب في سفنها فقط ، انما فقدت للسعوديين جزء من اراضيها وراح بالاضافة الى كل هذا سلطان بن احمد في عام ١٨٠٤ م ضحية معاداة النفوذ السعودى القاسمى [3] .

القواسم يجاهدون الكفار :

بعد انضمام القواسم لدعوة التوحيد السلفية واحساسهم بأن لهم في الداخل قوة تشد من ازرهم تشجعوا وهاجموا السفن التى ترفع العلم البريطانى ولم

---

(١) احمد طربين ، مرجع سبق ذكره ص ٣٠ .

(٢) Miles, S. B., op. cit. p. 302.

(٣) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ص ٧٢ .

يميزوا بين سفن الرعايا والهنود من غير أهل الكتاب وسفن السادة النصارى البريطانيين. كان القواسم قبل اتصالهم بالسعوديين لا يتعرضون للسفن البريطانية الا لماما. ولكى تتضح الصورة يمكننا ان نعرض لأهم العمليات القاسمية على السفن البريطانية ونجملها فيما يلي (١):

١ — في ديسمبر ١٧٧٨ م / ١١٩٢ هـ هاجمت بعض سفن القواسم سفينة شراعية لشركة الهند الشرقية البريطانية كانت تحمل رسائل بين بومباى والبصرة. استطاعت ستة من داوات القواسم ان تقبض عليها فأخذوها الى رأس الخيمة ووقع رجالها في الأسر.

٢ — حاولت مجموعة من سفن القواسم يتراوح عددها من ٨ الى ١٠ داوات التعرض للسفينة الشراعية سسكس Success ولكنها راوغتهم وافلتت.

٣ — في فبراير ١٧٨٩ م /١٢٠٣ هـ افلتت السفينة الشراعية اسستانس Assistance من اسطول قاسمى طاردها عندما كانت تبحر الى أعلى الخليج.

٤ — في اوائل ١٧٩٠ م / ١٢٠٤ هـ قامت بعض سفن القواسم بمطاردة السفينة بجلربرج Beglerberg التى كانت في طريقها من البنغال الى بوشهر وتمكنوا منها عند رأس سندم.

٥ — وفي مايو ١٧٩٧ م / ١٢١١ هـ هاجم اسطول قاسمى مكون من ٢٢ داو السفينة باسين سنو Bassein Snow وتمكنوا منها عند جزيرة قيس وساقوها الى رأس الخيمة ثم ارسلوها طليقة بعد يومين.

---

(١) لمزيد من التفصيلات راجع :

(1.0) C. T. E. C. J. T. A. in S. R. I. XXIV. Passim Low, C. R., History of the Indian Navy P P. 313 - F. F.
Miles, S. B., op. cit. P P. 322 F. F.
Lorimer, J. G., G. P. G. Vol. 1 P P. 633. F. F.
Kelly, J. B., op. cit. P P. 106 F. F.

(1.0) Rise and Progress of the Arab Tribes on the Persian Gulf. Passim.

٦ — في اكتوبر من نفس العام هاجمت داوات القواسم الطراد فايبر التابع لشركة الهند الشرقية بعد أن اعطاهم قائده الذخيرة كما بينا القول سلفا . قام رجال القواسم بهجوم على الطراد ولم يتمكنوا منه الا انهم أهلكوا الكثير من بحارته وعلى رأسهم القائد كوثير الذى أصابته طلقة في أم رأسه [١] فاردته .

وتتابعت حملات القواسم على السفن البريطانية على نحو أعنف وأعتى . كتب مانيسى [*] في ١٨٠٥م ينبه حكومة بومباى الى ان خطر (القراصنة) العرب قد أصبح يبز خطر الفرنسيين [٢] .

كان من المعتقد كما يقول صلاح العقاد [٣] ان (القرصنة) العربية تختلف في نوعها عن القرصنة الاوربية ، فالأولى كانت في نظرهم تمارس السلب لمصلحة الأمراء لا لمصلحة دولة كما تفعل الثانية . وفي هذه التفرقة شيء كثير من الخطأ خاصة بعد انضمام القواسم للدولة الوهابية الأولى وعملهم لحساب الحكومة المركزية في الدرعية .

يعتقد الادميرال لو Low قائد البحرية البريطانية في الهند ان القرصنة لم تنتشر في الخليج الا بعد انضمام القواسم لراية التوحيد [٤] . ويلاحظ « لو » ان القواسم قاموا في هذه الفترة بعمليات مجيدة ضد السفن البريطانية منها :

١ — انهم أسروا سفينة كانت تحمل عددا من رعايا الهند البريطانية كانوا في طريقهم من بوشهر الى بومباى . كان هؤلاء الجماعة على ظهر

---

(١) Low, C. R., op. cit. p. 313.

(*) مقيم شركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة .

(٢) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسي ، ص ٧٤ .

(٣) الاستعمار في الخليج العربي ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٤) Low, C. R., op. cit. p. 63.

السفينة بالبريطانية فلاى Fly التي وقعت في أسر السفينة الفرنسية لافورتون . اطلقت لافورتون سراح هؤلاء الجماعة في بوشهر حيث اخذوا السفينة الأخرى التى وقعت في أسر القواسم . وقد افتدى الأسرى أنفسهم بارشاد القواسم الى خزينة كانت فلاى قد اسقطتها مع بعض رسائل الشركة في ضحضاحه قرب ساحل جزيرة قيس عندما احست خطر الأسر من السفينة الفرنسية . تقاسم رجال القواسم الخزينة مع سكان الجزيرة وتركوا الأسرى وشأنهم . وتمكن اثنان من ركاب السفينة هما شاوول Jowel وبنول Ponnol ان يصلا الى بر ويسلما الرسائل (١) .

٢ — تميز عام ١٨٠٤ م / ١٢١٩ هـ بكثرة الاضطرابات على البحر والبر وذلك لازدياد النشاط القاسمى ضد سلطان مسقط الذى رأى في استمرار تحالفه مع الانجليز حفظا لسلطانه وتجارته . ازدهر الاسطول العمانى في عام ١٨٠٤ وكان لمسقط ١٥ سفينة تحمل من ٤٠٠ الى ٧٠٠ طنا . وازدادت تجارة الامام بمعايشته للانجليز ازدهار جعله يتطلع الى حماية الملاحة في الخليج ، ورمى الامام الى جعل مسقط الميناء الرئيسي في الخليج العربى . وزاد هذا في حنق القواسم عليه لأنهم يدركون عمق اتصالاته بالانجليز الذين وجدوا فيه مخلصا حتى انهم لم يعينوا لهم وكيلا في مسقط حين انسحب وكيلهم (٢) المريض في عام ١٨٠٣ ، فقد كان السلطان يؤدى عن اخلاص دور الوكيل تجددت حالة الحرب الخامدة بين السلطان والقواسم فاتجه السيد سلطان الى الانجليز والاتراك يطلب عونهما ضد الموحدين . ولم يعنه الانجليز الا بالنصائح ولا الاتراك الا بالوعود (٣) . خرج

---

(١) Lorimer, J. G., G. P. G. Vol. 1 p. 635.

(٢) Kelly, J. B., op. cit. p. 107.

(٣) Howly, D., Trucial States p.p. 98 - 99.

سلطان في ١٨٠٤ لمحاربة بعض اعدائه ، وعندما كان في طريق عودته نزل في لنجه من سفينته البدرى ليستقل اخرى يصل بها الى جمبرون . وفي منتصف ليلة ١٩ نوفمبر ١٨٠٤ فأجأته ثلاث سفن للقواسم الامام فأمهلهم للصبح فأمهلوه . وعند فجر اليوم التالى بدأ القتال وقتل سلطان برصاصة اصابته في فكه [١] . وبدأ واضحا ان القواسم الموحدين هم قادة الخليج العربى خاصة بعد ان ساد النزاع أفراد العائلة الحاكمة في مسقط كل يبغى ان يصير سلطانا ، وتحرج موقف الانجليز الذين كانوا يتابعون الحوادث العربية بدقة متناهية .

وفي أطناب هذه الفوضى تحركت حملة سعودية من البوريمى لتحاصر صحار . كما تحرك بأمر من الأمير سعود اسطول من البحرين جاعلا على أشرعته بعض الغنائم التى أصابوها في كربلاء وترفرف فوقه قطع من الكسوة التى نزعوها عن قبر الحسين وكان مظهرا رهيبا نشر في مسقط رعبا عظيما [٢] .

خشى الانجليز مغبة سقوط مسقط للسعوديين وتحكمهم الكامل في مياه الخليج العربى ومداخله كما بدأت مخاوف الانجليز من تدخل فرنسى في مسقط التى تتنازعها الحروب بين الأئمة [٣] . أوفدت الشركة ديفيد ستون Seton وكيلهم في مسقط الذى انسحب مريضا في ١٨٠٣ بأوامر صريحه تقضى بمساعدة احد أبناء سلطان لخلافة والده . وأمرت الشركة وكيلها بأن يلقى بثقله في الكفة الراجحة حتى لا يدخل حكومة الهند في مشاكل مع داخلية مسقط [٤] .

---

(١) Low, C. R. op. cit. p. 316.

(٢) (1.0) Precis of the Gulf Corr. 1801 - 1853 p. 34.
Kelly, J. B. op. cit. p. 107.

(٣) Barilett, M., Pirates of Trucial Oman (London 1966) p. 31.

(٤) Kelly, J. B., op. cit. p. 107.

٣ — تعرض القواسم بعد حوالى شهر من حادث مقتل السيد سلطان لسفينتين لصمويل مانستى هما شانون Shanon التى يقودها بابوك Babock وترِيمر Trimmer التى كان يقودها كمنجز Cummings ، وتمكن القواسم من السفينتين تباعا . وآلت شانون الى قواسم ريج وصارت تريمر من نصيب أهل رأس الخيمة (١) .
قام القواسم باعدام البحارة الهنود الذين لم يكونوا من أهل الكتاب ، وسيق الأسرى الأوربيين من النصارى الى الساحل حيث تمكنوا كلهم تقريبا من الفرار ولم يصب أيهم بأذى سوى بابوك الذى فقد ذراعه حين هم باطلاق النار دفاعا عن سفينته . وقد حاول مانيستى الاتصال بالدرعية لتعيد اليه سفينتيه ولكنه فشل في ذلك (٢) . وفي هذه المحاولة ما يؤكدا ان القواسم كانوا يعملون بأوامر السعوديين .

٤ — وفي يناير ١٨٠٥ م / ١٢١٩ هـ أحس القواسم بثقلهم العسكرى والسياسى فهاجموا السفينة مورمنجتون Mormington ذات الأربعة وعشرين مدفعا وعندما كانت تساحل جزيرة فارور وأفلتت المورمنجتون (٣) من ذلك الاسطول القاسمى الذي ضم اكثر من أربعين داوا (٤) .

حملة عام ١٨٠٥ م / ١٢٢٠ هـ :

آلت الأمور في عمان للسيد بدر الذى خلف سلطان ولما جاء ستون الى مسقط وجد بدرا يعد العدة لغزو بندر عباس من بنى معين حلفاء القواسم .

(١) Lorimer, J. G., op. cit. p. 632.

(٢) Kelly, J. B., op. cit. p. 105.

(٣) Lorimer, J. G., op. cit. p. 637.

(٤) (1.0) Bombay Pol Letters rec.Vol. 1. Govt in Conncil to Court of Directors, N. D.

استولى حسن بن رحمه على بندر عباس بعد مقتل سلطان وشكل هذا تهديدا مباشرا على سفن الانجليز في الخليج . قرر ستون مساعدة السيد بدر ومساندته حرصا على مصالح الشركة وأوصى في خطاب له لمجلس بومباى ان يساند اسطول الشركة السيد بدر . وردت عليه بومباى موافقة وان حذرته من ان لا يزج بنفسه في أي عداء مع اي مجموعة اخرى وان يحاول عن طريق المفاوضات ان يكسب اي فئة لها قوارب مسلحة [1] ، حتى لا تجتمع مع القواسم قوة اخرى . فالقواسم كانوا قوة لا يستهان بها يتحكمون هم واهلهم من بنى معين في قشم وهرمز ولنجه وهى مناطق استراتيجية تتحكم في مفاتيح الخليج [2] .

قام ستون بمساعدة السيد بدر فأخذ المورمنجتون وبعض السفن البريطانية الى بندر عباس حيث تجمع اسطول الشركة في الخليج مع الاسطول العمانى . وفي يوم ٧ يونية ١٨٠٥ اصليت قلعة المدينة نارا حامية ليوم كامل استسلمت بعده . وتحرك الاسطول المشترك الى فرع بنى النعيم القاطن في قشم . حاول أهل رأس الخيمة نجده بنى النعيم فركبوا في ثلاثين سفينة مكّن الانجليز لها من ان تخترق الحصار المضروب على الجزيرة ثم اوقعوها في كمين لم تنج منه الا بعد مفاوضات وافق القواسم فيها على ارجاع تريمر في مدى خمسة وعشرين يوما وارجاع ما كان عليها من سلع او دفع ثمنها [3] . وكانوا قد ارجعوا شانون في مناسبة سابقة [4] .

---

(١) Warden, F. H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٢) انظر خريطة دولة الامارات .

(٣) (1.0) Boards Coll. Vol. i92. Seton to Duncan, 25th July 1805.

(٤) Warden, F., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

مفاوضات مسقط :

استؤنفت مفاوضات قشم في اكتوبر ١٨٠٥ في مسقط . ارسل القواسم ملا حسين مندوبا عنهم لمفاوضة البريطانيين توصل الجانبان العربى والبريطانى الى اتفاق مبدئى ارسله ستون الى بومباى للتصديق ورفضت بومباى الموافقة عليه بحجة ان هذا الاتفاق جزئى ولا يشمل كل منطقة الخليج ، ووجهوه بأن أى مفاوضات سلم يجب ان تغطى الخليج كله ، كما وجهوه ليكون في صياغة اتفاقاته أشد قوة لان التساهل في أمر الخسائر التى أصابت شركتهم في الخليج سيأتى بخسائر مماثلة في المستقبل ، وان عليه ان يطلب التعويضات كاملة غير منقوصة . غير ان هذه التوجيهات بدت لستون غير واقعية وغير ممكنة دون القيام بعمليات عسكرية ضاربة [١] . وعقد إتفاق على غرار الأول وقعه في ٦ فبراير ١٨٠٦ .

الاتفاق وشروطه [*] :

وقع سلطان بن صقر في ٦ فبراير ١٨٠٦ اتفاقا مع ستون يقضى بأن يقلع القواسم عن مهاجمة السفن البريطانية ويمتنعوا عن التعرض لممتلكات ورعايا البريطانيين . كما تعهد سلطان بن صقر بأن يعطى انذارا للشركة مدته ثلاثة شهور اذا اجبر السعوديون القواسم على مهاجمة سفن الشركة ونقض ما أبرم . وفي مقابل هذا وافق ممثل الشركة ان يعطى للقواسم حق الاتجار مع الموانىء البريطانية في الهند وهو الحق الذى حرموا منه بعد تصيدهم شانون وتريمر كما أعفت هذه القولنامة البضائع التى غنموها من شانون وتريمر [٢] .

---

(١) Warden., F., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(*) انظر الملحق رقم (١) .

(٢) Miles, S. B., op. cit. p. 307.

نتائج الاتفاق :

كان هم ستون ان يفرق بين القواسم والسعوديين حتى لا تقوم للدولة العربية الموحدة قوة في الخليج. ولتحقيق هذا ضرب ستون القواسم ثم صالحهم اعترافا منه للشيخ باستقلاله عن الدولة السعودية . كتب ستون في اكتوبر ١٨٠٥ يطلب مساندة السيد بدر مساندة فعالة حتى يستقيم أمره ويقوى عوده ويظهر على السعوديين الذين كان السيد بدر في تلك الفترة يداهنهم واشفع ستون خطابه بنسخة من خطاب ارسله الامام سعود الى السيد بدره يحضه فيه للاستعداد لحرب مقدسة في الهند لن يحارب فيها بدر من أجل سعود إنما من اجل تلبية نداء الجهاد . كما كان من رأى ستون اثبته في خطاب له لبومباى بانه اذا قيض للسعوديين القبض على زمام الأمور في عمان فستصير مسقط خلية قراصنة تناهض سفن الشركة وتزعجها (١) .

اعتقد البريطانيون انهم قد كسروا بهذه الاتفاقية شوكة القواسم في الخليج العربي تحقيقا لمرور تجارتهم في الخليج دون اعتراض . وكانت سياسة الاتفاقات مع الأمراء والحكام سياسة شاملة استخدمتها الشركة في كل المناطق التى وصلت اليها وكانت سهمهم النافذ الى السيطرة السياسية والادارية بعدها . قام البريطانيون بعد اتفاق تلست بين نابليون والقيصر الروسى ١٨٠٧ بربط الشاه الفارسى بمعاهدة صداقة ، كما ارسلوا البعوث بهذا الهدف الى ميرات السندورانجيت سنجه وبلاط كابول ليحيطوا الهند البريطانية بسياج من الاتفاقـات . وقد كان اتفاق القواسم هذا واحدا من سلسلة الاتفاقات هذه التى بدأت قبله واستمرت بعده سياسة ثابتة .

صالح سلطان بن صقر البريطانيين وارتكب بهذا في نظر السعوديين جرما

---

(١) H. S. W. in S. R. I. XXIV. p. 431.

شنيعا . وما كان لسلطان ان يفعل ذلك لانه قد فارق بهذا الاتفاق سياسة الدولة السعودية. وشك السعوديون ـ فيما يبدو ـ في اخلاص سلطان واتهموا ولاءه فعملوا على ازالته . وقد تم للسعوديين ذلك في ربيع ١٨٠٨ حيث عينت الدولة السعودية مطلق المطيرى أميرا على البوريمى واستطاع مطلق ان يهيمن على شيوخ عمان الشمالية فنحى سلطان بن صقر وعين عمه حسين بن على شيخ الرمس واليا على القواسم وزيدت الزكاة التى كان سلطان يؤديها الى الدرعية بمقدار ثلاثة أضعافها وأصدر الأوامر للشيخ حسين بن على ان يضع كل سفنه تحت راية الايمان يضرب بها الكفار ويؤدى خمس الغنيمة الى الدرعية وبهذا شجب مطلق أمير البوريمى اتفاق عام ١٨٠٦ / أواخر ١٢٢٠ هـ .

نجح ستون حين عقد اتفاق عام١٨٠٦م في الفرقة بادىء الأمر بين القواسم والسعوديين مستغلا معرفته بطبيعة النفس العربية فالصلة بين القواسم والسعوديين صلة يجمع بين اواصرها هدف دينى اقتصادى مشترك ويفرّق بينها ما في طبيعة العرب من انفه الانتظام في دولة يسود فيها شيخ على شيوخ آخرين . ورد هذا المعنى في خطاب لستون ارسله لدنكان Duncan جاء فيه عن الشيخ قضيب شيخ لنجه بأن يؤمن بالدرعية السلفية طريقا ولكنه في الوقت نفسه لا يخضع للدولة السعودية ، فهو يدعى حين يريد انه من اتباع الدولة الفارسية . والشيخ بذلك لا يطيع لأحد أمرا الا اذا راق له . ولكن الشيخ رغم كل ذلك كان يؤدى الزكاة للدولة السعودية [١] .

ذيول اتفاق ١٨٠٦م :

خلال السنتين التاليتين على توقيع اتفاق١٨٠٦م كف القواسم أيديهم عن السفن والتجارة البريطانية . لزم سلطان بن صقر كلمته الزاما زاده قوة وجود

(١) (1.0) Boards Coll., Vol. 192, Coll. 4155, Seton to Duncan, Muscat, 14 Aug. 1805.

اسطول في ثمانية طرادات للشركة في منطقة الخليج خلال عام ١٨١٧ م / ١٢٣٢ هـ (١) . وقد كانت هذه السفن قد ارسلت لمساندة سفينة صاحب الجلالة فوكس Fox التى كان يقودها كولرين Cochrane الى الخليج في مظاهرة عسكرية ضد تركيا التى اعلنت الحرب على روسيا . وقد وصلت هذه الحملة حتى الكويت وبقيت مع الطرادات الأخرى لمدة سنة في مياه الخليج قبل ان تغادرها الى الهند (٢) .

انتهى عام ١٨٠٧ ولم يجاهد القواسم الانجليز كما كانوا يفعلون غير انهم اشتبكوا مع السيد سعيد سلطان مسقط في مايو١٨٠٨م/ ١٢٢٣ هـ حين خرج اليهم سعيد بتأييد من قيس ومحمد بن مطر في شيوخ خويره . هاجم سعيد القلعة الصغيرة التى بناها سلطان بن صقر هنالك واستطاع سلطان ان يردسعيداً على اعقابه بعد ان خسرعدداً من انصاره منهم قيس بن احمد (٣) ولم يفز في النزاع غير الانجليز الذين جهدوا في ان تقتتل قبائل المنطقة ووحداتها فيما بينها .

لم تقع حوادث جهاد بحرى فيما تبقى من عهد سلطان بن صقر كشيخ قاسمى عامل تحت لواء الدولة السعودية الا حادث واحد بالقرب من جوجارات Gujarat في ابريل ١٨٠٦ م / ١٢٢١ هـ . قامت اربعة من سفن القواسم بمهاجمة السفينة لايفلى Lively التى كان يقودها الملازم ماكدونالد Macdonad ولم يسعفهم النجاح (٤) وهذا ، عندى ، حادث غير خطير ، ربما ارتكبه بعض رجال القواسم الذين لم يطلعوا على ما أبرمه

---

(١) Miles, S. B., op. cit. p. 312.

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. p. 639.

كذلك : Miles, S. B., op. cit. p. 306.

(٣) Lorimer, J. G., op. cit. p. 634.

كذلك : Kelly, J. B., op. cit. p. 110.

(٤) Lorimer, J. B., op. cit. p. 635.

شيخهم مع البريطانيين في فبراير من العام ذاته او لربما كانوا فئة قاسمية لم تقر شيخها على صلح البريطانيين والتعامل معهم .

ما ان نُحي سلطان بن صقر حتى عاد الجهاد الى اشده . ففي سبتمبر ١٨٠٨ م / ١٢٢٣ هـ استولت عدد من سفن القواسم على السفينة منيرفا Minerva التي كان يملكها مانستي . جرت معركة بين الجانبين بالقرب من جزيرة قيس استمرت لايام متتالية تمكن القواسم بعدها من السفينة وصحبوها الى رأس الخيمة حيث جعلوا عليها عشرين مدفعا وخرجت لتواصل صولات القواسم (١) . وفي ٢٨ اكتوبر تمكن القواسم من الاستيلاء على السفينة سايلف Sylph وطُهِّرت وعُطِّرت وذبحوا الكفار على ظهرها (٢) . كانت سنة ١٨٠٨ من سنوات اشتداد الجهاد القاسمي حيث ظفر القواسم بما لا يقل عن عشرين سفينة في تلك السنة . وهاجم القواسم السفينة نايوتيلوس Nautilus كما هاجم القواسم السفينة نيريد Neired ثم هاجموا بعد هذا السفينتين مورمنجتون تيجنماوث Teignmouth كما هاجموا فيرى Fury وغيرها (٣) .

وصل النشاط القاسمي على مياه الخليج العربي حدا أوجع الشركة ولم تستطع ان تغمض عينها عليه . صار للقواسم في هذه الفترة اسطول ضخم ضم حوالى ٨٧٦ مركبا بحريا ٦٣ منها داوات كبيرة وبغلات تحمل اكثر من

---

(١) Wilson, A. T., op. cit. p. 54.
كذلك : Barilett, M. Pirates of Trucial Oman, P P. 34 - 36.

(٢) Loc. cit.

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر : Miles, B. B., op. cit. P P. 308 - 312.
Kelly, J. B., op. cit. P P. 108 - 111.
Lorimer, J. G., op. cit. P.P. 636 - 642

١٩,٠٠٠ مجاهد [١] يبحرون في تشكيلات بحرية يضم كل منها من ١٥ الى ٢٠ مركبا على رأس كل تشكيل جعل الحسين بن على [*] نائيا يخضع له مباشرة ويتلقى التعليمات منه [٢] .

وقد بلغ من جرأة القواسم واستهتارهم كما يقول مؤرخو حكومة الهند ان شيخ هذه القبيلة قد طلب في هذا الوقت الى حكومة بومباى ان تدفع له اجر الخدمات والتسهيلات التى يقدمها لسفنها التى تبحر في الخليج [٣] . ويعكس هذا الطلب الأخير عدم اعتراف شيخ القواسم صراحة باتفاق فبراير ١٨٠٦م وشجبه تماما قبل ان يمر من عمره اكثر من عامين مما ينبىء ان حملة ١٨٠٥م قد كانت حملة ساحلية لم تثمر كثيرا خاصة وانها لم تلتق بالسعوديين الذين كانوا صراحة يؤلبون القواسم ويحضونهم على الجهاد على أساس من الايمان. فالقواسم كما سبق ان المعناهم يد السعوديين في البحر وحاملوا راية جهاد الحركة السلفية الى العالم الخارجي .

---

(١) Miles, S. B. op. cit p. 313.

يقدر لوريمر عدد سفن القواسم بـ ٨١٣ .

انظر : Lorimer, J. G., op. cit. p. 644.

(*) الوالى السعودى على القواسم التابع للقائد السعودي في البوريمى .

(٢) Warden, F., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٣) Loc. cit.

الفصل الخامس

مقدمات اتفاقية ١٨٢٠م

مقدمات اتفاقية ١٨٢٠م

(تمهيد ـ دوافع حملة ١٨٠٩م ـ سير الحملة ـ نتائج حملة ١٨٠٩م ـ مقدمات ١٨١٩/١٨٢٠م، التعدى القاسمى ، الظروف في فارس ، انهيار الدولة الوهابية ـ التخطيط لحملة رأس الخيمة ـ التمهيد للحملة ـ سير الحملة) ..

التمهيـــد :

كان إتفاق ١٨٢٠ بين بريطانيا ومشيخات الساحل العمانى حصيلة العلاقات حربية طويلة بين أهل المنطقة والبريطانيين ولذلك جاء اتفاقا اذعانيا أساسه القسر وحملات التأديب وأصله استعمار يقع عبء حمايته على قطع اسطول الشركة فوق مياه الخليج .

سير البريطانيون على القواسم حملتين اولاهما في ١٨٠٩ /١٨١٠م والثانية في عام ١٨٢٠ م . كما تعارك البريطانيون عدة مرات خلال هذه الفترة مع القوى العربية فوق البحر . ولذلك جاء اتفاق ١٨٢٠ م اتفاقا مفروضا من قوة منتصرة على قوة منكسرة .

دوافع حملة ١٨٠٩ م / ١٢٢٤ هـ :

هددت الدعوة السلفية المصالح البريطانية في الخليج . لم تكن بريطانيا لترضى قيام قوة عربية موحدة على الساحل الغربى للخليج العربى . وازعجها

اكثر ان تلك القوة قد امتدت للساحل الشرقى للخليج لانها كانت تريد الخليج مقسوما حتى لا تضار تجارتها . نظر المسئولون في حكومة الهند الى طلب شيخ رأس الخيمة بدفع رسوم للتجارة البريطانية له نظرة تنم عن روح استعلائية استعمارية تستغل تفوقها التقنى للافتئات على حقوق الشعوب . رأت بريطانيا في طلب الحسين بن على ، الوالى السعودى على القواسم ، شرا مستطيرا . وكان هذا هو الدافع الرئيسى الذى أدى بحكومة الهند لاتخاذ قرارها بحرب القواسم وتدمير قوتهم والاطاحة بسلطتهم .

لم تشأ حكومة الهند ان تدفع للحسين بن على رسوم مرور في الخليج الذى تعترف وثائقهم بعروبته حتى تلك الفترة ، كما لم تشأ مفاوضة الوالى السعودى رغم انه فتح لذلك درباً . أبدى الشيخ استعداد رجاله لحماية التجارة البريطانية ان هم وافوه بالرسوم والا فلرجاله الحق في مناهضتها واغتنام ما عليها . ولم يطلب الحسين بن على ، على هذا ، اكثر مما هو معهود في الجزيرة العربية منذ عصور غابرات ، فالقوافل البرية كانت تمر بديار القبائل فتحميها ما احترمت القوافل ارض القبيلة ، وراعت سيادتها ودفعت (الخوّة) وتنهبها وتضربها ولا تدلها ان لم تورد ما هو متعارف بينها من رسوم مرور .

وهذا الشيخ القاسمى كان مقره البحر وفي البحر رزقه ، وزاحمه الانجليز في تجارته ولم يدفعوا تعويضا عن خسارته كما تحالف الانجليز مع مسقط وشدوا ازرها ، وفتحوا لذلك بابا لتقاتل القوتين واججوا الصراع بينهما .

أرادت حكومة الهند ضرب حركة الموحدين في الخليج العربى حتى لا تتمكن من الخليج وتحكم مياهه خاصة وان الموحدين من القواسم كانوا قد تعرضوا لسفنها وللتجارة الخاصة التى يقوم بها بعض أفراد الشركة ورعايا البريطانيين تحت حماية العلم البريطانى . وجأر هؤلاء التجار بالشكوى لحاكم بومباى وهدد ثلاثون منهم بأنهم سيتركون التجارة والابحار ما لم تقم الحكومة

بضرب القراصنة [١] . العرب الذين كانت سفنهم تجوب البحر كما يحلو لها وتسيطر على مداخل الخليج وتطلب الرسوم بأسم الحاكم الوهابى .

كان حملة راية الدعوة السلفية في هذه الفترة يسيطرون على مناطق شاسعة من عمان ويبشرون بدعوتهم في مسقط وعرف الانجليز ضعف حليفهم امام عمان وخشوا سقوطه فأرادوا مساندته . فكان لا بد من حملة على القواسم تحفظ لمسقط كيانها [٢] وتدرأ عنها خطر السقوط .

قرر مالكولم صراحة لحكومة الهند بأن ازدهار مسقط كميناء تجارى سينتهى وستمرح فيه القرصنة اذا لم يتدخل اسطول الشركة لمساعدة سيد مسقط ضد السعوديين . كما حذر مالكولم من ازدياد قوة السعوديين وحرض حكومة الهند ان تتخذ لها سياسة ثابتة حيال هؤلاء [٣] وبعث مالكولم بنسخة من خطاب تلقاه السيد سعيد من سعود ردا على طلب سعيد الذى سأل سعودا رد شناص والمناطق الاخرى في شمال عمان التى احتلها مطلق . قال سعود في رده بأن استرداد سعيد لهذه المناطق مرهون بتلبية سعيد لداعى الجهاد بمهاجمة البصرة والتعرض لتجارة الهند [٤] .

كان الانجليز قد انهوا مشاكلهم مع الشاه فتح على خان وأبعدوه باتفاقية صداقة من علاقته بالفرنسيين الذين كان الشاه يلوح لهم بوحدة المصالح بين فارس وفرنسا حتى عقدوا معه اتفاقا تجاريا وآخر عسكريا . وما لبثت اتفاقية تلست ان نسفت الاتفاقين ودفعت بالشاه الى احضان البريطانيين صديقا مخلصا [٥] ، خاصة وان الشاه لم يكن يحب التعاون مع الثورة الفرنسية التى

---

(١) Miles, S. B., Countries and Tribes of the Persien Gulf p. 314.

(٢) Kelly, J. B., Britain in the Persian Gulf p. 115.

(٣) Miles, S. B., op. cit. p. 315.

(٤) Melcolm, J., Sketches of Persia, p. 13L.

(٥) Aitchison, C. U., A. Collection of Tresties, P P. 16 - 17.

اطاحت بالملك . صرح جودوفتش القائد الروسى الذى تولى قيادة الحملة الروسية في فارس بأن وساطة فرنسا غير مقبولة لديه واستأنف القتال في سبتمر ١٨٠٨ م / ١٢٢٣ هـ ونفض الشاه عنه حلف الفرنسيين . قابل الشاه هارفرد جونز H. Jones الذى وصل فارس في اواخر اكتوبر ١٨٠٨ م ممثلا لحكومة وستمنستر وليس مندوبا عن حكومة الهند التى كانت تتولى أمر العلاقات بين بريطانيا والدول المتاخمة للمستعمرة الكبرى . كان الشاه قد رفض قبل هذا مقابلة مالكولم واحاله الى حاكم شيراز لمناقشة مهمته [١] . وعاد مالكولم الى بومباى دون ان يحقق مهمته وظفر بموافقة منتو على توصياته بأن ينشيء قاعدة بريطانية وينقل وكالة بوشهر اليها [٢] .

كانت الحكومة البريطانية مصممة ان تنقذ صاحب مسقط من القوى المتحدة براية التوحيد ولتنفث فيه من روحها لتقيم من اوده حتى يقوم بحفظ الأمن في الخليج [٣] . ولذلك وافق منتو على ارسال حملة لضرب القواسم ، فأصدر اوامره الى الكابتن جون وينرايت J. Wainwright والليوتنانت كولونيل ليونيل سميث L. Smith وستون [*] بالسير على رأس حملة بحرية في الخليج . وأمر منتو قادته بأن تقتصر الحملة على البحر والمناطق الساحلية وان لا تتدخل في البر اطلاقا . ورغم ان منتو قد وافقة ان تسترد الحملة بعض المناطق للسيد سعيد الا انه شدد على قادتـه ان يحذروا ملاقاة السعوديين ملاقاة مباشرة وان يتخذوا أقصى قدر من الحيطة والحذر لمراعاة السيادة التركية والفارسية [٤] .

---

(١) Sykes (Sir Percy) History of Persia Vol. II P P. 304 - 307.

(٢) Kelly, J. B., op. cit. p. 116.

(٣) Aitahison, C. U., op. cit. p. 238.

(*) هلك ستون الضابط السياسى للحملة قبل ابحارها .

(٤) Malcolm, J. op. cit. p. 142.

لم يكن ضرب القواسم دون التعرض للسعوديين ممكنا اذ كان السعوديون هم المسيطرون الفعليون على الساحل العماني منذ عام ١٨٠٨م ، كما استطاعوا بقيادة مطلق المطيري من ان يسيطروا على خور فكان والفجيرة وديبا وخور كلبا . وازدادت بهذا عدد الموانىء التي تعمل ضد السفن البريطانية . وما كان التعرض الانجليزي لكل هذه الموانىء والسواحل ممكنا دون التعرض للسعوديين .

صدرت الأوامر في سبتمبر ١٨٠٩م لتحرك من بومباي فأبحر بأسطوله الى مسقط التي بلغها في ٢١ اكتوبر ١٨٠٩ حيث قابل حكامها وناقش خططه في الغزو مع السيدين سالم وسعيد ونسقها . وطفقت طلائع الحملة في ٥ نوفمبر الى رأس الخيمة . ولم يقبل البريطانيين عرضا تقدم به شيخ الكويت ، في هذا التاريخ ، بأن يشارك في ضرب القواسم بقوته البحرية أو أن يمدهم بالملاحين لارشاد سفنهم (١) .

سير الحملـــة :

بلغ الاسطول المعادي رأس الخيمة في ١١ نوفمبر ١٨٠٩ ، وبدأ القصف المدفعي للمدينة في ١٢ نوفمبر ، ولم تهن عزيمة القواسم . وفي ١٣ نوفمبر هاجمت القوى المشتركة للبريطانيين والعمانيين بكثافة وضراوة من البحر والبر فأرتد القواسم الى الداخل تاركين قلعة المدينة . احتل وينرايت القلعة ، وأباح المدينة ليوم كامل أحرز فيه جنود بريطانيا العظمى الاسلاب وقد استشهد من القواسم ما بين ٣٠ الى ٨٠ في حمأة المعركة . أما الذين أصابتهم القذائف بعد هذا فلم يحص عددهم . ولم يهلك للبريطانيين سوى ضابط واحد وثلاثة ملاحين ، وجرح من جندهم ما يربو على الخمسة عشر جنديا وبحارا . ارتفع العلم

---

(١) Lorimer, J. G., G. P. G. Vol. 1. p. 645.

البريطاني فوق بيت الشيخ في يوم ١٣ نوفمبر وانصرف الجنود البريطانيون الى الميناء يعطبون ويحرقون سفن القواسم فأصابوا منها نحو الخمسين ، ثلاثين سفينة منها كبيرة وكانت السفينة منيرفا من ضمن سفن القواسم التى أصابها التدمير في تلك المعركة (١) .

سمع البريطانيون خبر حملة سعودية تحركت لدعم رأس الخيمة فتدافع البريطانيون منسحبين من المنطقة الى لنجه التي بلغوها في ١٧ نوفمبر . ضرب البريطانيون لنجه ، وأفسدوا سفنها وأحرقوا منها حوالى العشرين . وتحرك وينرايت يستهدى هدى البوكيرك ، الى لفت (٢) التى كانت من معاقل القواسم وبنى النعيم . ولما لم يستجب الملا حسين شيخ لفت للتهديد أصلى الاسطول البريطاني قلعة المدينة نارا حامية واضطرت المدينة للتسليم . وسلّم وينرايت المدينة بدوره للشيخ درويش ، احد شيوخ بنى معين الموالين للسيد سعيد ، كما سلمه مالا كثيرا لصالح خزينة السيد سعيد (٣) . وانسحبت الحملة الى مسقط بعد ان هلك تسعة من رجالها وجرح ستة وخمسون واستشهد من الوطنيين من ٨٠ الى ٩٠ (٤) .

رجعت القوة الانجليزية بعد هذا الى مسقط وأبدى قائدها لسيد مسقط بأنه مستعد لغزو اى مكان يشير اليه السيد فأشار لهم الى شيناص وخورفكان (٥) .

تحرك وينرايت الى شيناص وبلغها في ٣١ ديسمبر . ولم يعبأ أهلها بالانذار البريطاني فقد كانت لهم قلعة منيعة دلوا بأنهم يفضلون الموت على التسليم (٦) .

(١) Lorimer. P P. 646-647.

(٢) Ibid, P P. 184.

(٣) Warden, F., H. S. J. in S. R. XXIV.

(٤) Kelly, J. B., op. cit. P P. 118 - 120.

(٥) Warden, F., H. S. J. in S. F. I. XXIV.

(٦) (1.0) Bombay Pol. Pro., Range 383 Vol. 14. Smeith to govt - in - Comal, la Chiffone, at Sea, 8 Jan. 1810.

هاجم الانجليز الحصن بحرا وهاجمه السادة العمانيون برا فاستسلم بعد مقاومة عنيدة . وعرف البريطانيون ان مطلق المطيرى قد ثار على مشارف شيناص قادما من رأس الخيمة التى حاول انقاذها وتأخر عنها . تدافع البريطانيون على الفور منسحبين حتى لا يحتكوا بالسعوديين بطريق مباشر تنفيذا لأوامر سادتهم في بومباى ، تاركين الحشود العمانية للسعوديين يتناوشونهم ، ولم يظفر بالنجاة من العمانيين الا نفر قليل [١] . وغدت قلعة شيناص خربة مهدمة لا تصلح للسيد العمانى الذى انهارت قواه في اللقاء الأخير ، وخشى مقاومة مماثلة في خورفكان . طلب صاحب مسقط من وينرايت ارجاء الهجوم على خورفكان ووافق الأخير اذ لم يكن للبريطانيين مصلحة في الهجوم على ذلك الميناء [٢] .

نتائج حملـة ١٨٠٩ / ١٢٢٤ هـ :

تعيد هذه الحملة الى الاذهان اخبار حملة البوكيرك فقد خربت هذه الحملة ، كما فعلت تلك ، المدن واحرقت السفن واخذت الاسلاب . وتساوت في سيرها واهدافها مع حملة البوكيرك في الخليج العربى حذوك النعل بالنعل .

ظاهر البريطانيون في هذه الحملة قوة عربية على قوة عربية اخرى وزادوا في الوقيعة بين القوتين مستغلين العروق العقائدية بينهما . وقد أفاد الانجليز من هذا كثيرا الا ان بعض المؤرخين [٣] يعتقدون ان هذه الحملة لم تكن ناجحة اذ لم يفقد القواسم قوتهم البحرية تماما ! نجت بعض سفن للقواسم من التخريب والاحراق ولجأت الى الخيران في شبه جزيرة مسندم التى لم يستكشفها الانجليز بعد ، كما نجت للقواسم سفن اخرى كانت في رحلات تجارية مع شرق

---

(١) Kelly, J. B., op. cit. P.P. 120 - 12L.

(٢) Warden, F., H. S. J. in S. R. N. XXIV.

(٣) Kelly, J. B., op. cit. p. 123.

افريقية . والحقيقة ان هذه الحملة لم تحقق اهدافها تماما . فقد بقيت خورفكان وبعض المناطق الأخرى التى كان سيدعمان يطلبها في قبضة السعوديين لم ينتزعها الانجليز لردها الى سادة عمان . أما جل المناطق التى استطاعت الحملة اخذها فلم تكن قبضة سيد مسقط عليها الا واجفة راجفه . ولم تستطع هذه الحملة إخماد قوة القواسم الذين دعمتهم الدولة السعودية وأسرعت تشد من ازرهم ولم يكن ثمة طريق لحفظ نتاج الحملة بعقد اتفاق مع شيوخ القواسم الذين لم يعودوا الا أداة للدولة السعودية ينفذون أهدافها [1] .

كانت الأوامر لوينرايت متناقضة منذ البداية حين امروه بضرب القواسم دون التعرض للسعوديين وقد أسفر هذا التناقض عن حملة تأديب لم يفد منها الانجليز كثيرا . ولم تستطع هذه الحملة ان ترد للشركة البريطانية من السفن التى آلت للقواسم شيئا ، ولم تفك أسار أحـد ولم تسترجع او تأخذ عوضا عن ثمن البضائع التى آلت للقواسم في جهادهم البحرى . بل ان الحملة لم تستطع ان تصل مع القواسم الى اتفاق (*) كذلك الذى عقدوه في ١٨٠٦م والذى ربما كان من نتائجه إقصاء سلطان بن صقر عن مشيخته . لم تشأ سلطات الهند البريطانية ان تدخل السعوديين طرفا في النزاع واستبعدت عقد اتفاقية مع شيوخ القواسم الموالين للسعوديين ولم تجد احدا غيرهم تفاوضه حين ادركوا ان اى اتفاق ملزم للقواسم يجب ان يتم عن طريق السعوديين [2] كما ان الحملة لم تستطع احتلال المنطقة لفترة طويلة لتزرع لها بعض صنائع هنالك .

---

(١) Aitchison, C. U., op. cit. p. 239.

(*) يقول جوليان

Guillian (Documents sur l'Histoire de l'Afriquie orientale, PP. 167.

(٢) ان سميث عقد اتفاقا مع مطلق في شيناص تعهد فيه القائد السعودي ان لا يعترض سفن البريطانيين كما تعهد الانجليز ان لا يتدخلوا في النزاع القائم بين السعوديين وامام عمان وليس لهذا في وقائع حكومة بومباى ما يثبته نقلا عن : Kelly, op. cit. p. 128.
غير اننا نجد موزيرى يشير الى ان سميث قائد حملة ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م قد وقع بعد حملة =

ولهذه الاسباب يمكن ان نحكم على الحملة بالفشل في تحقيق مهامها اذ لم تحقق الا بعض غنائم واسلاب لجنودها ، ولم تفد الا في تعميق الشعور بالعداء بين السلفيين والاباضيين اتباعا للمذهب الاستعماري القديم فرق تسد .

قضت الحملة شهر يناير ١٨١٠ م / ١٢٢٤ هـ في الخليج العربى تتعرض لكل داو قاسمي تدمره . وتراجعت مع نهاية الشهر أكثر قطع الاسطول الهندى الى بومباى وبقيت بعض قيادتهم في الخليج تبحث عن جزيرة مناسبة يقيمون عليها قاعدة عسكرية وقد اصدرت بومباى أمرا لهؤلاء القادة حملة اليهم مالكولم حين كان في بعثته الثالثة الى فارس . وقضى الأمر بالتوجه الى خور حسان ومهاجمة رحمة بن جابر (**) الذى اتهموه بايواء بعض سفن القواسم في المنطقة .

= شيناص ١٢٢٥ هـ ١٨١٠ م معاهدة الزم فيها القائد السعودي بعدم التعرض لسفن الانجليز كما التزم القائد الانجليزي بوقف مساعدتهم للسيد سعيد التي يجور بها على السعوديين وتشجعه على عدم دفع الجزية الى الدولة السعودية .

انظر :

Mourizi, V., (Shaik Mansour), History of Seyd Said. Sultan of Muscat with, an account of the Peoples and the Shores of the Persian Gulf, Particullarly the Whabee (London, 1819) p. 67.

(**) كان رحمة بحارا على قدر كبير من الشجاعة والحزم . اختلف رحمة مع اهله العتوب في الكويت والبحرين وثار ضدهم فحارب سفنهم وتعرض لتجارتهم واتحد مع كل مختلف مع العتوب - ساعده القواسم ، بدء امره في رد حملة فارسية فهزمها . حالف رحمة ابن عفيصان كذلك ضد عتوب البحرين - وانكسر امامهم في موقعة خكيكيره . حالف سادة عمان ضد عتوب البحرين وانهزم في واقعة المقطع . انتهى امر رحمة في موقعه، ذبح رحمة الجلاهمة في ١٢٤٢ هـ حين احاطت به قوات الشيخ احمد بن سلمان . لما عرف رحمة بنهايته جعل ابنه الصغير بين يديه وعمد الى نار (نارجيلته) فالقاها في مخزن البارود بالسفينة وتناثر مع اشلائها ، لمزيد من التفصيلات انظر المراجع التالية :

محمد خليفة النبهاني ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٧ - ١٥١ .

Lorimer, S. G., op. cit.

جمال زكريا قاسم رحمة بن جابر الجلاهمة ، حولية كلية الاداب جامعة عين شمس (١٩٦٤) .

Sketch on the Proceedings from 1809 - 1820 of Rahma b. Jabir, Warden & Hennell in S. R. I. P P. 522 - 525.

اختلف رأى العسكريين والمسئولين البريطانيين في أمر رحمةوتشعب، فبينما رأى البعض [1] منهم في رحمة قرصانا يسير في ركاب السلفيين يجب ان تدمر قوته رأى البعض الآخر عدم التعرض له لأنه لم يعترض التجارة البريطانية. وانتهى الأمر بارسال خطاب من سميث الى الامير سعود يطلب منه ان ينهى رحمة واتباع المذهب السلفى الآخرين عن عمليات « القرصنة » وقبل المقيم سميث هذا مرغما [2] اذ لم يكن من انصار التعايش السلمى مع العرب . فقد كان يؤمن بعدم جدوى مخاطبة الذين يسيرون على هدى المذهب السلفى .

كان موقف الامام سعود واضحا منذ البداية اذ قطع بأن ما يحدث فوق مياه الخليج ليس قرصنة انما هو جهاد. ارسل الامام سعود رسالة الى سميث يقول فيها له بأنه لا يسر بتدمير بعض السفن التي لا يقيم لها هو ولا أصحابه وزنا كبيرا وأشار الامام بأن السيد سعيد بن سلطان قد زج بالسياسة البريطانية فيما لا قبل لها به . وأضاف الامام سعود بأنه سيضرب عن كل هذا صفحا وسيمد من حبل الصبر ، وسيحترم التجارة البريطانية في الموانىء التى تدين له بالولاء ، ولكنه سينتظر المعاملة بالمثل في موانىء الهند البريطانية . ونصح الامام سعود في رسالته سلطات الهند بأن لا تتدخل في مشاكله مع جيرانه من المسلمين . ثم شجب الامام الحرب وويلاتها ومشاكلها وأضاف بأنه لا يخوضها الا أحمق . ورد هانكى سميث للامام سعود شاكرا تعاونه مضيفا بأن الحكومة لن تتدخل في عملياته ضد المسلمين الآخرين الذين خرجوا عن اصول الدين وابتعدوا عن القرآن وجافوا السنة . ووعد هانكى الامام سعود بأن البريطانيين

---

(١) (1.0) Bombay Pol. Proc., Range 383, Vol, 14, Cons. of 17 Feb. 1810. Minutes Duncan & Richonds, Sd, Various others in this Vol.

(٢) (1.0) Bombay Pol. Proc., Range 383, Vol. 17, Cons. of 29 May 1810. Smith to Warden, 13 April and 24 March. 1810 endorsing Waredn to Smith 17 March. 1810.

سوف لن يستعملوا القوة الا ضد القراصنة « أعداء البشرية » وتمنى في آخر رسالته ان يسمع دوما عن اخبار الامام سعود وازدهاره ونجاحه [١] .

مقدمات حملة ١٨١٩ / ١٨٢٠ م :

كان هنالك عاملان يشدان حكومة الهند البريطانية للعمل الحربى في الخليج العربى اولها كثرة التعدى القاسمى على المصالح البريطانية في الخليج وثانيهما التوغل الروسى في شمال فارس . كما كان هنالك عاملان يشدان حكومة الهند عن الحرب اولها ثورات مواطن الهند في مناطقهم المتعددة وثانيهما اتقاء اللقاء بالسعوديين .

أ ــ التعدي القاسمى :

أخلد القواسم على اثر حملة ١٨٠٩ / ١٨١٠ للهدوء النسبى . غير ان ذلك كان لتجميع القوى والتقاط الأنفاس وتجديد الاسطول . لم تفت هذه الحملة في عضد القواسم لأنها كانت حملة غير متبوعة باجراءات وقائية او احتلال مباشر [٢] . بدأ القواسم يشترون سفنا ويبنون اخرى كما عمدوا الى بناء قلاع جديدة ، ثم عادوا للجهاد الذى توقف حتى عام ١٨١١ م / ١٢٢٦ هـ لما أصاب قوتهم من وهن ازداد بوجود بعض سفن الشركة الحربية في الخليج العربى [٣]

(١) (1.0) Pengal. Pol. Pro., Range 119, Vol. 8 Cons. of 7th July 1810., Soud b. Abul Aziz to Hanky Smith, n. d., rec. Bushire 15 April 1810. Morrier, J. A., Journey Through Persia and Asia Minor to Constantinople. 1809 (London, 1812) p. 347.

(٢) Aitchison, C. H., op. cit. p. 235.

(٣) Miles, S. B., op. cit. p. 314.

ولعلنا نلاحظ ان شركة الهند الشرقية قد اشترت بموجب هذا الاتفاق الذى لم يثبت حصانة تجارتها وسلامة سفنها على حساب تجارة وسفن الأقوام الآخرين خاصة أهل المنطقة من العرب الذين هم بطبيعة الحال احق من غيرهم بالتجارة في هذه المياه. كما اعترف المقيم صراحة بحق القواسم في مهاجمة كل السفن الأخرى . واذا ادركنا مدى التحاسد التجاري والمذهبي والسياسى في المنطقة لادركنا الدور البريطانى في تشجيعه وتعميقه كما لا يفوتنا ان نلاحظ في هذا الاتفاق تقويضا لما يدعيه البريطانيون في انهم يريدون كبح القرصنة فوق مياه الخليج .

وصل القواسم في اكتوبر ١٨١٤ الى سواحل مكران وكتش والسند وانتشروا في المياه الهندية يجاهدون الوثنيين ويغنمون سفنهم . والتزمت حكومة بومباى في بادىء الأمر بهذا الاتفاق مع السعوديين حتى انهم رفضوا طلبا من امراء السند بحماية تجارتهم .

كان هذا الاتفاق الذى ظنت الشركة انها اشترت به السلامة اتفاقا قصير النظر ، لأن الشركة كانت تتعامل مع سفن عمان ومناطق الهند المختلفة والبصرة وغيرها . ولم يُجدِ هذه السفن نفعا انها كانت ترفع العلم البريطانى . كانت جنسية السفينة في نظر القواسم هى جنسية اصحابها والعاملين عليها من بحارة وجنود ، أما في الفكر البريطانى فقد كانت جنسية السفينة كما هى حديثا ، جنسية العلم المرفوع عليها . ولذلك لم يكن من الاحتكاك بد لاختلاف وجهات نظر القوتين .

هاجم القواسم بالقرب من بندر بور بعض السفن التى كانت ترفع العلم البريطانى . ارسل بروس رسولا بثلاثة خطابات الى حسن بن رحمه والى حسان بن محمد الذى فاوض بالنيابة عن حسن بن رحمه والى حاكم لنجه . وقد اثار بروس رجوع رسوله خلال أيام قليلة في حالة يرثى لها . جرده شيخ لنجه من قوته وأوشك ان يستولى على قاربه ولكنه تراجع . وفي رأس الخيمة

وجد الرسول حشدا سأله عن هوية المركب ولما علموا انها انكليزية تابعة لبروس أظهروا مساعدته وإقتادوا مركبه الى الميناء ثم هاجموا الرسول معنفين اياه لتعاونه مع الكفار [١] وقد أفلت الرسول منهم ورجع وبعض بحارته الى بروس الذى ازداد يقينا بأن الاتفاق مع هذه العصابات غير المسئولة [٢] وأمر مستحيل .

كان تعاون المسقطيين مع الكفار هو مشكلة القواسم الأولى . فقد كلفهم تعاون السيد سعيد مع البريطانيين شططا فتعددت حملاته على رأس الخيمة التى اراد استعادتها لسلطان بن صقر [*] وايده البريطانيون في ذلك حتى يجدوا سلطانا يفاوضونه في أمر تجديد اتفاق فبراير ١٨٠٦ ، عرض سلطان بن صقر حين وصل الى مسقط على السيد سعيد ان يعاونه ضد السعوديين على ان لا يقوم صقر باي اعتداء على عمان مستقبلا . طلب سعيد الى بروس أن يؤيد العمليات التى سيقوم بها في أرض القواسم بالاشتراك مع شخبوط شيخ النبى ياس من أجل اعادة سلطان بن صقر الى مشيخته في رأس الخيمة ولما كانت تعليمات بروس تتضمن تجديد المعاهدة التى عقدها ستون في ١٨٠٦ وافق بروس على طلب السيد سعيد . وفشلت هذه الحملة في أهدافها لانسحاب شخبوط شيخ النبى ياس من التحالف . وقد تحقق لسعيد هدفه في حملة أخرى اشترك فيها البنو ياس ايضا . وانسحب سعيد بعد أن عقد معاهدة مع القواسم تنص على سيادة السلام واستقرار الأمن في المنطقة الممتدة من البحرين الى رأس الخيمة والمنطقة المقابلة لها من الساحل الشرقى للخليج العربى .

انحصر نفوذ سلطان بن صقر في الشارقة وصارت القبيلة مقسمة بين

---

(١) Warden, F. H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٢) op. cit.

(*) هرب سلطان بن صقر من سجن الدرعية الى اليمن ونزل في المخا ومنها سافر الى مسقط .
انظر : M. R. L. R. T. A. S. P. G. in S. R. I. XXIV. p. 18.

الشارقة ورأس الخيمة وأم القوين ولعلنا في هذا الوقت نشهد ولادة مشيخات جديدة تحمل اسماء جغرافية بعد ان كانت تعرف قبل هذا التاريخ باسم القبيلة أو بفروعها (١) .

لم يلتزم القواسم بالسلام الذى فرضه السيد سعيد فما ان رفع سعيد الحصار على رأس الخيمة وانحسرت قواته عنها حتى قام القواسم بمهاجمة سبع سفن فارسية كانت في طريقها من مسقط الى بندر عباس ، وهو ميناء كان تابعا في هذا الوقت للسيد سعيد واستمر تصيد القواسم لسفن سعيد او السفن المتعاملة معه فهاجموا في السنة التالية (١٨١٥) سفينة تجارية تابعة لسعيد ، وتحرشوا باسطول كان يقوده سعيد بنفسه ولاقوه عند قريات . وخاض القتال في تلك المعركة حتى جرح سعيد وهو يدافع عن سفينته كارولين Caroline (٢) واتجه سعيد بعد هذا للحصول على الدعم البريطانى بأى ثمن حتى انه عرض ان يتخلى عن بعض جزره للبريطانيين مقابل ذلك الدعم . ولما لم يكن من سياسة الشركة البريطانية في هذا الوقت القيام بحملات في الخليج رفضوا عرض سعيد ومنعوا الدعم . جدد سعيد حملاته ضد القواسم في ١٨١٦ م / ١٢٣١ هـ فحاصر رأس الخيمة دون نتيجة مؤثرة .

استشرى النفوذ القاسمى في البحر الخليج والمحيط حتى بلغ في ١٨١٥ شارف بومباى شرقا والبحر الأحمر غربا . هاجم القواسم خارج ديو سفينتين وطنيتين محملتين بالقطن واستولى القواسم على السفينة مصطفى بالقرب من بومباى وكانت السفينة ترفع العلم البريطاني - واخذ القواسم بعد هذا ستة قوارب بالقرب من كراتشى والهند . كان نجاح القواسم في هذه الحملات واضحا جدا حتى فكرت القبائل الاخرى ان تحذو حذوهم لتفيد ماديا وبدأت بعض العمليات لشيوخ خارج والبحرين (٣) واتجه القواسم الى جنوب الجزيرة

---

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ١٨٠ .

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. p. 194.

(٣)

العربية والبحر الأحمر وهاجموا مينائى هاسك وظفار والموانىء الأخرى في جنوب الجزيرة ، وقطعوا بذلك التجارة بين الهند ومخا [1] وهاجم القواسم بعد هذا السفينة اورورا Aurora وقتلوا اكثر بحارتها كما طلبوا فدية لفك حصار الاخرين كما ظفر القواسم بالسفينة دايريا دولت Dariah Dowlat التابعة للشركة وكان قادتها وبحارتها من الهنود كما هاجموا ماكلوى وسنترا وبرشيا وهى سفن لامريكا وفرنسا [2] وصارت للقواسم قوة وبأسا حتى ان بروس لم يجد سفينة او قاربا ليصل به رسوله لرأس الخيمة [3] فكل يخشى غضب أهل رأس الخيمة إذا هو تعاون مع الكفار.

طفق القواسم يتعقبون سفن الانجليز ورعاياهم قام تشكيل قاسمى بحرى بقيادة ابراهيم وهو ابن أخ الشيخ حسن بن رحمة بمهاجمة ثلاث سفن تابعة لتجار سورات كانت ترفع العلم البريطانى واستطاع القواسم ان يستولوا عليها وأصابوا منها حظا عظيما . وأخذ المد القاسمى يطغى حتى بلغت جرأتهم مهاجمة تورارو Turrarow وهى من اكثر سفن الشركة عتادا وسلاحا وأعادت الشركة تنظيم اسطولها بعد هذا وطلبت الى ضباطها في الخليج حماية السفن التجارية ريثما تهيأ الأمور لحملة ضد القواسم [4] ارسلت سلطات الهند برجز Briges على رأس قوة بحرية مكونة من السفينة شالنجر ذات الثمانية عشر مدفعا وطرادى الشركة ميركيورى وفستال الى رأس الخيمة ليطلب التعويض عن سفن سورات وغيرها ويطالب بمعاقبة الجناة . وأمر نبيان قائده ان يبلغ شيخ رأس الخيمة في حالة عدم استجابته لمطالب سلطات الهند ، أن عليه ان يتحمل وزر عدم رضاء الحكومة البريطانية . وحذر نبيان القائد برجز من ان

---

(١) Lorimer, J. G. op. cit. P.P. 194 - 195.

(٢) Warden. F. H. S. S. in S. R. I. XXIV. p. 310.

(٣) Ibid p. 311.

(٤) Ibid, p. 312.

يشن على القواسم حربا لأن قوته محدوده بالقياس الى قوة القواسم التى بلغت في ذلك الحين نحوا من خمسين مركبا [٢] .

وصل برجز في صحبة بروس الى رأس الخيمة في اكتوبر ١٨١٥ م / ١٢٣٠ هـ واستقبلها الشيخ القاسمي ولكنه لم يقر دفع التعويض الذى اتيا لتحصيله . قال الشيخ القاسمي ان تعهده للمقيم لا يشمل السفن الهندية انما هو فقط لسفن النصارى وممتلكاتهم ، وانه ورجاله لا يعتبرون اى جزء من الهند انجليزيا او تابعا للانكليز لأن الانكليز قد يأخذون الهند كلها ويستعمرونها فيسبغون حمايتهم على الهندوس ولن يبقى بعدها لعرب القواسم غنما ينالونه [٣] . كما ذكر شيخ رأس الخيمة لهذه السفارة بأنه ليس للبريطانيين الحق في ان يتدخلوا في علاقاته مع القوى الأخرى من الاتراك او غيرهم من المسلمين وفاء لما التزم به البريطانيون من قبل . ورفض شيخ رأس الخيمة ان يجيب طلب البريطانيين من ان يسلمهم احد ابنية أو اخيه ليصير رهينة عند سلطات الهند البريطانية [٣] .

لم يعجب برجز وبروس منطق الشيخ فأصدر برجز أمره للطراد فستال بضرب رأس الخيمة بالقنابل . ولم يحقق بهذا أمرا مفيدا اذ لم يرضخ الشيخ وانسحبت هذه البعثة العسكرية دون ان تحقق أى هدف [٤] . وكان هذا فراق بين حسن ابن رحمة والموانىء ذات الصلة به على ساحلى الخليج وبين السفن البريطانية . تحلل البريطانيون بضرب رأس الخيمة من سياسة الوفاق . ولم يكن ابن رحمة في موقف الضعيف اذ كان لهم في هذه الفترة في عام ١٨١٦ م حوالى الستين سفينة تحمل كل منها عددا يتراوح بين ٨٠ الى ٣٠٠

---

(١)

(٢) Warden, F. H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٣) Ibid.

(٤) (1.0) Persia and the Persian Gulf, Vol. 32, Sovt-in Govt-in Council:, Bombay castle, 9 Oct. 1819.

رجل ، الى جانب ٤٠٠ قارب من احجام مختلفة في الموانىء المختلفة على ساحلى الخليج [١] .

كان نبيان يدرك تماما ان حملة ضد القواسم غير واردة في حسبانه لسببين اولهما : ان حروب الشركة مع المهارتا والبندارى كانت تستنزف كل قوتها ولا تبقى لها فائضا من الجند او العتاد ليرموا به الى الخليج العربى [٢] . وثانيهما : ان حرب القواسم قد تجر في ذيولها حربا مع السعوديين لأن القواسم يعملون لخدمة اهداف السلفيين ويؤدون الخمس الى الدرعية . أضمر الانكليز الحملة على القواسم وحزموا أمرهم عليها واتخذوا في مجلس بومباى قرارها ولكنهم استبقوها حتى ينشغل السعوديون بأمر جلل مع تقدم حملة محمد علي من مصر . وحتى يصير هذا ، صار من سياسة سلطات الهند ان تتعامل مع كل من يعمل ضد القواسم . وقررت دعم السيد سعيد ، كما حاولوا التفاهم مع حسان بن جابر ذلك الثائر على أهله الذى دمغه البريطانيون بتهمة القرصنة من قبل واستعدوه على القواسم حين حالف القواسم آل خليفة .

ازدادت الاضطرابات في الخليج في الفترة من ١٨١٦ حتى ١٨١٨ م وذلك حين شب نزاع في مشيخة أبو ظبى تمكن به محمد بن شخبوط في ١٨١٦ من اقصاء أبيه عن الحكم واستمر حاكما لسنتين قام بعدها طحنون بن شخبوط بمساعدة سلطان مسقط من اعادة المشيخة لأبيه وشاركه امور المشيخة واداراتها . وأصبحت سلطة طحنون بعد هذا تفوق سلطة أبيه . ولجأ محمد بن شخبوط الى البدع [*] يحتمى بعبدالله بن احمد شيخ البحرين . كانت مشيخة أبو ظبى قبل هذا الانقلاب الأخير في تحالف وثيق مع مشيخة القواسم

---

(١) Ilson, op. cit. p. 206.

(٢) (1.0) Bombay Sec. Pro., Vol. 41, Cons. 29 of 21 July. 1819, Adams J. to warden, fort willicin 25 8ed. 1817.

(*) الاسم القديم للدوحة .

ولكن تعاون طحنون مع مسقط أفسد هذا التحالف وما لبث ان انقلب الأمر بينهما الى عداء . وكان على الشيخ شخبوط وأبيه ان يركنا الى سلطان مسقط ويتحالفا معه ضد القواسم ويتمتعان بداهة ، بتأييد بريطانيا [1] . فاستقر النزاع بين القواسم والمسقطيين على مياه الخليج وكثر بالتالى التعرض للسفن كافة حتى اعترف نبيان في نهاية موسم ١٨١٧ / ١٨١٨م بأن « القراصنة » كانوا جريئين وناجحين جدا [2] ولذلك لا بد من الاسراع بضربهم . ازداد نبيان قناعة بضرورة الحرب في الخليج العربى خاصة وان الظروف في فارس في تلك الأيام كانت تستدعى وجوداً بريطانيا فعالاً .

الظروف في فارس :

استطاع لازاريف Lazareff الجنرال الروسى من ان يضم جورجيا الى روسيا في ١٨٠٠م، وأصبحت روسيا بهذا على الحدود الفارسية ، وبدأ بذلك الاحتكاك المباشر بين الروس والفرس . شنت فارس على روسيا حربا صادفت فيها بعض النجاح اولا ثم منيت بعد ذلك بهزيمة نكراء في اسلاندوز Aslanduz في عام ١٨١٢ . وانتهت الحرب بين القوتين باتفاقية جلوستان [3] Gulistan في نفس العام . فقدت فارس بموجب هذه الاتفاقية حمايتها على جورجيا والدويلات المجاورة . وآلت بعض أراضى فارس لروسيا التى تعهدت في نظير ذلك بمساندة عباس ميرزا ضد منافسيه بالداخل . أثار هذا الاتفاق مخاوف ديلوك السفير البريطانى في طهران فكتب ينادى بأن

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ص ١٠٥

(٢) (1.0) Persia and the Persian Gulf, Vol. 32, Gov. in council to court 9 Oct. 1819.

(٣) لنص الاتفاق انظر :
Hurewitz, The Middle East and North Africa in World Politica, Vol. 1 (1535 - 1914) Doc. No. 55.

تواجه هذه الاتفاقية بمظاهر جديدة للنفوذ البريطانى . وكأننا نلمس في هذا الاقتراح بوادر سياسة تقسيم فارس الى مناطق نفوذ ، تلك السياسة التى ستأخذ شكلها النهائى في اوائل القرن العشرين [١] . ولم يكن يقف ضد هذا العمل العسكرى الذى أقرته سلطات الهند الا خشية البريطانيين من بأس الدولة السعودية في الخليج العربى وتفاقم المشاكل العسكرية في الهند .

سقوط الدولة السعودية الأولى :

أتت الرياح التى عصفت بالدولة السعودية من الشرق الذى لم يكن يتفهم دوافع هذه الحركة . كانت حركة التوحيد السلفية في نظر الشرق العربى حركة تمت في منطقة نائية عن الرقابة السياسية للدولة العثمانية وحققت بمبادئها نصرا تلو نصر مما دفع آل سعود الى طريق التطرف فرفضوا التعاون او التهاون مع العثمانيين . وإعتقدوا خطأ أن لدى السلفيين غلوا وعنفا فلا غرابة ان بدت حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نظر بعض المسلمين ، من غير المتفهمين لها حركة مارقة مثيرة لا تعمل لتقويم ولا تدعو لهداية[٢] .

وانتشرت اخبار التطرف والغلو عند السعوديين وتناقلها أهل الشام والعراق الذين ذاقوا وبالا من جراء غزو السعوديين لأطراف بلادهم ، وانقطاع تردد القوافل التجارية لهم ، فابتلى الناس في ارزاقهم . إستغلت الدولة العثمانية هذا الإستياء العام وسعت لضرب الدولة السعودية بمحمد على باشا والى مصر . ولربما يرجع ضرب العثمانيين للحركة لأمرين اولها انها اخضعت الحجاز الذى ضم الحرمين الشريفين اللذين كان السلطان العثمانى يعتز بأنه خادمها وثانيهما ان

---

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٠٦ .
(٢) عبدالكريم غرايبة ، مرجع سبق ذكره ص ٢٧ .

الامام السعودى كان أول حاكم سنى يرفض الاعتراف بالسلطان العثمانى خليفة للمسلمين [(١)] .

تهيب محمد على الأمر اولا ، وما زال به السلطان حتى اقتنع بعد فترة طويلة من المراسلات . ارسل محمد على حين اقتنع حملة عقد لواءها لابنه طوسون في ١٨١١ ثم تولى بعد ذلك قيادتها بنفسه في الفترة من ١٨١٣ حتى ١٨١٥ ، وصارت قيادتها بعد ذلك لابراهيم بن محمد على الذى حاصر الدرعية وشدد عليها الحصار حتى انصرف عن عبدالله اكثر الذين بذل لهم الدراهم . ولما رأى عبدالله ان زمام الأمر قد أفلت من يده بذل نفسه . وافتدى النساء والولدان والاموال فأرسل الى الباشا يطلب الصلح .

أمر ابراهيم باشا عبدالله بالخروج اليه فخرج في ٨ ذى القعدة ١٢٣٣ (٩ سبتمبر ١٨١٨) ، وجاءت أوامر محمد على لابنه ابراهيم بحرق الدرعية وتدميرها ، وقد فعل . ونزح الأحياء من أهل الدرعية الى مناطق متفرقة من شبه الجزيرة العربية ولجأ بعض آل الشيخ الى رأس الخيمة [(٢)] .

علم شيخ رأس الخيمة بالحملة المصرية التركية وانتصارها فأرسل بعض رجاله لبناء قلعة في باسيدو على الجزء الغربى من جزيرة قشم ليأوى واتباعه اليها عند الضرورة . وكتب المقيم البريطانى الى بومباى يقول ان هذه القلعة ستشكل تهديدا خطيرا على التجارة البريطانية وان على قائد اسطول الخليج ان يمنع عبور القواسم الى قشم وقد تبنت بومباى هذا الأمر ونفذته [(٣)] .

---

(١) عبد الكريم غرابية ، مرجع سبق ذكره ص ٨٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٨ .

(٣) Hennell, H. S. J., (Cont.) in S. R. I. XXIV. p. 320.

التخطيط لحملة رأس الخيمة :

كانت بومباى تخطط لحملة ضد رأس الخيمة مع تقدم القوات التركية المصرية في شبه الجزيرة العربية . وبدأت مخابرات البريطانيين تنشط فأرسل الوكيل المساعد في جزيرة العرب التركية تقريرا يحدد أماكن القرصنة والموانى الرئيسية لها . وقد حدد التقرير هذه الأماكن برأس الخيمة والجزيرة الحمراء ، وام القوين ، وعجمان ، والشارقة ودبى ، والزبارة ، وخور حسن ، والقطيف ، والعقير ، وأبو ظبى ، ولنجه ، وخاراج ، وأضاف التقرير أن « قبائل القرصنة » تستطيع ان تضع في البحر ٨٩ سفينة حربية كبيرة و ١٦١ قاربا صغيرا ، كما يمكن لهذه القبائل ان تضع على هذه المراكب ١٠ر٠٠٠ جنديا (١) .

كان المقيم بروس من أبرز المنادين بالتدخل العسكرى في الخليج ، وكذلك السفير ديلوك ووليام هيد الضابط ببحرية الهند . ولم يكن ايفان ثبيان يرفض الحرب ضد أهل المنطقة فهو من أشد المتحمسين لها ولكنه كان رجل استراتيجية يتحين الظروف المواتية . فلما استقرت الأمور في الهند وأحرقت الدرعية بدت الأمور مهيأة للتدخل العسكرى (٢) .

حاولت بومباى ـ اول الأمر ـ الاستعانة بقوات ابراهيم باشا في ضرب رأس الخيمة ثم عدلت عن ذلك لتدخل طرفا للتنسيق بين ابراهيم باشا والسيد سعيد لعمل عسكرى يرى مشترك ضد رأس الخيمة وتوابعها على ان تقوم وحدة عسكرية من اسطول الشركة بالعمل البحرى . وبهذا يمكن لسلطات الهند ان تجنى ارباح هذا العمل المشترك خاصة وان التقارير التى ارسلت الى بومباى تشير الى اعتزام ابراهيم باشا للتقدم لضرب رأس الخيمة (٣) . ورأت سلطات

---

(١) **Kelly, J. B., op. cit. p. 139.**

(٢) **Ibid, p. 140.**

(٣) **(1.0) Bomby Pol. Loc. Sit.**

الهند ان تستعين بالقبطان جورج فورستر سادلير G. F. Sadlier في التنسيق العسكرى والسياسى بين القوى العمانية والبريطانية والمصرية . كما كلفت الحكومة سادلير بالتجسس على قوة الحملة المصرية التركية والتثبت من خططهم المختلفة (١) .

كانت سلطات الهند تنظر منذ البداية الى تدخل القوات المصرية التركية في شئون الخليج بكثير من الريبة وعدم الارتياح ، وكانت تميل لجعل سيد مسقط مسئولا عن مشيخات الساحل العمانى والبحرين على ان يسمح لهم باقامة قاعدة في قشم (٢) .

دارت قبل هذه الحملة المشتركة المزمع قيامها مشاورات عدة عن طريقة واسلوب حكم المشيخات المختلفة بعد الاستيلاء عليها . قدم نبيان في ابريل ١٨١٩ م / ١٢٣٤ هـ خطة لمجلسه فحواها تطوير قوة السيد سعيد في الخليج ، وتوليته البحرين لتضيف بامكاناتها الاقتصادية لقوته العسكرية ، ولعزل آل خليفة الذين كثيرا ما تعاونوا مع القواسم . كما رأى نبيان ان يعطى المنطقة الممتدة من رأس الخيمة حتى الكويت شمالا للأتراك المصريين ، على ان تؤول المنطقة من رأس الخيمة جنوبا للسيد سعيد . وقد اختلف المجلس كثيرا حول خطة التقسيم هذه ورأى ارجاء البت في الأمر حتى تتضح الخطط التى يسير عليها ابراهيم باشا (٣) . وكان واردن من أبرز المعارضين لنبيان في شأن تقوية السيد سعيد الذى كان رأيه فيه انه أقل شيوخ المنطقة شعبية ، واقترح واردن انه اذا كان لا بد من ان تقسم بريطانيا هذه المنطقة بين الشيوخ المختلفين فدونها شيوخ أبو ظبي والكويت ، غير ان واردن أضاف بأن اخضاع قبيلة ما لقبيلة

---

(١) (1.0) Bombay Pol. Por. Vol. 40 Consul. 17 of 14 April 1819.

(٢) Kelly, J. B., Britain and The Persian Gulf. p. 141 - 145.

(٣) Loc. cit.

اخرى قد يزيد في عمليات « القرصنة » حين تحاول هذه القبائل الفكاك من قبضة الشيوخ المفروضين عليها بالقوة . ولم يتدخل هاستنج الحاكم العام لفورت وليام ، لحسم الأمر بل تركه برمته لنبيان ليتصرف بما تقضى الظروف ان كانت هنالك عجلة من الأمر . وقيده بشرطين اولها عدم المساس بسيادة دول المنطقة الا فيا يخص انهاء « القرصنة » وثانيهما عدم اقامة قاعدة بريطانية الا اذا كان تمويلها من قبل السيد سعيد ممكنا او كان لها دخل من الجمارك يكفى سد مصاريفها (١) .

عرف حسن بن رحمة بنية حكومة الهند بتجهيز حملة لضرب منطقته فأرسل للمقيم الانجليزي سفارة تدعو الى تحسين العلاقات . ولم يأبه الانجليز بالسفارة القاسمية لانهم كانوا يدركون مدى تحرج وضع القواسم بعد سقوط الدرعية (٢) .

أبحر القبطان سادلير من بومباى في ابريل ١٨١٩ ومعه رسائل للسيد سعيد وابراهيم باشا . وفي مسقط وجد سادلير ان السيد سعيد لا يرغب في التعاون مع ابراهيم باشا خوفا من العواقب الوخيمة لهذا العمل . وما زال به سادلير يهدىء من روعه حتى تعهد بتقديم بعض القطع البحرية لمساعدة جيش ابراهيم باشا . كما أخذ سادلير من السيد سعيد تعهداً تفصيليا بكمية ونوعية المساعدة التى التزم بها (٣)

تحرك سادلير من مسقط بعد ان درس وضعها السياسى والعسكرى دراسة مستفيضة . ولحق سادلير بالقوات المصرية المنسحبة عبر الصحراء حتى وصل

---

(١) Lorimer J. G., op. cit. p. 248.

(٢) Bombay Sec-Proc- Vol. 40 Cons. 17 of 14 April.

(٣) راجع : عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم (إعداد وترجمة) رحلة جورج فورستر سادلير من القطيف الى ينبع من ابحاث وحدة بحوث الجزيرة والخليج العربي/مركز البحوث جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ١٤٠٢ .

بير على قرب المدينة . وهنا قابل سادلير ابراهيم باشا وأطلعه على جلية أمره . واستمهله ابراهيم اياما حتى يستبين الأمر من أبيه بعد مشاورته . ورد ابراهيم باشا ، بناء على امر والده ، طلب سادلير في التعاون مع حكومة الهند ، ورجع سادلير على ظهر سفينة متجهة الى بومباى أقلته من جدة في ٢٣ يناير ١٨٢٠ م / ١٢٣٥ هـ [١] .

حقق سادلير من رحلته هذه التجسس على القوات المصرية ولم يتحقق له الهدف الثانى وهو تحقيق التعاون مع الباشا في عمل عسكرى مشترك في منطقة الخليج العربى . ولم يكن هذا الهدف الثانى متفقا عليه تماما من قبل اعضاء مجلس الهند ولم يكن الدافع اليه الا ضرب القواسم الذين صار أمرهم هينا بعد انهيار الكيان السياسى للدولة السعودية وانسحاب الاتراك المصريين من المنطقة .

التمهيد للحملة :

مهدت حكومة بومباى للحملة بارسال مندوب عنها الى حاكم شيراز تخبره بأنهم سيسوقون حملة ضخمة على الخليج بهدف تدمير القبائل التى تعرقل الملاحة ، وأنهم سوف لن يسيئوا للعلاقات البريطانية الفارسية بحال ، كما طلب المندوب من سموه ان يتعاون عسكريا في الهجوم على لنجه ، ومجو ، وتاوتى ، وخارج ، وعموم المناطق التى تتبع القواسم على الساحل الشرقى للخليج [٢] . كما ارسلت حكومة بومباى خطابات الى ويلوك في بلاط الشاه

(١) Kelly, J. B., B. P. C. p. 157.

(٢) Hennell H. S. J. (Cont) in S. R. I. XXIV P. 322.

تؤكد هذا المعنى (*) . وقامت حكومة بومباى كذلك بارسال ضابط الى امام مسقط لتحدد معه سبل التعاون [1] .

سير الحملـــة :

صدرت التعليمات الى جرانت كير W. G. Keir بالابحار الى الخليج ليقود حملة ضد القواسم بهدف سحقهم تماما ونهائيا (**) كما كان من تعليماته ان يعرج على مسقط أولا لتنسيق الخطط مع السيد سعيد قبل بدء الهجوم على القواسم في رأس الخيمة التى عليه ان يقوض قوتها تماما ويزيل كل تحصيناتها ، ويغرق ويحرق كل سفنها وقواربها ويدمر تماما كل مقوماتهم العسكرية [2] . وبعد انجاز هذا فعلى كير أن يبحر في الموانىء التى يسيطر عليها القواسم او التى تتعاون معهم ليسحقها ويعطب سفنها وعليه ان يراعى السيادة الفارسية لا ينال منها أبدا حين يأخذ اسطوله الى الجزء الشرقي للخليج [3] .

قام كير من بومباى في ٤ نوفمبر ١٨١٩ على رأس قوة تضم ٣٠٦٩ جنديا منهم ١٦٤٥ اوربيا و ١٤٢٤ ، من المحليين من الهند ، على ١٢ سفينة حربية

(*) جاء في خطاب ويلك انه اذا اعترض الشاه على العمليات العسكرية على الساحل الفارسى ان يشير بطرف خفى بأن هذه الحملة ستعيد اليه المناطق التي نفضت ولاء فارس عنها وان البريطانيين سيتوسطون لاعتراف آل خليفة بسيادة الفرس على البحرين ويدفعون ضريبة شريطة ان لا يظهر الدور البريطاني في انجاز هذه العملية ويبقى سرا بينهما وبشرط اخر هو ترك آل خليفة حكاما على البحرين التي هي من ممتلكاتهم .
انظر :
(1.0) Bombay Pol. Pro. Vol. 43, Cons. 53 of 15 Dec. 1819. Elphinstone to Willocle 15 Dec. 1819.

(١) Ibid, p.

(**) (Crushing Completely).

(٢) (1.0) Hennell, H. S. J. in S. R. I. XXIV. p. 327.

(٣) كذلك : Lorimer, J. G., op. cit. p. 664.

كان على أكبرها خمسين مدفعا وعلى أصغرها عشرة مدافع ، وكان قائد الحملة على السفينة ليفربول .

وصل القائد الى مسقط في ١٣ نوفمبر ومضت باقي القوة الى قشم مباشرة دون توقف [١] . وقد أمد سلطان مسقط كير بأربعة آلاف مسلح ، كما أمده بثلاث قطع من الاسطول المسقطى لتتعاون مع اسطول المعركة البريطانية .

بدأت الحملة الهجوم على رأس الخيمة في ٣ ديسمبر ١٨١٩ . كانت رأس الخيمة حصينة برجالها الذين اقاموا الاستحكامات والمتاريس وحفروا الخنادق استعدادا للقاء . وفي تقرير [٢] لبعض الضباط البريطانيين الذين شهدوا المعركة قالوا انهم حاربوا لمدة خمسة أيام بدون هوادة دون ان ينكسر العرب او تلين عريكتهم . واستطاعت الحملة ان تلقى في اليوم الخامس القبض على عربى جاء يتجسس لحساب قومه وعرفوا منه ان العرب قد خسروا كثيرا . وقدر ذلك الاعرابى عدد موتى القواسم بتسعين شهيدا غير العدد الوفير من الجرحى .

استمر قصف اسوار رأس الخيمة كما جاء في التقرير المشار اليه ، مركزا وعنيفا لليوم السادس على التوالى . وكان رجال الاسطول من البحارة يعملون على مدى ٢٤ ساعة في اليوم وقد أخذ منهم الاعياء وهدهم التعب . وكان الجنود أقل نصبا من البحارة اذ كانوا يتناوبون على العمل كل اربع ساعات .

لاحظ الضباط كما يشير التقرير [٣] ان قصف العرب لهم قد خفت حدته في اليوم السادس مما انبأهم بنفاذ ذخيرة القوم . وشد الانجليز عليهم واخذوا

---

(١) Kelly, J. B., B. P. G. p. 152.

(٢) Low, C. R., History of the Indian Navy p. 355.

(٣) Loc. cit.

يرسلون قذائف يتعرض لها رجال رأس الخيمة ويتلقونها قبل ان تنفجر ثم يردونها مرة اخرى الى حيث أتت . كما بدأ جند رأس الخيمة يرسلون على قوات البريطانيين وابلاً من الحجارة والحصى التى لم تؤثر عليهم . وثق القادة البريطانيون أنهم لمنتصرون فأراحوا جندهم في ليلة السابع وتوقف القتال لتبدأ النهاية ـ كما خطط القادة الانجليز ـ صباحا .

كان الليل بهيا كما يقول التقرير ، فتسربله العرب ، وزحفوا على الاسطول المهاجم وكادوا ان ينالوا منهم لولا يقظة الفرقة ٦٥ مشاة التى ردت العرب وقتلت كل الزاحفين الذين كانوا عراة الا من سراويلهم . استمر القصف عنيفا في اليوم الثامن خاصة على القلعة التى بدأت تتصدع . كما غير البريطانيون نوع القذائف التى كانوا يستعملونها بقذائف مغايرة ، تلقفها العرب ولم تعمل في مدافعهم واضطروا ان يعاودوا القذف بالحجارة والحصى . وانتهت تلك الملحمة عند منتصف الليل حين ارتفعت أعلام التسليم . وتسابق مع أول خيوط الصبح الجند البريطانى الى المدينة لا يعترضهم احد حيث لم يكن بالمدينة احد فقد كان أقرب سكانها يجرى بأقصى ما يملك صوب التلال . « وبدأنا نبحث عن الغنيمة فما وجدنا من الاسلاب شيئا غير المعيز فأخذناها ، وأصاب بعضنا منها خمسة وأصاب البعض عشرة وتمكن البعض من عشرين » .(١)

قامت القوة البريطانية بتدمير المكان وجعلوا جدران قلاعه ارضا بلقعا . واستولت الحملة على ثمانين سفينة تتراوح حمولة كل منها ما بين ٤٠ و ٢٥٠ طنا(٢) فأحرقوا بعضها وأبقوا البعض الآخر لخدمة الاسطول البريطانى ، كما غنموا من رأس الخيمة عددا من المدافع يربوا على السبعين كان أغلبها غير صالح للاستعمال(٣) .

---

(١) Ibid, p. 357.

(٢) Ibid, p. 358.

(٣) Lorimer, J. G., op. cit. p. 665.

وفي اليوم الذى استسلمت فيه رأس الخيمة كانت هنالك بعض قطعات من الاسطول البريطانى تحاصر الرمس حيث يحكم حسن بن على الوكيل السعودى على كل بلاد القواسم وتوابعها وملحقاتها . وقد نجحت هذه القطعات البحرية في ان تدمر بيوت الشيخ والقلعة تماما (١) . وقامت الحملة الرئيسية بعد هذا بتدمير استحكامات أم القوين ، وعجمان ، والشارقة ، وأبو حايل ، ودبي ، وأحرقت السفن التى كانت بهذه الموانىء او استولت عليها .

عربد الاسطول الهندى في مياه الخليج العربى ناشرا الدمار حيث حل . وقد خسر القواسم من جراء عملياته هذه ما يربو على ٢١٨ سفينة (٢) ، وأشياء تقدر قيمتها الاجمالية على ٣٠٨٣٠٢ روبية (٣) .

---

(١) Low, C. R., op. cit. p. 356.

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. p. 665

(٣) Bombay Sec. Pro. Vol. 45. Cons No. 8 of 1 Mar. 1820 Keir to Warden. 7 Feb. 1820.

انظر كذلك : Kelly, J. B., op. cit. p. 155.

محمود بهجت سنان ، امارة الشارقة ص ٢٧ .

الفصل السادس

إتفاقية السلم العام والنتائج المترتبة عليها

اتفاقية السلم العام
والنتائج المرتبة عليها

(التعهد الانفرادى ـ اتفاقية السلم العام ـ « البند الاول » ـ البند الثانى ـ البنود ٣ و ٤ و ٥ ـ البند السادس ـ البند السابع ـ البند الثامن ـ البند التاسع ـ البند العاشر ـ البند الحادى عشر ـ بين كير وافلنستون ـ تعقيب) .

التعهد الانفرادى :

أقامت القوات البريطانية معسكرا لها في رأس الخيمة سار اليه الشيخ قضيب بن احمد شيخ الجزيرة الحمراء بطلب الامان واجيب الى طلبه . ثم تبعه بضمان الامان حسن بن رحمة ، وسلطان بن صقر ، ومحمد بن هزاع كما قام كير باطلاق سراح حسن بن على شيخ الرمس . ووفد الى معسكر كير كذلك شخبوط بن دياب وشيخا عجان وام القوين (١) .

كان على كل شيخ من هؤلاء الشيوخ ان يوقع تعهدا (*) لكير قبل ان يسمح له بالدخول في اتفاقية السلم العام . كأن الهدف من هذا التعهد الانفرادى ان يستطيع كير ان يدخل الأمور ذات الأهداف المؤقتة او الانفرادية فيه ويعالجها منفصلة عن الاتفاقية العامة حتى تنفرد الأخيرة بصفة الدوام . ولم

---

(١) Lorimer, G. P. G. Vol. 1. P.P. 636 - 647.

(*) انظر الملحق رقم (٢)

Aitchison, C. U., A Collection of Treaties, Engagements and sanads Reltaing to India and the Neibhouring Countries, p. 239.

يكن بين هذه التعهدات الانفرادية تعهدان متطابقان انما قام كل تعهد بنفسه آخذاً في اعتباره قوة الشيخ وموقعه من أهله ومنزلته عند صاحب مسقط (١) .

جاء في الاتفاق الانفرادي بين كير وبين سلطان بن صقر ان يسلم سلطان الى كير جميع القلاع والمدافع والسفن ، على ان يترك كير لسلطان سفن صيد السمك والغوص . وأن يسلم سلطان كير جميع الاسرى من رعايا البريطانيين وان يحرم على ما تبقى من سفنه النزول الى البحر . ويسمح لسلطان في مقابل هذا الانخراط في معاهدة السلم العام ، كما سيمنع كير جنوده من التعدى على رأس الخيمة . وكانت المعاهدة الثانية على نسق الأخرى مع اختلاف طفيف وتسامح كير في التعهد الانفرادى لشيخ دبي فأبقى على قلاعها تقديرا من كير كما جاء في التعهد لامام مسقط سعيد بن سلطان . وكانت الرابعة مع شيخ أبو ظبي واتحدت مقدمتها مع سابقاتها الا انها نصت بعد ذلك على انه على شيخ ابو ظبي وتوابعها ان يسلم لكير سفن القرصنة التى قد توجد في منطقته . وكانت معاهدة كير الانفرادية مع حسن بن على على نسق معاهدته مع سلطان بن صقر مع اختلاف طفيف . وعلى هذا النسق تستمر معاهداته مع الشيوخ الآخرين بإضافات أو حذف قليل (٢) حسب مقتضيات الظروف .

ويلاحظ في هذه التعهدات الانفرادية انها اتسمت كما يقول سيد نوفل (٣) بالإذلال للشيوخ وهى غير شرعية ، لفقدان عنصر التكافؤ فيها ولإملائها من الغالب على المغلوب .

---

(١) Aitchison-OP. cit, P. 11, also P.P. 245-249.
Hurewtz, J. C., The Middle East and North Africa in world Politics, Vol. 1, P P. 217 - 218.
Lorimer, J. G., op. cit. P P. 636 - 647.
Curson, G. N., Persia and the Persian Question, Vol. II P P. 246 - 252.

(٢) سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية جـ ٢ ص ٦٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٤ - ٦٥ .

اتفاقية السلم العام (*) :

حررت اتفاقية السلم العام في رأس الخيمة وقد وقعها أثر تحريرها في الثامن من يناير لعام ١٨٢٠م شيخ رأس الخيمة وجزيرة الحمراء كما وقعها باقي الشيوخ في تواريخ متفاوتة حتى ١٥ مارس ١٨٢٠ م / ١٢٣٥ هـ . وتنص هذه المعاهدة على وقف اعمال المقاومة العربية « النهب والقرصنة » ، وان يباح دم كل عربى وماله اذا ما هاجم غيره أيا كانت جنسيته ، وان لا يعترف بالحرب ما لم تعلنها حكومة على اخرى ، وان تحمل سفن العرب علما تميز به وبيانا موقعا من الشيخ ومن مندوب بريطانيا باسم السفينة وسعتها وحمولتها واسلحتها ، والجهة التى أبحرت منها والجهة التي تقصدها . كما نصت المعاهدة على ان يجتمع كل الحكام العرب في المنطقة ضد من ينقض هذه المعاهدة . كما نص البند التاسع على وقف حمل الرقيق من سواحل افريقية وقضى باعتباره قرصنة . وأعطى الاتفاق لسفن هؤلاء الشيوخ الحق في دخول الموانىء التابعة لبريطانيا (١) .

النتائج المترتبة على اتفاق ١٨٢٠ م / ربيع ثانى ١٢٣٥ هـ :

لعلنا نلاحظ ان اتفاقية السلم العام قد عمقت الاتجاه الذى ساد المنطقة من تقسيم وتفكك وأكدته فقد أمهر الاتفاق باسمه أو برسمه كل من :

حسن بن رحمه شيخ خط الفليه ، وقضيب بن احمد شيخ الجزيرة الحمراء ، وشخبوط بن دياب شيخ أبو ظبى ، وحسن بن على شيخ سايه - الرمس ، وزايد بن سيف عن شيخ دبي محمد بن هزاع ، وسلطان بن صقر

(*) انظر الملحق رقم (٣) .
وانظر كذلك : Huretwitz, J. C., op. cit. P P. 217 - 218.

(١) سيد نوفل ، مرجع سبق ذكره ص ٦٦ - ٦٧ .
انظر كذلك :
Curson, G. N., Persia and the persian Question, Vol. II P P. 246 - 252.

شيخ الشارقة ، والسيد عبد الجليل بن السيد يسن وكيلا عن آل خليفة ، وسليمان بن خليفة وعبدالله بن خليفة شيخا البحرين وعبدالله بن راشد شيخ ام القوين :

لا يحمل هذا الحشد من الأسماء شيوخا ينوبون عن مساحة ساحلية ضيقة من الأرض كالتى نحن بصددها الا روح التفرقة والتحزب التي سادت الاقليم . لم تقم السلطة البريطانية بعد حملة ١٨١٩ بتقسيم الساحل العمانى الى مشيخات وإمارات ولكنها قامت بتأكيد الأمر الواقع Status Quo والمحافظة عليه حتى لا يتغير الى أحسن ما هو عليه . غلت بريطانيا يد الشيوخ عن بعضهم البعض في البحر وأطلقتها في البر ، ولم تمانع في تفتيت المشيخة الى مشيخات اصغر كلما كان ذلك ممكنا [١] دون ان يكون لها يد مباشرة في ذلك .

كانت التفرقة هى الصفة التى تميز التاريخ العمانى في هذه الفترة وتصبغه صبغة لا تزول عنه الا بفضل الحكام الأقوياء ، وقليل ما هم في تلك الآونة لافتقارهم الى التقنيات عصب القوة في هذا العالم ولتميزهم بالروح الفردية التى غرستها فيهم طبيعة الأرض والحياة في تلك المنطقة ، فالبحار والربع الخالى والجبال كلها متفرقات شتات شجعت على الانفصال في وقت لم تكن فيه بالمنطقة وسائل اتصال . وبين أهل الجبل وأهل البحر وسكان الصحراء ما بينهم من عدم التوافق في الحس والمزاج .

تفرقت كلمة العمانيين منذ القدم حين انقسموا الى هناوية وغافرية ، الى اباضية وسنية ، حيث كان اكثر الغافرين العدنانيين من السنة وأغلب الهناويين اليمانيين من الاباضيين على وجه العموم .

كانت القوى التى يريد ان تحكم عمان وطنية كانت ام اجنبية تعترف بالفرقة التى تسود الاقليم وتزيد فيها . لم يصل الاباضيون في القرن السادس

(١) Kelly, J. B., "A Prevalance of Fusies" In Arabian Studies II p. 107.

الهجرى الى حكم عمان الا حين اثاروا النزاع بين القبائل وزرعوا الأرض بالأحقاد ،وبهذا الاسلوب استطاعت الاباضية ان تضعف هونا ما الروابط القبلية . ولما سادت الأباضية الأقليم وملكته كانت هنالك الفرقة بين اكثر الأئمة الذين استهوتهم الدنيا فأقاموا جنات من نخيل وجور هند وملكوا الرقاب والساريات في البحر (١) ، وبين الأئمة الذين بالغوا في الاجتهاد وصاروا الى غلو فاهتموا بالآخرة وباعوا من أجلها السياسة والحكم .

ثم كان استقرار بعض القبائل التدريجى في داخل عمان ، وعلى ساحلها فتفرقت البطون وابتعدت الافخاذ وتشتت العشائر . وازدادت اجساد القبائل تمزقا بالحروب الأهلية فتقطعت اواصر القربى وضعف الولاء السياسى للقبيلة او كاد ، وحل مكانه في كثير من الاحيان نوع من الاحلاف المحلية والولاء للقرية او الوادى . وتشتت القرى وامتدت الأودية لا يجمع بينها الا الولاء المشترك للمذهب الاباضى . ولم تكن الأباضية ذات تأثير بعيد في منطقة القواسم وبنى ياس ومن تبعها من مشيخات الساحل العمانى . ولم تكن هذه المنطقة من الساحل تهتم كثيرا بعمان وقضايا قبائلها . ولم يتمكن العمانيون من فرض الوحدة على هذا الاقليم الا حين يكون بعمان وجود مركزى فعال كما كان الحال مثلا في عهد الامام سيف بن سلطان (١٦٦٢ / ١٧١١م) حين امتدت سلطة الامامة غاية امتدادها وبلغت البحرين تلك الجزيرة التى تأرجحت السيادة فيها وآلت الى العمانيين مرات عديدة . كما بلغت سلطة سيف رأس فرتاك في الجنوب الغربى (٢) .

ولما حلت القبائل المختلفة بالأرض الساحلية وقطنتها لم تكن تعبأ بالاباضية حيث ساد المذهب السنى هذه القبائل مما زاد في وضوح التباين بين أئمة عمان

---

(١) Wilklinson J. C., "Origins of the Omani State" in S. M. A. A. 8P P.،67 - 77.

(٢) Barthurist, R. D., Maratime Trade and the Immate Goverment in Oman In S. M. A. A. p. 103.

وبين هذا الاقليم . وزادت الفرقة حتى بين قبائل الساحل بحكم تكوين الساحل الذى تشقه الأودية والخيران وتفرق السبخات والرمال بين اجرائه فباعدت هذه العوامل بين المدن الساحلية وزادت في وحدتها وأضافت الى عزلتها . وما كان يجمع بين الساحل العمانى ومنطقة عمان الا التنافس التجارى الذى فرق بين منطقة رأس الخيمة ومسقط بعد ان فرقت بينهما المذاهب والأهواء .

ثم كانت الحروب الأهلية التى اكتنفت عمان ولفتها في غمارها بنهاية اسرة اليعاربة ولم تكف القبائل المختلفة عن التطاحن والعراك حتى قتل اكثر سادتها وبرز فيها بطل قومى هو احمد البو سعيدى الذى قبله الهناوية والغفارية واتباعهما اماما في عام ١٧٤٩م. وأكد اختيار احمد البوسعيدى اماما شيئا واحدا وهو انه لن ينال الامامة بعده الا القوى بسلاحه [١] . وانفصلت منطقة الساحل العمانى انفصالا بيّنا بعد هذا التاريخ حيث لم تعد تجذبه السياسة العمانية او تعنيه مشاكلها ومذهبها . كما أنفصل الأئمة والعلماء واتجه احمد البوسعيدى وخلفاؤه من بعده الى شرق أفريقيا وأهملوا شأن عمان وداخليتها ولم يهتموا الا بالساحل حيث مسقط التى هى مركز سيادتهم والبحرين حين يكون ذلك في مقدورهم لثروتها النسبية .

ان الفرقة ليس بالشيء الجديد الذى اتى به الانجليز الى الساحل ، انما هى في النخاع منه زرعتها فيه العوامل الطبيعية ، وعلاقات الانتاج . فأهل عمان والساحل العمانى ، شأنهم شأن سكان شبه الجزيرة ، بدو . والبدو في السياسية المترامية يفرق بينهم البعد المكانى فيخلق هذا بدوره بعدا سياسيا . وقد اضاف الجدب وندرة المياه الى الحرية الفردية التى يستمتعون بها ابعادا جديدة . ادى الجدب الى تحرك العرب في الصحراء لا يقربهم قرار يدأبون وراء الغيث

(١) Kelly, J. B., A Prevelance ...... In S. M. A. A. p. 108.

ويقتتلون على الكلأ . ولما استقر هؤلاء وغدوا أهل بحر لم يتركوا حياة الصحراء وكان هؤلاء كالبدو تماما لا يستقرون يجعلون متاعهم على سفنهم وقواربهم لا يأبهون لوطن ولا يحلون ارضا الا اذا ارتضوها (١) . ولم يكن هنالك ارتباط نفسي بالمكان ليخلق الولاء للأرض وحاكمها . وكانت نتيجة هذه الحركة الدائمة انهم صاروا يقتتلون على الأرض وفوق البحر لدواعى قد تستحق القتال او لا تستحقه .

كان الانفصال والفرقة والحركة الدائمة ، هى طبيعة أهل الاقليم . حل آل خليفة وآل صباح بقطر حين وفدوا من داخل شبه الجزيرة . وطرد (*) حاكم قطر آل صباح وحلفاءهم آل خليفة من قطر . وركب الاخيرون البحر حتى استقروا في منطقة الكويت . وانفصل آل خليفة من آل الصباح ونزلوا بالزبارة على ساحل قطر في مواجهة البحرين التى تملكوها في ١٧٨٢ م / ١١٩٦ هـ بمساعدة قبيلة البنى على وما لبث ان دب النزاع بين آل خليفة والبنى على فغادر الأواخر البحرين الى أبو ظبى وأقاموا بها فترة من ١٨٣٥ م / ١٢٥١ هـ حتى غادروها الى البحرين مرة اخرى في ١٨٥٦ م / ١٢٧٢ هـ . وقد لا نخرج من الصواب كثيرا اذا قلنا ان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أفادت من ظروف الفرقة والتناحر في الاقليم وزادت فيها حتى ترك بعض أفراد من القواسم المنطقة الغربية من الخليج العربى واستقروا بشرقه (٢) .

كانت تحركات القبائل وإنشطارها واختلافها ظواهر عادية في تاريخ المنطقة ، لم يكن للانجليز فيها يد طولى . بدأت المنطقة تموج بالحركات القبلية

---

(١) Lienttardt, "The Autherity of the Shyks in the Gulf" in Arabian Studies II p. 65.

وطرد حكام قطر ال صباح من قطر ومنها جروا الى منطقة الكويت .
انظر : Lientrardt Ibid, p. 66.

(٢) هنالك وصف وافى لتحركات القبائل في :
Howley, D. The Trucial States P.P. 143 - 146.

قبل وفود الانجليز الى المنطقة واستمرت في تحركاتها بعد تحكمهم في المنطقة فحين تآمر هزاع بن زايد ، من شيوخ أبو ظبى ، ضد ابن عمه زياب بن عيسى ، شيخ أبو ظبى الشرعى وقتله انقسمت قبيلة بنى ياس على نفسها فانحاز جزء منهم الى هزاع والجزء الآخر الى شخبوط بن زياب ابن الأمير القتيل . ولم يجد هزاع بدا من ان يترك واتباعه ديارابو ظبى ليقيم في١٧٩٣م بين البنى على [1] . كذلك الحال عندما تآمر البعض على خليفة حاكم أبو ظبي وانزل العقاب بالمتآمرين جلى الكثيرون من القبيلة عن المنطقة وتركوها الى مناطق اخرى . كما هاجرت قبائل البوفلاسه والرميسات عن أبو ظبى واستقروا بدبي وأكدوا في الثلاثينات من القرن التاسع عشر استقلالهم بزعامة اسرة من البوفلاسة [2] . كما غادرت قبيلة السودان الشارقة وأكدت استقلالها في ديرة في مواجهة أبو ظبي ، فاستعان عليهم شيخ الشارقة الذى كانوا تحت نفوذه بالمقيم البريطانى فرفض ان يعين وأبوا ان يرجعوا [3] .

وكنتيجة منطقية لظروف التشتت والفرقة التى تسود الاقليم في شتى مناحيه لم يكن ثمة بد للانجليز الا ان يتعاملوا مع مجموعة من الشيوخ . وقد اثبتت إتفاقية عام١٨٠٦م للانجليز ان التعامل مع شيخ واحد ليس من حسن الكياسة في شيء فهو اذا قوى باعترافهم السياسى انقلب عليهم واذا ضعف بأحداث المنطقة لم يجدوا من يضمن لهم الاعتراف بتعهداته .

لم يكن عمليا بالنسبة للانجليز وهم يناقشون ويصيغون بنود الاتفاقية ان يتجاهلوا حسن بن رحمة وهو من اكثر شيوخ القواسم سطوة وقوة . كما لم يكن تجاهل حسن بن على ممكنا وهو الذى حكم الساحل باسم دولة التوحيد زمنا .

---

(١) Hennell, Historical Sketch of the Benyas Tribe of Arabs from year 1761 to 1831 in S. R. I. p. 403.

(٢) Kemball, Historical Sketch of the Boo felasa tribe of Arabs (Dobay From year 1834 to 1841) in S. R. I. XXIV. p. 458.

(٣) H. S. J. in S. R. I. XXIV.

ولا بسلطان بن صقر الذي تأثلت قوته حتى تحدى الدرعية وتمركز في الشارقة يبغى السيطرة على بقية القواسم بمساعدة امام عمان. لم يكن عمليا للبريطانيين تجاهل شيخ بنى ياس وقد كانوا في هذه الفترة موالين للسيد سعيد حليفهم وينفذ خططهم. او شيخ دبي القاصر الذى ارادت ان تخدم به الفرقة بين فرعى القبيلة الواحدة وتدعمها. واعترف البريطانيون في هذه الاتفاقية بآل خليفة حكاما على البحرين ليقطعوا دابر حروب البحر بينهم وبين جيرانهم لتطمئن السفن البريطانية في البحر.

عقد البريطانيون هذا الاتفاق مع شيوخ عرب الساحل الغربي للخليج العربي ولم يدخلوا شيوخ القواسم على الساحل الشرقي للخليج في هذا الاتفاق بما يدل على ان البريطانيين لم يعترفوا لهم بذاتيتهم المتميزة وقرروا، بداية، ان تكون السيطرة السياسية على الساحل الشرقى للخليج للفرس، كما حالت بريطانيا بين العرب وبين جزرهم التى آلت للفرس الواحدة تلو الأخرى كما سنرى. وفي هذا الوقت قام البريطانيون بخطوة جريئة حين سلبت الخليج اسمه العربى الذى كانت تسطره في ملفاتها وسمته بعد هذا التاريخ بالخليج الفارسى، ويبدو أن بريطانيا كانت تحاول ان تبعد النفوذ العربى في الخليج العربى وتحل محله النفوذ الفارسي بقدر حيث كان لها في بلاط الشاه مندوب بدرجة وزير وكانت لفارس قضاياها ومشاكلها الدولية التى تقضى عليها بالتفاهم مع البريطانيين الذين لم يطمعوا في هذا الوقت الا في مزور تجارتهم فوق الخليج دون ان يدفعوا رسما او يعترضهم معترض. ولم يكن للفرس في هذا الوقت كبير طموح في الخليج، كما كانت علاقاتهم بالبريطانيين حسنة لدرجة تمكنهم من التفاهم والتفاوض والسماح للبريطانيين بحق المرور والتعاون معهم في كبح جماح شيوخ العرب في الساحل الشرقي حتى ينتظموا تحت الراية الفارسية (١) وبهذا اتفقت مصالح الطرفين وتلاقت اهدافها وجاء اتفاق

(١) (1.0) Bambay, Pol. Pro. Vol. 43 "Cons 53 of 15 Dec. 1819. Elphinstone to Willock. 15 Dec. 1819.

١٨٢٠م بين بريطانيا ومشيخات الساحل العماني ليتوج هذا التناسق ويؤكد التقاء الأهداف .

البند الأول لاتفاقية عام ١٨٢٠م / ربيع ثاني ١٢٣٥ هـ

ان يزال النهب والغارات في البر والبحر من طرف العرب المشروطين في كل الازمان (*)

أكدت السلطات البريطانية بهذا البند التفكك والتخلخل الذى ساد هذا الساحل وذلك حين أرغمت شيوخ المنطقة من شن الحرب على بعضهم البعض حتى لا تطغى سلطة شيخ على آخر فيوحد المنطقة تحت رايته . اتضح للبريطانيين بعد توقيعهم على هذه الاتفاقية التى صيغت على عجل قبل وصول تعليمات بومباى ان حرب البر ستشغل القبائل عن البحر وتزيد في تفكك المنطقة فاباحتها . ولم تتدخل بريطانيا في حروب البر التى كانت كثيرة ومتعددة ولا يصيب البريطانيون من ايقافها وطراً خاصة وانهم كانوا في استعمارهم يعتمدون على قوى الاساطيل دون الجيوش .

قام كير قبل سفره الى الهند بعد انتهاء مهمته ، بتعيين طوسون لقيادة الوحدة العسكرية التى تركها في رأس الخيمة وصار كير ممثلا لمصالح الشركة في المنطقة ووافق نبيان على ذلك . ولما جاء الفنستون Elphinstone حاكما لبومباى خلفا لنبيان أمر بسحب الحامية التى كانت في رأس الخيمة [1] .

(*) نصوص هذه الاتفاقية مأخوذة كما هي من :

(1.0) L/P & S/7/155. Political Dept. Exsisting Treatics Between the British govt and the Trucial Chial Chiefs (Colcuta, 1906).

يلاحظ بها ركالة في الاسلوب واخطاء املائية ونحوية :

(١) Lorimer J. G., op. cit. P.P. 675 - 677.

وذلك لكثرة ما أصاب الجند من امراض في تلك المنطقة ذات الجو الوخيم وأشار الفنستون ان وضع حاميات في البر هو أبعد الاشياء عن الأهداف البريطانية ولم يؤمن به كير الذي وضع هذه الاتفاقية جاء في الفقرة السابقة في الخطاب الذى ارسله كير وارفق به الاتفاقية اننا لا نريد ان نتدخل في صراعات هؤلاء الحكام الصغار مع بعضهم البعض فوق البر ، لان مشاكلهم كثيرة ومتعددة . ولا شأن لنا بهؤلاء الحكام ما راعوا النصوص الأخرى للاتفاق لأن سياسة التدخل في البر تتطلب جهدا وعملا لتقصى الظروف والتحقق من الاسباب وعقد مجالس الوساطة واتخاذ القرارات ولذلك صدرت التعليمات لطومسون في ١٧ ابريل ١٨٢٠م بان يغادر رأس الخيمة ويسلمها لسلطان بن صقر .

البند الثاني :

ان تعرض احد من قوم العرب المشروطين على المترددين في البر والبحر من كافة الناس بالنهب والغارات لا بحرب معروف فهو عدو لكافة الناس فليس له الامان على حالة ولا ماله . والحرب المعروف هو الذى منادا به مبين (*) مأمور به (**) من دولة الى دولة وقتل الناس واخذ المال بغير مناداة وتبين وأمر دولة فهو النهب والغارات .

ويعطينا هذا البند دلالة واضحة على استهداء البريطانيين بالفكر الأوربى والتاريخ الاوربى الذين هم فيه شركاء الاغريق والرومان والبرتغاليين وورثتهم وامتدادهم في المنطقة . فالبريطانيون حين بدلوا اسم الخليج العربى الى الفارسى بعد عام ١٨٢٠م كانوا يقتفون التاريخ اليونانى القديم اذ ورد اسم

(*) منادا به مبين = معلنا .

(**) اقرأ : اعلنته دولة على دولة ، أمرت به .

الخليج في الحملة البحرية التى قادها نيارخوس في ٣٢٥ق.م تحت اسم الخليج الفارسى . ولعل السبب في ذلك أن نيارخوس لم يستكشف ، قبل موت الاسكندر الذى أطاح بمهمته [(١)] ، الا الساحل الشرقي للخليج حيث كانت المستوطنات الفارسية هى الطاغية . وسبب ثانى هو عندى ارجح وهو انه لم يكن للعرب في ذلك التاريخ صلات بالاغريق . كان الاغريق يعرفون فارس التى غزتهم بامكانات الشرق مرات عديدة ولما انتصر الاسكندر على الفرس وأطاح بامبراطوريتهم طفق مؤرخو الاغريق يسجلون الغزو المقرونى للأرض الفارسية وللخليج الفارسي وكانت كلمة فارس هى الشرق كله في نظر هؤلاء المؤرخين .

ومن الدلالات التى يمكن ان اسوقها على استهداء البريطانيين بالفكر الاوربى انهم نعتوا القرصنان في هذا البند بأنه عدو للجنس البشرى . وما هذا الا اقتفاء لاثر القوانين الرومانية التى امتدت على بحار العالم الواقعة تحت سيطرتهم . تاجر الرومان مع المناطق المختلفة وكبحوا الثورات الوطنية التى وقعت ضد تجارتهم ووصفوها بالعداء للجنس البشرى والبشر في القوانين الرومانية هم الرومان ، اذ لم تعترف هذه القوانين بالحرية السياسية الا لهم .

ويسترعى النظر في هذا البند ايضا تعريف الحرب المشروعة بأنها تلك التى تقع بين دولة ودولة ويسبقها اعلان . فهل اعتبر واضعوا تلك الاتفاقية هذه المشيخات مجموعة دول ؟ وهل اعتبر البريطانيون أنفسهم وهم الذين فرضوا هذه الاتفاقية . بالحرب ليسوا اعداء لأهل المنطقة ؟ .

ان هذا البند هو من البنود التى يشوبها غموض ثقيل لا تفسره الا سلطات الهند مما يتفق وهوى المصالح البريطانية . وتؤيد الكثير من الحوادث التى سنسوق أمثلة منها صحة هذا الاستنتاج .

---

(١) سيد على الناصرى ، الاغريق تاريخهم وحضارتهم (القاهرة ، ١٩٧٥) ص ٢٧ .

١ هاجم رحمة بن جابر اسطولا تجاريا للبحرين وأخذ منه سبعة مراكب . طلب آل خليفة من المقيم ان يتدخل لدى رحمة ، خشي المقيم استياء الفرس اذا تدخل ضد رحمة فقد أعلن رحمة نفسه تابعا لفارس وطلب المقيم من فارس ان تقوم بعقاب رحمة وضربه حتى يرجع السفن وقد عجلت هذه الحادثة بأن ينقض رحمة ولاءه لفارس ويعلن ولاءه للسيد سعيد ممارسا بذلك حقا مارسه الكثير من الشيوخ من قبله ومن بعده يميلون مع هوى المصالح الشخصية . واضطر الوكيل السياسى للخليج الأدنى أن يمشي بالوساطة بين رحمة والشيخ عبدالله ابن احمد في اجتماع ضم شملهم في باسيدو . ولم يتفق الرجلان وانصرفا (١) .

تراجع السيد سعيد بعد هذا عن حمايته لرحمة بن جابر غير ان رحمة استمر يهاجم سفن آل خليفة من مقره في الدمام . وتوقف القتال لسنتين (١٨٢٤ و ١٨٢٥م) نتيجة لوساطة قام بها ستانوس ولكنه اندلع مرة اخرى بعد نهاية السنتين أشد وأعتى مما كان (٢) .

خرج ستانوس يرابط باسطوله عند الدمام ولم يعبأ رحمة باستانوس كثيرا لأنه كان يتلقى العون من دولة التوحيد التى بدأت تسترد أنفاسها في نجد ويتوقون الى أضعفاف محمد وماجد آل عريعر حكام بنى خالد على الاحساء . وقرر الفنجستون ان ما يقوم به رحمة هو من قبيل الحرب المشروعة وتراجع ستانوس بجنده من المنطقة (٣) .

٢ تحالف السيد سعيد مع طحنون بن شخبوط ضد سلطان بن صقر

(١) (1.0) Hennell, S. P. R. B. in S. R. I. XXIV. p. 524.

(٢) Loc. cit.

(٣) (1.0) Bombay Pol. Lettres Received, Vol. 10, Govt. in Council to Court, 19 April 1825.

لمقاومة نفوذه في البوريمي . واتفق الثلاثة على ازالة قلاع البوريمى ولم ينفذ هذا الاتفاق (ديسمبر ١٨٢٤ م / ١٢٤٠ هـ) وبدأت الحرب في مايو ١٨٢٥ م / ١٢٤٠ هـ [١] . وهاجم القواسم سفينة للبحرين ظنا منهم انها لأبوظبى . واعتبر ستانوس أن هذه العملية هى من قبيل القرصنة فأرسل قوة بحرية الى الشارقة تطلب التعويض وخضع سلطان ابن صقر لهذا الطلب بعد تردد . وكان هذا في عرف المقيم حربا غير مشروعة .

٣ — قام السيد سعيد [*] في مايو ١٨٢٦ م / ١٢٤١ هـ بحرب بحرية ضد عبد الرسول خان شيخ بوشهر لأن هذا الشيخ كان يقف ضد زواج السيد سعيد من اخت حاكم شيراز التى كان يريدها لنفسه ليتقوى بأخيها ويحرم السيد سعيد من اتمام ذلك الزواج السياسى وظهر سعيد بأسطوله في اواخر يوليو في بوشهر ولم يجد عبد الرسول هنالك . أبحر السيد سعيد بعد ذلك الى البصرة ليحارب واليها الذي اوقف دفع جزية لمسقط كانت البصرة تدفعها منذ عهد احمد بن سعيد . حاصر السيد سعيد البصرة وتوسطت السلطات البريطانية وأضطر الوالى للدفع . تراجع السيد سعيد الى مياه قشم حيث القى القبض على عبد الرسول خان ولم يطلق سراحه الا في مايو ١٨٢٨ م / ١٢٤٣ هـ بعد ان أفتدى الشيخ عبد الرسول خان نفسه بماله ونجح سعيد في الاصهار الى حاكم شيراز [٢] . واعتبرت حكومة الهند كل حركات السيد سعيد هذه من قبيل الحرب المشروعة .

---

(١) Kelly, J. B., op. cit. p. 215.

(*) لم يكن السيد سعيد ضمن الموقعين على هذه الاتفاقية غير ان البريطانيين اخضعوا حركاتهم لميزاتهم في الحرب المشروعة .

(٢) (1.0) Hennell, H. S. G. M. in S. R. I. XXIV. p. 195.

وكان السيد سعيد يريد جر حكومة الهند لخدمة مصالحه في المنطقة كما كان يخدم مصالحها ولامهم على عدم ضرب القواسم مرة أخرى حين تعرض القواسم لسفينة البحرين . وفات عليه ان البريطانيين انما يسعون لتحقيق اهداف شركتهم ولا يشنون حربا لا يجنون من ثمارها شيئا ويعتبرون الحرب مشروعة متى ما كانت نتائجها مزيدا من التفكك او كانت بين أفراد الأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة وهى غير مشروعة اذا استفحل أمرها حتى بلغ الضرر مصالحهم ولذلك فقد رد الفنجستون على سعيد بما ابلغه لمجلس المدراء في اننا قد ذكرنا لمعاليه باننا لن نستطيع ان نعمل ضد كل اعدائه (١) .

ان المدقق في هذا البند يخرج بحقيقة واضحة وهى ان السياسة البريطانية قد استغلته لتحقيق ثلاثة أهداف :

١) تأمين مصالحها ومصالح رعاياها في حركات الجهاد التى عمت الخليج وذلك لهذا الشرط الصريح الذى يمنع تعرض العرب المتصالحين « لكافة الناس » .

٢) تحقيق تعارك الوحدات الاقليمية بدعوى الحرب المشروعة فهى مشروعة متى ما انقسمت البيوت على بعضها وغير مشروعة ان كان هنالك طرف قد يقوى بابتلاع الآخر ويفرض وحدة تؤثر على المصالح البريطانية .

٣) زاد هذا البند من التفاهم البريطانى الفارسى لانه حمى التجارة الفارسية على الخليج العربى دون ان تكون فارس طرفا في

---

(١) (1.0) Bombay Pol. Letters received. Vol. 9. Govt in Council to Court, 14 Jan, 1824.

الاتفاق ، وفك البند عقدة تحالفهم مع السيد سعيد الذى بدأت اهميته عندهم تتضاءل تدريجيا . وما فتأ السيد سعيد يحتج عليهم بالبند الثانى من اتفاقية ١٧٩٨م الذى ينص على ان أعداء او اصدقاء اى طرف منهما هم اعداء واصدقاء الطرف الآخر . الا ان أمر هذا الاتفاق المشار اليه قد انتهى بالنسبة لحكومة الهند التى وصفت بعض سلطاتها هذا الاتفاق بانه ورقة تافهة .

البند ٣ و ٤ و ٥ :

البند الثالث :

ان العرب المتصالحين لهم في البر والبحر علم أحمر فيه حروف أو بلا حروف على مطلوسهم وهو في كفة أبيض عرض الأبيض اللذى [١] في الكفة يعادل عرض الأحمر كما هو مصور في الحاشية وان هذا هو علم العرب المصالحين فيستعملون [٢] به ولا يستعملون بغيره .

البند الرابع :

ان الطوايف المصالحين كلهم على حالة الأول الا انهم الصلح بينهم وبين دولة سركار الانكريز [٣] وان لا يحرب [٤] بعضهم بعضا والعلم هو الشاهد على ذلك وليس هو شاهد على غيره .

---

(١) اقرأ : الذي

(٢) إقرأ فسيعملونه ولا يستعملون غيره .

(٣) اقرأ : الانكليز او الانجليز .

(٤) اقرأ : يحارب .

البنـد الخامس :

ان مركب العرب المتصالحين كلهم بأيديهم قرطاس مرشوم [1] بخط أميرهم فيه اسم المركب وطوله وعرضه وكم يحمل من كارة [2] وبأيديهم ايضا مكتوب آخر مرشوم بخط اميرهم فيه اسم صاحب المركب واسم الناخداه وعدد الرجال وعدد السلاح ومن اين سار وفي أي وقت والى اى بندر يتوجه فان تعرض لهم مركب من الانكريز او غيرهم يعرضون عليهم القرطاس المكتوب .

صيغت هذه البنود الثلاثة لتنظيم قواعد الملاحة العربية التى كانت منظمة قبل مجيء البرتغاليين ومن خلفهم من الاوربيين . اوجب البندان الثالث والرابع على مراكب العرب ان تحمل علما معينا تستدل به على ان لا يكون هذا العلم رمزا لحرية او سيادة انما يكون دليلا على مركب وافق أهلها على الاستسلام على قيود فرضها البريطانيون .

ونجد في البند الخامس امتدادا صريحا لنظام الاستعمار البرتغالى في البحر والذى فرضه أبان سيطرته على سفن جميع الأمم . ادخل البريطانيون هذا الشرط برمته لخدمة مصالحهم الاستعمارية ولكنهم تراجعوا عنه اخيرا واستعاضوا عنه بفعالية أعمال البند السادس (*) .

كتب ماكلويد Macloed المقيم في بوشهر الى حكومة بومباى في عام ١٨٢٣ م يقترح الغاء هذه الشروط (٣ و ٥) لأنه كما جاء في خطابه لنيوهام حتى بداية هذا العام لم يبرز أى ربان اشعار ميناء ولم يصدر أى من الشيوخ شهادات كتلك المنصوص عليها . وأضاف ماكلويد بأن التدقيق في مثل هذه الأمور الصغيرة سيؤذى مشاعر العرب ولن يحقق للشركة قضية . فسفن التجارة

---

(١) اقرأ : مرسوم يقصد موقع .
(٢) اقرأ : سلع .
(*) انظر البند السادس .

هى عين السفن التى تقوم بالقرصنة ولن تغير هذه الأوراق في الأمر شيئا كثيرا [١] . واقتنعت حكومة بومباى بما جاء من المقيم والغت اعمال هاتين البندين كما طلب [٢] .

ولعلنا نجد في الغاء هذين البندين او التساهل فيهما من جانب واحد أمرا يخرج بهذه المعاهدة او الاتفاقية عن صفات المعاهدات والاتفاقات .

البنـد السادس :

ان العرب المصالحين ان كان مرادهم، ان يرسلون رسوة [٣] الى سركار الانكريز في بحر الفارس ومعه الذى يحتاج فيجلس [٤] مع السركار حتى يقضى غرضهم منه وسركار الانكريز ان كان مراده يرسل رسوه ايضا الى عندهم كذلك والرسول يلحق خطه الى خط اميرهم [٥] في قرطاش مراكبهم المذكور الذى فيه طول المركب وعرضه وكم يحمل من كاره وينبغى خط الرسول يجدد في كل سنة وايضا كل في المرسلين خرجه [٦] على قومه .

قضى هذا الشرط على تبادل الرسل بين المقيم وشيوخ الساحل كما قضى بوجود رسول تابع للمقيمة بغرض اعتماد تصاريح الميناء والتصديق عليها . تطورت وظيفة الرسول البريطانى الى وظيفة وكيل « وطني » مقيم في المنطقة .

---

(١) (1.0) Bombay Pol. Proc. Range 385, Vol. 23. Cons. 13 of 26 Mars, 1823, Mecleod to Newham.

(٢) (1.0) Bombay Pol. Proc. Range 385, Vol. 36, Cons. 25 of 18 June, 5 May & Newham to Macloed 17 June 1823.

(٣) إذا ارادوا ان يرسلوا رسولا .

(٤) يقصد يبقى .

(٥) يوقع مع اميرهم على .

(٦) اقرأ : خراجه يقصد راتبه .

وقد أوصى ماكلويد في عام ١٨٢٣ بخلق هذا المنصب واشترط ماكلويد ان يشغل هذه الوظيفة رجل من العرب او من اصل يرجع الى المنطقة [١] . وهنا كذلك نلحظ خروجا عما جرى عليه الاتفاق او المعاهدة مما يبعده عن زمرة الاتفاقات والمعاهدات الى شيء آخر . اراد المقيم ان يخلق له وكيلا دائما ليهمن على المنطقة هيمنة فعالة ومنذ تعيين الوكيل الوطنى وقعت المنطقة تحت ادارة المقيم المباشرة .

اختبر نظام المقيم في الهند وحقق للمستعمر ما لم تحققه جيوش . وقد ابتدع هذا النظام في اواخر الخمسينات من القرن السابع عشر حين أشار الملك جيمس على الشركة ان تبنى لها وكالات تجارية حصينة ليأوى اليها رعايا الملك [٢] . اسست الشركة هذه الوكالات وجعلت في كل واحدة منها مقيما يتولى تنظيمها وضبطها ولما كانت المؤسسة في حد ذاتها عسكرية كان مقيمها من اصحاب الرتب العسكرية وغالبا ما كان من بحرية بومباى [٣] . وقد استمر هذا النظام حتى عام ١٩١٤ م / ١٣٣٢ هـ حين بدأت المقيمية تميل في ادارة شئونها الى الطابعين ، الادارى والقضائى ، وبدأ البريطانيون يختارون لادارتها بعض المدنيين احيانا .

كان المقيم ومكتبه هم سند حاكم المقاطعة او الشيخ يؤمنون وجوده بشتى الاساليب ويدعمونه ضد أهله على وجه الخصوص وضد عشيرته عموما ، ويستطيعون ان يتركوا حاكم المقاطعة او الشيخ ليواجه ثورة أهله بلا سند ان

---

(١) Howley, D., the Trucial States, p. 132.

(٢) Kay. J. W., op. cit. p. 113.

(٣) Howley, D., op. cit p. 165.

ارادوا كما يمكنهم تركه للثورات الشعبية حين يقتنعون . وكان رضاء مقيم (*) بوشهر على الحكام الوطنيين في الخليج امرا محتوما .

(*) تأسست وكالة بوشهر في ١٧٦٣ في محاولة لاعادة الحياة للتجارة البريطانية المتدهورة في المنطقة بعد ان فقدوا وكالة جمبرون التي كانت تتولى امور التجارة البريطانية في المنطقة منذ ١٦١٦ . كانت وكالة بوشهر تابعة لوكالة البصرة في جزيرة العرب التركية واستمرت كذلك حتى فبراير ١٧٦٩ حين انسحب المقيم لتدهور العلاقات البريطانية الفارسية انظر (١٠٥)

(1.0) R 15/1/1/F. 191 Andrew Price to B., Servis 20 April 1763.

كان انسحاب الوكيل من بوشهر في ١٧٦٩ بناء على رغبة حكومة الهند (مجلس الموارد) . غير ان حكومة بومباي لم تقتنع بالقرار وأمرت لوكيلها السابق في بوشهر أن يبدأ المفاوضات مع فارس لاعادة تأسيس الوكالة من جديد . انظر :

(1.0) Selections From the State Papers, Bombay Regarding the East India Cennections with the Persian Gulf. No. CXC.

ولم يتمكن البريطانيون من اعادة تاسيس الوكالة في بوشهر الا في ١٧٧٥ وكانت تتبع وكالة البصرة . وفي عام ١٧٧٨ استقلت وكالة بوشهر من وكالة البصرة وصارت المحطة الرئيسية لتجارة الشركة في الخليج . ثم تدهورت التجارة البريطانية بصورة عامة بعد هذه الفترة للانتفاضات العربية وبقيت وكالة بوشهر حتى نشطت سياسيا مع اواخر القرن لحماية طرق الهند من خطط نابليون . وفي عام ١٨٢٢ تغيرت تسمية الوكيل Factor الى مقيم Resident وبدأت المقيمية في بوشهر تأخذ شكلا سياسيا . ومنعت حكومة الهند المقيمين من ممارسة التجارة لحسابهم الخاص او حساب الجهات الأخرى كما كانوا يفعلون سلفا . وكان الوكيل حتى ١٧٧٨ يرسل بتقاريره الى البصرة التي تبعتها بدورها لحكومة بومباي كما كان الوكيل يرسل احيانا تقاريره الى بومباي رأسا بنسخة للبصرة ان كان هنالك ما يدعو للاستعجال انظر (١٠٥) .

(1.0) R/15/1/1/F. F. 194 - 195 - 197. Bombay Govt. to Bushire 6 Dec. 1763, 2 Jan 1764, 16 April 1764.

وفي ١٧٧٧ صدر قرار من مجلس المدراء يلزم الوكيل ان يرسل تقاريره الى بومباى مباشرة على ان يرسل كل اسبوعين نسخة منها الى البصرة انظر : (١٠٥) .

(1.0) E. 4/997. General Letters to Bombay, 12 Mar. 1766 & Court of Directors to agents & Council in Basra, 2 May 1766.

وفي ١٧٧٨ عندما صارت وكالة البصرة مقيمية تساوى المقيمان ، وصار مقيم بوشهر يخاطب حكومة بومباي مباشرة كما كان احيانا يكتب للحاكم العام ومجلسه في فورت وليام واستمر =

كان المقيم هو عين الاستعمار في المنطقة يرسل التقارير ويشير بالحلول التى غالبا ما تتبناها حكومة الهند. كما كان المقيم هو الذى يوجه دائما الجيوش الاستعمارية في المنطقة ويكون مندوبها السياسى الناطق باسمها ، كما كان هو المسئول الرئيسى عن تحريك القطع في منطقته لمواجهة الخطوات العاجلة .

= الحال على هذا المنوال حتى ١٨١٢ حين منعت حكومة بومباي المقيم من الاتصال المباشر بالحاكم العام . انظر (١٠٥) .

(1.0) P. 119/44. Bengal Pol. Cons., 3 Apr. 1812 No. 10.

وصارت حكومة بومباي ، لاسباب جغرافية وتنظيمية هي المسئولة المباشرة عن بوشهر طيلة القرن التاسع عشر تقريبا وان اشترك معها احيانا بعض الوكلاء البريطانيين والمقيمين في جزيرة العرب التركية . وفي شرق افريقيا حتى ١٨٧٢ حين حولت حكومة بومباي شئون الخليج وزنجبار الى حكومة الهند ذلك لتيسير الاتصال بعد انشاء الخطوط الحديدية وبعد ان جعل التلغراف الاتصال المباشر بكلكتا ممكنا .

(1.0) L/P & S/5 Secret Letters from India Vol. 14. Govt. of India foreing dept. No. 15 of 31 Jan 1873.

وبدأ المقيمون يرسلون الى كلكتا بتقاريرهم ونسخة اخرى من التقارير لبومباي كما كانوا يرسلون نسخ اخرى الى لندن في شكل محاضرات ومرفقات . وفي ١٨٧٨ صار المقيم في بوشهر ، بالاضافة الى عمله الرئيسي ، متصلا بفارس وخوزستان ولارستان ومنطقة لنجه وجزر الخليج التابعة لفارس . وصار عمله مزدوجا فبينما هو مسئول مسئولية مباشرة لحكومة الهند عن شئون الخليج كان مسئولا ايضا لوزارة الخارجية البريطانية كقنصل ، واصبحت وزارة الخارجية تتحمل نصف تكاليف مكتبه وتتحمل حكومة الهند النصف الباقي .
انظر (١٠٥) .

(1.0) Govt of India, Pol. Dept. Pol. Proc. Apr. 1878 No. 160, 161.

كذلك :
(1.0) L/P & S/3 Pol. Home Corres. for Communication between 1.0 and F. O.

كذلك : (1.0) L/P & S/7 Pol. & Sec. Dep. to India.

كذلك : (1.0)

وقبل الحرب العالمية الأولى حاولت بريطانيا تنظيم المسئوليات الادارية في الخليج وبقى الأمر على حاله رغم المفاوضات والمناقشات المستفيضة .

وفي عام ١٩٢١ اوصت لجنة مورتون سميث Smith بأن يتولى المكتب الشرقي =

استطاع الانجليز بالمقيم التحكم في مقدرات الشعوب والتأثير على حكامها وتوجيه سياساتهم في الداخل وقطع علاقاتهم بالخارج . كل هذا دون ان يكون لبريطانيا كثرة من الجند تحكم بقوة السلاح لتحمل وزر استعمار هذه المنطقة التي هي قليلة السلب ، كثيرة النكاة ، وكان المقيم يتقرب الى الشيوخ بالهدايا والهبات من مال وملابس وبارود ويعطى البعض بناء على طلبهم نظارات و « بوصلات » و « تلسكوبات » ، وسيوف [١] ، كما كان يوجه الاطباء المسئولين عن السفن البريطانية ان يتعهدوا الشيوخ وأهلهم بالرعاية الطبية كلما كان ذلك ممكنا . وكان المقيم يتهدد الشيوخ ويعاقبهم اذا لم يستجيبوا للهدايا والهبات [٢] .

خلق المقيم وظيفة الوكيل « الوطنى » للساحل المهادن في عام ١٨٢٣م . ولما كانت الشارقة من اكثر مناطق الساحل في ذلك الوقت ، خطرا على الانجليز ،

= Middle East dep. الذي استحدث في وزارة المستعمرات امور الخليج وان يقوم المقيم بالاتصال مباشرة بحكومة صاحب الجلالة .
لم يبت فيه حتى اثارته وزارة الطيران الا ان استحداث الطيران جعل الاتصال بين الخليج وحكومة وستمنيسترسهلا فلا داعي لأن تحكم حكومة الهند في الخليج .
كذلك كتبت وزارة الخارجية في ٢ مارس ١٩٣٣م تطلب الاشراف على شئون الخليج .
انتهى الأمر بقرار مجلس الوزراء البريطاني في ٢٦ يوليو ١٩٣٣ بأن جعل الأمور في الخليج لحكومة الهند كما كانت نظرا لمارستها الطويلة . تحولت المقيمية الى البحرين ١٩٤٦ .
انظر : (١٠٥)

(1.0) Committe of Imperal Defence. Historical Summary of Events in Territories of the Ottoman Empire, Persia & Arabia affecting the British Position in the Gulf 1907 - 1928. 10 oct. 1928.

راجع كذلك :
عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، حكومة الهند والادارة في الخليج العربي ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .

(١) Hay, R., The Persian Gulf States, (Washington, 1954) p. 20.

(٢) Ibid, p. 21.

فقد جعلوا دار الوكيل « الوطني » هنالك . وأصبح الوكيل « الوطني » هو الملك غير المتوج في المنطقة كلها اذ كان بحكم صك تعينه أحد محاسيب الدولة البهية الانجليزية ، ولم يكن بدٌ للشيوخ الا ان يتقربوا اليه بالهدايا حتى أثرى معظمهم .

كانت مهمة الوكيل « الوطني » الأولى هي التجسس والكتابة للمقيم او نائبه بعد ذلك بكل ما يحدث على الساحل . وقد أجاد بعضهم لدرجة انه كان يحصي على الشيوخ كل حركاتهم وسكناتهم وحوادث زواجهم وطلاقهم وأمزجتهم الخاصة . كما كان الوكيل « الوطني » هو حلقة الوصل بين مكتب المقيم في الخليج وبين الشيوخ ، وكانت كل المكاتبات الرسمية والشخصية تصدر وترد عن طريقه . وكان الوكيل « الوطني » مسئولا عن جمع الغرامات المختلفة التي صار المقيمون يفرضونها على الشيوخ عقابا في حوادث اضطرابات أمن الخليج ، كما كان يحضر مجالس الصلح التي يعقدها الشيوخ ويتدخل فيها تدخلا فعالا لتنفيذ السياسة البريطانية .

أرادت السياسة البريطانية التي فرضتها سلطات الهند حكما استعماريا ناجزا في منطقة الساحل العماني ولذلك وضعت طمسون حاكما على رأس الخيمة . ولعوامل كثيرة لم يكن طمسون يستطيع البقاء بجنده في المنطقة فصدرت اليه الأوامر بالتحرك الى قشم (*) .

وفي يونيو ١٨٢٠ م تحرك طمسون من رأس الخيمة بعد ان نسف منزل الشيخ والقلاع والمنازل المحصنة ثم رحل الى قشم (١) . وهنالك صارت وظيفته

(*) انتقلت قوى الاسطول من رأس الخيمة الى قشم ثم منها الى دير سنان ثم الى باسيدو ومنها الى مغو Magoo ثم الى باسيدو مرة اخرى وانتهى بهم الأمر الى البحرين . انظر :
(1.0) O. P. P. B. G. T. A. P. G. by Kemball , In S. R. I. XXIV.

(١) Lorimer, J. G. op. cit. p. 676.

بالاضافة الى قيادة الفيلق المنوط به « الوكيل السياسى للخليج الادنى » ، وتحددت مهمة الوكيل السياسى بتطوير العلاقات بين حكومة بومباى ومشيخات الساحل العمانى ، وتولى العلاقات السياسية مع حكومة مسقط التى ظلت بلا ممثل بريطانى منذ ان هلك ستون في ١٨٠٩ م . وقد ساعد على رسوخ وضع طمسون غياب وكيل مسقط هذا وغياب بروس عن مقيميته في بوشهر فترة من الزمن ، وكذلك هموم مقيم البصرة مع باشوية بغداد مما شغله عن امور الخليج الأخرى . اراد البريطانيون تنظيم مقياتهم في الخليج والتنسيق فيها واستقروا على ادماج مقيميتى البصرة وبوشهر في مقيمية واحدة تسمى مقيمية الخليج الأعلى ووكالة في قشم لخدمة الخليج الادنى في قشم . وما لبث هذا المخطط ان انهار حين رحل البريطانيون عن قاعدة قشم وصار الأشراف على مشيخات الساحل العمانى من شئون مقيمية بوشهر [١] .

تولى ماكلويد مقيميه بوشهر في نهاية اكتوبر ١٨٢٢ م / ١٢٣٨ هـ وكانت تعلياته بالنسبة لمشيخات الساحل العمانى تقضى بمنع القرصنة ، والحفاظ على الأمن في الخليج ، وتدجين أهل المنطقة بروح الصداقة البريطانية ، وتوطيد النفوذ البريطانى . وأوكل الى ماكلويد تحديد نهج يسلكه لبلوغ هذه الأهداف ، وعليه ان يسلك في نهجه التصرف مع الشيوخ بحزم ظاهره اللطف ، وان يتحسس بصداقته معهم ومقدراتهم الحربية ، وقوة اساطيلهم المتبقية ، وان يتولى كتابة تقارير مسهبة عن كل ما يخصهم الى حكومة بومباى . كما كلف ماكلويد ان يبتدع اسولبا يزود به سفن القبائل بالاعلام ذات المواصفات التى حددتها الاتفاقية وكذلك بأوراق المرور ، وان يكتب للحكومة بملاحظاته حول انجح السبل لكبح تجارة الرقيق . كما حذرت الحكومة مقيمها من ان يقحم نفسه في مشاكل البر على الساحل العربى وان لا يخوض اطلاقا في المشاكل الداخلية لفارس ، وعليه قبل القيام بأى عمليات

---

(١) Howlay, D., op. cit. p. 138.

عسكرية ضد « قراصنة » الساحل الشرقى للخليج ان يتصل بحاكم شيراز للحصول على موافقته التى اذا تعذرت وجب عليه رفع الأمر برمته الى المندوب البريطانى في طهران ، والى حكومة بومباى ويبقى في انتظار التعليمات[١].

قام ماكلويد بمهمته قياما جعل المقيمون بعده يقتفون أثر سياسته حتى أصبحت قاعدة لهم . استمد ماكلويد سنة الطواف على شيوخ الساحل العمانى وصارت قانونا لمن جاء بعده لم يتخلوا عند الا فيما ندر . بدأ ماكلويد عهده بزيارة قام بها مع الضابط فيثفل Faithful الى شيوخ الساحل العمانى ، وقدم حين رجع الى مقيمتيه تقريرا مفصلا بها . جاء في التقرير [٢] ان الشيخ محمد بن صقر يحكم في رأس الخيمة بالانابة عن أخيه سلطان بن صقر الذى حكم في الشارقة والذى أصبح أقوى شيوخ المنطقة طراً حتى اعترف به الجميع فيما عدا راشد بن حمد شيخ عجمان . طلب راشد بن حمد الى ماكلويد ان يصبغ حمايته عليه حتى لا يتغول سلطان بن صقر على مشيخته . وأشار ماكلويد انه من الانسب لهم ان يثقفوا سلطة سلطان بن صقر حتى لا يقوى أمره وينقلب عليهم . كما أبلغ ماكلويد عن وجود ٣٠ ـ ٤٠ داو في الشارقة حمولة كل منها بين ٣٠ ـ ٤٠ شخصا ، وبغله حمولتها اكثر من ١٢٠ طنا . واستنتج ماكلويد ان حملة ١٨١٩ /١٨٢٠م لم تقم بمهمتها المنوطة بها من سحق القواسم نهائيا . كما أخبر التقرير بابتهاج عبدالله بن أحمد شيخ البحرين بالاتفاقية العامة التى شلت عنه أيدى اعدائه من أمثال سادة مسقط ورحمة ابن جابر ، وحسين على ميرزا في فارس ، وان عبدالله بن أحمد كان يعتقد ان هذه الاتفاقية قد اكدت استقلال البحرين . ولما شك ماكلويد في ان الاتفاقية لا تعنى كل هذا وأشار الى ثغرة الحرب المشروعة تراجع الشيخ فأضاف بانه يمكنه حماية نفسه من اعدائه بدون ان تحميه الاتفاقية . وشجب

---

(١) H. S. J., in S. R. I. XXIV.

(٢) Ibid.

ماكلويد مبدأ اعتراف الاتفاقية بالحرب المشروعة في المنطقة لانها قد تقود الى ظهور القرصنة مرة اخرى (١) .

البنـد السابـع :

ان كل طائفة (٢) او غيرهم لا يزالون في النهب والغارات فالعرب المصلحون يقومون عليهم (٣) على قدر حالهم ويصير بين العرب المصالحين والانكريز كلام (٤) في ذلك في وقت وقوع ذلك النهب والغارات .

وضع البريطانيون في البند السابع لهذه الاتفاقية ضمانا لاستمرارها . اذ الب هذا البند الشيوخ على بعضهم البعض ، اذا ثار احدهم وجب على الباقين رده بالتشاور مع البريطانيين كان هذا الشرط يقضى بتحالف بين الشيوخ والمقيم على الشيوخ أنفسهم .

البنـد الثامن :

ان قتل الناس بعد تسليم السلاح فهو من الغارات ولا من الحرب المعروف وان كان طائفة يقتل الناس مسلمين وغيره بعد تسليم السلاح فهو قد أخلف الصلح فان العرب المصالحين مع الانكريز يقومون عليهم وان شاء الله تعالى فلا يزال عليهم الحرب الا بعد تسليم من فعل .

يضيف هذا النص تأكيدا لاشتراك البريطانيين مع الشيوخ ضد بعضهم البعض . وقد أخاف هذا البند الشيوخ وأقعدهم عن الجهاد في البحر . كما فتح هذا البند للتدخل العسكرى البريطانى في المنطقة بابا كبيرا .

---

(١) Ibid.

(٢) اقرأ : طائفة .

(٣) اقرأ : يواجهونهم .

(٤) يقصد مشاورات او مداولات .

قام في ١٨٢٥م بعض اتباع محمد بن شخبوط شيخ أبو ظبي المعزول بالتعرض لبتيل في دبي وأصابوه عند الحويلة على سواحل قطر ، وقتلوا بعضا من بحارته ، فرأى ستانوس المقيم في الخليج ان عملهم هذا يقع تحت طائلة البند الثامن من الاتفاق الذى ينص على منع اعدام الأسرى . ورأى ستانوس انه لا بد من عمل عسكرى بريطانى حتى لا يضطرب أمن البحر واراد ان يعمل . منع الفنستون المقيم من العمل العسكرى بدعوى ان ما يحدث بين الأخوين محمد وطحنون هو من قبيل الحرب المشروعة مما يخرج هذا العمل من طائلة المادة الثامنة من الاتفاق (١) .

ولعلنا نخرج من هذا الحدث باستنتاج بأن أعمال أى بند من بنود الاتفاق او تعديله يخضع للتفسيرات التى يضعها المقيم ويوافقها او يعارضها حاكم بومباى وحكومة الشركة كما تقضى المصلحة البريطانية .

وعلى النطاق المحلى ساعدت هذه المادة على ان يتخلى الشيوخ عن حظهم في قيادة القبائل والعمل بقانونها (*) الذى يقضى بحماية رجالها مهما كان جرمهم . بدأ شيوخ الساحل يرتدون ثياب منطقة جغرافية بعينها ويفارقون موروثات داخلية بلاد العرب ولعل في قصة مسلم بن راشد (**) ما يثبت به رأينا .

---

(١) (1.0) Bombay Pol. Letters Rece., Vol. 19., Govt in Council to Court 2 July 1825.

(*) قال الشاعر :

وما انا الا من مزينه أن غوت غويت وان ترشد مزينه ارشد

(**) جاء في تقرير الوكيل الوطني ان شيخ الشارقة قتل مسلم بن راشد في ١٨٢٨ لأنه ارتكب حادث « قرصنة » اراد الشيخ ان يتخلص منه خوفا من حكومة بومباي اذا اشاع مسلم خبر تواطئه مع الشيخ وارسل اليه يسأله ان يقسم بطلاق نسائه بأنه لم يوجه بارتكاب الحادث . انكر الشيخ ذلك وطلب الى مسلم ان يدفع قيمة الغرامة والتعويض وكان ذلك فوق طاقة مسلم . خشى الشيخ ان يطلق سراح مسلم فتغضب حكومة بومباي فجمع مجلسا من الاعيان قضوا بقتل مسلم . وفي هذا شاهد على الخروج من العرف القبلى والتحول من الزعامة القبلية الى الحفاظ على المنصب المسنود برضاء البريطانيين .

البنـــد التاسع :

ان نهب [١] الرقيق الرجال والنساء والأولاد في سواحل السودان أو غيره وحملهم في المراكب فهو من النهب والغارات فالعرب المصالحون لا يفعلون من ذلك شيئا .

خصص البريطانيون هذا البند لتحريم تجارة الرقيق . يقول لوريمر [٢] ان هذا البند قد ادخل في الاتفاق كطلب الكابتن طومسون [٣] ثم برهن بعد ذلك انه نصر للفكر السياسى البريطانى لأن العبيد كانوا يقاومون النفوذ البريطانى في الخليج العربى اكثر من الآخرين لما لهم من قوة جسدية .

ولعل في هذا ما يؤكد بأن الرقيق في مناطق الخليج كانوا بمنطق الفترة التى نعالجها يدافعون عن ديارهم التى هى ديار سادتهم أيضا . والدلائل على هذا كثيرة متعددة في صفحات التاريخ وسنسرد جزءا منها [٤] .

البنـــد العـــاشر :

ان مراكب العرب المصالحين الحاملة علمهم يدخلون في كل بنادر دولة سركار الانكريز وفي بنادر رفيقهم [٥] على قدرهم يشترون ويبيعون فيها ان كان احد تعرض لهم فذلك على سركار الانكريز .

---

(١) اقرأ : خطف .

(٢) op. cit. p. 168.

(٣) يقول باركلت ان الكابتن طومسون هو الذي صمم كل هذه الاتفاقية ولا ارى ذلك لأنه عارض بعض بنودها .
انظر : The Piarates of Trucial Oman PP. 111 F.F.

(٤) انظر الفصل السابع .

(٥) يقصد حلفاء .

ضمن هذا البند للشيوخ الاتجار مع الموانىء البريطانية والحليفة وحرية البيع والشراء فيها ، وانهم « الضمير يمكن كما يقول واردن (٥) ان يرجع للشيوخ او السفن » اذ تعرضوا لسوء فستحاط به الحكومة علما (*) ، (هكذا) .

البند الحادى عشر :

ان هذه الشروط المذكورة فهى على جميع الطوايف والناس يقبلونها في المستقبل كما قبلوها في الحين». يتص هذا البند على ان يقبل خلفاء هؤلاء الشيوخ هذه الاتفاقية ، وانها ستسرى عليهم كما تسرى على الذين قبلوها حاليا . وفي هذا البند دلالة على التدخل البريطانى المباشر في شئون المنطقة اذ لا يستطيع شيخ ان يصل الى الرئاسة الا بعد اعترافه بنصوص هذه الاتفاقية . وبهذا صار كل شيخ حين يرث اخر يكتب للمقيم باعترافه بهذا الاتفاق .

بين كير والفنجستون :

بعد ان أكمل كير صياغة التعهدات المبدئية واتفاقية السلم العامة تلقى تعليمات بومباى التى وصلته في ٢٨ يناير من الفنجستون الذى خلف نبيان . كانت تعليمات الحاكم العام الصادرة في ١٥ ديسمبر ١٨١٩ م / ١٢٣٥ هـ تقضى بما يلى : -

١ ان تتولى الحكومة تفتيش موانىء وسفن القواسم بانتظام .

---

(١) (1.0) Bombay Pol. Proc. Range 386, Vol. 32, Warden to Meriton Will Take notice of it Sic.

(*) تقول مذكرة وزارة الهند التي ارسلتها الى وزارة المستعمرات في ١٠ أغسطس ١٩٢٧ ان تعهد الحكومة البريطانية للحكام العرب في هذه المناطق غامض جدا "Very Vague" انظر :

(P. R. O.) F. O. 727 Vol. 2/13 India Office to Colonial Office London 10 Aug. 1927.

٢ ان تدمر كل القلاع والمناطق الحصينة على طول ساحل القرصنة .
٣ ان يقيم وكيل « وطنى » في رأس الخيمة ليسمح للسفن التجارية فقط بالاتجار .
٤ ان نشجع روح التجارة والتحضر وذلك بتشجيع الاتجار مع موانىء حكومة الشركة .
٥ ان يقال حسن بن رحمة ويعترف خلفه بهذه البنود .
٦ ان تستعمل قطع الاسطول لحفظ الأمن في الخليج .
٧ يمكن للسيد سعيد ان يستثمر الانتصارات البريطانية في المنطقة بالطريقة التى يتفق عليها .

ولم يكن كير في موقف يسمح له بالتراجع وصياغة عهد جديد خاصة وانه قد وضع معظم هذه الشروط في الاتفاق الذى صاغه وزاد عليه في عنده ، فلم يتراجع كير رغم الشكوك التى ابداها طمسون في جدوى هذه الاتفاقية . كان رأى طمسون ان اجدى ما في هذا الاتفاق هو النص الذى يفرض على سفن المنطقة وجود سجل ميناء واوراق . وأضاف ان هذا الشرط لن يعنى شيئا كثيرا اذ لم يكن هنالك وكيل بريطانى مقيم في المنطقة يراقب السفن ويفحص اوراقها . كان رأى طمسون انه لا فرق بين سفينة التجارة وسفينة القرصنة لأن سفينة القرصان هى السفينة المسلحة التى تسطو وسفينة التجارة هى السفينة المسلحة التى لا تسطو [١] . ولما بلغ هذا الرأى الفنجستون رآه ودعمه ونقد اتفاق كير على أساس ان التنظيمات التى اتخذت بشأن البحر ليس فيها الضمان الكافى لسلوك العرب مستقبلا ، اذ لم يحدد الاتفاق عقابا معينا يفرضونه على سفن العرب التى لا تحمل الصكوك المنصوص عليها في الاتفاق . وأضاف الفنجستون انه كان الأجدر بكير ان يمنع استيراد اخشاب بناء السفن من الهند الى رأس الخيمة . ولعل الفنجستون هنا يعارض ما أمر به في خطابه لكير

---

(١) (1.0) Bombay Sec. & P. Pro., Vol. 45. Cons. 6 of 16 Feb. Memo. by Thompson N. d.

بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨١٩م الذى طلب فيه الى كير تشجيع روح التجارة والتحضر. كما رأى الفنجستون ان فك اسار حسن بن رحمة وحسن بن على ليس من الكياسة في شيء لأنهم لم ينالوا من العقاب ما يكفر عن عظيم جرائرهم.

دافع كير عن اطلاقه لسراح الشيخين المذكورين وغيرهما بأن هؤلاء الشيوخ جميعهم - فيما عدا حسن بن على - قد سلموا طوعا، وما كانوا ليفعلوا لو عرفوا بأنهم سيتعرضون لعقاب. وفي هذه الحالة كان على كير ان يحاربهم حتى يستسلموا. وحينئذ قد تبلغ الحروب ظهير الساحل وهذا ما منعت منه كير التعليمات الصادرة اليه قبل الحرب صراحة [١] وأضاف كير بأنه اذا سمى شيوخ جدد في المنطقة فسيقع على عاتق الحكومة واجب حمايتهم مما سيعنى حتما تدخلا أكثر في امور هذه المشيخات التى لا يهمهم أمرها ما ابتعدت عن طريق تجارة الشركة.

كما رد كير بأنه لن يستطيع ان ينص على تحديد احجام السفن، وكمية عتادها وسلاحها وعدد رجالها لأنه اذا فعل هذا فسيكون على الحكومة البريطانية ان تدفع عن هذه القبائل اعداءها وتمسكهم عنها. كان كير يرى ان تحديد سلاح القبائل الموقعة على الاتفاق يستوجب على الحكومة البريطانية حماية هذه القبائل من القبائل التى لم توقع الاتفاق. ورأى كير ان الحكومة ستحقق الهدف الذى تسعى اليه من أضعاف قوة هذه القبائل بحرا حين تمنع تصدير اخشاب السفن الى المنطقة وهذا أمر تستطيعه سلطات الهند دون الحاجة الى اثباته في الاتفاق المعنى [٢].

---

(١) Lorimer, J. G., op. cit. PP. 673 - 674.

(٢) Kelly, J. B., op. cit. PP. 157 - 159.

تعقيب :

يسترعى الانتباه ان توقيع السيد عبد الجليل بن السيد حسن عن الشيخين سليمان بن احمد وعبدالله بن أحمد آل خليفة ثم توقيع الشيخين المذكورين اخيرا يعنى اعترافا بريطانيا بآل خليفة حكاما على البحرين لا تستطيع القوى الأخرى في المنطقة من ان تغير على البحرين الا اذا ارتضت حكومة الهند ذلك ، ويمكن لها ان ترتضيه اذا اقتضت اهدافها ذلك ، تحت ستار الحرب المشروعة .

ولم تكن سياسة حكومة الهند المرسومة لترضى التغول على البحرين من قوة اخرى الا اذا ارادت معاقبة شيوخ البحرين كما كان في عزمها حين سيرت الحملة على القواسم في ١٨١٩م .

عرف آل خليفة برأى البريطانيين وأدى هذا بهم ، شأنهم شأن الكثير من الشيوخ في المنطقة ، لأن يراعوا رغبات البريطانيين ويتصرفوا وفقها . وكان هذا الاعتراف البريطانى بآل خليفة حكاما على البحرين ، في ظنى ، أحد الأسباب الرئيسية التى جعلت السيد سعيد يتجه بثقله الى شرق افريقيا بعد ان حجبت عنه هذه الاتفاقية مفاتيح البحرين .

كما يسترعى النظر في الاتفاق ايضا ان توقيع راشد بن حميد وعبدالله بن راشد قد تأخر حتى ١٥ مارس ١٨٢٠ وذلك لأن سلطان بن صقر شيخ القواسم كان يمارس قبل حرب ١٨١٩ نفوذا فعليا على منطقة هذين الشيخين . واحتج سلطان على كير بذلك . ولم يبد كير رأياً حتى تبين له ان في سياسة التجزئة التى تسود الاقليم خدمة للأهداف البريطانية لانها تحد من نفوذالشيوخ الأقوياء فيصيروا كالآخرين ، ويستظل جمعهم بعد هذا بظل الاتفاقية العامة لتحمى بعضهم من بعض .

كما يشد الانتباه كذلك ان حملة عام١٨١٩م كانت قاصمة الظهر بالنسبة

للشيوخ ، وان اتفاق ١٨٢٠م كان قيدا لا يستطيعون منه فكاكا لدرجة ان هؤلاء الشيوخ قاموا بحماية فريق من البريطانيين جاء لمسح الساحل في ١٨٢٠م [١] ، بدأ هؤلاء عند رأس مسندم وانتهوا بقطر . تمكن هذا الفريق من دراسة مداخل الساحل فرسموا « خيرانه » واثبتوا على خرائطهم خباياه المختلفة وجزره الكثيرة . كان الغرض من هذا المسح الاستكشافي عرضا عسكريا لخدمة اسطول الخليج حتى لا يفاجأ بالسفن والقوارب العربية تخرج اليهم من تضاريس الساحل وفجواته وثناياه . ويرى البعض في هذا الاستكشاف عملا من الاعمال الجليلة للبريطانيين في المنطقة . وقد لا نعترض على هذا الرأى اذا استعمل البريطانيون هذا العمل في تطوير المعرفة الانسانية . بقى هذا العمل في أضابير البريطانيين وفي المكتبة السرية لحكومة الهند لتكتمل على اساسه حلقات الاحكام السياسى والعسكرى الذى فرضوه على المنطقة . فالواقع ان هذا العمل لم يقم به البريطانيون الا تنفيذا لوصية جرانت كير قائد الحملة وواضع الاتفاقية ومنهاج تطبيقها .

عرف العرب ان نزاع البحر غير ممكن الا اذا رضى عنه المقيم ووافقته حكومة بومباى . وحكومة الشركة من بعدها . وأضطر العرب لذلك لتصفية خلافاتهم الموروثة ان يوجهوا حروبهم توجيها بريا . عرف العرب من

---

(١) انظر : Miles, S. B., Countries & Tribes of the Persian Gulf p. 327.
قام الكابتن موجان Mougan على سفينة المساحة دسكفرى Discovery والسفينة بشى Pyshhe بمسح منطقة رأس مسندم . واتم هذا العمل الكابتن جاى Gay حين تولى قيادته في نوفمبر ١٨٢١ فوصل به الى قطر . استمرت اعمال المسح حتى عام ١٨٣٩ ثم روجع العمل مرة أخرى حين تولى الكابتن كونستبل Constable في ١٨٥٧ قيادة هذا العمل .

حملة (*) البو على ان بريطانيا التى مكنت سيطرتها في البحر لن تستطيع السيطرة على البر لما يتطلبه من تضحيات لا ترى بريطانيا ما يدعو اليها . ولم يستهو البر بفقره وامتداده المجدب بريطانيا بصورة مباشرة الا في النصف الثانى في القرن العشرين .

امتدت بعد هذا حروب البر وبدأت قبيلة القواسم تفقد قوتها وسطوتها بفقدانهم البحر وأنبرت قبيلة البنى ياس لتنتزع قيادة المنطقة من القواسم وكان هذا سببا في كثرة الاحتكاك . مدت قبيلة البنى ياس سيطرتها على قبائل المناصير وبنى قتب وبنى هاجر وقبائل اخرى في الداخل . وأصبحت قبيلة البنى ياس قوة يخشى بأسها وازدادت قوتها حين حصنت علاقتها مع سادة مسقط (١) .

قوى شيوخ بنى ياس حين امتلكوا البساتين في الداخل وزاد استقرار المنطقة حين اتجه حكام دبي من البوفلاسة للاستثمار في الزراعة والرعى (٢) . أما القواسم فقد عاشوا الفقر الذى استوجبته ضحالة مصادر الثروة . فالقواسم لا يملكون واحات كالتى يسيطر عليها البنى ياس ولم تكن لهم الاجيوب زراعية

(*) عن حملة البوعلى انظر : (1.0) Hennell, H., S. R. P. M. in S. R. I. XXIV.
وجاء فيه ما يلي :
قام بعض البنى بو على بمهاجمة مركب لكراتشي - فأرسل الفينستون الى طوبسون للتحرى في الحادث واخطار شيوخ البنى على بالسياسة البريطانية في الخليج . اخذ طوبسون معه شيخ رأس الخيمة على السفينة Fury قام الشيخ بالرسالة ليوصلها الى الساحل وتلقاه القوم بالرماح والسيوف تتناوشه وقتلوه . ارسلت السفينة قذائفها فقتلت ثلاثة من البنى على تقدم طوبسون مع السيد سعيد لعقاب البنى على واشتبكوا بهم في ٩ نوفمبر . انهزمت قوات البريطانيين وسعيد هزيمة فادحة وتراجع طوبسون وسعيد الى مسقط في ١٧ نوفمبر بعد أن فقدوا ما يربوا على الألف قتيل في بلاد البنى بو على . انظر كذلك :
(1.0) Persia & the Persian Gulf. Vol. 32, Thorposon to warden 18 Nov. 1820.

لا تفى بمتطلباتهم في عيش الكفاف . انتهت تجارة القواسم وغنائمهم من الجهاد البحرى ، ولم يبق لهم من البحر الا سمكة ومصايد اللؤلؤ .

انقطع القواسم عن العالم الخارجى بعد اتفاقية ١٨٢٠ التى كانت اساسا أنبنى عليه هيكل السياسة الاستعمارية بعد ان قضت هذه الحملة على معظم سفن الاعراب التى كانت تصلهم عن طريق التجارة والجهاد بالهند وشرق افريقيا . حاصرت سفن التفتيش البريطانية منطقة الخليج ، وراقبت نشاط العرب في البحر مراقبة فعالة ، والتزم العرب بعد هذا ، مناطقهم دون الاتصال بأى قوة خارجية . وصارت بهذا موانىء القواسم النشطة مجرد قرى تتوسطها قلاع يعيش فيها الحكام متوجسين خيفة من اعدائهم في الداخل والخارج (١) .

اذابت هذه الاتفاقية سلطة الشيوخ الى درجة كبيرة . فبعد ان كان الشيوح يعملون بعرف القبيلة ويملكون نواصيها بالتقاليد العربية ، صاروا بعد ان ملك الانجليز أمرهم بهذه الاتفاقية حكام مناطق جغرافية تتنازع السلطة عليها شيوخ البيت الحاكم بمؤازرة بعض التجار .

باتت رأس الخيمة والشارقة وأبو ظبي وغيرها من موانىء المنطقة مجرد احياء قبلية يتجمع عندها القوم المشتغلون بالبحر كما يتجمع البدو صيفا حول بئر للسقيا . وصارت مدن المنطقة نسخة مكررة لا يميز بعضها عن البعض الآخر الا وجود شجرة كبيرة عند مدخل الخور الذى يقود اليها او سارية علم على مبنى قلعة او ما شابه ذلك (٢) . ولم تعد تلك المناطق من أبو ظبي والشارقة وعجمان وغيرها اكثر من قرى قبلية تطل كثيبة على الخليج الذى تعتمد عليه لبقاء حياتها ولم تغير من وسائل عيشها القديم حتى لكأنها تعيش في عالم طابعه العزلة والانطواء (٣) .

---

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٤٢ .

(٢) Admirality, P. G. P. Pasem.

(٣) جمال زكريا ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ١٢٥ .

حاول سلمان بن صقر ان يعيد فرض سيطرة القواسم على هذه المنطقة فلم يفلح ، اذ تأكد بضمان الانجليز ، انفصال الوحدات المختلفة . وأضحى التحلل والانفصال والشقاق هم سمات المنطقة المؤكدة بعد اتفاقية عام ١٨٢٠ م. اوقفت هذه الاتفاقية عمليات المد والجزر السياسى التى كانت تحدث في المنطقة بين حين وآخر وصارت الاتفاقية عقبة امام ضم المنطقة لعمان او السعوديين او مصر او غيرها من القوى في المنطقة .

الفصل السابع

معاهدات تجارة الرقيق مع شيوخ الساحل العماني

معاهدات تجارة الرقيق مع شيوخ الساحل العمانى

(التمهيد - أراء لكتاب غربيين في تجارة الرقيق العربية - بريطانيا تقاوم تجارة الرقيق في المحيط الهندى والخليج العربى - بريطانيا وتجارة الرق في مشيخات الساحل العمانى) ..

التمهيد :

بدأ الاتصال بين سواحل الخليج والجزيرة العربية وسواحل شرق افريقيه منذ عهد سحيق ، وتعاملت ممالك الجنوب العربي في عصور ما قبل الاسلام مع الشرق الافريقى فحكمت اجزاء منه وحكم في الأرض العربية بعض رجال من افريقيه وسارت المؤثرات العربية حتى لنجد ان ملوك السودان المسيحى ، ينحدرون من أصل سبأى .

ومع الاسلام اتجهت اولى الطلائع الاسلامية مهاجرة الى ارض النجاشى . وانتشر بعد هذا المسلمون في انحاء أفريقية حتى لنجد اخبار افريقيا في المصنفات العربية اعتبارا من القرن التاسع الميلادى [1] . ثم قوى بعد هذا اتصال العرب مع شرق افريقيه خاصة بعد ان اكتسب العمانيون ريادة البحر في المنطقة.واتصلت الوشائج بدولة اليعاربة العمانية التى استطاعت ان تؤسس ملكا افريقيا فمدت سيادتها على جزء غير يسير من ساحل افريقيا الشرقى

(١) جمال زكريا قاسم ، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ص ٣ .

وجزره . قويت اسباب التجارة بين المنطقتين وكان جزء كبير من موارد هذه التجارة يتمثل في تجارة الرقيق ، وهى تجارة مارسها الغرب حتى استنفذ غاياته منها ورمى الشرق الذى ظل يمارسها بالعار والشنار .

لم تكن تجارة الرقيق في فكر المسلمين تجارة قاصرة على الأفريقيين دون غيرهم . لم يميز الاسلام بين العربى والافريقى ، والأبيض والأسود ، الا بالتقوى . لم يبيح الاسلام استرقاق المسلمين انما قصر الرق على غير المسلمين . فالعالم عند المسلمين هو دار سلم ودار حرب. وأسرى الحرب ، دون سواهم ، هم الرقيق . وقد اوصى الاسلام بالرقيق خيرا وشجع على عتق الرقاب . والتزم المسلمون حتى عتاة تجارة الرقيق بذلك ولعل ما جاء في وصية (١) السيد سعيد عام ١٨٥٠ م /١٢٦٦ هـ خير شاهد على ذلك . كتب السيد سعيد في وصيته امرا بعتق جميع الذكور والاناث من رقيقة لا يستثنى الا الذين يعملون في المزارع ، وأضاف السيد سعيد انه لا يرجو بذلك الا وجه الله العظيم والرغبة في رحمته ، كما أوصى السيد سعيد بأن يأخذ كل من رقيقه ما قد يكون بحوزته من ثروة سيدة ، وان يعطى مبلغا من المال يعينه على حياة الحرية .

آراء لكتاب غربيين في تجارة الرقيق العربية :

لم ينل رقيق المسلمين منهم الا الحسنى (٢) حتى لنجد ان الكثير من رقيق المسلمين منذ عهد سيدنا بلال في صدر الاسلام حتى ترك الاتجار والمعاملة في الرقيق قد بلغ مدارج الحكم والسيطرة أعلى الدرجات وأرفعها . ولم نسمع عن عبد اوربى واحد بلغ في المجتمعات المدنية أو الكنسية اى مبلغ .

---

(١) Grey, J., History of Zanzibar From the Middle Ages to 1856. (London, 1962) p. 225.

(٢) Coupland, R., East Africa and Its invaders. p. 514.

أفاضت كتب الغرب في وصف حال الرقيق العربى . جاء في تقارير وزارة الخارجية البريطانية [١] ان العبد يعامل في البيت (*) معاملة احد أفراد الأسرة يأكل مما يأكلون ويلبس مما يلبسون . ولما كانت حياة البادية تتميز بطبعها بالبساطة فان حياة العبد لا تقل في بساطتها عن حياة الحر . وأضاف التقرير بأن العبد الذى يعمل في حرس الحاكم المحلى يكون أفضل حالا من حر عربى ليس في منزلته .

يقول بالجريف [٢] ان الزنوج الذين يعملون عند ثراة القوم في المناطق الشمالية من الجزيرة العربية تبدو عليهم الصحة والعافية (**) ويضيف بالجريف ان بنجد مجموعة كبيرة من الزنوج لانفتاح الاقليم على البحر الأحمر والخليج العربى وان كثيرا من افراد هذه المجموعة قد تهجم وهم كالعرب الصرحاء سواء بسواء . يصف ديوتى Doughty [٣] رقيق الجزيرة العربية بسعادة الحال وبأنهم غالبا ما يصيرون احرارا ان كان مالكولم ورعا كريما . كما أقر الدن روتلر Rutler [٤] بأن العبودية عند العرب تختلف مظهرا وجوهرا عن العبودية عند الاوربيين ، وان التساهل وحسن المعاملة للعبد عند المسلمين تخلق منه شيئا طيعا .

---

(١) (P. R. O.) Fo./371/17822, Slave Trade

(*) عندما عمل ركبى Rigby قاضيا في بوشهر وخاراج اصدر اعلانا بأن كل الرقيق لهم الحق الفورى في الحرية . ولم يشأ اى من الرقيق الافادة من القرار .
انظر :
Russell, C. G. B., General Rigby, Zanzibar & and Slave Trade (London, 1935) p. 180.

(٢) A years Journey through Central and Eastern Arabia. (London 1865. PP. 19 - 32.

(**) Happy, fat and Shinnig.

(٣) Travells in Arabia Deserta (London, 1888) Vol. 1 p. 554.

(٤) (P. R. O.) F. O./371/17822 Slave Trade.

يقول بترام طوماس Thomas ان العبيد الذين تحرروا لا يغادرون بيوت سادتهم لأنهم لا يرغبون ، ويتحدث طوماس عن الضمان الاجتماعي للعبيد في جزيرة العرب فيقول : ان العبيد الذين مسهم الكبر ، واقعدهم المرض عن العمل يلقون من سادتهم السكنى والملبس والمأكل ، حتى ان فقراء المجتمع الاوربي ليرحبون بوضع مثل هذا اذا وجدوه ، وان العبد لن يموت فقيرا او محتاجا الا اذا توفي سيده من قبله وتفرقت اسرته .

ان العبد المسن لا يقل في منزلته عن سيده يوقره صغار البيت ويحترمه الكبار ، وغالبا ما يكون المتصرف في شئون سيده ويتعامل مع الأحرار الآخرين على قدم المساواة في المسائل المالية . أثرى بعض العبيد ثراء كبيرا وأصاب بعضهم من السلطة والجاه مبلغا خطيرا ، فقد عمل بعضهم في الجيش وقاد البعض منهم العمليات ووصل بعضهم الى مناصب القيادة العليا (*) . واستطاع بعض الرقيق ان يرقوا الى مناصب مدنيه وادارية هامة واضحى بعضهم من وجهاء المدن الذين يشار الى حكمتهم (١) . يقول ركبي : ان بعض العبيد الذين يعملون في بعض مزارع العرب يحيون حياة طيبة ويعيشون في اكواخ متسعة . ولبعض هؤلاء مزارع ـ يمتلكونها وقد أثرى بعضهم حتى امتلك الرقيق هو الآخر . ويضيف ركبي ان العرب يعطون عبيدهم يومين مسامحه في الاسبوع يستغلونها في البيع والشراء او تصريف اعمالهم الخاصة (٢) .

تفيد تقارير بوشهر (٣) ان معاملة عرب الخليج العربي للرقيق الأفريقي

(*) لعله من الطريف ان نذكر ان اولى طلائع السعوديين تجاه مشيخات الساحل العماني قادها عبد من عبيد السودان اسمه الحارق . حارب الحارق النعيم والضواهر في البوريمي واقام في منتصف الواحة قصر العبارة .

(١) Ibid.

(٢) Russell, C. E. B., op. cit. p. 334.

(٣) (1.0) Extracts From the Residency of Bushire in S. R. I. XXIV p. 647.

ليست قاسية على أى حال . فالعبيد فوق السفن العربية لا يصفدون كالعبيد على السفن الاوربية . كما يقدم البحارة في السفينة للعبيد التمر والسمك بما يسد رمقهم ويكسونهم قماشا يتمنطقون به . وعندما يحل هؤلاء العبيد بالساحل العربي ويصيرون الى سادتهم الجدد يحافظ هؤلاء السادة على رقيقهم لأنهم ثروة في بلد مجدب . واذا أراد هؤلاء السادة نقل الرقيق الى داخل الجزيرة العربية أتوهم بالبغال تقلهم . ويصف التقرير عبيد العرب بسعادة الحال وانهم لا تبدو عليهم مظاهر العبودية لأنهم يتحصلون على كل احتياجاتهم وكأنهم بذلك يتحصلون على أجر . ان هذه المعاملة الرقيقة للرقيق قد دفعت بهم لبذل جهد طاقتهم في العمل . ويستطرد التقرير فيصف الرقيق الحبشى (*) بالسعادة المتناهية لأن سادتهم لا يفرقون في معاملتهم بينهم وبين أولادهم وكثيرا ما يعلمونهم القراءة والكتابة ثم يفيدون منهم بعد هذا في كثير من الأعمال .

لم يمارس الشرق تجارة الرقيق بروح الغرب الهمجية ، فالشرق في كل زمان عبر تاريخ متصل يغوص في تلاليف الزمن أقرب الى دعوة الروح من الغرب . ويقيني انه لو تساوت معاملة الرقيق في السوء شرقا وغربا لانبجست دعوة الانسانيين من الشرق دون الغرب ، ولا جدال في ذلك .

بريطانيا تقاوم تجارة الرقيق في المحيط الهندى والخليج العربى :

اطلق الانسانيون في بريطانيا نداء ضد تجارة الرقيق . وتبنت الحكومات البريطانية النداء لانها حكومات رأسمالية ديمقراطية تعمل بنبضات القطاعات

(*) محبوب ، سكرتير الأمير فيصل كان أبوه عبدا حبشيا وأمه أمة من جورجيا . فاوض لويس بيلى حين زار بيللى الرياض في مايو ١٨٦٢ ، وكان من جملة حديثه ان ما يقوم به البريطانيون من قبض لسفن العرب العاملة في تجارة الرقيق هو في حد ذاته قرصنة . وقال محبوب ان سيده سيمنع عرب عمان من التعرض لاسلاك التلغراف اذا اقلعت الحكومة البريطانية عن تفتيش السفن العربية ومصادرتها .

انظر :

(1.0) Eur. Miss. F./126/3. Private Papers of Sir Lewis Pelly.

الأعلى ثقافيا وماديا في المجتمع لا تخالفها لضمان استمرارها . درجت هذه الحكومات على محاربة تجارة الرقيق لأنها كانت تحقق عدة أهداف لعل أهمها ان المجتمع البريطانى ، في عصر الصناعة ، لا يحتاج الى الرقيق الذى كان ينشر الأوبئة الاجتماعية في المجتمع البريطانى المحافظ . كما ستخدم محاربة الرق بريطانيا لأن منعه يؤثر على الاقتصاد الأمريكى الذى كان حتى ذلك التاريخ بكرا يحتاج الى جهد الرقيق . يضاف الى كل هذا ان بريطانيا قد خرجت الى العالم المتخلف تستعمره وتستثمره فصارت أحوج الى الرقيق في أرضه لتمتص نتاج جهده ونتاج أرضه .

حرّم البرلمان البريطانى الرق بموجب قانون أصدره في ١٨٠٧م ومنع السفن البريطانية من نقله بين موانىء الامبراطورية . وتأكد هذا القانون بقانون آخر صدر في ١٨٠٨م. وفي ١٨١١ صار الاتجار بالرقيق جريمة يعاقب عليها القانون . ولم يحظر الرقيق في بريطانيا الا في عام ١٨٣٣ (١) . ورغم هذا فقد سعت الامبراطورية عن طريق حكومة الشركة في الهند ورجالها الى حظر تجارة الرقيق منذ ١٨٢٠م في الساحل العمانى الذى استعمره البريطانيون في ١٨٢٠ عسكريا ثم انسحبوا منه بارادتهم الحرة لجفاف المنطقة التى لا تثرى خزينة الامبراطورية البريطانية . ترك البريطانيون بند تجارة الرقيق في اتفاق ١٨٢٠ ناقصا حتى اختلفوا كما سنرى في تفسيره . ويرجع ذلك في اعتقادى الى انه لم يتضح للبريطانيين حتى ذلك التاريخ كيفية محاربته واستئصاله وان اتضح لهم دور الرقيق في اقتصاد المنطقة الذى ارادوا له ان يضعف (*) .

---

(١) Marlowe, J., The Pesian 'Gulf in the Twentieth Century (London) p. 14.

(*) صدرت التعليمات لضباط بحرية بومبي العاملين في الخليج في أول أغسطس ١٨٢١م لتولى تنفيذ بنود اتفاق ١٨٢٠م مع مشيخات الساحل العمانى . لفتت الحكومة نظر ضباط البحرية الى بند تجارة الرقيق بصفة خاصة وطلبت اليهم تعقب سفن الشيوخ بعد التحرى منها بدقة وان لا يستوقفوا السفن الأخرى او يتدخلوا في سيرها .

انظر : (1.0) Bombay Pol. Por., Range 386, Vol. 32, Warden to Meriton.

استندت حكومة الشركة في الهند على قانون وستمنستر الصادر في١٨١١م وأكملته بموجب تنظيم نمرة ١٠ لعام ١٨١١ الذى أصدرته الحكومة العليا في البنغال ومنعت بموجبه استيراد الرقيق الى البنغال برا وبحرا . أما حكومة بومباى فقد كانت أسبق من حكومة وستمنستر حيث حرمت تصدير واستيراد الرقيق في مناطقها منذ عام ١٨٠٥م، وأكملت هذا الحظر بموجب التنظيم نمرة ١٠ الصادر في البنغال في عام ١٨١١ .

كان الاسطول البريطانى يعمل في المناطق التى تقع على المحيط الاطلنطى يتعقب سفن صيد الرقيق ثم نقل عملياته بعد الحروب النابليونية الى شرق افريقيا . نبه ايرل كالدون Earl Caledon ، حاكم رأس الرجاء الصالح ، الى نشاط الفرنسيين على ساحل افريقيا الشرقى . وأضاف كالدون انه لو استمرت فرنسا في حيازتها لموريشيوس فانه يتعين على شركة الهند ان تبذل مساعيها لدى السيد سعيد لالغاء تجارة الرقيق في زنجبار [١] .

بدأت بريطانيا اولى محاولاتها للسيطرة على تجارة الرقيق في الخليج العربى حين كتبت حكومة بومباى في ٤ مارس ١٨١٢م للسيد سعيد تخطره بالقوانين التى سنتها لمكافحة تجارة الرقيق . ثم كتب نبيان بعد هذا في ١٥ يوليو ١٨١٥ م / ١٢٣٠ هـ الى السيد سعيد يحضه على ترك الاتجار في الرقيق « ليلحق بركاب العالم المتمدن ويأخذ مكانه بين حكام العالم المستنيرين ويحظى بكسب ود الدولة البريطانية » . ولكن نبيان لم يتلق من سعيد ردا [٢]

قامت بريطانيا بتطبيق قانون الغاء الرق في جزيرة موريشيوس بعد ان احتلتها في عام ١٨١٤م . وفي ١٠ مايو ١٨٢١م كتب روبرت فركهار R. Farquhar الى امام مسقط يهنئه بانكسار القواسم ، ويضيف فركهار في

---

(١) Grey, J., op. cit. p. 68.

(٢) Coupland, R., East Africa and Its Invaders p.p. 200 - 201.

خطابه لسيد مسقط بأن « الاتجار في الرقيق يجافى العدالة والانسانية» ويطلب اليه ان يقوم بالغائها . وقال فركهار بأنه سيتصل لتحقيق هذه الغاية ، بها شيخ حاكم الهند العام ، ليواصل مساعيه لدى السيد سعيد (١) . واتبع فركهار خطابه هذا بخطاب ثانى في يوم ١١ مايو١٨٢١م لحاكم زنجبار يخطره بأن كل الأوربيين الذين يعملون في تجارة الرقيق هم مجرمون بحسب قوانين بلادهم ، وان على الحاكم المذكور ان يلقى القبض على أى اوربى يتعامل في الرقيق ويسلمه لفركهار (٢) .

كانت هذه التحركات الدبلوماسية لفركهار متممة للتحركات الاسطولية التى بدأها في اوائل ١٨٢١ م / ١٢٣٦ هـ حين أمر فركهار مورسبى فير لاكس M. Fair Lax بالقيام بعمليات ضد الاتجار بالرقيق في المحيط الهندى . ويمم فيرلاكس الى زنجبار حيث تنسم خبر ثمانية سفن حلت لتوها من زنجبار تحمل الواحدة منها من ٢٠٠ الى ٤٠٠ عبداً ، وكانت هذه السفن ترفع العلم الفرنسى ، كما عرف فيرلاكس ان السفينة كورير Coureur التى ترفع العلم البريطانى قد اختطفت لتوها بعض الأطفال وقتل بحارتها بقيادة البريطانى دورفال Dorval اباء هؤلاء الأطفال لأنهم ارادوا حماية اطفالهم (٣) . كما قبض مورسبى على السفينة الفرنسية سكسس Success التى جهزت خصيصا لنقل الرقيق من شرق افريقيا الى هافانا ، وكانت حين اخذت تحمل ٣١٢ عبدا وقبض فير لاكس كذلك على السفينة اندسترى Industrie التى لم تكن ترفع علما وكان معظم بحارتها من الرعايا البريطانيين (٤) .

وصل كابتن موريس فير لاكس الى مسقط في اغسطس ١٨٢٢ م / ١٢٣٧ هـ وناقش مع السيد سعيد اتفاقية (٥) وقعت في ٤ سبتمبر ١٨٢٢ م /

---

(١) Grey, J., op. cit. p. 228.
(٢) Ibid, p. 229.
(٣) Ibid, p. 228.
(٤) Ibid, p. 229.
(٥) Aitchison, C. U., A Collection of Engagements, Treaties and Sands p. 128.

ذى الحجة ١٢٣٧ هـ منعت هذه الاتفاقية بيع الرقيق في المناطق التابعة للسيد سعيد للمسيحيين ، كما حظرت هذه الاتفاقية على السفن الأوربية نقل الرقيق وجلبهم الى موانىء المستعمرات الأوربية . وحظرت الاتفاقية على السفن المسقطية كذلك حمل الرقيق عبر خط مانع يبدأ عن رأس دلجادو مارا بدرجتين الى الشرق من جزيرة سقطرة منتهيا عند ديو ، وأن كل سفينة عربية تدخل في هذا النطاق الا بفعل الرياح وتقلبات الجو ، تعاقب عقاب السفن البريطانية حاملة الرقيق . وقد اجاز هذا الاتفاق لسفن الاسطول البريطانى (*) حق تفتيش السفن العمانية والتأكد من حسن مسلكها ، كما أباح هذا الاتفاق لبريطانيا ان ترسل قنصلا الى زنجبار ليراقب تنفيذ الاتفاق (١) . وجدير بالذكر ان هذا الاتفاق لم يكن بحسب ظاهرة وقوفا ضد تجارة الرقيق انما كان الدافع اليه اشاعة سرت بأن فرنسا تريد ان تشترى زنجبار من مسقط (٢) . اراد الانجليز باتفاق الرقيق هذا ، وبقنصلهم أبعاد النفوذ الفرنسى من المنطقة .

بريطانيا وتجارة الرق في مشيخات الساحل العمانى :

كان شيوخ الساحل العمانى هم أول من أمهر اتفاقية في الوطن العربى تنص على عدم المعاملة في الرقيق . كان المقصود من البند التاسع في اتفاق ١٨٢٠ كما فسر بعد ذلك عدم خطف الرقيق لا عدم تداوله (**) ، فاستمر لذلك التداول فيه دون وقف ملحوظ . ارسلت حكومة بومباى (٣) هذا

(*) ليس لبحرية بومبى — (1.0) Bombay Pol. Por. Range 385, Vol. 26.

(١) Cons. 38 of 182 ept. 1822, Moresby to govt. in council.

(٢) Grey, J., op. cit. p. 234.

(**) في النص الانجليزى "Shall do nothing of the nature"

قال المقيم ان هذه الجملة يمكن ان تلغى تجارة الرقيق في منطقة الساحل العماني الغاء تاما لانها تعنى (كل شيْ) . انظر :

(1.0) Slave Trade. P. R. M. A. B. G. B. T. P. G. in S. P., 1. XXIV. p. 636.

(٣) Ibid, p. 637.

التفسير للمقيم في الخليج ردا على رسالته التى ارسلها في ١٨٢٣م والتى جاء منها اننا يمكن ان نقف ضد خطف الرقيق في افريقيا ، غير ان منع هؤلاء الشيوخ من الاتجار فيه لن يؤدى الى نتيجة لان كل القوى في هذه المنطقة تمارسه وتعمل به . أضاف ماكلويد « لا ادرى .. إذا كانت أهدافنا انسانية حقا فهل من الانسانية ان نقبض على السفن بعد ان نهاجمها ثم نفتشها باسم الانسانية ؟ ان هذا لن يجلب لنا الا زيادة في العداء نحن في غنى عنه بالنسبة لهؤلاء العرب » واستجابت بومباى لأمر مقيمها وارسلت له خطابها نمرة ٣٩٣ المؤرخ في ٢٦ مارس ١٨٢٣ تقول ان بند تجارة الرقيق لا يعنى للتأكيد ما هو ظاهر في النص انما يعنى وقف اتجار هؤلاء العرب الى الساحل الشرقى لافريقيا ومنع خطف الرقيق من هنالك .

استمر اتفاق ١٨٢٠م (المادة ٩) واتفاق ١٨٢٢ مع مسقط قائما ولكنه لم يرضى طموح حكومة بومباى . كتب روبرت جرانت في اكتوبر ١٨٣٧ الى هنيل للعمل على تغيير هذين الاتفاقين ، وان يحزم جميع هؤلاء الشيوخ بالحسم حتى تنتهى تجارة الرقيق التى تصل الى أطراف الهند . ورد هنيل بانه سيتحين الفرص لاثارة هذا الأمر مع الشيوخ وان كان من رأيه ان امرا حساسا كهذا يجب عدم اثارته في وقت تقوم فيه مصر بحروب في الجزيرة العربية ويقوم فيه الشاه بحروب في هيرات . واستصوب فرانش Fransh خلف جرانت على بومباى هذا الرأى وارسل اليه ينهاه عن اثارة الأمر ويكتفى برقابة التجارة والتبليغ عنها .

لم يكن عرب الساحل العمانى هم التجار الرئيسيين لتجارة الرقيق في المحيط الهندى والخليج العربى حيث كان أهل عمان هم التجار الرئيسيون . وشاركت سفن الكويت والبحرين في نقل الرقيق والاتجار به اكثر مما فعل القواسم وغيرهم من سكان الساحل العمانى الذين لم يكن لهن الا نصيب ضئيل في نقل هذه التجارة ، وقنعوا بشراء الرقيق من مسقط وبيعه في مناطق الخليج

الاخرى . ويقول كميان في تقريره بانهم كثيرا ما الصقوا تهمة الاتجار بالرقيق على القواسم ، ولكن التهمة تنتفى عند التحقق [1] .

وكان المقيم كما فصلنا سلفا هوالشيخ الكبير الذى يفصل في دعاوى الشيوخ سعى عبدالله بن ايواز أحد شيوخ ساحل الصومال الى المقيم وشكا من ان القواسم قد اختطفوا ٢٣٣ بنتا صومالية وباعوهن في الخليج . ولما تحرى المقيم في الأمر أيقن ان أولئك البنات كن ضحايا لبعض حروب قبليه قامت في منطقة بربرة ، وان من عادة القبائل في تلك المنطقة بيع الأسرى . بيع هؤلاء البنات الى القواسم ولم يقم القواسم باختطافهن من ساحل الصومال « لأن الصوماليون مسلمون ولا يجوز شرعا استرقاقهم » . هذا ما أثبتته تحريات الوكيل الوطني . وأضاف هانيل في تقريره ان عبدالله كان مدلسا وكان يمكن ان يرجع ويصمت لو قام شيخ القواسم باسترضائه بالمال والهدايا [2] .

وحين زار هنيل الساحل العمانى في ابريل ١٨٣٨ م / ١٢٥٤ هـ في زيارته السنوية بغرض تجديد فترة الهدنة البحرية ناقش أمر الصوماليات مع سلطان بن صقر الذى انكر علمه بالحادث تماما ونبذه ، ثم تعهد بتوقيع اتفاق اعطى بموجبه الحق للسفن البريطانية بتفتيش ومصادرة السفن التابعة لموانىء القواسم والسفن التى يمتلكها القواسم على اطلاقها وصيغ الاتفاق [3] ووقع عليه بالشارقة بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٥٤ الموافق ١٧ ابريل ١٨٣٨ كما وقع على الاتفاق خليفة بن شخبوط وراشد بن محمد ومكتوم بن بطى . وتأكد هذا الاتفاق باتفــاق لاحق أمهر في رأس الخيمة في ٣ يوليو ١٨٣٩ وكان اكثر تحديدا من سابقه اذ حدد المناطق التى يجوز فيها للسفن البريطانية حق القبض على السفن القاسمية ، وكانت هى نفس المناطق التى اتفق بشأنها مع السيد سعيد في

(١) (1.0) Slave trade P. R. M. A. B. G. S. T. P. G. in S. R. I. XXIV p. 637.

(٢) Ibid, p. 638.

(٣) انظر الملحق رقم (٥) .

سبتمبر ١٨٢٢م. وأقر الشيوخ سلطان بن صقر وخليفة بن شخبوط ومكتوم بن بطي وعبدالله بن راشد ان بيع الصوماليين يتنافى مع الدين الاسلامى ولذلك فانهم سيمتنعون عن الاتجار في رقيق الصومال . وقد التزم بالاتفاقين فور صدورهما ووقعهما بختمه او برسمه الشيخ خليفة بن شخبوط شيخ ابو ظبي ، ومكتوم بن بطى شيخ دبى ، كما وقع الى جانب هؤلاء في الاتفاق الأول شيخ عجمان ، ولم يدع لتوقيع الثانى الا في ١٠ ديسمبر ١٨٤٧م. كما وقع شيخ ام القوين على الاتفاق الثانى ولم يكن قد التزم بالأول .

خرجت بريطانيا من المشكلة الشرقية في ١٨٤١م وقد قوى عودها في الشرق ولم تعد تبالغ في احترام مشاعر الحكام الضعفاء . ارسل اللورد ليفسون (*) Leveson مذكرة مفصلة الى مجلس الهند في ٨ يونيو ١٨٤١م يطلب فيها اصدار الأمر الى سيد مسقط وشيوخ الساحل العمانى يترك الاتجار في الرقيق وينهى اليهم بأن الحكومة البريطانية لن تتردد في اتخاذ كافة الوسائل لوقف هذه التجارة [(١)] . ولم يتحمس روبرتسون Robertson «المقيم في الخليج لهذه السياسة المتشددة بحجة ان المنع القاطع لهذه التجارة سيعود بأهل منطقة الساحل العمانى الى القرصنة . وأضاف ان مشايخ الساحل العمانى ليس لهم دور رئيسى في حمل هذه التجارة ورجح بأن ما تحمله سفنهم المشتغلة بالاتجار الى افريقيا وزنجبار لا يزيد على $\frac{1}{7}$ من حجم تجارة الرقيق (**) في الخليج وعليه فلا يجوز ان يكون هؤلاء الشيوخ هم أول من يجبر على تركها . وأضاف

(*) وكيل وزارة الخارجية البريطانية وقتها

(١) (P. R. O.) F. O./84/387. Leveson to Cabell, 8 June, 1841.

(**) وصلت في الفترة من اغسطس حتى اكتوبر ١٨٤١ الى خاراج ١١٧ سفينة من ٢٢ ميناء ، ١٥ مركبا منها لرأس الخيمة فيها ١٤٣ عبدا ، مركب لابو ظبي فيها عبد واحد ، مركب لام القوين فيها عبدان . عدد العبيد الكلى في المراكب التي وصلت كان ١,٢١٧ عبدا انظر : E. R. B. in S. R. I. XXIV. p. 648.

المقيم في خطاب لاحق بتاريخ ٤ مارس ١٨٤٣م بأن أمام مسقط يدفع السياسة البريطانية لمساندة خططه ويجعلنا نتعقب سفن تجارة رقيق الشيوخ في البحرين وذلك ليمسك بزمّام هذه التجارة دون منافس » . وأوصى روبرتسون ان الحل الأمثل يكمن في « ان نمتلك كل الموانىء على السواحل الافريقية ونحارب تجارة الرقيق في منابعها على ذلك الساحل مما سيكون أقل تكلفة وأجدى نفعا . وتستطيع السفن البريطانية ان تتعقب السفن العربية في تلك المناطق من أفريقيا [١] ، وظفر اقتراح روبرتسون بعد دراسته دراسة مستفيضة بالقبول . ولم يتمخض التنفيذ عن نتائج مرضية لقلة السفن البريطانية التي يمكن ان تستعمل في مثل هذه الاغراض اذ لم تستطع بريطانيا ان توفر اكثر من سبعة او ثمانية سفن وبعض القوارب الصغيرة لتراقب منطقة زنجبار وبراوة ومداخل البحر الأحمر والخليج العربى [٢] وذلك امتداد شاسع لا يستطيع هذا العدد من السفن الحربية حصر حركة السفن فوقه .

ان المتتبع لدراسة تجارة الرقيق بين افريقيا ومشيخات الساحل العمانى يكاد يقطع بأن الجانب الانسانى لم يكن هو الدافع الاساسى للبريطانيين لوقف هذه التجارة . ويكاد يجزم بأن السيطرة وحدها هى المنطلق التى انطلق منه البريطانيون لحماية تجارتهم ومصالحهم الاستعمارية ، ويبدو هذا جليا للمتتبع للصراع الفرنسى البريطانى على مسقط والساحل الأفريقى . فالخوف من استشراء النفوذ الفرنسى في زنجبار والساحل الأفريقى كان العامل الرئيسى الذى وجه البريطانيين لاتفاقات تجارة الرقيق مع السيد سعيد ، وأضعاف قبائل الساحل العمانى اقتصاديا وعسكريا كان هو السبب الذى حدا بالمقيم لعقد الاتفاقات للسيطرة على تجارة الرقيق سيطرة تصل حد المنع احيانا والتغاضى عنه احيانا اخرى .

---

(١) (1.0) Slave Trade, T. R. M. A. B. G. S. T. P. G. in S. R. I. XXIV. p. 645.

(٢) Coupland, R., The Exploration of East Africa, 1856 - 1890 (London, N.D.) p. 17.

لم تكن حركة الانسانيين هى دافع البريطانيين فقد خفتت هذه الحركة في بريطانيا بموت بكستون Buckstone في ١٨٤٥م وفقدت الحركة حيويتها تماما . لم يخلف بكستون في رئاسة الحركة رجل ذو تأثير في المجتمع كما كان هو وويلبرفورس Wilberforce من قبله يؤثران فيه [١] . كما ان الرأى العام البريطانى لم يكن ليهتم في كثير او قليل لالغاء الرقيق العربية فهى لن تؤثر عليه كما أثرت عليه قرارات الغاء تجارة الرقيق في بريطانيا . آلت قيادة حركة الانسايين للمكتشفين ورواد القارة الأفريقية كلفنجستون Livingstone وزملائه ، وكان هؤلاء يعملون من أجل اعلاء نفوذ بريطانيا تجاريا ، كما كانت لهم دوافع تبشيرية [*] . استهدى هؤلاء المكتشفون بالروح الصليبية التى ميزت البرتغاليين قبلهم . وقد جاء في أثر لبعض القساوسة الالمان ان خطف الرقيق الذى استهدف الساحل الأفريقى قد حال دون انتشار المسيحية [٢] . وصرح لفنجستون في خطاب القاه في كمبردج في عام ١٨٥٧م بأنه ذاهب الى افريقيه مرة اخرى ليخدم التجارة البريطانية هنالك وأهداف التبشير [٣] .

تبين البريطانيون ان افريقيا قارة ثرية وان تجارة الرقيق تستنزف قواها ولا تبقى لها قوة وعمالة . وبما ان البريطانيون كانوا يحتاجون للعمالة « ليختلقوا من هذه القارة أضخم منطقة انتاج في العالم بما ان سكانها قليلون فلن نستطيع ان نصل بهم الى تلك الغاية » [٤] .

كان الأجدى لبريطانيا لمكافحة نظام الرق ان لا تكافحه بالاتفاقات تسندها القوة المسلحة ، انما بمساعدة المجتمع الخليجى للأخذ باساليب

---

(١) Coupland, Ibid, PP. 147/148.

(*) في اعقاب حملة ١٨١٩م وزع طومسون الاناجيل على الشيوخ ولكنه لم يصنب نجاحا .

(٢) Russell, C. E. D. op. cit. p. 181.

(٣) Coupland, R., The Exploration of East Africa, p. 103

(٤) Ibid, p. 141.

الحضارة الحديثة . ولكن بريطانيا لم تكن مهيأة لأن تلعب دور ناشر الحضارة في بلاد العرب لأن ذلك يناقض مصالحها ويناهض وجودها الاستعمارى [١].

عقدت بريطانيا معاهدات لتحريم الاتجار في الرقيق مع مشائخ ساحل عمان . وكانت أولى هذه الاتفاقات في عام ١٨٢٠م ثم تدرجت مع الشيوخ لتخدم اهدافها سياسيا وعسكريا وادخلتهم في اتفاقات وتعهدات في ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ ، ١٨٤٧ ، ١٨٥٦م [٢] وبرغم هذا فقد استمرت تجارة الرقيق في هذه المشيخات مما يدل على عدم جدية بريطانيا وحكومة الشركة في الهند في خدمة الأهداف الانسانية التى اتخذتها بريطانيا ذريعة للتدخل السياسى . ما كانت بريطانيا بعد بكستون ونهاية تجارة الرقيق في المحيط الهندى تعبأ بالانسان الذى استعمرته ، وقد قامت بريطانيا في عام ١٨٦١م ببناء السفينة نايتنجيل Nightingale وجهزتها في ميناء ليفربول خصيصا لحمل الرقيق والاتجار فيه [٣] .

ارادت بريطانيا ان تستعمل معاهدات الرقيق اودات ضغط تستعملها حين تريد. ذكر تقرير كتب [٤] عن تجارة الرقيق عند مشايخ ساحل عمان في عام ١٩٢٨ م / ١٣٤٧ هـ بأن تجارة الرقيق في المنطقة قد هدأت حدتها هونا ما . وأشار التقرير الى ان شيخ دبى كان أبرز الشيوخ العاملين بهذه التجارة . ووجهت حكومة الهند لمقيمها ان يذكر لذلك الشيخ صراحة بأن أى تقصير في اعاقة عمل معاهدات الرقيق سيجعله تحت مطرقة الغضب البريطانى . ولربما

---

(١) صلاح العقاد ـ التيارات السياسية ص ١٧٥ .

(٢) Aitchison, C. U., op. cit. PP. 239 - 240.

(٣) Russell, C. E. D., op. cit. p. 198.

(٤) (1.0) L/P & S/18/B. 407, Slavery in the Persian Gulf, Indin office 29, Sep., 1928.

هدف البريطانيون من تلك الى تذكير الشيخ بمطرقة الغضب البريطاني ، اذ لم تشر التقارير اللاحقة الى انتهاء تلك التجارة التى استمرت، رغم تعهد الشيوخ من مجلس الحكام المتصالحين في ١٩٥٣م بتحريم التعامل في الرقيق . وجاءت الشركات البريطانية بعد هذا لتعمل في صناعة البترول فكانت تؤجر الرقيق من سادتهم وتدفع الأجر للسادة . ولم ينته هذا الوضع الأخير أعلن الشيوخ في بيانات مشتركة في عام ١٩٦٣م بأنهم قد الغوا تجارة الرقيق التى تجافى روح العصر المتحضر الذى نبذها منذ أمد بعيد (١) .

وخلاصة القول ان بريطانيا كانت تريد بمعاهدات الرقيق ان تصل الى اهداف يمكن تلخيصها فيما يلي : -

أ — قفل سفن مشيخات الساحل العماني في الخليج العربي وفق خط مرسوم لا تغادره حتى يسهل على السفن البريطانية وقائدها في الخليج مراقبة هذه السفن .

ب — عزل المنطقة من العالم لتبقى على ما كانت عليه من جهل وفقر ومرض يمنع التكاثر . ادركت بريطانيا ان وفود عناصر افريقية الى المنطقة يقوى في عضد المنطقة لانهم يقومون بأعمال الملاحة والغوص ، كما كان الرقيق يمثل القوة الضاربة في كثير من السفن القاسمية وقد صار لذلك وقفه لازما .

جـ — أفتى المقيمون ان هروب الرقيق يقود الى حوادث القرصنة ونزاع البحر ولذلك فان وقف تجارة الرقيق أمر تقتضيه تطبيق قواعد سياستهم .

---

(١) Howley, D., op. cit. PP. 136 - 137.

الفصل الثامن

الاتفاقية الدائمة ١٨٥٣م - ١٢٦٩هـ ونتائجها

الاتفاقية الدائمة ١٨٥٣م - ١٢٦٩هـ ونتائجها

(التمهيد - حوادث البحر حتى ١٨٣٥م - الهدنات البحرية - تعهد السنين العشر - الخطان المانعان - الاتفاقية الدائمة - نتائج الاتفاقية الدائمة ، زيادة اقحام السياسة البريطانية في شئون المشيخات الداخلية ، زيادة ضعف المشيخات وتفكك الأسر الحاكمة ، زيادة تفريس الخليج - معاهدة ١٨٧٩م لهروب الغاصة من ميناء الى آخر) ..

التمهيد :

ضعفت القبائل في الساحل العماني بعد حملة ١٨١٩م ضعفا بينا ، ووهنت قوتها العسكرية حين أحرق البريطانيون سفنها ، وازالوا قلاعها ، وخبت قوتها المعنوية حين خربت الدرعية ، وزالت الى حين الدولة السعودية . وغدت هذه المشيخات بلا سلاح يسندها في الحرب ولا زعامة فكرية تقودها . وما كان للشيوخ من بدّ الا اتباع الخط الذى رسمته سياسة حكومة الشركة في الهند ومندوبها في الخليج وسدنته . بدأ الشيوخ يحترمون قوة بريطانيا وقرّ في اذهان اتباعهم ذلك فأمسكوا عن الجهاد الذى أصابوا منه رزقا حلالا . ولم تقع حوادث جهاد بعد هذا إلاّ من راشد بن حمد أمير عجمان في ١٨٣٢م، ولكنه قصر رجالا وسلاحا دون الاغارة على السفن البريطانية ، وحركات الجهاد التى قادها شيوخ ابو ظبي من البنى ياس في ١٨٣٥م. أما فيما عدا هذا كانت هنالك مغامرات فردية قام بها البعض غير مسنودين بسلطة شيخ او دولة . كما وقعت

بعض الحروب الأهلية بين المشيخات المختلفة وامتدت اصرافها برا وبحرا . واعتبر البريطانيون بعض هذه الحروب الأهلية مشروعا فلم يتدخلوا فيه واعتبروا بعضها غير مشروع فوقفوا ضده .

تبنى البريطانيون سياسة الخطوة خطوة لاقامة اتفاق بحرى شامل يمنع حرب البحر على اطلاقها . فقد كانت إتفاقية ١٨٢٠ نتاج حرب صيغت في ظروف حرب وعلى عجل . وكان لا بد من ثغرات في تطبيقها ما ان استبانها المقيمون البريطانيون في الخليج حتى عملوا على ترقيعها بسلسلة من التعهدات تبلورت اخيرا في اتفاقية ١٨٥٣م التى التزم بها كل الشيوخ الملتزمين باتفاق ١٨٢٠ ، فيما خلا شيخ البحرين وذلك حتى لا يكلف البريطانيين أنفسهم عبء حمايته من سلطان مسقط . وبالرغم من ان الاهتمام البريطانى بسلطان مسقط قد تضاءل بشكل ملحوظ في هذه الفترة الا انهم رأوا ان لا يعرقلوا أهدافه بطريقة واضحة . ابتدع له البريطانيون في ١٨١٩ وسيلة الحرب المشروعة ، وأبعدوا من أجله في ١٨٥٣ البحرين من الاتفاق .

حوادث البحر حتى ١٨٣٥ م / ١٢٥١ هـ :

سجلت الوثائق البريطانية في عام ١٨٢٣م أول حادث « للقرصنة » بعد حملة ١٢١٩ وقد قام به المدعو حسون من رجال الشارقة . ولما حقق الشيخ في أمره لم تثبت عليه التهمة [(١)] ـ وفي ١٨٢٤م خرج بعض أهل الشارقة وأصابوا مركبا بحريا لسقطره ، وأبلغ الشيخ سلطان أمرهم الى المقيم .، ولاحقتهم السفن البريطانية وهرب الرجال بعد ان تركوا بغلتهما في خاراج مطرة Muttra [(٢)] وحدثت في ذات العام قصة مسلم بن راشد التى تتصل الشيخ من جرائرها .

(١) Hennell, H., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٢) Ibid.

وفي عام ١٨٢٤ بدأت مشاكل بحرية بين الشارقة وأبو ظبي ، وتدخل المقيم في ديسمبر ١٩٢٤ م / ١٢٤٠ هـ ولم يفلح في رأب الصدع . خشى المقيم ان تمتد هذه الخلافات الى مناطق الغوص ، فأرسل سفينتين من سفن اسطوله الى المنطقة تراقبها وتقضى الموسم بسلام [١] .

وفي ١٨٢٥ م / ١٢٤٠ هـ هاجم بعض أهل الشارقة قارب للبحرين عند عنقار Anjar فنهبوه وقتلوا بعضا من بحارته . فتقدم قائد اسطول الخليج الى الشارقة بقضه وقضيضه ودعا شيخها لدفع تعويض عن الخسائر ، ودية للدماء . وتأبى الشيخ منعا ولكنه استكان حين علم ان أوامر القائد تقضى بمصادرة كل السفن التى بالشارقة ريثما يتم دفع الغرامة . وعندها امتثل الشيخ باقتناع تام مما « أكسبنا سمعة عالية سرت في الخليج حتى أقاصيه ، وبررت معنى الاتفاق ، واثبتت وجوده » [٢] .

وفي نفس العام اجبرت قوات بريطانيا في الخليج الشيخ سلطان بن صقر بأن يدفع غرامة اخرى لحادث بحرى قام به سويدان بن زعل حين هاجم قاربا لأم القوين [٣] .

لم تحدث أى اضطرابات بحرية في عام١٨٢٦م من سكان الساحل العمانى ولم تسجل الوثائق البريطانية الا حادثا يتيما قام به بعض أهل البيدع .

وقد شهد عام ١٨٢٧ م / ١٢٤٣ هـ تقاتل بين أهل أبو ظبي والشارقة وخرج المقيم للتوفيق بينهما ولكنه وجد أن سلطان مسقط قد وفق بين الشيخين . غير ان الخلافات التى حدثت بين المنطقتين في نوفمبر من نفس العام أدت بشيخ

---

(١) Henell, op. cit.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

دبى التابع لابو ظبي الى القبض على بعض سفن الشارقة عند مصائد اللؤلؤ فتدخل قائد احدى السفينتين الحربيتين الموجودتين في المنطقة وأطلق سراح السفن . وقام المقيم في ابريل ١٨٢٨ م / ١٢٤٣ هـ بتوجيه اللوم الى الشيخ طحنون على تلك الفعلة وأكد ان تكرارها سيؤدى بأمن الخليج . كما قام في نفس السنة احد اتباع راشد بن حميد شيخ عجمان بالسطو على احدى المراكب ولما علم الشيخ سلطان بن صقر بالحادث لاحق الرجل وأودعه السجن (١) .

هدأت حدة مشاكل البحر في ١٨٢٨ ولم تسجل الوثائق الا حادثاً قام به فريق من البنى ياس ضد بغله للبحرين وبتيل للكويت ارجعا فورا الى أصحابها وعوقب الجناة . وبدأ المقيمون يطمئنون على قوتهم في الخليج حتى ان المقيم ستانوس قرر انه يمكن ان يستغنى عن سفينة من قوة الاسطول في الخليج دون مخاطرة (٢) ، وأكد خلفه المقيم ديفيد وينسون في مايو ١٨٢٨ بأنه يمكنه الحفاظ على أمن الخليج بأربعة سفن فقط اثنتان منها تبقى عند مصايد اللؤلؤ في كل موسم تنفيذا لما سنه ستانوس منذ مارس ١٨٢٤ (٣) ، والاثنتان الاخريتان تبقيان للطوارىء والأرغام .

وفي سبتمبر ١٨٢٨ م / ١٢٤٤ هـ قنّن مالكولم منع الحرب على سواحل صيد اللؤلؤ وفي موسمه ، وصار من يخالف هذا في حكم القرصان (٤) .

---

(١) Ibid.

(٢) (1.0) Bombay Pol. Proc., Range 386, Vol. 40, Cons. 7 of 14 Feb. 1827. Stannus to Newham

(٣) (1.0) Bombay Pol. Proc., Range 386, Vol. 40, Cons. 35 of 10 Sept., 1828. Witson to shief sec. 24 May 1828.
(1.0) Bombay Pol. Proc., Range 385, Vol. 47 Cons. 19 of 12 May 1824, Stannvs to Newham 6 Mar. 1824.

(٤) (1.0) Precis of the Gulf correspondence p. 18.

وفي عام ١٨٢٩ م / ١٢٤٥ هـ قامت السفينة البريطانية صنبرى Sunbury بزيارة الى الشارقة ، فاعتلاها بعض القوم وأساءوا الى قائدها ، وانزلوا العلم البريطاني من ساريته . اسرع الشيخ سلطان الى الاعتذار للمقيم وأمر بحرق أول قارب سارع الى الصنبرى ، كما عاقب الرجل الذى أنزل العلم بالجلد والحبس . وقد شهدت السفينة الحربية البريطانية امهرست Amherst التى اسرعت الى المنطقة كل تلك الاجراءات واقتنع قائدها وتراجع [١] . كما حدثت بعض حوادث البحر في ١٨٢٩م في أعقاب الحرب التى حدثت في ١٨٢٩ بين مسقط وأبو ظبى من جهة ، والبحرين من جهة اخرى ، ودفع الشيوخ التعويضات عن السفن التى لا تخص المنطقتين وأغرقت عن طريق الخطأ . وشهد نفس العام حادث قام به بعض من البوعلى والبوحسن على السفينة البريطانية التجارية اوسكار Oscar ، وقام المقيم على ظهر فلاى Fly الى خور جريرة وأعطى شيخ بنى على كل ما يملكه من نقود الى المقيم الذى طلب اكثر ولكنه لم يلحّ لأنه يعرف ان اكثر القبيلة يقيم في الداخل مما يشكل تحديا لقوته اذا الحّ ورفضوا وتراجعوا الى الداخل [٢] .

ويمكننا ان نجمل أبرز حوادث البحر حتى ٢١ مايو ١٨٣٥ حين قامت أول هدنة بحرية في أربع حوادث ظاهرة :

١ هاجم بعض القواسم في ديسمبر ١٨٣١ م / ١٢٤٧ هـ بعض سفن ابو ظبي والبحرين وأخذوها فقام شيخ أبو ظبي بالتحفظ على ١٤ سفينة قاسمية كانت في مينائه . قام شيخ القواسم بادانة الحادث والقبض على الجناة وعاقبهم . وفكّ الشيخ طحنون اسار السفن القاسمية [٣] .

٢ — في ديسمبر من عام ١٨٣١ قام بعض قواسم عجمان بمهاجمة سفينة

(١) Hennell, H., H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٢) Hennell, H., H. S. R. P. M. in Ibid.

(٣) Hennell, H., H. S. J. in Ibid.

كانت في طريقها من كانجون الى بوشهر فأسرع هنيل مع مطلع عام ١٨٣٢ الى الشارقة يطلب التعويض من شيخ القواسم . وتنصل الشيخ من المسئولية ورد بأنه غير مسئول عن سلوك اتباع مشايخ عجمان وام القوين . وارتد هنيل عن الشارقة الى عجمان وطلب من شيخها دفع التعويضات . ماطل الشيخ فأمهله هنيل ٢٤ ساعة عليه بعدها تحمل ما ينجم من تبعات . وتذرع الشيخ بحجج كثيرة منها انه تابع للسعوديين ولم يغده ذلك اذ رد هنيل بأن الشيخ عضو في الاتفاقية العامة وعليه ان يتحمل تبعات خرقها [١] . واخيرا اضطر الشيخ لكي يدفع ، وشهدت المنطقة ولادة مشيخة جديدة اعترف بها شيخ القواسم والمقيم .

٣ — كانت الحوادث التى بدأت في ٩ نوفمبر واستمرت حتى ديسمبر من أبرز حوادث القتال على البحر ، ذلك لأنها حدثت بين أكبر قوتين في الساحل العمانى . قاد سلطان بن صقر حملة بحرية على أبو ظبي لم يحالفها النجاح وردّ البنو ياس والمناصير قوة القواسم على اعقابها . أراد سلطان ان ينتقم لدحره فتحالف مع راشد بن حمود شيخ عجمان ، ومحمد بن قضيب شيخ لنجه ، وأعاد الكرة على أبو ظبي وأطبق عليها حصاراً لم يظفر منه بطائل . وتراجع سلطان حين انسحب عنه محمد بن قضيب وأقام سلما بين القوتين . وفرض شيخ محمد على أبو ظبي دفع غرامة ورفضت البوفلاسة ان تدفع نصيبها وانسحبت في ١٨٣٤م الى دبي بقيادة عبيد بن سعيد ومكتوم بن بطى وشرعوا في تأسيس مشيخة جديدة [٢] .

٤ — في ٢٥ نوفمبر ١٨٣٤ م / ١٢٥٠ هـ حدث عراك بين حمود بن عزان

---

(١) Kemball H. S. J.

كذلك : Kemball C. T. E. in Ibid.

(٢) Ibid.

والسيد هلال بن سعيد حول السويق واستعان هلال بالشيخين خليفة ابن شخبوط وسلطان بن صقر ، فتسارع اليه الاثنان يؤازرهما شيخ عجمان . وأحاطت سفن بنى ياس بصحار لا تدع سفينة تدخل اليها او تقلع منها الا أخذتها .

تدخل الشيخان في هذه الاضطرابات رغم تحذير هنيل لهما في يناير ١٨٣٥م وشعر البنو ياس بثقة مفرطة وهم يتحدون البريطانيين وذهبت سفنهم الى مدخل الخليج تحرسه . وأصابت سفن بنى ياس في الفترة من فبراير حتى منتصف ابريل ١٧ سفينة أغلبها فارسة [١] ، واثنتين تحملات العلم البريطانى . وأرسل البنو ياس الى قائد الاسطول في باسيدور يسألونه الخروج لملاقاتهم على البحر . وأمر هنيل قائد الاسطول الضابط جون صوير Sawyer ان يقبل التحدى وخرج اليهم صوير على الفنستون .

وفي ١٦ ابريل قامت ملحمة كبرى بين صوير ورجاله واسطول البنى ياس بقيادة محمد بن شخبوط دامت يوما بأكمله . وكان هؤلاء الرجال يحملون لنا حقدا وكراهية ... تتعالى صيحاتهم : الله أكبر على الكفار ... قال الأسرى بشجاعة انهم قد أعدوا لنا زيتا حارا ليغمسوننا فيه » [٢] . وانتهت الحرب بهزيمة الاسطول العربى .. وقام هنيل من فورة على امهرست الى أبو ظبي ووصلها في ١٩ ابريل ١٨٣٥م. ولم يستطع الشيخ خليفة بن شخبوط الا ان يرضخ ويوافق على ارجاع ما

---

(١) Kelly, J. B., op. cit. p. 355.

(٢) (1.0) Boards Collns Vol. 1596. Colln 64625 Sawyer to Commodore Elwon, Basid, 18 op. 1835.

(1.0) Disowe, H. S., Benyas tribe of Arads in S. R. I. XXIV. p.p. 474 - 475.

غنمه رجاله من سفن ، وفك الأسرى ، وتعويض ثمن السلع . وتراجع هنيل الى باسيدو في انتظار التعويض وترك ثلاث سفن حربية عند سواحل أبو ظبي تحاصرها ولا تدع سفينة تبحر منها او اليها واستمرت هذه السفن طيلة شهر مايو تقريبا حتى بدأ الشيخ خليفة بن شخبوط دفع التعويضات (*) ، وخفف هنيل الحصار على أبو ظبي (١) .

٥ — في أعقاب هذه المشاكل بدأت الأقسام والقبائل الخارجه عن السلطان السياسى للقوتين الكبيرتين في المنطقة تمارس الشغب على الخليج . ولم تكن هذه الأقسام تعترف بالمقيم ولا بمعاهداته وتمردت على الشيوخ ونقضت ما أبرموا مع البريطانيين ولم تبال باحراجهم . ولعل أبرز ما في هذا القبيل ما قام به القبيسات وهم فرع من البنى ياس هجروا أبو ظبي ونزلوا خور العديد على أطراف الساحل العمانى . كان خروج القبيسات على شيخهم لأنهم رفضوا الانصياع لأمره لاداء الغرامة التى أمر بها المقيم في عام ١٨٣٥م. ولاحق هنيل هذه الجماعات في المناطق التى حلوها واستخلص المقيم من شيوخ هذه المناطق تعهدات تقضى بالقبض على من يفد ارضهم من القراصنة او دفع نصيبهم من الغرامة المفروضة عليهم . وتعتبر هذه التعهدات بمثابة تطويق واحتواء للساحل العمانى ليعلى في حدود معلومةوبقدر محدود .

الهدنات البحريـــة :

خشيت السياسة البريطانية من ان ينفرط حبل الأمن ويخرج من يدها . فالحوادث الصغيرة كما يقول لوريمر (٢) تولد الأمور الجسام . وجد هنيل فرصته

(*) طلب الانجليز ٢٤٫٥٩٧ كروان المانى انظر :
Disbrowe, L. H. S. Benyas in S. R. I. XXIV p. 476.

(١) Kelly, J. B. op. cit. p. 357.

(٢) op. cit. p. 649.

في التدخل باسلوب ناعم حين فكر في الهدنة البحرية [١] التي كانت مطلبا عربيا . ارسل شيخ الشارقة في١٨٢٧م الى المقيم يطلب اليه بموجب المادة الرابعة للاتفاقية العامة حفظ الأمن في الخليج وعدم الاعتراف بشرعية القتال ، فرفض المقيم لأن ذلك لا يخدم في تلك الآونة الأهداف البريطانية . في١٨٢٨م جاء نفس الطلب من شيخ البحرين ولم يجد استجابة . وجاء رد المقيم بأن الحكومة في الهند تخشى من اختلال ميزان القوى بين القبائل التى تقوم قوتها على البحر والقبائل التى ترتكز قوتها على البر. وعرض تجار الشارقة دعما يدفعونه للمقيم ليحمى الخليج من النزاع ورفض المقيم . وقرر مجلس المدراء صراحة في عام ١٨٣٤ م عدم التدخل في مشاكل هذه القبائل ومد وصايته على الدويلات العربية المتناهية الصغر. واقتنع المقيم ورؤساؤه بعد حوادث البنى ياس ان ضمان أمن البحر من نزاع القبائل قد صار لازما ، ولذلك انتهز المقيم فرصة وجود الشيخ سلطان بن صقر في باسيدو وارسل مركبا حربيا لاستدعاء عبيد بن سعيد احد شيوخ دبي ، والشيخ راشد بن حمد من عجمان . واجتمع الشيوخ تحت اشراف المقيم اجتماعا لم يتمخض عن شيء لأن الشيوخ اصروا على الضمان البريطانى لاي اتفاق يعقدونه ، ولم يرض المقيم ان يضمن . واخيرا اقنع المقيم الشيوخ على الموافقة لوقف القتال بحرا لمدة ستة أشهر وأعلمهم بأنه سيعتبر قتال البحر ، مهما كانت دواعيه ، قرصنة اذا حدث في هذه المدة [٢] . وأكد المقيم للشيوخ ان لا دخل لحكومته بالقتال على البر. ولعل المقيم لم يفعل اكثر من انه أكد قانون مالكولم لعام١٨٢٨م الذى جعل القتال في موسم الغوص قرصنة [٣] . ولعله تبنى رأى مالكولم الذى اعلنه في تلك السنة من « اننا قوة طاغية فوق الخليج ، وسيلجأ لنا الآخرون من أهل

---

(١) Donald, H., Trucial States PP. 133 - 134.

(٢) (1.0) Kemball, O. P. P. B. G. A. T. P. G. in S. R. I. XXIV.

(٣) (1.0) Bombay Pol. Pro. Range 386, Vol. 41, Cons. 37 of 24 Sept. 1828.

الخليج لضمان صيانة مصالحهم ، ورغم ما في هذا من مشاكل الا انه يجب علينا تحملها لأننا نجنى من المنطقة فوائد قصوى » .

اقتنع بهذا الاتفاق الشيوخ في المنطقة لحجة منطقية ساقها المقيم وهى ان خلافاتهم قد أثرت على ريع مواسم الغوص المختلفة . فقرر شيوخ الشارقة وأبو ظبي وعجمان ودبي ان لا يثأروا بحرا في الفترة المنصوص عليها ويردوا أمر كل اضطراب بحرى يقع الى المقيم ومكتبه والمسئولين عن الاسطول في باسيدو .

سبب هذا الاتفاق ارتياحا عظيما لسكان المنطقة الذين هدهم عراك البحر والبر في الثلاث سنوات المنصرمات قبله حين كان سكان المنطقة لا يغشون سواحل صيد اللؤلؤ الا لماما بسبب كثرة تعدى القبائل بحرا فانتشرت روح التمرد الذى تحركه الحاجة الى القوت . ومضى موسم الغوص لهذه السنة دون حوادث تذكر . ولذلك جددت الاتفاقية في ١٣ ابريل ١٨٣٦ م / ذى الحجة ١٢٥١ هـ و ١٥ ابريل ١٨٣٧ م / محرم ١٢٥٣ هـ [١] .

في سبتمبر عام ١٨٣٧ م / ١٢٥٣ هـ قام شيخ القواسم بارسال المدعو محمد ايمور للمقيم في سفارة تقترح وقفا كاملا للحروب البحرية . وقال ايمور ان شيخ القواسم يرجو بذلك وقف تعدى بنى ياس على سفنه المتفرقات فوق الخليج والتى تكون في رحلة العودة حين انقضاء اجل كل اتفاق . ورد المقيم السفارة بأنه لن يستطيع التدخل في دوامة دوائر مشاكل القبائل المتفاقمات دون نهاية . وأضاف المقيم يؤكد فشل هذا المسعى لو قام به لأن مصالح الشيوخ متعارضة متضاربة مما سيقف ضد انجاح المشروع ، وجدد الاتفاق لثمانية شهور في [٢] تلك السنة .

(١) (1.0) Kemball, O. P. P. B. G. A. T. P. G. in S. R. I. XXIV.

(٢) Wilson, A. T., The Persian Gulf, p. 209.

وحين زار المقيم الساحل في عام ١٨٣٨م فاوضه سلطان بن صقر على جعل الهدنة دائمة واذا لم يمكن ذلك فانه يرجو مدها الى ١٢ شهرا . وقد وافق الشيخ خليفة وبقية الشيوخ على التزامهم بالاتفاقية لمدة سنة ووقعوا على الاتفاق في حينه . ثم وقع الشيوخ لمد الهدنة لفترات مماثلة في ١٨٣٩ ، ١٨٤٠ ،١٨٤١م دون ادنى اعتراض من أي منهم . وقد سبب هذا التجديد المستمر للهدنات البحرية ونجاحها الذى أصابته ارتياحا عظيما للبريطانيين ، وحقق بعض المكاسب لأهل المنطقة في البحر.

تعهد السنين العشر :

كتب المقيم روبرتسون الى سلطات الهند يبغى مد اتفاقات الهدنات البحرية السنوية حتى تصبح أبدية يتعهد بها هؤلاء الشيوخ ومن يخلفهم . وخشيت بومباى من ان يجرها هذا الى التدخل في شئون هؤلاء الشيوخ مما يجعلها تخسر ماديا خاصة وانها قد انسحبت من جزيرة الخراج حتى لا تكلف نفسها . وبعد تبادل للمذكرات دافع روبروتسون عن الهدنة الأبدية وأبدى مخاوفه من ان يفسر الشيوخ انسحاب بريطانيا من الخراج على انه دلالة تناقص اهتمام بريطانيا بمنطقة الخليج ويبدأون في التحلل من ارتباطاتهم . واقترحت بومباى اتفاق السنين العشر ، ثم ينظر في أبدية التعهد بعد معرفة نتائجه (١) .

ولهذا قام المقيم في ١٨٤٣ الى الساحل العمانى ومعه مجموعة هدايا تفوق قيمتها ما كان يجلبه للشيوخ في كل موسم من المواسم السابقة . ولم يلق المقيم ادنى معارضة لتجديد الهدنة لمدة عشر سنوات ، ووقع الاتفاق في أول يونيو ١٨٤٣ م / ١٢٥٩ هـ (٢) .

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ١٢٩ .

(٢) Kemball, O. P. P. B. G. A. T. P. G. in S. R. I. XXIV.

حرص المقيم ان يجعل الشيوخ يعبرون في ديباجة التعهد عن شدة استيائهم من النزاع على البحر وبخاصة في مواسم صيد اللؤلؤ. ذكر المقيم على لسان الشيوخ في مقدمة الاتفاق « بأننا بعد ان تحققنا من الفوائد التى تعود علينا من سلامة الملاحة وخاصة فيما يتعلق بتقدم مصائد اللؤلؤ فاننا نتعهد امام المقيم البريطانى باحترام الشروط الآتية : -

١ — تحريم اى اشتباك بحرى مسلح ابتداء من يونيو ١٨٤٣ م / ١٢٥٩ هـ ولمدة عشر سنوات اى حتى نهاية مايو ١٨٥٣ م / ١٢٦٩ هـ.

٢ — فرض عقوبة على كل من يخالف هذا الشرط بمجرد ان يبلغ نبأ الاعتداء الى اى من الرؤساء.

٣ — يتعهد الشيوخ قبل توقيع اى عقوبة بنقل مضمونها الى المقيم البريطانى او قائد حامية باسبيدو حتى يكون الحكم مطابقا لتوجيهاته.

٤ — يتعهد الرؤساء العرب بتجديد هذه الهدنة بعد نهاية السنين العشر وجعلها سرمدية وان يردوا الأمر في التجديد للمقيم العام ان هم اختلفوا فيه [(١)].

ولعلنا نلاحظ ان هذه الهدنة العشرية قد سارت على نهج سابقاتها من التعرض للبحر دون ذكر البر واعتبار حوادث البحر حوادث قرصنة. وخرجت عن نهج سابقاتها بأن صارت اكثر مرونة حين الزمت المتعاقدين بتقديم تعويض الخسائر فورا لمن وقع عليه الحيف.

وقد وقع على هذه الهدنة العشرية كل من خليفة بن شخبوط شيخ البنى ياس ومكتوم بن بطى شيخ البوفلاسه وسلطان بن صقر شيخ القواسم وعبدالله بن راشد شيخ أم القوين وعبد العزيز بن راشد شيخ عجمان

(١) جمال زكريا، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ١٣٠ - ١٣١.

لحصر نطاق الخلاف القبلى والجهاد الدينى ينحصر في جزء صغير من الخليج يمكن مراقبته بسهولة ويسر اقترح هنيل في يناير من عام ١٨٣٦ م / ١٢٥١ هـ ان يكون الجزء الشرقي من الخليج خاليا من أي سفن حرب حربية واقترح هنيل على الشيوخ ان لا تتعدى سفنهم الحربية جزر بوموس وصيرى شمالا [١] . ووافقت حكومة الشركة في الهند على خطة هنيل وأقرها الشيوخ الا سلطان بن صقر الذى أبدى معارضته لانه كان احيانا يرسل سفنه الحربية الى منطقة خورفكان التابعة له منذ عام ١٨٣٢ م / ١٢٤٨ هـ .

وبعد نقاش حاد قال هنيل لسلطان انه لا ضير من اختراق سفنه الحربية للخط المانع وسيكون مسموحا له بذلك حين يطلب الآذن من (الكمودور) في باسيدو . واعطيت الأوامر لقائد سفن الخليج بأن لا يعطى تصريحا لهذا الشيخ لتخترق سفنه الخط المانع وان يعامل كمثل الآخرين تماما في المنع الشامل خاصة في الفترة من اكتوبر الى يوليو حيث يكون اتصال الخليج بالهند بحرا في ذروته . وأكد المقيم للشيوخ ان وجود اى سفينة حربية عربية شمال هذا الخط هى من قبيل القرصنة . كما حظر المقيم على البنى ياس في هذه الفترة ، ولمدة زمنية لم تحدد ، الابحار الا في سواحل منطقتهم وكان ذلك عقابا [٢] لما قاموا به من قيادة الكفاح البحرى ضد البريطانيين في عام ١٨٣٥ .

واتفقت وجهات النظر بين الحكومتين البريطانيتين في الهند ووستنمتر على وجو التزام هذا الخط المانع . ولذلك فقد صدرت الأوامر الى المقيم والضباط البحريين العاملين في المنطقة باتباع تلك التعليمات دونما هوادة او لين [٣] .

(*) انظر الملحق رقم (١٦) .

(١) Kemball, O. P. P. B. G. T. A. T. P. G. in S. R. I. XXIV.

(٢) Ibid.

(٣) Kemball, O. P. P. B. G. A. T. P. G.

كان هذا هو الخط الأول أما الخط الثانى فقد رسمه موريسون Morison خليفة هنيل . وقضى خط المنع الثانى على الشيوخ ان لا يسوقوا سفنهم الحربية الى أي منطقة شمال خط يبدأ عند شعم ويمتد الى عشر أميال من الجنوب من بوموس حتى صيربو نعير [(١)] .

وكان من نتائج هاتين الخطين ان انحصرت سفن الحرب العربية خلف منطقة حرام هى في الواقع المسار الرئيسى للسفن التجارية في الخليج . واذا عرفنا انه لا فرق بين السفن الحربية والسفن التجارية العربية لأن كلاهما يحمل سلاحا لعرفنا ان الانكليز قصدوا بهذا الخط ، فوق ما هو بيّن من حماية سفنهم التجارية ، ان يمنعوا ، السفن التجارية العربية من العمل التجارى وان يغلقوا هذا الساحل عن العالم ثم يتيحوا له بعض سبل الكسب بالهدنات البحرية على سواحل صيد اللؤلؤ [(٢)] . كما أدى هاتان الخطان الى انفصام روابط عرب ساحلى الخليج العربى وانتهى في فترة وجود الانجليز ، الى تسلط ايران في الساحل الشرقى للخليج العربى وجزره ، وفي فترة رحيلهم ، على التغول الايرانى على بوموسى والطنبين .

قامت الحكومة الفارسية منذ عام نوفمبر ١٨٣٢ م / ١٢٤٩ هـ بطرد الشيخ ناصر من منطقته واستنجد ناصر ببنى جلدته من القواسم . وقام اليه الشيخ [(٣)] سلطان بن صقر في الفين من رجاله فاعترضهم المقيم وهددهم بسفنه فاضطروا للانسحاب وفي عام ١٨٣٥ قام شيخ ام القوين لمناصرة آل على في خارالك Charak وهدده المقيم فلم يستطع الشيخ شيئا [(٤)] . ولم يكن المقيم في الحالين

(١) Kemball, Ibid.

(٢) سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي ، الكتاب الثاني ص ٧١ .

(٣) Kemball, H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٤) Kemball, O. P. P. B. G. A. T. P. G.

مسنودا بشيء يبرر عمله هذا الا بمنع الحروب غير المشروعة التى جاءت في اتفاقية ١٨٢٠ ولم يكن العرب يفهمون مدى مشروعية الحرب التي يقرها المقيم والجهات التابع لها . وفي عام ١٨٣٧ قام المقيم اعتمادا على الخط المانع بمنع شيخ الشارقة (*) من التدخل في الخلافات على الساحل الشرقى . وبهذا تقطعت أواصر القربى بين ساحلي الخليج العربى ليس حبا في فارس انما بهدف التمكين للنفوذ البريطانى في جنوب فارس بعدها .

وفي عام ١٨٤٣ قام سلطان بن صقر وصقر بن سلطان ، ومكتوم بن بطى وخليفة بن شخبوط وعبدالله بن راشد يريدون التدخل في البحرين مناصرة لشيخها المخلوع عبدالله بن احمد . ووقف المقيم ضد هذا التجمع والاجماع وكانت حجة المقيم ان محمد بن خليفة وعيسى بن طريف واخوانهما هم شيوخ قبائل البحرين ، وانه ليس لسلطان ومن معه دخل في هذه الحرب ، وانهم اذا ناصروا عبدالله بن احمد فسيدخل شيوخ اخرون ضد هذا التجمع ، وستضرب الفوضى الخليج . وتضيف الوثائق البريطانية ان منع هؤلاء الشيوخ من العمل العسكرى ضد البحرين قد خلصهم من حرج مع عامل السعوديين والأمير فيصل الذى كان يناصر الوضع في البحرين (١) .

وقد صارت في هذه الفترة حوادث التعدى « نادرة وتافهة » (٢) وتولى الشيوخ امر معالجتها . ومن هذه الحوادث ما قام به أهل حيرة Heera في ١٨٣٧ من تعدى بحرى . ولما كان هؤلاء من اتباع القواسم لاحقهم الشيخ سلطان وعاقبهم وأجبرهم على التعويض . وقد شهد عام ١٨٣٨ حادثان قام

(*) اراد سلطان بن صقر مناصرة شيخ طوارا Tawara ضد شيخ سويق Sowiak وكان كلاهما من عرب الساحل الشرقي للخليج . رفض المقيم الطلب .

(١) Kemball, O. P. P. B. G. A. T. P. G. in S. R. I. XXIV.

(٢) Ibid.

بهما سلطان ومحمد ابنا صحار القاسميان . ولما تبدت لها مغبة جرمها إلتجأ الى شيخ عجمان الذى لم يجد بدا من تسليمهما للمقيم حين طلبهما وعوقبا حبسا وغرامة . وصارت الحوادث في البحر على هذا المنوال (*) تترى . قوارب بعض أهل المنطقة تسطو على قوارب البعض الآخر وانطوى عهد الجهاد في الخليج العربى .

أما مشاكل الشيوخ على البحر فلم تكن في هذه الفترة كثيرة وما كان لها ، بحكم تعهدهم ، من ان تكون . كانت أبرز المشاكل ما قام به الشيخ سلطان بن صقر من هجوم على ام القوين حين انتهى أجل هدنه ١٨٤٠ وقبل ان يجدد التعهد لعام ١٨٤١ . هاجم سلطان ام القوين بحرا وبرا وأطبق عليها وكاد ان يتمكن منها ، وفاجأه المقيم فأترد عنها . وتدخل المقيم بعد هذا وأصلح بين الشيخين وأمر المقيم في لهجة عنيفة تفيض تهديدا بالوفاء بالتزاماته تجاه سلطان .

الاتفاق الأبدى ١٨٥٣ م (*) :

وقع هذا الاتفاق الشيوخ الذين وقعوا اتفاق السنين العشر . عاد هؤلاء الى تأكيد الفوائد الناجمة عن أمن البحار والتى ادركوا فوائدها في الفترة السابقة . أقر إتفاق ١٨٥٣ جميع بنود الاتفاق السابق لعام ١٨٤٣ . وقد جاء بصدد ذلك « ان ينقطع الحرب والجدال فيما بين رعايانا والمتعلقين علينا وليستقيم بين الجميع منا ومن يعقبنا صلح تام في البحر على الدوام » . وتقرر الاتفاقية انه اذا ما حدث اعتداء على أي فرد في البحر فلا يحق للقبيلة المجنى عليها الانتقام انما

(*) في ١٨٤٠ قام قاسم بن جابر الرقراقي بمهاجمة قارب قاسمى ولجأ الى شيخ المبدع . وذهب المقيم الى الشيخ سالم بن ناصر يطلب التعويض . رفض اولا « ولكن بضع طلقات من مدافعنا جعلته يدفع » .

انظر : Kemball, C. T. E.

(*) ملحق رقم (٦) .

ترد الأمر للسلطات البريطانية في الخليج ، وان تقوم الحكومة البريطانية بمراقبة الأمور في البحر ، وان تعمل على تنفيذ شروط الاتفاق . ومما يسترعى الانتباه أن هذا الاتفاق كان أول اتفاق للهدنة يصادق عليه حاكم الهند العام اذ يلاحظ ان المقيم البريطاني كان هو السلطة الموقعة في اتفاقات الهدنة السالفة (١) .

نتـاج الاتفـاق :

أدى الاتفاق الى نصر عظيم للسياسة البريطانية في الخليج العربى ، فثبت قواعدها ، ومكّن لنفوذها . أدى الاتفاق الى نتائج ملموسة تحقق اهدافا استعمارية محسوسة ولعل أهم نتائج هذا الاتفاق ثلاث :

أ ــ زيادة اقحام السياسة البريطانية في شئون المشيخات الداخلية .
ب ــ زيادة ضعف المشيخات وتفكك الأسر الحاكمة .
جـ ــ زيادة تفريس الخليج العربي وضياع الجزر العربية ولننظر في كل موضوع على حده .

أ ــ زيادة اقحام السياسة البريطانية في شئون المشيخات الداخلية :

حقق هذا الاتفاق للسياسة البريطانية التخلخل والاضطراب فوق البر ، والطمأنينة فوق البحر . أدى الاتفاق بالانجليز الى صيغة حكم لهذه الامارات يتركون فيها السلطة في أيدى الشيوخ ويحكمون من خلالهم تماما مثلما كان دأب البرتغاليين قبلهم . لم يتدخل البرتغاليون ـ رغم انهم شيّدوا القلاع وأقاموا

(١) جمال زكريا ، الخليج العربي ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ص ١٣٤ .

البروج- في حكم البلاد الخاضعة لهم باسلوب مباشر. وتلقن البريطانيون الدرس فتجنبوا ، كما تجنب البرتغاليون قبلهم ، دفع تكاليف تجييش الجيوش واقامة الجند في تلك الظروف الطبيعية القاسية . أوقف هذا الاتفاق حروب البحر المشروعة التى اباحتها اتفاقية ١٨٢٠ . وحرّم الانجليز بهذا الاتفاق حروب البحر على اطلاقها . وصار الواجب الاساسى للمقيم بعد هذه الاتفاقية نحو هذه المنطقة هو التنفيذ الجاد والحازم لنصوص هذا الاتفاق ، ووضعت من اجل ذلك كل قوى الاسطول تحت إمرته . وقام المقيم بدوره بتفويض سلطته العسكرية لضباط البحرية في الخليج وأصدر أوامره اليهم بأن يبذلوا غاية طاقاتهم لمنع الحرب فوق الخليج وان لا يترددوا في التدخل [١] المباشر ويستعملوا القوة حين لا تجدى الوسائل الأخرى . وبهذا اكتملت سيادة البحر للبريطانيين وعرف الشيوخ في المنطقة ان الصراع في البحر غير ممكن فانقلبوا الى البر لتصفية خلافاتهم الموروثة . وبدأ المقيم منذ عام ١٨٥٤ م / ١٢٧٠ هـ يصف حوادث البحر بأنها تافهة لا تتطلب تدخله المباشر وكثيرا ما أوكل أمرها لمعالجة الوكيل « الوطنى » بالشارقة [٢] .

ولا يستلفت النظر من الحوادث البحرية في هذه الفترة الا المحاولة التى قام بها سلطان بن صقر في عام ١٨٥٥ ضد اتباعه في الحمرية . وانتهت المشاكل بتدخل المقيم وقيامه بتسوية الخلافات العشائرية حين اعترف شيخ الحمرية بسيادة سلطان على المنطقة . وقد جرّت هذه الخلافات في ذيولها بعض الحوادث البحرية الطفيفة [٣] .

كانت محاولة الشيخ سعيد بن طحنون في ١٨٥٦ م / ١٢٧٢ هـ لاستعادة شياخته في أبو ظبي من الأشياء التى ازعجت المقيم وحكومة بومباى من ورائه .

---

(١) (1.0) Precis of Correspondence Regarding Trucial Chiefs. p. 15.

(٢) Ibid, p. 8.

(٣) Ibid, p. 11.

قام الشيخ سعيد بن طحنون بحملة بحرية ضد الشيخ زايد بن خليفة تساعده بعض قوارب من الشارقة . نزل سعيد في أبو ظبي يوم ١٩ يوليو ١٨٥٦ م / ١٢٧٢ هـ واحتل فيها بعض المنازل التى تساحل البحر . ولم يتمكن من الشيخ زايد بن خليفة الذى كان في البطاح ـ تمكن الشيخ زايد بقوة جلبها من البادية من الظهور على الشيخ سعيد وقتله وتراجع رجاله مندحرين . وقام المقيم بالتحقيق في الأمر ورفعه الى حكومة بومباى . وكان مما جاء في تقريره ان بازار احد البنيان قد تكسر وان محتوياته قد نهبت . وجاء قرار حكومة بومباى نمرة ٩٥٤١ بتاريخ ٢ سبتمبر١٨٥٦م ان حملة الشيخ سعيد بن طحنون ربما كانت بمساعدة من شيخ القواسم . وربما كان هنالك شك في معاضدة الشيخ القاسمى ومؤازرته الشخصية ، ولكن الأمر الذى لا مراء فيه ان بعض اتباع ذلك الشيخ كانوا مع الشيخ سعيد ، ولذلك فان هذا الشيخ مذنب وينبغي عقابه . أما بالنسبة للبازار فانه بالرغم مما جاء في تقرير المقيم من احتمال اشتراك البدو الموالين للشيخ زايد في نهبه فان ذلك لا يغير في جوهر المسألة ويعفى الشيخ من المسائلة ـ وصدر قرار حكومة بومباى باعطاب السفن المشتركة في المحاولة وارغام الشيخ سلطان على دفع التعويض والغرامة (١) .

قام المقيم الى سلطان يطالبه بدفع ٢٥٫٠٠٠ ريال غرامة وتعويضا ولم يكن لدى الشيخ وقتها الا ٧٫٠٠٠ دفعها لهم قسطا أول على ان ينجم ما تبقى وأنهى المقيم الى سلطان بأنه سينظر في اعفائه من بعض الغرامة اذا حسن سلوكه المستقبلى .

استحق القسط الثانى من الغرامة على الشيخ سلطان في ١٨٥٩ . وقام الكمودور بلفور Ballfour الى رأس الخيمة لاستخلاصه . وطلب سلطان امهاله ولكن بلفور لم يكن بالرجل « الذى يقتنع بالحجج الفارغة التى نسجها

(١) (1.0) Precis of Corres. ... p. 17.

الشيخ » . وعرف الشيخ ان لا مفر من الدفع فدفع كل ما عنده وبقي عليه ان يدفع ٣٠٣ ريالا قساط ثالثا ـ وقدم الشيخ استعطافا للمقيم للنظر في أمر الغاء ما تبقى ، ولكنه لم يظفر بالعفو واضطر لدفع المبلغ في مايو ١٨٦٠ حين ارسلوا له الكابتن جور (١) .

وكانت خلافات ١٨٦٩ بين العائلة الحاكمة في الشارقة ورأس الخيمة من أبرز حوادث البحر . قام شيخ الشارقة في ٣ مايو ١٨٦٩ م / ١٢٨٦ هـ بارسال قوة مع أخيه الشيخ ابراهيم للتجمع في ذعاب ثم القيام بحملة على رأس الخيمة . وترامت الأخبار للمقيم الذى كان في طريقه الى مسقط فأرجأ رحلته وأبحر الى رأس الخيمة فبلغها في ١٢ مايو واجتمع بشيخها . وفي يوم ١٣ مايو اجتمع بالشيخ ابراهيم وأمره ان ينقشع قبل غروب الشمس وتراجع ابراهيم ورجاله الألف وخمسمائة على أثنين وثلاثين مركبا جلت عن المكان أصيلا (٣) .

ولعل فيما سردنا ما يبيّن طغيان سلطة المقيم والضباط البحريين وتحكمهم في المنطقة دون ان يكلفوا أنفسهم عناء الحكم المستقر . ولعلنا أظهرنا انصياع الشيوخ التام لأوامر المقيم فيما يخص البحر وتدخل المقيم فيما يخص الشيوخ وعلاقاتهم ببعضهم البعض .

ب — زيادة ضعف المشيخات وتفكك الأسر الحاكمة :

بعد ان أضعف اتفاق ١٨٢٠ قبضة شيخ القواسم على قومه جاء اتفاق ١٨٥٣ ليقضى على قوته تماما . حرم هذا الاتفاق وما سبقه من اجراءات قادت اليه شيخ القواسم ، باسلوب غير مباشر ، من التجارة مع الهند وافريقيا

(١) Precis of Corres. ... p. 18.

(٢) Ibid, p. 3.

والمناطق التى كانت سفنه تغشاها . لم يعد للسفن العربية الحق في التسليح بعد نقطة معينة في الخليج . ولم يكن من الممكن ان تقوم سفينة عزلاء من السلاح بالتجارة مما ادى الى نهاية التجارة الخارجية التى كانت تقوم بها بعض سفن المنطقة التى نجت من الاعطاب ، ونقص بهذا دخل الشيوخ كثيرا . وزاد في نقص دخول الشيوخ ما كانوا يدفعونه من غرامات لا تخضع في تقديرها الا لهوى المقيم . وازداد ضعف الشيخ سلطان كثيرا عندما بدأ انجاله وأحفاده يتمردون عليه وهو شيخ كُبّار نالت منه السنون وبلغ من العمر عتيا [١] .

تملص الشيخ سلطان من تبعية شيخي ام القوين وعجمان حتى لا يؤخذ بجرائر اتباعهما ، وكان قبل مطالبته بالدفع عنهما يطالب بسيادته عليهما وكثيرا ما كانا يرضخان . وكان استقلال هذين المنطقتين نتيجة حتمية لخوف الشيخ من دفع الغرامات والتعويضات . أدت هذه الضرائب والغرامات الى تخلخل المنطقة وزيادة تفككها اذ صار اتباع الشيخ يرحلون عنه الى شيخ مناوىء حين يطالب الشيخ اتباعه بالاشتراك في الدفع كما فعل البومهير في الشارقة او يرحلون عنه الى منطقة اخرى ويفرضون نفوذهم عليها كما فعل البوفلاسه في دبي [٢] .

أدت قلة الثروة ان تنقسم بيوت الشيوخ على نفسها وصار كل شيخ يصل الى الحكم بعزل بعض أهله أو بقتلهم ويندر ان نجد شيخا في هذه الفترة أصاب الحكم في منطقته بطريقة شرعية .

أدى انقسام البيوت الى حروب كثيرة . يهرب الشيخ المعزول الى شيخ منطقة اخرى فيحميه ويظاهره على الشيخ المغتصب وتبدأ الحرب [٣] وعرف الشيوخ ان القتال على البحر محرم فوجهوا حروبهم توجيها بريا وصار التاريخ

---

(١) H. S. J. in S. R. I. XXIV.

(٢) (1.0) Kemball, M. R. L. R. T. A. S. P. G. in S. R. I. XXIV.

(٣) Ibid.

الداخلى للمناطق والقبائل على الساحل العمانى سلسلة من الحروب القبلية لم تهدأ الا حين اضرت اخيرا بمصالح شركات البترول فعملت على نهايتها .

منذ ١٨٤١ نجد انقساما في دبي كان من نتائجه رحيل نحو ٥٠٠ من البومهير الى الشارقة . وفي ١٨٤١ نجد شيخ البنى ياس يهاجم دبي بعد ان عقد سلاما مع البنى قتب الذين كانوا في حرب معه . وتدخل شيخ القواسم في الصراع يساند شيخ دبي وسار خليفة بن شخبوط شيخ ابو ظبي فهاجم منطقة خان على حدود دبي والشارقة وقامت رأس الخيمة لتساند الشارقة وعم المنطقة قتال لم يهدأ الا بانسحاب خليفة بن شخبوط من الميدان ليذهب الى البوريمى . وهنالك بدأت حرب بينه وبين قبائلها ولم يصب في حملته هذه نجاحا وكاد ان يقتل بعد ان فقد جمله .

ولعل الحروب القبلية التى اشتعلت عام ١٨٥٨ كانت من أقسى الحروب في هذه الفترة . قام في ١٨٥٨ م / ١٢٧٤ هـ جماعة من أبو هيل باعتداء على جماعة من المزروعى وقتلوا الشيخ فارس بن على احد شيوخ المزروعى وثلاثة اخرين ، وساقوا ثلاثين جملا وحصانين أصابوا بعض المتاع . وكتب سعيد بن بطى شيخ دبي الى محمد بن صقر شيخ الشارقة يدين سلوك اتباعه . ولجأ محمد بن صقر الى أخيه سلطان يستعديه على دبي . وانحاز شيخ دبي بدوره الى زايد بن خليفة شيخ أبو ظبي . وجمع الشيخ سعيد والشيخ زايد بعض قبائل البدو وزحفا بها صوب الشارقة . هزم تجمع دبي أبو ظبي تجمع الشارقة رأس الخيمة . وحل السلم بين الجماعتين بواسطة الوكيل الوطنى . وعبرت حكومة بومباى عن بالغ اغتباطها بهزيمة سلطان حتى يقعد عن حروب البحر ولا يحاولها .

وليس أدل من انقسام البيوت على بعضها من سرد موجز لمغامرات الشيخ خالد بن سلطان (١) . حاول خالد عزل الشيخ محمد بن خالد بن سلطان عن

(١) (1.0) Precis of Correspondance Regarding Trucial chiefs p.p. 1 - 3.

شياخة الشارقة ولكنه لم يوفق فلجأ طريدا الى شيخ أم القوين . ولم يلبث خالد ان استمال بعض أهل الشارقة وصار حاكما عليهم وانقسمت الشارقة على نفسها قسمان ، كان على أحدهما الشيخ خالد وقام على الاخر الشيخ محمد . وتمكن خالد اخيرا من خديعة محمد فقتله والقى بجسده في بئر على أطراف المدينة ورجع الى الشارقة فدانت له . ولما توفى سلطان بن صقر عن ١١٥ سنة آلت شياخة رأس الخيمة الى ابنه ابراهيم . وقام الشيخ خالد حاكم الشارقة الى رأس الخيمة ودمر قوة الشيخ ابراهيم في مايو ١٨٦٧ م / ١٢٨٤ هـ ووحد المشيخة بعد انشقاقها . ولكن خالد لم يلبث ان لقى حتفه قتيلا في ١٨٦٨ حين قاد شيخ ابو ظبي حملة على الشارقة ودعا شيخها الى مبارزة انتهت بجرح خالد وكان هذا سببا في موته .

تولى سليم بن خالد مشيخة القواسم بشطريها ثم جعل الشيخ حامد بن عبدالله بن سلطان على رأس الخيمة وانفلت حامد عن قبضة ابن عمه واستقل بالمشيخة في ١٨٦٩ . فبدأت دوامة القتل والعزل من جديد . وصارت المشاكل والشقاق والغيرة والنزاع هى السمات التى ميزت تاريخ هذه الفترة في كل سنة من سنوات تزيد مع كل سنة ولا تنقص . ولعل من أبرز الحوادث التى تدل على غيرة الشيوخ من بعضهم البعض ما حدث في ١٨٦٩ حين استطاع الامام عزان بنى قيس إمام عمان ١٨٦٨ / ١٨٧١ ان يسيطر على البريمى ودخل في حلف عسكرى مع شيخ أبو ظبي فقام شيوخ الساحل العمانى في تجمع مناوىء وانحازوا الى السعوديين خشية من أن يؤدى الحلف الى قوة شيخ ابو ظبي . وخشي الامام عزان من التجمع المناوىء فتراجع عن حلف أبو ظبي وترك المنطقة وأنسحب .

فتت الحروب القبلية في عضد القبائل وشغلتهم عن جمع شملهم والالتفات الى العدو الذى جثم على حدودهم الشرقية وكان هذا نتيجة محتومة لاتفاق ١٨٥٣ الذى منع الحروب وسد مسالك التجارة فانقطع عرب المنطقة من التجارة والاحتكاك بالعالم الخارجى الذى جهلوا تطور أساليبه ، وتقوقعوا

في منطقتهم كلٌ يطمع في أرض الآخر المقفرة ليجد عليها بعض نفر يدفعون له من ضنكهم حين يصطادون في البحر أو يؤازرونه في هجومه على القبائل الأخرى ليصيب منهم بعض الغرم الذى لا يغنى .

جـ — زيادة تفريس الخليج وضياع الجزر العربية :

ضعفت القوى العربية بالتفكك الذى ثبتته بريطانيا في المنطقة ولم يعودوا قوة يقفون ضد اطماع ايران أو البريطانيين . وأدى الخطان المانعان الى ان تكون جزر بوموسى والطنبين خارج المنطقة التى تغشاها سفن العرب وبدأت الصلات تتقطع بين هذه الجزر والساحل الغربى للخليج كما ادى ضعف البحرية العربية وحظر الحرب الذى فرضه اتفاق ١٨٥٣ الى طمع فارس في هذه الجزر التى سندرس موضوعها فيما بعد .

اتفاق مايو ١٨٦٢ الملحق بمعاهدة ١٨٥٣ :

أدركت الحكومة البريطانية بعد ان تلقت من ثوار الهند درسا قاسيا في الفترة منذ ١٨٥٧ حتى ١٨٦٠ ان الاتصال البرقى بين بريطانيا والهند أمر لا بد منه . قامت الحكومة البريطانية بتشييد خط «كابلات» بحرية تخترق البحر الأحمر ثم تصل الى جزر كوريا موريا ويتجه بعد هذا الى كراتشى . وقد وجد البريطانيون رهقا في تشغيل هذا الخط البرقى الذى تطلب جهدا لم تستطع الخبرات البرقية ، التى لا زالت حتى ذلك التاريخ طفلا (*) من ان تنوء به

(*) تقدمت الدراسات البرقية تقدما مذهلا في نهاية القرن وارسلت الملكة فيكتوريا في عيدها الماسى في ٢٢ يونيو ١٨٩٧ برقية الى مستعمراتها من قصر بنلجهام وصلت خلال دقيقتين فقط الى طهران وارسلت في حينها الى كراتشى . حول هذا الموضوع انظر :

Morris, J., Pax Britannica - The Climax of an Empire (London, 1968) p p. 12 - 27.

وفكر البريطانيون في تشغيل كابلات برية . وصل البريطانيون بالخط الجديد حتى تركيا . وكان للأتراك خط يمتد حتى الموصل ووصل في عام ١٨٦٠م الى بغداد . فكر البريطانيون ان يصلوا بالخط البرقى الى طرف الخليج ومن ثم الى الهند وبدأوا في تدارس الصعوبات التى قد تعوقهم (١) .

اقترح الفنيون مد هذا الخط على الساحل الشرقى للخليج والمساحلة به الى الشرق بعد هذا الى الهند . وجاء من رأى المقيم ان المشكلة الوحيدة التى قد تعترض هذا الخط هى مشكلة المنطقة من بوشهر الى بندر عباس التي تقع تحت السيادة الفارسية ، « أما المنطقة الى الجنوب من بندر عباس حتى رأس الجاسك فهى في يد أمام مسقط الذى سيساعدنا كثيرا » . وبدأت المفاوضات مع الحكومة الفارسية لتذليل مشكلة بوشهر / بندر عباس ، غير ان سلطات الهند التى رأت أن تسرع بمد الخط أوفدت المشرف على خطوط الهند البرقية ، المدعو ولتون Walton يساعده جرين Green ليبدأ من مسقط في مسح الساحل العربى (٢) . وكان ولتون ورفيقه يعقدان المعاهدات مع الشيوخ لحماية أعمدة البرق وأسلاكه وتبلور جهدهما في الساحل العمانى في اتفاق مايو ١٨٦٢م حيث تعهد شيوخ الساحل عن أنفسهم وورثتهم ومن يخلفهم بحفظ الطريق البرقى ومعاقبة من يعتدى عليه من رعاياهم ، ودفع قيمة اصلاح التلف المتعمد . وأعطت هذه الاتفاقية الشيوخ حق التعامل مع مكاتب البرق بنفس الاسعار التى يتعامل بها البريطانيون . ولا يفوتنا ان نشير ان ذلك كان من الناحية النظرية البحتة اذ لم تشيد مكاتب للبرق في المنطقة الا بعد نحو من مئة سنة من هذه الاتفاقية .

---

(١) (1.0) Coll. to Pol. dept. to Bombay, Vol. 34, Badger to Anderson, 17 dec. 1860.

(٢) Aitchison, C. U., op. cit. p.p. 403 - 404.

معاهدة ١٨٧٩م/رجب١٢٩٦هـ لمنع هروب الغاصة من ميناء الى آخر :

اقتضى الحال بعد عام ١٨٥٣ ان تتاح لهذه القبائل التى وقفت بريطانيا حائلا دون تجارتها بعض سبل كسب الرزق بعد حرمانهم من التجارة وتعطيل مراكبهم . خشى البريطانيون من أن تلجأ هذه القبائل مضطرة الى ضرب التجارة التى تعبر الخليج وفكرت بريطانيا في ان تنظم مصائد اللؤلؤ وتعمل على حراستها .

جاءت معاهدة ١٨٧٩م لهروب الغاصة من ميناء الى آخر بمبادرة بريطانية فساقت اليها الشيوخ . وكانت هذه المعاهدة المعقودة تحت الوساطة البريطانية هى آخر الخطوات التى سارتها بريطانيا لتثبيت ارجحيتها على مياه الخليج .

لاحظ المقيم في تقريره لعام ١٨٥٤ ان حوادث البحر قد خفت حدتها ويتمثل ما تبقى منها في هروب بعض العبيد وهروب بعض المديونين من ميناء الى آخر . ولذلك فقداستدرجتالسياسة البريطانية الشيوخ حتى حققت هذه المعاهدة في ٢٤ يوينو ١٨٧٩ (١) .

لم يكن للعرب بعد ان سد البريطانيون أمامهم سبل الكسب من تجارة البحر الا ان يلجأوا الى البحر مرة اخرى في حدود الخط المسموح به ويشتغلوا بصيد السمك والغوص على اللؤلؤ (*) . ولم يشكل صيد السمك اختلافا بين القبائل اذ يعمل كل قوم في منطقتهم لا يتعدونها الى المناطق الأخرى فهم في

---

(١) Howley, D., op. cit. p. 135.

(*) يتكون اللؤلؤ حين تدخل ذرة رمل او اى جسم غريب في جوف المحارة فيتأذى الحيوان الرخو الذي يعيش بداخل الصدفة فيدافع عن نفسه بأفراز مادة لؤلؤية تجعل الجسم الغريب ناعما املسا مستديرا . انظر : سيف مرزوق الشملان ، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي ، جـ ١ ، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت (بيروت ١٣٩٤ - ١٩٧٥) ص ١٥٢ .

كدهم لا يطلبون الا ما يسد الرمق بعد ان قفل البريطانيون بالاتفاقات المنطقة في وجه التيارات الحديثة ولم يدرك القوم معنى الصناعة .

كان لعرب الساحل العماني احتياجات متواضعة تأتيهم من خارج المنطقة فكان لا بد للانجليز من تنظيم صيد اللؤلؤ وضبط سلوك البحارة حتى يعود على المنطقة بعض الربح ليفى بتلك الاحتياجات [١] .

كان الخليج العربي وبخاصة في مناطقه الغربية (*) من أهم مناطق صيد اللؤلؤ في كافة العصور . فلا ريب ان صار اللؤلؤ جزءا من تراث العرب نجده في الشعر طريفه وتليده . كما جاء ذكر اللؤلؤ في القرآن المجيد (**) والحديث الشريف .

كان اللؤلؤ غالى الثمن نفيسا حتى فترة كساده في الربع الأول من القرن العشرين . وقد أُثر عن عمر بن الخطاب انه بكى حين جاءته الغنائم بعد فتح العراق وفيها اللؤلؤ خشية على رعيته من ان تنغمس في الترف وتنساق في النعيم . ولما جاء عصر بنى امية واستبد الترف بالناس كان اللؤلؤ الجوهر قيمة تفى بديه القتيل بل تزيد (***) .

---

(١) Kemball, M. R. L. R. T. A. S. P. G. in S. R. I. XXIV.

(*) يتدرج حوض الخليج في العمق في اتجاهه نحو الشرق . ولما كان معظم مصايد اللؤلؤ التي يقصدها الغاصة لا يتعدى عمقها العشر قامات فقد صار الجزء الغربي من الخليج عامرا باللؤلؤ . انظر : عبدالله يوسف الغنيم ، الغوص على اللؤلؤ في المصادر العربية القديمة (الكويت ١٩٧٣) ص ٣ .

(**) انظر على سبيل المثال الطور ج ٢٧ الآية ٢٤ يطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون ، كذلك الحج ج ١٧ الآية ٢٣ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها بأساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير .

(***) في العصر الأموى كان احد الغاصة يعمل في صيد اللؤلؤ فأردته آفات البحر بعد ان اصاب جوهرة ثمينة :

فلما اروها امه هان وجدها رجاء الغنى لما اضاء منيرها

انظر : عبدالله يوسف الغنيم ص ٨ .

وكان الخلفاء والأثرياء في العصر العباسي يقتنون اللآلىء والاحجار الكريمة وكثيرا ما كانوا يستعملون اللآلىء والجواهر اثناء السفر لانها أغلى ثمنا وأخف وزنا من الدراهم.

كان اللؤلؤ بالطريقة التى مارسها به أهل المنطقة من الاعمال الشاقة المردية (*)، فالغواص يلقى تحت الماء خطورة بالغة من حيوانات البحر في المنطقة التى كان من أهمها سمك القرش والنجمة والاخطبوط وبعض الحيوانات الهلامية. وقل ان نجا غواص من أمراض المهنة التى تصيب الجلد والاذن بصفة خاصة (٢). ولهذا كان اكثر الغاصة من الافارقة (**) والبدو والذين هم من اكثر العناصر تحملا للمشقات. وقاد وجود العبيد على ظهر سفن الغوص الى كثير من التعقيدات والمشاكل. هرب بعض من هؤلاء او طمع فيهم آخر واستحوذ عليهم وتبدأ مشاكل البحر. وشكلت حوادث سرقة العبيد او هروبهم أبرز مشاكل البحر في الفترة اللاحقة لاتفاق ١٨٥٣.

ولا يخضع انتاج اللؤلؤ في الخليج العربي في تلك الفترة لقاعدة ثابتة اذ يعتمد الانتاج أساسا على الحظ ومدى محالفته للغاصة (***) قد تخرج

---

(١) حول اللؤلؤ ومغاصاته واثمانه ومواسمه انظر:
جمال زكريا، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤م ص ٢٨ - ٣٤.

(*) قال الشاعر:
اجاز اليها لجه بعد لجة ازل كفرنيق الضحول عموج
فجاء بها بعد الكلال كأنه من الأين محراس اقذ سحيج

(٢) سيف الشملان، مرجع سبق ذكره ص ٤٢٣ - ٤٣١.

(**) يقول مايلز ان لهؤلاء قوة عضلية كبيرة اذا قيسوا بأهل المنطقة ولكنهم أقل شجاعة وخبرة وفهما. Miles, S. B., Countries and Tribes of the Persian Gulf p. 401.

(***) قام احد البحارة لصيد اللؤلؤ وقضى اربعين يوما دون ان يصيب رزقا وفي اثناء رجوعه الى بلده بعد يأس هدأت الريح وسكنت المركب وغاص البحار مع عماله دون رغبة في الغوص وحصلوا على سبع محارات. وجد الرجل في احداها جوهرة ثمينة باعها بعشرين الف روبية دفع منها لمدينه.
انظر: سيف الشملان، مرجع سبق ذكره ص ٣١٥ - ٣١٦.

السفينة للغوص وتبقى السفينة فترة طويلة في البحر دون ان يحالفها حظ النجاح ولهذا تضطر السفن الى الهروب من المنطقة الى منطقة اخرى حتى لا تدفع ما عليها من ديون تحصلت عليها بضمان الصيد . يضطر البحارة للهروب ويضطر الدائنون للملاحقة وتبدأ المشاكل بين الأفراد والجماعات والمناطق ولما كانت هذه الظاهرة هى من آخر الظواهر التى قد تعوق مواسم صيد اللؤلؤ واستطاع البريطانيون ان يصيغوا تعهدا (*) في ٢٤ يونيو ١٨٧٩ م / ١٢٩٦ هـ وقع عليه سالم بن سلطان بن صقر القاسمى وراشد بن حمد ابن راشد النعيمى وحشر بن مكتوم واحمد بن عبدالله بن راشد وزايد بن خليفة وحمد بن عبدالله بن سلطان القاسمى . تعهد هؤلاء الشيوخ بما يلى : -

أ — ان يرجعوا الهاربين الى شيوخ المناطق التى هربوا منها .

ب — ان يدفعوا غرامة ويتكفلوا بالمستحقات على المدنيين ان هم آووهم رغم طلب الآخرين لهم .

جـ — اذا سمح الشيخ للهاربين من المناطق الأخرى بممارسة صيد اللؤلؤ قبل ان يدفع الغرامة ويتكفل بالنفقات فعليه ان يدفع اربعة أمثال الغرامة ويتكفل بالنفقات كذلك .

د — اذا تشابه الأمر فعلى الشيوخ ان يعقدوا مجلسا يرأسه المقيم يحضرونه هم أو من ينوب عنهم ، ولا يكون قرار المجلس نافذا الا بعد تصديق المقيم .

هـ — توقع الغرامات المنصوص عليها بعد موافقة المقيم .

نتائج الاتفــاق :

نظمت هذه الاتفاقية سواحل صيد اللؤلؤ تحت الرقابة البريطانية ولعبت السفن البريطانية دورا كبيرا في منع المشاحنات البحرية وصار أهل المنطقة

(*) انظر الملحق (٩) .

يلتقون بالسفن البريطانية لقاء مباشرا في كل موسم صيد مما يرفع من قدر البريطانيين وجعل سفنهم مصدر أمن نفسى لحماية الاهالى من بعضهم البعض . كما استطاع البريطانيون بهذا الاتفاق ان يسيطروا على الشيوخ في الداخل . فاللؤلؤ هو عصب الاقتصاد في تلك المنطقة في تلك الأيام وكان لا بد للعلاقات الاقتصادية التي نظمها البريطانيون على البحر ان تكون لها أطراف ثابتة على البر . فهنالك مجموعة من الرعايا البريطانيين الهنود الذين يرجع أصلهم أو أغلبهم الى البنيان أو (الخواجات) **Khojahs** ينتشرون على طول الساحل المهادن ويعملون بتجارة اللؤلؤ او بيع السلع من ارز ودقيق وزنجبيل لأصحاب قوارب الصيد والبحارة وعمل آخرون منهم باقراض هؤلاء نقودا تعينهم على قضاء حاجيات المراكب والبحارة قبل موسم الغوص وفي اثنائه . وكان أصحاب السفن والبحارة يعطون هؤلاء المرابين من التجار استحقاقاتهم بعد (القفل) يدفعونها كاملة بأرباحها حين يرتدون الى مرافئهم ولا يسعف الحظ البعض فلا يرجعون بصيد فيكتبون لمدينيهم صكوكا يتعهدون فيها برد المبالغ نجوما قد تمتد عدة سنوات ويشهد الشيوخ على التعهد كما يشهد عليه وكيل المقيميه (١) .

غدا هذا النوع من التعامل هو الأساس في عملية الخروج للغوص وعرف البريطانيون ان توقف الهنود عن دفع قروض لهؤلاء يعنى عرقلة عملية صيد اللؤلؤ اذ لا يستطيع الخروج اليه الا الموسرون من أصحاب قوارب الصيد وحتى هؤلاء قد لا يستطيعون الصمود في وجه موسم أو أثنين لا يصيدون فيها شيئا وعندها سيتوقف صيد اللؤلؤ توقفا كاملا (٢) .

حرص المقيم على استمرار تلك التجارة وحرص بالتالى على ان يفى

---

(١) (P. R. O.) C. O./727/3 Politcal Res. P. G. to Foreign and Pol. Dept. 31. Dec. 1920.

(٢) Idem.

المدينون بالمبالغ الى المرابين من رعايا البريطانيين . وفي ٣١ ديسمبر من عام ١٩٢٠ م / ١٣٣٩ هـ كتب المقيم الى حكومة الهند يقول (يسرني ان انهى الى سيادتكم تعاون كل الشيوخ في فرض التعهدات على مواطنيهم لم يشذ عنهم الا شيخ الشارقة وشيخ عجمان احيانا) وسرد المقيم في خطابه ان هنديا يدعى كيسو بن جهتا Kisu bin Jhita استحق له مبلغ ٤٠٠ روبية على (الناخودة) احمد بن سليمان من أصل ١٤٠٠ روبية يطلبها الهندى من المواطن ، ودعوة اخرى من مولجى كانجران Mulji Cangaran ضد المدعو ابراهيم خنداری يطلب منه ٣٠٠ روبيه ودعوة ثالثة من لولو بو نييه ضد راشد ابن سليم يطلب منه خمسمائة روبيه . وقد كان كل هؤلاء المواطنين من رعايا شيخ الشارقة . ولم يجبر شيخ الشارقة هؤلاء على دفع المبالغ لمستحقيها . ويقول المقيم في خطابه (انه جرت المتواترات في المنطقة على ان يكون للدائن حق مصادرة قوارب المدين ومحتوياتها غير ان كيسو لم يستطع ان يفعل ذلك حين توسط بعض القوم فأعاد كيسو جدولة ديونه . وشهد الشيخ ووكيل المقيميه على التعهد الجديد .

وعندما رجع احمد بن سليمان بعد موسم « القفل » رفض ان يدفع رغم انه حصل في موسم الصيد على ٥٠٫٠٠٠ روبيه كما كان لاحمد بن سليمان منازل وأراضى يمكن للشيخ مصادرتها لصالح كيسو - ويمضى خطاب المقيم فيقول « عندما زرت الشارقة في ١١ ديسمبر الماضى تفاوضت مع شيخها في أمر هذه المبالغ ووعد الشيخ باستخلاصها ولما كنت لا أثق فيه استكتبته تعهدا بانه سيدفع هذه المبالغ من خزينته ثم يستردها من قومه بعد هذا . وقلت للشيخ انى سأرجع له غدا ظهرا لاستلم المبالغ كلها . زرت رأس الخيمة ثم رجعت كوعدى الى الشارقة لزيارة شيخها فلم أجده اذ ارتحل الى بعض قبائل في ظهير الساحل يريد ان يبنى فيهم . وجاءنى أخ الشيخ بخطاب ومبلغ ٢٥٠ روبيه تخص لولو وقال في خطابه ان احمد بن سليمان غير موجود في الشارقة . وطلبت من أخ الشيخ ان يدفع حسب تعهد الشيخ فاعتذر لأن الشيخ لم يقل له بذلك

وانه لا يستطيع ان يدفع مبلغا كبيرا كهذا دون اخذ اذن من الشيخ فرجعت الى بوشهر » [1] .

ويضيف المقيم « ان شيوخ الساحل لا يستطيعون ان يتنصلوا من عهد قطعوه امامى وأنا على ظهر سفينة حربية أما هذا فتملص من وعد مكتوب ، وان هذا الأمر جدّ مشين لممثل الحكومة الهندية وحكومة صاحب الجلالة الملك . ان هذا الشيخ يتصرف بوقاحة لعل الدافع لها انه سمع في الأيام الأخيرة ان قوة الحكومة البريطانية قد وهنت ولذلك فانى أرى ان يلقن الشيخ خالد درسا لن ينساه ما عاش وان يدفع ثلاثة أمثال المبلغ الذى تعهد به غرامة لتملصه . وانى بصدد موافقتكم على هذا لتنظيم هذا الأمر مع قائد سفن الخليج او القائد العام للاسطول لنحاصر الشارقة ونجبره على الدفع ونتعامل معه بالقوة إذا رفض لأن التهاون في أمر كهذا سيجعل الشيوخ الآخرين يسلكون نفس المسلك » . وافقت حكومة الهند ، وقضى الأمر ، ودفع الشيخ . وهذه قصة من قصص مماثلة كثيرة تدخل فيها البريطانيون لتنظيم علاقات التاج في الداخل بدعوى المحافظة على الأمن والمحافظة على صيد اللؤلؤ .

وتشكل هذه الاتفاقية نهاية سلسلة المعاهدات والاتفاقات التى عقدها البريطانيون لتدعيم موقفهم على البحر لتبدأ بعد هذا حلقة جديدة من اتفاقات التسلط والإذعان لينقلوا بها سيطرتهم الهامشية الى داخل البلاد .

---

(١) Idem.

الفصل التاسع

تصدي بريطانيا للقوى الأخرى تجاه الساحل العماني حتى ١٨٩١م

تصدي بريطانيا للقوى الأخرى
تجاه الساحل العماني حتى ١٨٩١م

(التمهيد ـ بريطانيا تقاوم المد المصرى ـ تعهد ١٨٣٩ ، بريطانيا تقاوم المد العثمانى ، مشكلة العديد ، بريطانيا تقاوم دعوة المهدية في الشارقة ، بريطانيا تقاوم المد الفارسى على أرض الساحل المهادن ، تعهد ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨م ، بريطانيا تقاوم المد الفرنسى ، اتفاق ١٨٩١) .

التمهيد :

لم تكن بريطانيا تهتم بما يجرى في داخلية الساحل العمانى ولم تكن تنوى اقحام نفسها فيما لا يعود عليها بفائدة اقتصادية أو سياسية ، الا ان بريطانيا قد أجبرت في الفترة منذ عام ١٨٣٠ حتى عام ١٨٤٠ للتدخل في شئون المنطقة الداخلية في الساحل العمانى ، وغدت بريطانيا بعد هذه الفترة ترقب ما يجرى في الداخل وتوجهه ما كان ذلك في امكانها . واستمرت على هذا المنوال في تدخلها بدرجات متفاوتة حتى الغت في عام ١٩٧١ اتفاقاتها مع شيوخ الساحل .

كانت سياسة بريطانيا منذ ١٨٣٠ الى ١٨٤٠ في داخل المنطقة تميل الى تجميع القبائل في اتحادات بعد الحد من خلافاتهم الموروثة [١] حين يكون

---

(١) (1.0) Precis of Correspandonce Regarding Trucial Chiefs.

ذلك لازما لتجعلهم خط دفاع أول تنكسر عنده او تضعف كل قوة منتظمة تريد ان تبلغ سواحل الخليج من ذلك الاتجاه .

استعاد السعوديون سلطتهم في أواسط الجزيرة العربية منذ عام ١٨٢٤م ولم يأت عام ١٨٣٠ حتى امتدت سلطتهم الى الاحساء ولكن السعوديين وقد علمتهم التجارب السابقة ابتعدوا عن التدخل في شئون مشيخات الساحل العمانى رغم ما لهم فيه من عقيدة وانصار ومريدين . لم يلب السعوديون دعوة راشد بن حمد شيخ عجمان حين دعاهم للتعامل معه ضد الشيوخ الآخرين في الساحل العمانى ، وأعرب السعوديون للشيخ راشد عن اعترافهم الصريح بأن سيد مسقط وشيخ الشارقة هما رأس القبائل العمانية ولن يقوم اتصال الا بواسطتهما (١) . وقام الأمير تركى بارسال سفارة برئاسة راشد بن حمد لتمد جسور الصداقة والتفاهم مع الحكومة البريطانية (٢) .

اعترف السعوديون بالشيخ سلطان بن صقر ولكنه ارتاب في أمرهم . أظهر سلطان للسعوديين الود ولكنه خابر ستانوس عنهم وسأله عن موقف بومباى إذ اضطره السعوديون للعمل ضد السيد سعيد . ورد ستانوس بأن اتصال سلطان بالسعوديين يجب ان لا يكون ذريعة لاحياء « القرصنة » وان اى هجوم مسلح ضد السيد سعيد ، هو في نظر الحكومة أمر غير ودى ولا يحظى بالقبول وتأكد قول المقيم بخطاب افلنستون الذى جاء فيه بأنه لا ضير من امتداد السعوديين ما قصروا نشاطهم العسكرى على البر ، أما اذا تطلعوا الى البحر فردهم على اعقابهم واجب محتوم (٣) .

تطلع ابن عفيصان والى السعوديين على الاحساء الى عمان ، وقصرت

---

(١) Kemball, S. H. S. E. in S. R. I. XXIV p. 511.

(٢) Loc. cit.

(٣) Hennel, H. S. J. in S. R. I. XXIV.

جهوده، رغم حشوده ، دونها وذلك لخوفه من ان يقع عليه طحنون بن شخبوط ويقطع عليه خط امداداته الى الاحساء . واتت ابن عفيصان فرصة غزو عمان حين عمت فوضى الاضطرابات مشيخة ابو ظبي لتحتل طحنون وتنازع شيوخ أبو ظبي على السلطة في ابريل ۱۸۳۳ م / ١٢٤٨ هـ [١] . وفي غمار هذه الفوضى سقطت أبو ظبي ، مؤقتا ، للسعوديين ولحقت جيوش ابن عفيصان اطراف عمان وطلبت من السيد سعيد دفع الزكاة . وأسرع سعيد الى النجدة ويطلبها من المقيم البريطانى الذى لم يزد على ان نصحه بانتهاج سياسة سلمية تصالحيه مع السعوديين ومعالجة اموره بمقتضى الحال [٢] .

لم تقف حكومة بومباى موقف العداء الصريح للامتداد السعودى في عمان ورأى البعض ان سقوط عمان في أيدى السعوديين وبسط نفوذهم عليها لا يعنى بالضرورة عودة « القرصنة » بل يمكن ان يعين ذلك في حماية تجارة بريطانيا نتيجة للتجانس الذى سيفرضه السعوديون على المنطقة . ورأت حكومة الهند ان لا تتدخل ما احترم السعوديون العلم البريطانى وامتنعوا عن الشغب في البحار كما رأت ان تترك مسقط لمصيره اما اذا بدأت القرصنة فأن أمر كبحها سيكون أهون على الحكومة وأقل نفقة من ان تعين قوتهم سيد مسقط كلما هدد السعوديون سلطته وكثيرا ما كانوا يفعلون كما فضلت الحكومة التعامل مع حاكم واحد يدرك سطوة بريطانيا على التعامل مع الامام ومجموعة الشيوخ . وقررت الحكومة اخيرا التزام الحياد ونفض يدها من التحالف الوثيق مع امام مسقط .

بريطانيا تقاوم المد المصرى :

اختلف الوضع كثيرا في نظر الحكومة البريطانية حين تدخل محمد على والى

---

(١) Kemball, H. S. B. in S. R. I. XXIV p. 471.

(٢) H. S. J. in S. R. I. XXIV.

مصر واطلق سراح خالد بن سعود الذى اخذته جيوش محمد على في معية اخيه بعد خراب الدرعية . وكان خالد كما تقول الوثائق البريطانية « مصرى النزعة والأهواء » [1] .

استطاع خالد التغلب على فيصل بن تركى واخذ الرياض . تراجع فيصل الى الاحساء فادركه خورشيد هنالك واحتل الاحساء في ديسمبر ١٨٣٢ م / ١٢٤٨ هـ وهنا تدبرت السياسة البريطانية خططها وأعادت التفكير واجتهد الساسة . رأى بعض هؤلاء ان امتداد قوة والى مصر على سوريا والعراق والخليج قد يكون مفيدا ذلك لأن القوة المصرية قد تتحد مع القوة الفارسية ويقيمان سدا يقف ضد اطماع روسيا في المنطقة . احتمال ثانٍ هو ان اتحاد هاتين القوتين قد يكون مضرا بالمصالح البريطانية اذ قد يولد هذا التزاوج قوة بحرية تربط ساحلى الخليج الى بعضهما وتقف ضد المصالح البريطانية . « ففارس في أعمها ، مسلمة ، وبرغم اختلاف الشيع والأحزاب الاسلامية في المنطقتين الا انهما قد يلتقيان عند هدف مقدس يحتم عليها طرد المسيحيين من الهند التى بها عدد من المسلمين عظيم » . كما رأى هؤلاء الساسة ان تحالف القوتين المسلمتين قد يكون ضد روسيا لتخليص مسلميها من ربقة الروس . ورأى البعض ان مصر قد تتفق وروسيا على اقتسام فارس مما يسبب لحكومة الهند مشاكل متأزمة . ووصل هؤلاء الى نتيجة فحواها انه ليس من الحكمة ان يشجع محمد على باشا على التوسع .

كان بالمرستون مقتنعا بمناهضة نفوذ محمد على ليس فقط في الخليج العربي انما في كل مصر وخارج مصر . كتب بالمرستون لجرانفيل في يناير ١٨٣٣ م / ١٢٤٨ هـ يحثه بأن يتخذ الاجراءات الحاسمة ليمنع محمد على من احتلال سوريا حتى لا ينفتح امامه باب العراق . ورأى بالمرستون ان في قوة محمد على

---

(١) Lorimer, J. G. G. P. G. Vol. 1, p. 228.

ضعفا للباب العالى أما روسيا . وأثار امتداد محمد على الى الخليج انتباه الحكومة البريطانية في وستمنسترحتى ان الملك وليم الرابع أبدى منذ نوفمبر ١٨٣٤ اهتماما شخصيا بالأمر [١] .

بدأت الحكومتان البريطانيتان في بريطانيا والهند تعملان في تناسق تام بهدف وقف النفوذ المصرى عـن الخليج وبعث بالمرستون الى كامبل ممثل الدولة البريطانية في مصر خطابا بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٨٣٨ يطلب اليه فيه ان يوضح لمحمد على بأن الحكومة البريطانية لتود جادة ان لا ترى قواته على ساحل الخليج [٢] . وقد قابل كامل بوغوص باشا وأطلعه على فحوى الرسالة وطمأنه بوغوص نيابة عن محمد على الذى كان وقتها بالسودان [٣] .

كتب بالمرستون الى أوكلاند يطلعه على رسالته الى كامبل واحال اوكلاند الرسالة الى هنيل وأمره بأن يتبع كل السبل وكافة الاساليب لابعاد خورشيد عن البحرين ، نهى اوكلاند هنيل عن اشتباك مباشر مع خورشيد ولكنه في الوقت نفسه فوضه في ان يعطى شيخ البحرين كل التأكيدات بالمساندة البريطانية ويدعمه دعما يجعله قادرا على الوقوف في وجه خورشيد .

لما وصلت رسالة بالمرستون وتعليمات اوكلاند الى هنيل قام مع رجال البحرية بمظاهرة عسكرية في الخليج العربى . بدأ هنيل برأس الخيمة حيث قابل سلطان بن صقر في ٢٧ ابريل ١٨٣٩ م / ١٢٥٥ هـ وناقش معه أمر خورشيد باشا وموقف الحكومة البريطانية من محمد على [٤] . وانبرى

---

(١) Kelly, J. B., B. P. G. p.p. 240 - 241.

(٢) (P. R. O.) F. O./78/343, Palmerstone to Campbell. 29th Mov. 1838.

(٣) (P. R. O.) F. O./78/373, Campbell to Palmerstone 21, and 26 Jon 1839.

(٤) (P. R. O.) F. O./1/220. Okland to Wood Enclosing notes of a cont between Rear Admiral Sir F. Okland and sheiks of the Persion Gulf between 22 - 30 April 1839.

« الكمودور » بركس في محاولة جادة للتوفيق بين أطراف القواسم في المنطقة وتوحيد دبي ، ورأس الخيمة والشارقة وعجمان وام القوين تحت سلطة شيخ القواسم . ولم يفلح بركس في مهمته كثيرا اذ ان الضربات التى تلقاها شيخ القواسم من الانجليز هدت من هيبته ولم يعد بقادر على السيطرة الفعلية على كل هذه المنطقة. واتصلت هذه البعثة العسكرية بشيخ لنجه الذى أبدى حماسا كبيرا لمناصرة أهله في الشارقة ضد جيوش الباشا . كما قام سلطان بن شخبوط بتأكيد تضامن أخيه حاكم أبو ظبي مع شيخ البحرين . وكانت هذه محاولة بريطانية لتوحيد المنطقة لتقف في وجه توحيد أعم وأشمل زاحف من الغرب .

وفي ١ مايو ١٨٣٩ م / ١٢٥٥ هـ عرف احد قادة السفن البريطانيين في الخليج بوصول جماعة مسلحة قوامها ١٥٠ رجلا الى الشارقة بقيادة سعد بن مطلق [١] . وعرف القائد ان هذه القوة قد أتت من القطيف تحمل تفويضا من الأمير خالد باسترداد السيادة السعودية [٢] في البوريمى من النعيم . طيّر ذلك القائد الخبر الى المقيم الذى تحرى فيه وعرف ان شيخ الشارقة قد أعدّ لسعد منزلا محصنا . وان سعداً قد نادى على قبائل البوريمى بالتسليم وتمنعت القبائل بقيادة النعيم عليه واستعصت . وشد حمود بن عزان والى صحار من ازر رجال هذه القبيلة بارسال ٢٠٠ محاربا بقيادة أخيه ، كما عضدهم خليفة ابن شخبوط حاكم أبو ظبي .

دافع سلطان بن صقر عن نفسه حين آوى القائد السعودى بانه يخشى اتخاذهم مع شيخ أبو ظبي ، او أى آخر من شيوخ المنطقة وان قوة اى شيخ متحد مع السعوديين يمكن ان تنال من مركزه وأرضه [٣] . وتدخل المقيم

---

(١) Kemball, H. S. W. in S. R. I. XXIV p.p. 447 - 448.

(٢) جمال زكريا ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ٦٩ .

(٣) (1.0) Enclosure to Bombay Sec. letters, Vol. 14, Mvllah Hussain to Hennell, 3 Rabi, Gulf, 1255/17 May 1839.

المساعد لدى خليفة بن شخبوط حاكم ابو ظبي وجعله يقسم يمينا بانه لن يسمح لهذه القوة او اي قوة اخرى تابعة للمصريين بأن تقيم في أرضه . وقد اقتنع سلطان بالقسم وسأل المقيم ان يزوده بخطابين احدهما له ينهاه عن استضافة سعد حتى يبرزه لسعد ويبرر به موقفه في طرد القائد ، والآخر لسعد يسأله العودة الى نجد فورا . وقد أضاف المقيم للخطاب الثانى ان قبائل النعيم التى تقيم في البوريمى تقع تحت الحماية البريطانية (١) .

تعهـد ١٨٣٩م :

استطاع المقيم المساعد في غضون هذه الاحداث ان يحصل على تعهد مكتوب من شيوخ أبو ظبي ودبي والشارقة وام القوين جاء فيه ان هؤلاء الشيوخ يساندون السياسة البريطانية لانها ترمى الى الحفاظ على (استقلالهم) ويعارضون السياسة المصرية التى تسعى (لفساد) استقلالهم (٢) . وأضاف المقيم الى تعهد سلطان بن صقر بندا الزم فيه الشيخ نفسه بعدم الدخول في علاقات تعاهد مع أي قوة اجنبية كما التزم هذا الشيخ أيضا بأن لا يتفاوض مع اى جهة اجنبية الا عن طريق الحكومة البريطانية وانه يعتبر صديق بريطانيا صديقه وحليفه ومن يعادى بريطانيا عدوه (٣) . وقد وعدت الحكومة البريطانية الشيخ سلطان بأن تمده بالأسلحة والعتاد ان هو تعرض لأى خطر من قبل قوات خورشيد .

وافقت حكومة الهند على كل ما قام به مكتب المقيم من اجراءات وقائية ،

---

(١) (1.0) Kemball, H. S. W. in S. R. I. XXIV. p. 448.

(٢) Ibid, p. 447.

(٣) (1.0) Enclosure to Bombay Sec. letters, Vol. 14, Hennellt to Willoughby, 10 June 1839.

وعلى ما أبرم من تعهدات ، ولكنهم لم يرضوا منه مبدأ حمايته للنعيم لأن ذلك يختص بالسياسة البريطانية العامة ومجريات الأمور السياسية التى يقع عبؤها على مجلس الوزراء البريطانى في المملكة المتحدة والذى يتولى أمور المسألة المصرية من جوانبها المختلفة . كما فوضت الهند مقيمها المساعد في الخليج توزيع العتاد والسلاح على قبائل الساحل لصد التقدم المصرى . كان رأى حكومة الهند ان تدخلها في أمر البوريمى امر لا محيص عنه . ولذلك قررت حكومة الهند ارسال الكابتن همرتون Hamerton الى البوريمى ليتسقط الأخبار ويوحد القبائل ويشير بالرأى (١) . ولم يستطع همرتون بلوغ البوريمى اذ لم يجد مساعدة من الشيوخ فبقى بالشارقة حتى اتاه المقيم في يوم ٦ يناير ١٨٤٠ وعقد المقيم في الشارقة مؤتمرا لشيوخ البوريمى شهده حمود بن غزان شيخ الشوامس ، وهى فرع من النعيم كبير ، كما حضره عدد غفير من شيوخ البوريمى . هنأ المقيم شيوخ البوريمى على مقاومتهم العنيدة لخورشيد واتباعه وشرح لهم أبعاد السياسة البريطانية التى تعمل على « صيانة استقلال القبائل وتشجيع ازدهارها ولكنها لا تتدخل تدخلا مباشرا في شئونهم » . وحث المقيم شيوخ القبائل على الوحدة ، وأبدى رغبته الملحة في ان يصل النعيم والظواهر الى اتفاق كامل . وما زال المقيم بشيوخ القبائل حتى تغلب على خلافاتهم الموروثة ، وحقق تحالفا بين النعيم والظواهر وان لم يحقق بنجاح كبير تحالفا بين الظواهر وبنى قتب (٢) . وقام المقيم بمد شيوخ القبائل ببعض المال والزخيرة والمؤن ، وزودهم بالشعير وبعض المأكولات . وذهب الشيوخ بعد هذا الى البوريمى وسافر همرتون في معيتهم (٣) .

---

(١) (1.0) Enclosure to Bombay sec. letters, Vol. 19, Enclosure to Sec. letter No. 10, of 28 Feb. 1840, Hennell to Willoughby, 12 Jan. 1840.

(٢) (1.0) Enelosure to Bombay Sec. letters, Vol. 17, Hennell to Acting Chief Sec., Bombay, 26 oct. 1839.

(٣) (1.0) Kemball H. S. J. in S. R. I. XXIV p.p. 337 - 338.

زال خطر محمد على عن مشيخات الساحل في سبتمبر ١٨٤٠ م / ١٢٥٦ هـ حين تصدت له تركيا وبريطانيا والنمسا . ووافق محمد على بمقتضى ميثاق الاسكندرية على ان ينسحب من سوريا والجزيرة العربية وعدن وكريت [(١)] . وصار موقف الأمير خالد بعد هذا ضعيفا فأخرج من الرياض في ١٨٤١ وارتد الى الاحساء . وقام الأمير فيصل بن تركى في ١٨٤٣ م / ١٢٥٩ هـ ليحكم في منطقة الدولة السعودية وما عادت حكومة الهند بعدها تهتم بالمنطقة الداخلية من الساحل العمانى اهتماما مباشرا ، انما كانت تسترق السمع ثم تحاول معالجة الأمر بما يتطلبه الموقف.كان هنيل يثق ان فيصل بن تركى سيعمل على صداقة البريطانيين الذين لا بد وان قد عرف عنهم ، وهو في منفاه ، القوة والمنعة .

ولما جاء فيصل من مصر واستقر له الأمر كتب في يوليو عام ١٨٤٣ م / ١٢٥٩ هـ الى شيوخ البوريمى يعلن عن عزمه على استرداد سلطة السعوديين في المنطقة . واتصل هؤلاء الشيوخ بالمقيم يسألون المساندة فلم يتحمس لقضاياهم ورد عليهم بأن ما يحدث في الداخل لا يعنى حكومته البتة لأن حكومته كانت تحميهم من الامتداد المصرى ولكن ما يحدث حاليا فهو نزاع بين القبائل في المنطقة وليس بينهم وبين الاتراك والمصريين هذا أمر لا يهم حكومته .

قام الأمير فيصل بن تركى بإيفاد سفارة في عام ١٨٤٣ يسأل تجديد علاقات الصداقة التى امتدت اواصرها منذ عهد ابيه تركى . وقد رحب المقيم بالسفارة وقال ان غاية الحكومة البريطانية من التواجد في الخليج هو العمل على كبح « القرصنة » وصيانة أمن البحر ، وحفظ اموال المواطنين ، وأرواحهم فوق مياه الخليج [(٢)] .

---

(١) Abu Hakima, A. M. "Political 'movment in Arabia and its impact on India In 19th Century India and the Arab World. ed S. M. Mohammed (New Delhi. Sept. 1969) p. 22.

(٢) (1.0) Hennell, H. S. W. in S. R. I. XXIV. p. 454.

كان لا بد للخلافات بين السعوديين والعمانيين من ان تظهر ، وكان لا بد للبريطانيين من ان يتدخلوا . ارسل سعيد بن مطلق الى صحار ومسقط يطلب دفع الزكاة . وتدبر حمود بن عزان الأمر مع السيد ثويني وأقر حمود دفع الزكاة وطلب السيد ثويني فسحة من الوقت ليستشير اباه الذى كان وقتها في زنجبار . هاجم السعوديون صحار بحجة ان الزكاة المدفوعة اليهم هى أقل مما يجب دفعه كما هاجموا مسقط في يونيو ١٨٤٥م. وخشى المقيم من تدخل شيوخ الساحل العمانى في تلك الاحداث فأمر المقيم رجال الاسطول البريطانى في الخليج بالتحرك في المنطقة لاظهار القوى ، وارسل الى الأمير السعودى رسالة صداقة تهدىء من ثائرته [١] . وانتهت المشاكل مؤقتا وحين دفع السيد ثوينى الزكاة . ولم يتدخل شيوخ الساحل العمانى لمساندة السعوديين لانهم كانوا ، فيما خلا شيخ ام القوين . يكرهون سعيد بن مطلق « لتجبره وطغيانه » .

لم تكن حكومة الهند تهتم بالشئون الداخلية لجزيرة العرب الا اذا كان أمر الداخل يمس الوضع في مياه الخليج [٢] . ولم تكن حكومة الهند لتراعى صادقة حاكم مسقط الا حين تكون لها في ذلك مصلحة معينة. ولذلك لم تتدخل حكومة الهند ضد السعوديين في مسقط وان كتبوا في ٦ ابريل الى الأمير فيصل خطابين جاء في احدهما « ان حاكم مسقط قد سألنا ان نبذل مساعينا الجميلة بحكم صداقتنا في المخاطبة مع جنابك وارجو ان تصلا الى سلم وينتهى العراك بينكما في امور الزكاة وغيرها وان تدخلنا هذا ليس الا عن طريق الصداقة الذى نعالج به الأمور في اوربا حين تتدخل دولة صديقة لتصلح بين دولتين » [٣] . ولم تتدخل بريطانيا في الأمر بين الأثنين الا في اغسطس عام

---

(١) (1.0)Disbrowe, H. S. W. in S. R. I. XXIV. p. 457.

(٢) (P. R. O.) F. O./371/3070. From Lord Birkenhead to Austen (Sec. of State, India office, 14 June 1928.

(٣) (1.0) R/15/1/82.

١٩٦٥ حين قام السعوديون مع بعض نفر من رجال قبيلة الجنبه المقيمين في صور بمهاجمة تلك المدينة (١) . وسخط البريطانيون لأن السعوديين قتلوا واحدا من رعاياهم القاطنين بصور (٢) . وكتب المقيم في ١٥ اغسطس ١٨٦٥ م / ١٢٨٢ هـ خطابا الى فيصل يستفسره السبب في سوء معاملة الرعايا البريطانيين وحاول ان يجد من امير الرياض اعتذاراً فلم يوفق ، وقامت لهذا السفينة البريطانية هايفلاير Highflyer في فبراير عام ١٨٦٦ م / ١٢٨٢ هـ بضرب قلاع السعوديين في القطيف والدمام (٣) . واحتج نامق باشا والى بغداد لدى القنصلية البريطانية في بغداد على ما قام به المقيم بيللى Pelly في القطيف والدمام . ولم تقبل حكومة الهند الاحتجاج كما سبق ان فعلت في سنة ١٨٥٩ وذلك على حد قولها لعدم وجود اى مظهر من مظاهر السيادة العثمانية على الأرض التى يحكمها السعوديون وراثيا الا ما كان من أمر مظهر بسيط يتمثل في تقديم امراء السعوديين في بعض الأوقات مبلغا من المال سنويا الى خزانة الشرافة بمكة باعتبار شريف مكة ممثلا للباب العالى (٤) .

توفى فيصل بن تركى في سنة ١٨٦٦ وقع النزاع بين ابنيه عبدالله وسعود واستنجد الأول بالعثمانيين الذين لم يلبوا طلبه الا بعد مجيء مدحت باشا الى ولاية بغداد وبهذا بدأ التدخل العثمانى الجاد في الخليج .

بريطانيا تقاوم المد العثمانى :

لم يتخذ بسط السلطة العثمانية في بلاد العرب شكلا جديا الا منذ سنة

---

(١) شركة الزيت العربية الاميركية (ادارة العلاقات لتنمية البحث) عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي (القاهرة ، ١٩٥٢) ص ٣٤ .

(٢) (1.0) R/15/1/182.

(٣) شركة الزيت العربية الاميركية ـ مرجع سبق ذكره ص ٣٤ .

(٤) جمال زكريا ـ الخليج العربي ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ص ١٧٣ .

١٨٧٠ ، وقد مهدت لهذا عوامل مختلفة تضافرت جميعها على دفع العثمانيين نحو الخليج ، فمنها فتح قناة السويس مما هيأ للأسطول (*) العثماني الالتفاف حول بلاد العرب وبلوغ الخليج ، ومنها تولى مدحت باشا حكومة بغداد (١٨٦٩ / ١٨٧٢) وكان الرجل يمثل فريق المصلحين الذين يرون ضرورة تثبيت السلطة الفعلية في جميع المناطق التى تخضع للدولة اسميا وان خير وسيلة لتعويض الخسائر الاقليمية في البلقان هى تأكيد السلطة العثمانية في البلاد الاسلامية التابعة لها [١] . هذا فضلا عن ان مدحت باشا كان ينطلق من رغبة ملحة لمناوءة البريطانيين في الخليج وكان يقدر استجابة الخليجيين السنيين باعتبارهم رعايا الخليفة العثماني . وتجدر الاشارة هنا الى صحيفة الزوراء التى انشأها مدحت باشا في بغداد وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية والتى استمرت حتى بعد عهد ولايته تزخر بالمقالات التى تؤكد السيادة العثمانية على الساحل العماني ومسقط وعمان والخليج العربى بصفة عامة [٢] .

أدت التنظيمات في الجيش العثماني ، بعد حرب القوم ، الى ان يصبح الجيش العثماني جيشا نظاميا مما مكّن للسلطان عبد العزيز (١٨٦١ / ١٨٧٦) ان يخضع بعض المقاطعات التى تزعزع ولاؤها للدولة . وعمل السلطان عبد العزيز على مضاعفة حاميات مكة والحجاز وبدأ يتجه الى نجد والخليج العربى [٣] .

خرجت حملة الاحساء بقيادة نافذ باشا في ابريل سنة ١٨٧٠ م /

(*) كان الاسطول العثماني في السبعينات من القرن التاسع عشر في تقدير البعض اسطولا لا يفوقه في القوة الا الاسطول البريطاني . انظر :
Kumar, India and Persian Gulf Region 1858 - 1907 (India, 1965) p. 117.

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٨٣ - ١٨٤ .
(٢) جمال زكريا ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ١٨٠ - ٢٠٤ .
(٣) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ص ١٣٧ .

١٢٨٧ هـ وجرت وراءها عديدا من القبائل العربية التى تنزل جنوب العراق ، كما ساعدها عبدالله الصباح حاكم الكويت بوضع عدد كبير من سفنة تحت تصرفها . وانتهز الشيخ قاسم آل ثانى فرصة وصول العثمانيين الى أطراف بلاده وطلب منهم اقامة حامية عثمانية ببلاده ، وكان دافع قاسم الى ذلك مقاومة ادعاءات حاكم البحرين على شبه جزيرة قطر . وقد أثار وجود الثمانيين في قطر مشكلة الحدود بين قطر وبين أبو ظبي . لم تعترض حكومة الهند على تحركات مدحت باشا في حدود المناطق المعترف بها للعثمانيين في شمال قطر ، ولكنهم ما ان بلغوا قطر حتى استمات البريطانيون في وضع حد لزحفهم عند العديد ، كما قامت بريطانيا بتأكيد اتفاقاتها مع شيوخ البحرين حتى لا يصل اليهم العثمانيون .

مشكلة خور العديد :

علم الميجور - روث Ross - مقيم الخليج بالانابة منذ اوائل اغسطس ١٨٧٣ م / ١٢٩٠ هـ ان الاتراك يخططون لمد منطقة نفوذهم الى قطر ومشيخات الساحل المهادن ، فأرسل روث مساعده شارلس جرانت Grant الى منطقة سواحل البحرين والساحل المهادن ليتحرى الأمر ويستقصى حقائقه . تبين لجرانت حين بلغ المنطقة ان موظفا عثمانيا جاء من الاحساء في يوليو ١٨٧٣ الى الزبارة (*) في صحبة مائة رجل وتفاوض مع شيخ الزبارة في ان يصبح ذلك الشيخ تابعا للاحساء العثمانية (١) . وقد عرف جرانت حين زار الساحل العمانى ان موظفا تركيا من الدوحة قد ارسل الى

(*) كانت الزبارة من المناطق التي اسسها آل خليفة في ١٧٦٦ حين جاءوها بعد رحيلهم من الكويت وصاروا يحكمونها من البحرين بعد ذلك . كما كان آل خليفة يحكمون بعض افرع النعيم في شمال قطر .

(١) (1.0) Sec. letters and Enclosure from India, Vol. 16 Political Res. to Pereign Sec., Gulf of India, 20 Aug. 1973.

شيخى ابو ظبي ودبي رسالتين يستقدمها لزيارة فريق باشا قائد الاحساء العثماني . وأبدى جرانت تخوفه من ان زايد بن خليفة حاكم ابو ظبي قد تستهويه الفكرة لأنه غير راضٍ عن نعيم البوريمى الذين منعوه قضاء الصيف في قصر الخندق في تلك الواحة . كما كانت عادته في كل صيف . وقد استقدم النعيم شيخ الشارقة ليقيم في ذلك القصر ويناصرهم ضد شيخ ابو ظبي . ولما كانت الحكومة العثمانية تتطلع الى ضم البوريمى التى تعتبرها جزءا من نجد فان ذلك الشيخ سيجد فيها حليفا طبيعيا . كما قال جرانت ان هناك دافعا آخر يجعل شيخ ابو ظبي يستجيب لنداء العثمانيين وهو ان القبيسات وهم فرع من بنى ياس قد هجروا ابو ظبي ونزلوا عند خور العديد في ١٨٦٩ ، وكان هذا دأبهم كلما اختلفوا مع احد شيوخ ابو ظبي ، رحل هؤلاء القوم مرتين قبل هذه الفترة الى هذه المنطقة ، مرة في ١٨٣٥ (١) وأخرى في عام ١٨٤٩ . وكان من رأى جرانت ان هذا قد يجعل شيخ ابو ظبي يركن للأتراك لمساعدته ضد القبيسات ، كما ان قبول شيخ ابو ظبي لدعوة الاتراك سيؤكد تبعية القبيسات له اذ سيرفض العثمانيون اعتبار شيخ العديد تحت الحماية التركية (٢) .

أثيرت مشكلة العديد في اوائل عام ١٨٧١ م / ١٢٨٧ هـ عندما كتب زايد بن خليفة الى المقيم يسأله الاذن في الخروج بحرا لردع القبيسات حتى يعودوا الى أبو ظبي . وقال الشيخ ان خروج القبيسات عن طاعته يقلل من دخله كما ان منطقة خور العديد ـ التي هى من المناطق التابعة له ـ ستكون ملجأ للقراصنة والخارجين عن القانون . ورفض المقيم بيللى Pelly ان يمنع الشيخ الاذن بالقتال بحرا رغم اقتناعه بأن العديد من املاك الشيخ زايد ، وان القبيسات من رعاياه . أرسل المقيم مساعدة سدنى سميث S. Smith الى

(١) (1.0) Mann (Major Clorence. C.) Abu Dhabi. Birth of An Oil Sheikhdom (Beirut; 1969) p.p. 35 - 36.

(٢) (1.0) Sec. letters and seclos. from India, Vol. 16 Grant to Ross, 1873.

العديد لمفاوضة الشيخ بطى بن خادم شيخ القبيسات . ورفض الشيخ الرجوع الى طاعة اميره وطلب من سدنى ان يعترف باستقلاله ويمنحه راية من رايات الساحل المهادن والا فسيجد نفسه مضطرا لقبول الراية العثمانية التى عرضت عليه ولم يقبلها . وبالرغم من تعنت بطى أكد المقيم لزايد بن خليفة على لسان حكومة الهند منعها البات للتحرك ضد القبيسات (١) .

ظل الوضع على حاله حتى عام ١٨٧٦ ولم تهتم الحكومة البريطانية بأمر القبيسات ونزاعهم مع شيخ ابو ظبي ، وانقلب الوضع في تلك السنة اذ قام بعض بنى هاجر وبنى مرة Murrah يتعكير صفو الأمن البريطانى على الخليج اذ حدث ان قتل بعض بنى هاجر في يوليو ١٨٧٦ (ناخودة) لمركب تابع لأبو ظبي عند خور العديد (٢) ، واستولوا على المركب وما عليها من لآلىء . وفي نفس الشهر استولى بنو مرة على مركب عمانية وصادروا المركب ولؤلؤها ولم يتحرك قاسم آل ثانى لردعهم . وفي اغسطس من نفس العام هاجم بنو هاجر مركبا لأبو ظبي عند خور العديد واستولوا عليها . وتحرى المقيم فعرف ان بنى هاجر كانت تعمل بقيادة الشيخ سالم بن شافعى من منطقة خور العديد ، كما كانت بنو مرة تعمل من الدهناء الى الشرق منهم (٣) . وكانت هناك مشكلة في رأى المقيم بالإنابة لأن القبيلتين كانت تتبعان للباب العالى رسميا «وإن كانت الأرض التي يمارسون عليها نفوذهم ليست تحت سيطرة العثمانيين » . وأضاف بيردوكس المقيم بالانابة انه قبل سنين قلائل كان الامر جد هين على المقيم لانه كان يسوق سفنه ليضرب المناطق التى تزعج أمن البحر ولكن ما ان حل العثمانيون بالمنطقة حتى تعقد الأمر وقد « سبب هذا طعنة نجلاء لمصالحنا في الخليج وهيبتنا فوق مياهه فنحن ما دمنا نغل أيدى الشيوخ المهادنين عن القبائل الأخرى بحرا فليس أقل من ان

(١) Kelly, J. B., Ibid, p. 756.

(٢) Mann (Major Clarence) op. cit. p. 55.

(٣) (I.0) Pol. & Sec. Letters and Enclos from India Vol. 11, Officiating Pol. Res to Officiating Foreign Sec. Gulf of India, 31 August 1876.

نحميهم من قرصنة الآخرين الذين ليس لنا معهم اتفاقات مماثلة » (١) . وأشار المقيم بالانابة الى انه يرى ان يشجع زايد بن خليفة على ضم خور العديد . وأضاف المقيم بالانابة بانه يخشى من تأزم الأمر اذا حدث ان اتصل بطى بن خادم بالاتراك ليعينوه . واستقر رأى المقيم بالانابة اخيرا الى انه يرى ان يفاوض البريطانيون العثمانيين ليقنعوهم بأن البدع ووكره والعديد وغيرها من هذه المناطق هى مناطق مجدبة فقيرة لا تعود على الاتراك بنفع ولن تجلب لهم ربحا ، ولكنها في نفس الوقت تضايق سير التجارة البريطانية وتعوق السياسة البريطانية في الخليج . كان ليتون Lytton الذى خلف نورث بروك North Brook على نيابة الملك في الهند في ابريل ١٨٧٦ حاسما فظا لا يشبه خلفه . أكد نورث بروك في خطاباته للندن أن العثمانيين في مدهم على سواحل قطر « سيقللون من الهيبة البريطانية وسوف لن يكون لنا فرصة تثبت فيها ارجحية الأمن بالقرب من سواحل قطر الا باجتثاث الوجود التركى (٢) . كان من رأى حكومة الهند كما جاء في مذكرة السكرتير السياسى والسرى لحكومة الهند « ان الحراسة البريطانية للخليج تقوم على أساس من الاتفاقات ذات طبيعة هشة واهية ضعيفة كالسراب فنحن لا نملك بموجب هذه الاتفاقات ان نمنع القبائل العربية من ان تشن حربا بالبر. كل ما هنالك انه بعد صياغة تلك الاتفاقات ومع السنين ارتكزت سياستنا على منع المشاحنات البحرية . وصار هذا جزءا هاما من سياستنا في البلاد والمناطق الساحلية . وعرف الشيوخ المهادنون انه لا بد لهم من احترام تلك السياسة التى هى جزء من النظام التهادنى . غير ان هذه السياسة يمكن التدخل فيها من الجهات الأخرى بسهولة ويسر لتضع حدا لسيادتنا الطاغية فوق الخليج . ان ما يجب ان نناقشه الآن هو كيف يمكن لنا

---

(١) (1.0) Pol. & Sec. Letters and Enclos. From India, Vol. 7. Govt in Council to sec. of state for India & feb. 1876.

(٢) (1.0) Pol. & Sec. Lett. and End., From India , Vol. 11, Henvey to Prideaux, 7 Nov. 1876.

ان نوقف المد التركى ونقيم له جسرا لا يتعداه . ان الوصول الى اتفاق مع الباب العالى لن يكون في صالحنا ، فالمستحسن في مثل هذه الظروف ان نغلق (الاسطبل) قبل ان يسرق الفرس . فنحن لا نسمح باستمرار الوضع على ما هو عليه الآن . يجب علينا ان نقولها وبصراحة متناهية للباب العالى ونبين له الحد الذى يمكن ان تسمح به لتركيا والحد الذى لا يمكن لسياستنا ان تسمح للأتراك بعده بالنفوذ » [1] . كما أشار السكرتير السياسى في مذكرته الى ضرورة تعديل الاتفاقات التى تربطهم بالشيوخ المهادنين وغيرهم في المنطقة وان تعاد صياغتها بطريقة تسمح بالتدخل البريطانى بشكل مباشر . ولم يقتنع سالسبرى بهذا الرأي لما يمكن ان يسببه ذلك في هذا الوقت من تعقيدات سياسية لا داعى لها . فلربما كان الوضع الذى يسببه المد العثمانى في المنطقة حرجا وضد سياسة بريطانيا ومصالحها في المنطقة ، ولربما كان من الصدق ان ارتباطات بريطانيا بحكام المنطقة من الشيوخ المهادنين ضعيفا وواهيا لا يعطى لبريطانيا حق الوقوف ضد التوسع التركى ، ولكن محاولة تحسين هذا الوضع بحيازة شريط ساحلى ضيق من الجزيرة العربية ومحاولة الحفاظ عليه عسكريا ليس في صالح بريطانيا ، اذ سيسبب لها ذلك وضعا غير مقنع . وأضاف سالسبرى ان الوضع اكثر احراجا بالنسبة للسياسة البريطانية تجاه مسقط وذلك لأن هنالك عقبة أساسية تمنعهم من تعديل وضعها وهى الاعلان الفرنسى البريطانى المشترك في ١٠ مارس ١٨٦٢ م / ١٢٧٨ هـ أما بالنسبة للبحرين فقد رأى سالسبرى ان الأمر معقد وسيقود حتما الى مشاكل مع تركيا وفارس [2] .

ارسلت حكومة الهند الى المقيم في الخليج لكى يعالج الوضع بما يراه مناسبا فأرسل المقيم الكابتن جوثيرى Guthrie قائد اسطول الخليج على السفينة

---

(١) (1.0) Ibid.

(٢) (1.0) Ibid.

ماى فريرى May Frere الى سواحل قطر [1] . وكانت تعليمات جوثيرى ان يوصل خطابين الى شيخى الدوحة والعديد وان يستجلى الأمر ويتجسس ثم يبدى رأيه بعد تقييم الوضع . زار جوثيرى الدوحة وفاوض شيخها ثم رحل عنها الى العديد التى بلغها في ١٨ اكتوبر ١٨٧٦ . ووصف جوثيرى العديد بأنها منطقة موحشة مجدبة بائسة فقيرة تضم حوالى مائتى اسرة وتملك نحو ثلاثين مركبا للصيد . وقال جوثيرى ان بطى بن خادم كان يرفع علم الساحل المهادن في تلك الفترة ولكنه كان يدفع الجزية للعثمانيين عن طريق قاسم آل ثانى ، وعرف جوثيرى من بطى بن خادم انه ليس في العديد اى موظف عثمانى « فهم اناس عقلاء رحلوا عن المنطقة ، فمياهها مرة » [2] ولما عرف بريـدو ان الاتراك لا يقيمون بالعديد نصح حكومة الهند بأن تفوضه محاولة الصلح بين بطى وزايد بواسطة الوكيل « الوطنى » . أما اذا فشلت مساعى الوكيل « الوطنى » فعلى الحكومة ان تساعد زايدا في حملة عسكرية ليرد بها الشيخ . ووافق ليتون على رأى بريـدو في مايو سنة ١٨٧٧ [3] .

وفي يونيو ١٨٧٧ مهد سالسبرى للحملة على العديد بأن ارسل الى ليارد H. Leyard سفيره في القسطنطينية ليلفت نظر الباب العالى (بشدة وحزم) الى ان البريطانيين لن يسمحوا باضطراب الأمن في الخليج الذى يسببه (القراصنة) الذين يعملون من الموانيء التركية أو من القبائل التي تدين بالولاء لتركيا . وقد سلم ليارد الرسالة الى صفت باشا Safvet وزير الخارجية العثمانى الذى رد بعد ايام بأنه قد تحرى في الأمر من والى البصرة ولم يجد أساسا لشكوى بريطانيا فالأمن على سواحل ولايته مستتب [4] .

---

(١) (1.0) Same Series and Vol., Memo. by Prideaux.

(٢) (1.0) Same Series, Vol., 12, Gulf vie to Prideaux 23 oct. 1876.

(٣) (1.0) Same Series, Vol., 14, Prideaux to thernton, 3 feb. 1877.

(٤) (1.0) Pol. & Sec. Home Corres. Vol. 20, Safvet Pasha to layard 2 Aug. 1877.

كتب المقيم المساعد في يونيو ١٨٧٧م ايضا الى شيخ ابو ظبي ينهى اليه ان حكومة الهند قررت ارجاع منطقة العديد الى سيادته . وأرسل المقيم الى حكومة الهند لترسل له بارجة حربية كبيرة لتعينه على ارجاع المنطقة لسيادة شيخ ابو ظبي ، واستجابت له حكومة الهند فأرسلت في مارس ١٨٧٨ م / ١٢٩٧ هـ سفينة الحرب الملكية تِسِر Teaser الى بوشهر . أرسل المقيم بتعليماته الى الوكيل « الوطنى » في الشارقة ليذهب الى زايد بن خليفة ويخبره بحشد اكبر عدد من رجاله ويسير بهم الى جزيرة كافاى Kafai (*) ليلتقى بالمقيم ورجاله في يوم ٢٨ مارس وكان الغرض من هذا الحشد العظيم كما تقول المصادر البريطانية ، ان يعرف بطى ان المقاومة غير ممكنة فيستسلم دون قتال (١) .

غادر روث بوشهر في ٢٥ مارس في طريقه الى كافاى . غير انه للظروف الجوية ولظروف اخرى خارجه عن ارادته ، لم يستطع ان يبلغ العديد الا في ٣٠ مارس ١٨٧٨ م / ١٢٩٥ هـ ، أي بعد يومين من الموعد المضروب آنفا مع الشيخ والوكيل « الوطنى » . ووجد المقيم شيخ أبو ظبي ورجاله والوكيل « الوطنى) في العديد . وعرف المقيم ان شيخ العديد ورجاله قد غادروا المنطقة حين عرفوا بتحرك الشيخ والبريطانيين ، ولما وفد شيخ ابو ظبي العديد وجدها خرابا بعد ان اخذ القبيسات كل ممتلكاتهم ، ودمروا ما تبقى من العشش التى يقيمون فيها . ولم تحدث موقعة بين الجانبين . وعرف المقيم ان شيخ أبو ظبي قد وصل الى كافاى في يوم ٢٦ كما اقتضت التعليمات وانتظر ليوم كامل أبحر بعده الى العديد في مائة مركب وألف رجل واستولى عليها دون قتال ، دمر شيخ ابو ظبي ما تبقى من عشش العديد ، وأصر الشيخ ان تظل العديد خرابا لا يقطنها احد أبدا لأنها لم تكن سابقا من المناطق المأهولة (٢) . وساند المقيم رأى الشيخ

(*) تقع على بعد ١٢ ميلاً الى الشرق من العديد .

(١) (1.0) Pol. & Sec. Lett. and Enclos. From India, Vol. 22 Lytton's Despatch on 22 May 1879 on Turkish Jurisdiction on the Arabian Coast.

(٢) Ibid.

وأقره عليه الا انه اشترط ان يحسن الشيخ معاملة من يثيبون اليه من القبيسات . وقدم شيخ أبو ظبي الى روث تعهدا مكتوبا يتحمل فيه سلوك قبائل بنى ياس القاطنين في المنطقة من خور جنيزه Gheneyza الى خور العديد .

احتجت الحكومة العثمانية على ضرب منطقة خور العديد بعد ان وصلتها برقية من والى البصرة يقول بان العديد التابعة لقطر وهى تحت السيادة العثمانية قد دمرها شيخ ابو ظبي . وأضافت البرقية ان شيخ ابو ظبي قد وصل المنطقة في سبعين مركبا وفي حشد كبير يساعده قائد بريطانى والقنصل البريطانى في بوشهر وان شيخ ابو ظبي قد نهب المنطقـة واستولى على مراكبها ، وأتلف بعض سكانها [1] . ورد نائب الملك على استفسار وزير الدولة لشئون الهند بشأن هذا الاحتجاج التركى بأن العديد تتبع ابو ظبي « ولنا مع ابو ظبي علاقات تعاهدية منذ سنين مضت . ومع اعترافنا بأن الشيخ بطى كان احيانا يرفع العلم التركى ويدعى الحماية العثمانية ، ويدفع جزية للبدع الا ان هذا غير معترف به لدينا ، لأن اعلان الحماية على منطقة تابعة لأبو ظبي هو اعتداء عليها وانتقاص من أرضها . واذا سلمنا بهذا الوضع بالنسبة لشيخ العديد وقبلنا اسباغ الحماية التركية عليه فهنالك شيوخ كثيرون يرون مصلحتهم في مفارقة حكامهم ومفارقة اوامرنا بالتالى » [2] .

وأضافت المذكرة ان المقيم يرى انه « تحت هذه الظروف ومع اخذنا في الاعتبار الموقع الجغرافي للعديد فانه ليس من حق الحكومة التركية ان تفرض طاعتها على مجموعة منشقة على حكامها . فالعديد ، ولأكثر من قرن مضى هى من ممتلكات ابو ظبي يمارس شيخها عليها حقوق السيادة . وقد اعترف له الضباط على السفن البريطانية العاملة في الخليج بهذا الحق » ويسترسل المقيم

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

فيقول « لقد أكدت لكم في السنة الماضية او والى البصرة لم يسمع باسم العديد من قبل ابدا ونحن حين نتجاوز حق شيخ ابو ظبي في السيادة على خور العديد نرى انه ليس من السياسة في شيء ان تكون العديد عثمانية اذ سيكون للعثمانيين دعاوى اخرى على الجزر التى تساحل خور العديد وتتبعه » [١] . وتمضي المذكرة فتقول « لا نريد ابدا ان يتدخل الاتراك لحماية الملاحة في المنطقة التى يسيطرون عليها لما في ذلك من تأثير على الوضع العام لبريطانيا وفارس في المنطقة . ان سياستنا تقتضي ان تبقى السيادة البريطانية على الخليج غير متنازع عليها كما ان الفرس الذين لا يملكون قوة بحرية في الخليج قد يروعهم ان يروا قوة تركية على تلك المياه » [٢] .

كان من رأى ليتون ، نائب الملك في الهند انه ليس للأتراك كفاءة تمكنهم من ادارة الساحل ومحاربة القرصنة ، وان اشتراكهم في حفظ أمن الخليج سيمسك بريطانيا عن ردع مناطق كثيرة في الخليج ، ومن ثم فهو اجراء غير حكيم . كما رأى ليتون ان هنالك اعتبار عظيم « يجب ان لا نحيد عنه ان كنا من ذوى الفطنة والذكاء وهو ان اى محاولة سياسية لتشجيع تركيا للاشتراك في حفظ الأمن على الخليج تعنى اقتسام النفوذ الذى تمارسه في طول الخليج وعرضه . ان الرأى الوحيد الذى اراه هو ان تحتفظ بالاسطول البريطاني عزيز الجانب مهابا على مياه الخليج ، وان أي امر غير هذا غير مرغوب فيه على الاطلاق » [٣] .

وأشار ليتون الى ان « الوقت قد حان لمراجعة هذه الاتفاقات التى تجمع بين بريطانيا وشيوخ الساحل المهادن ، والبحرين ، ومسقط لأن الحكام

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

العرب يعرفون رأينا على صيانة الأمن على الخليج ويستمتعون بفوائده ونتائجه . غير اننا لا نجد في المعاهدات المعقودة بيننا وبينهم شيئاً يدل على ان بريطانيا هي القوة المسيطرة على هذه المنطقة . ان حكومة الهند لا تمارس حاليا اي حقوق سيادة على هؤلاء الشيوخ ولا تديرهم الا فيما يخص أمن الخليج . ونحن كي نكسب صفة دولية معترفاً بها يجب علينا ان ندفع بهؤلاء الشيوخ ليدفعوا لنا مبلغا طفيفا من المال نظير حمايتنا لهم وسنسبغ بهذا شرعية على وضعنا في المنطقة » [1] وجاء في المذكرة ان على البريطانيين « الا يعترفوا بسيطرة الاتراك على اى منطقة بعد البدع ووكرة فمن هنا تبدأ ممتلكات الشيوخ المهادنين ، ويجب ان نضيف ان ضمان أمن منطقة الشيوخ المهادنين برا وبحرا هو من واجبنا كما يجب ان نضمن لهم أمن حدودهم البرية في كل المناطق التى تعرف امتداد سيادتهم عليها ، والا فلربما كان من السهل ان تضغط الحكومة العثمانية على هؤلاء الشيوخ عن طريق داخلية الجزيرة العربية ، وهذا أمر سيعقد الوضع جدا . وسيكون هؤلاء الشيوخ تحت نفوذ سلطتين بريطانية وعثمانية ، وسيرفعون أعلام الساحل المهادن او الاعلام التركية كما يحلو لهم » .

كما أوصى المقيم في الخليج العربى بأن تعاد صياغة الاتفاقات مع هؤلاء الشيوخ لأن الأمير السعودى ، « وهو مسئول تركى » ، يرى بأن البحرين وأبو ظبي ودبي جزءًا من نجد . وأضاف اليهم ان على الحكومة البريطانية ان تتخذ موقفا صارما حيال هذا الأمر [2] .

بريطانيا تقاوم دعوة المهدية في الشارقة :

أرسل الوكيل « الوطنى » في الشارقة في مايو ١٨٨٤ م / ١٣٠١ هـ تقريرا

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

يفيد بأن احد الشيوخ الذين يقطنون الشارقة واسمه حسين بن تميم كان يبشر باسم السيد محمد احمد المهدى السوداني . ونصح الشيخ أهل الشارقة ليسرعوا الى مبايعة المهدى فور وصوله الى مكة . وقد تبنى بعض أهل الشارقة هذه الدعوة . ونجم عن ذلك بعض الاضطراب في المنطقة . ورد المقيم على الوكيل « الوطنى » بأن لا يشغل نفسه بأمر الداعية كثيرا فالأمر جد بعيد ، ولكن عليه ان يحذر شيخ الشارقة بأنه سوف يكون مسئولا عن أي حادث ينجم عن هذا الاضطراب ضد الرعايا البريطانيين (١) .

بريطانيا تقاوم المد الفارسي على أرض الساحل المهادن :

حاول الفرس في النصف الثانى من عام ١٨٧٧ ان يتدخلوا في سياسة الساحل المهادن . وكان أمين سر السلطان هو قائد هذا الاتجاه لدى الحكومة الفارسية ومتبنيه . وقد وجد هذا الاتجاه قبولا لدى الحاج احمد خان نائب حاكم بوشهر، وتحمسا من ملك التجار (*) احد اثرياء بوشهر ، الذى كان يسيطر على الموانىء الفارسية ودخل جماركها في ذلك الوقت . عرف روث Ross المقيم في الخليج حينذاك ان الحاج احمد خان يزمع زيارة ابو ظبي وبعض مشيخات الساحل العمانى وقد حجز له مكانا على الباخرة كاديت Caddet التابعة للشركة التجارية لبومباى والخليج . وأدرك روث خطورة هذه الرحلة ونبذ ان يكون الغرض من ورائها ، كما هو معلن ، زيارة مجاملة للأصدقاء في تلك الأرجاء .

أوفد روث نائبه الأول على السفينة لورنس Lawrence الى أبو ظبي

(١) L/P & S/20/C. 248 D. Precis of Correspondence Regarding the Trucial chiefs p. 68.

(*) انظر الفصل الحادى عشر .

لتراقب تحركات الحاج احمد وتحصى سكناته وتحاول ان تثنيه عن عزمه بعد التيقن من أهداف رحلته ، ووصل الحاج أحمد أبو ظبي مرتديا زيه الرسمي ومكث اياما مع شيخ أبو ظبي في ضيافته . وأخذ الحاج احمد على شيخ ابو ظبي عهدا بألا يطلع البريطانيين على ماهية محادثاتهما ولا عن نتائجها . وقد برّ شيخ ابو ظبي بوعده غير انه قد أسرّ لسيد مسقط بها فانكشفت بالتالى للبريطانيين . كان الحاج احمد كما عرف البريطانيون فيما بعد يحاول ان يحث شيخ ابو ظبي لتوطيد العلاقات السياسية بين منطقة فارس ودول الساحل العمانى وذلك بغرض مناهضة النفوذ البريطانى في منطقة الخليج [1] .

ارسل المقيم الى حكومة الهند بأنه يرى ان يقاوم النفوذ الفارسى في المنطقة بفرض قيود اتفاقات جديدة على شيوخ الساحل المهادن . واقترح المقيم ان تقضى تلك الاتفاقات بمنع شيوخ الساحل المهادن من التعامل مع ممثلى الدول او ايجاد نوع من الصلات مع اى قوة اجنبية ويمنع الشيوخ من ان يتصرفوا في اى قطعة من اراضيهم الى وكلاء اى حكومة بغرض السكن في المنطقة .

وقبل ان ترد حكومة الهند على اقتراح مقيمها في الخليج قام الحاج احمد خان مع شيخ قشم وعدد من اتباعها ومعهم أعلام فارسية وقصدوا الساحل المهادن على مركب من المراكب الوطنية . نزل الحاج أحمد في يناير١٨٨٨م ضيفا على شيخ ام القوين وقد سبب نزول البعثة الفارسية بعض الاضطراب في المنطقة فاضطر الحاج احمد للتصريح بأن زيارته شخصية لا دخل لها بمجريات السياسة . لم يكن هدف زيارة الحاج احمد سرا بالنسبة للمقيم واتباعه . فأرسل المقيم السفينة اوسبرى Osprey وأمرها بأن تجوب الساحل لاستعراض القوى ، كما قام القائم بالأعمال البريطانى في طهران بالتحرى عن طبيعة سفارة الحاج أحمد . ونفى وزير الخارجية الفارسى كل علم له بمهمة

---

(١) Ibid, p. 67.

الحاج أحمد ووعد بأنه سيوبخه على سلوكه حال عودته . وقد تقاعس الشيوخ عن دعوة الحاج احمد خوفا من اوسبرىوخشية من عدم مساندة الحكومة الفارسية التى انكرت بعثة الحاج احمد . ولما لم يجد المندوب الفارسي استجابة رجع الى بندر عباس وقد عرف المقيم بعد ذلك ان الحكومة الفارسية قد أعطت الحاج احمد « سيف شرف » تقديرا لخدماته وذلك بأمر من رئيس الوزراء الفارسى [١] .

تعهد ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨م :

قام روث الى الساحل المهادن ومعه صيغة اتفاق يريد فرضه على شيوخ الساحل حتى يقطع على كل القوى كل أمل في حيازة المنطقة او اقامة علاقة بها وحتى يفصل هذا الساحل فصلا تاما عن كل منطقة في العالم ليبقى جسرا لحماية تجارة بريطانيا على الخليج . ووقع على هذا التعهد شيوخ ابو ظبي ورأس الخيمة وعجمان وأم القوين والشارقة ودبي كل في تاريخ يختلف عن الآخر . ولعل أبرز ما جاء في هذا التعهد [٢] :

أ ـــ أن الشيوخ لن يقيموا أى علاقات الا مع الحكومة البريطانية .

ب ـــ سوف لن يسمح الشيوخ المعنيون لوكيل أية دولة ان يسكن في مناطقهم الا بموافقة الحكومة البريطانية .

وأرسل روث صيغة الاتفاق الى حكومة الهند التى ارسلته بدورها الى الحكومة البريطانية . بموجب خطابها رقم ٦٢ بتاريخ ٢٤ ابريل ١٨٨٨ م / ١٣٠٥ هـ مشيرة اليه بأنه تأكيد من الشيوخ في منطقة الساحل المهادن لولائهم السياسى لبريطانيا .

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

بريطانيا تقاوم المد الفرنسي :

بدأت المصالح الفرنسية في الخليج العربى منذ ١٦٦٤ حينما نشأت شركة الهند الشرقية الفرنسية (*) كما سبق ان ذكرنا وكان لها وكالة في عباس . وقد تطورت علاقات فرنسا بمسقط حتى تمكنت من ان تعقد معها في ١٨٤٤ اتفاقا ضمن للفرنسيين حرية البيع والشراء كما أعطاهم حق استئجار الأرض والمنازل في الأراضى التابعة للسلطان وقد توقفت مشاريع فرنسا فى مسقط حين ضمن الأعلان البريطانى الفرنسى المشترك الصادر في ١٠ مارس ١٨٦٢ استقلال مسقط . غير ان بريطانيا لم تكن عند وعدها فأعلنت حمايتها على زنجبار في ١٤ يونيو ١٨٩٠ وانتهى بذلك منطقيا الاعلان المشترك . وتحركت فرنسا اعتبارا من هذا التاريخ في محاولة تبغى بها مد نفوذها على مسقط ومضايقة النفوذ البريطاني هنالك . وقد أثمر التقارب الفرنسى الروسى عن علاقات فرنسية طموحة في منطقة الخليج .

أما في منطقة الساحل العمانى فقد قاد طليعة المصالح الفرنسية هناك رجل فرنسى اسمه شبـوى Chpuy دأب على زيارة المنطقة منذ ١٨٨٣ . وقد قدم روث لحكومة الهند تقريرا عن تنقلات شبـوى في ١٨٩١ ووصفه بأنه تاجر ومغامر ومتآمر (١) .

وفي عام ١٨٩١ زار شبـوى منطقة الساحل العمانى وكان رفقته ترومى Thromy وهو مغامر فرنسى اخر. تردد شبوى على ام القوين ثلاث مرات في تلك السنة بهدف شراء الصدف . غير ان الوثائق البريطانية تنفى ذلك الهدف الواضح وتقول ان هدفه المستتر هو استدراج شيخ ام القوين للدخول في

(*) انظر الفصل الثاني .

(١) Ibid, p. 69 - 70

علاقات مع فرنسا . وتضيف المصادر البريطانية ان شبوى قد أكثر من هداياه لشيخ ام القوين ، ونشأت بين الرجلين تبعا لذلك علاقة صداقة . وتأثر شيخ أم القوين بما سمع من شبوى عن قوة فرنسا ، وعدم استطاعة البريطانيين التعرض للسفن التى ترفع العلم الفرنسى . وعرف شيخ ام القوين ان هنالك حوالى ثلاثين سفينة لأهل صور تتاجر تحت العلم الفرنسى ولا يستطيع البريطانيون ايقافها وتفتيشها كما يحدث للسفن العربية . منى شبوى شيخ ام القوين كما تقول الوثائق البريطانية ، بالرجوع الى تجارة الرقيق بعد ان اوقفها البريطانيون Status anti quo وقد اقتنع الشيخ اخيرا ليكتب رسالة يحملها هذين الرجلين بغرض اقامة علاقات مع الجمهورية الفرنسية (١) .

اتفاق عام ١٨٩١م (*) :

تساقط الى سمع المقيم بأن شيخ أم القوين قد أعطى قطعة أرض في منطقته الى شبوى ليسكنها فأرسل المقيم خطابا الى حكومة الهند في ٩ اكتوبر ١٨٩١ يردد فيه الخبر ، وقال انه سيتحرى الأمر من الوكيل (الوطنى » في الشارقة . واقترح المقيم في خطابه هذا تعهدا جديدا يشد به الشيوخ في منطقة الساحل العمانى حتى لا يتعاملوا مع اي قوة اخرى . وأضاف المقيم بأن اتفاق ١٨٨٧ غير كاف وانه يقيد هؤلاء الشيوخ فقط ولا يمتد الى خلفائهم ووافقت حكومة الهند بموجب خطابها رقم ١ المؤرخ في ٢٤ نوفمبر ١٨٩١ م / ١٣٠٩ هـ على البنود التى اقترحها المقيم بعد تعديلها . وقد وقع شيوخ ابو ظبي ودبي وعجمان

---

(١) Ibid, p. 70.

(*) (P. R. O.) F. O. 371/16066, Exclusire agreement of Abu Dttabi with the British Gulf dated the 6th Mar. 1892.

انظر كذلك :

Aithsion, C. U., op. cit.
Herrsitiz, J. C., The Middle East and North Africa in World Polities Vol. 1, p. 464.

والشارقة على هذا الاتفاق الذى عرف فيما بعد باسم الاتفاق المانع او الابدى او السرمدى وكانت بنوده تنص على ما يلي : -

أ — ألا يتدخل هؤلاء الشيوخ في علاقات الا مع الدولة البريطانية.
ب —ألا يمنحوا الاذن بالاقامة في مناطقهم لممثلين لأى حكومة اخرى .
جـ —ألا يتنازلوا بيعا او رهنا او هبة او ايجارا بأى صورة من الصور عن اي قطعة ارض من ارضهم لأى اجنبي الا بموافقة الحكومة البريطانية .
د — أن يكون هذا الاتفاق مقيدا لهم ولورثتهم ومن يخلفهم .

وقد وافقت حكومة لندن على هذه الإجراءات بموجب خطابها الصادر عن وزير الدولة لشئون الهند بالرغم ٢٧ - سرى - في ٢٧ يوليو ١٨٩٢ م / ١٣١٠ هـ .

وبهذا الاتفاق تم لبريطانيا مطلق السيطرة في التصرف في مقدرات الساحل المهادن . وظل الاتفاق ورقة رابحة في يد بريطانيا تقامر بها ضد كل الظروف المحلية والدولية المختلفة .

الفصل العاشر

الصراع الدولي في الخليج
وتطور المصالح البريطانية في الساحل العماني

الصراع الدولي في الخليج وتطور المصالح البريطانية في الساحل العماني

(التمهيد ـ التدخل الروسى في الخليج ـ التدخل الفرنسى في الخليج ، مسألة العلم الفرنسى ، مسألة بندر جصه ـ التدخل الالمانى فـي الخليج ، مشاريع خطوط السكك الحديدية في العراق ، النشاط الالمانى يمتد للخليج ـ القوى الأخرى في الخليج ـ تصريح اللورد لاندسون ـ اتفاقية حظر السلاح مع شيوخ الساحل المهادن ـ زيارة اللورد كيرزن الى الساحل المهادن ـ المصالح البريطانية على البر حتى الحرب العالمية الثانية ، الخطوط الجوية ، صناعة الزيت) ..

التمهيد :

مع نهاية القرن التاسع عشر اشتدت المنافسة بين القوى الأوربية على الحياة والاستعمار والتكالب من أجل كسب نفوذ وأراضٍ جديدة وكان التطاحن هو السمة الرئيسية التى ميزت سياسات الدول الأوربية في هذه الفترة .

كان الرأى العام الأوربى على وجه العموم والبريطانى على وجه الخصوص يرى في الاستعمار تجسيدا للروح القيادية لشعوبهم . واقترنت هذه النظرية القومية بظهور امبراطورية المانية فتية غزت بريطانيا في عقر دارها صناعيا واقتصاديا ، منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر [1] . كون البريطانيون لجنة

(١) Wiliam, L. L., The Diplomacy of Imperialism (New york, 1956. 2nd, ed,)

برلمانية في عام ١٨٨٦م للنظر في أمر المنافسة التجارية والصناعية . ولم تجد اللجنة بدا من ان تعترف بان الوقوف في وجه المنافسة الالمانية لا يكون الا باحداث ادارة سياسية جادة في المستعمرات القديمة ، وأحداث مستعمرات جديدة ، وحماية طرقها ومسالكها ذلك لأن التجارة لبريطانيا ضرورة قصوى . اعتمدت بريطانيا على العالم الخارجى وتجارته في غذائها وكسائها ورفاهيتها وكان لزاما على العالم ، ان يتاجر مع بريطانيا العظمى .

بذّت بريطانيا العالم حينذاك في مجال البحر والابحار . حملت السفن البريطانية في كل لحظة خلال عام ١٨٩٥م اكثر من نصف التجارة العالمية . وكان لسفن بريطانيا في تلك الأيام فضل حمل أكثر من ٧٠٠ طن من كل ١٠٠٠ طن تعبر قناة السويس ، وحملت ما تبقى سفن المانيا بنسبة ٩٥ طنًّا ، وفرنسا بنسبة ٦٣ ، وهولنده بنسبة ٤٣ وايطاليا بنسبة ١٩ ، والولايات المتحدة الامريكية بنسبة ٢ طن [١] وحملت ما تبقى من هذه السنة سفن البقية الباقية من دول العالم .

كان للامبراطورية البريطانية مصورات تحدد طرق ملاحتها العالمية وكانت السفن العاملة على كل خط تمثل عدديا بنقاط حمراء فوق هذه المصورات . يبدو المصور بنقطه الحمراء منتشرة في جميع انحاء المعمورة كأنها كرويات دم حمراء تفيض في شرايين العالم لتبعث في بريطانيا الحياة [٢] .

وجدت هذه الامبراطورية نفسها في الخليج العربي أمام تحديات روسية ، وفرنسية ، والمانية وواجهتها جميعا .

---

(١) Morris, J., Pax Britanica p. 52.

(٢) Ibid, p. 51.

التدخل الروسى في الخليج حتى ١٩٠٣م :

بدأت محاولات روسيا لايجاد منفذ لها على الخليج منذ عام ١٨٧٧ ابان الحرب العثمانية الروسية . وتصدت الحكومة البريطانية لتلك المحاولات فأفشلتها حين قام اللورد ديربى Derby محذرا اللورد شفلوف Sevelov السفير الروسى في لندن بأن لا تنتهز روسيا فرصة حروبها مع الدولة العثمانية لتقوم بعمل عدائى ازاء قناة السويس ، او الخليج العربى . وتميزت هذه السنة ايضا بزيارة بعض الضباط الروس العاملين مع الحكومة الفارسية لمناطق اصفهان وشيراز وبوشهر [١] .

أحس البريطانيون المد الروسى حين أسس الروس لهم قنصلية في بغداد عام ١٨٨١ [٢] وبدأت روسيا تتكاتف وفرنسا في خط سياسة عدائية تجاه بريطانيا في الخليج [٣] . ولم تهل بداية القرن العشرين الا وكانت لروسيا مشاريع متعددة في الخليج العربي . واخذت السفن الروسية المدرعة تغشى الخليج منذ عام ١٩٠٠ ، وكانت جلياك Gilyak أولى بوارج روسيا التى زارت الخليج . كانت هذه البارجة ترسو في مياه عدن في رحلة شطر الصين الا انها غيرت اتجاهها وقصدت الى الخليج العربى فدخلته في ٧ فبراير ١٩٠٠ م / ١٣١٧ هـ ورست عند بندر عباس في ١٤ فبراير .

كانت السفينة التجارية البريطانية وادون Waddon تمخر في أثر سفينة الحرب الروسية حاملة لها ٣٠٠ طنا من الفحم . وانتهت فترة استئجار وادون عندما وصلت إلى بندر عباس فأفرغت شحنتها من الفحم في جلياك وتبقى ١٦

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ٣٩١ - ٣٩٧ .

(٢) (P. R. O.) F. O./371/12247. Pol. Res. Bushire to F. O., Govt of India 30 May 1909.

(٣) H. B. A. PP. 67 - 68.

طنا من الفحم لم تسلم إلى جلياك فقرر ربانها ان يستبقى هذه الكمية في بندر عباس ليؤوب اليها مرة اخرى. وتقول المصادر البريطانية ان هذه الكمية من الفحم ضئيلة في كميتها ، وكبيرة في معناها ونتائجها حين تترك في بندر عباس خاصة وان جلياك قد جاءت الخليج بعد ان غيرت خط سيرها نتيجة لاتصال « لاسلكى » اجرته مع حكومتها . وتوجس البريطانيون من ان تكون كمية الفحم هذه بداية لجعل بندر عباس محطة تزويد فحم للسفن الروسية .

كانت تعليمات حكومة الهند لسلطات الخليج ان تسبق بارجة حرب بريطانية البارجة الروسية في كل رحلاتها فوق مياه الخليج وتنتظرها في الموانىء التى تقصدها ، ولذلك كانت البارجة بومنى Pomone البريطانية في بندر عباس قبل حلول جلياك بها [١] . وتدخل قائد بومنى في أمر استبقاء الفحم الروسى وأشار على قائد جلياك بأن يستأجر له بعض المراكب الوطنية لتحمل له ما تبقى من فحم وتسير في أثره ، وقبل القائد الروسى ذلك الأمر على مضض . غادرت السفينة جلياك بندر عباس الى بوشهر ، فالكويت فالبصرة ثم غادرت الخليج . وانتهى أمر تلك الزيارة التى ارقت سلطات الهند حين ابرق السفير البريطانى لحكومته ينفى ان للروس فكرة اقامة محطة تزويد في الخليج ، وانهم قد اتصلوا بقائد جلياك ينهون اليه ذلك الأمر [٢] .

في ٨ ديسمبر ١٩٠١ م / ١٣١٩ هـ زارت سفينة الحرب الروسية فارياج Varyge مسقط ، واحتفى ممثل فرنسا بوصولها . وقامت فارياج بعد هذا بزيارات الى بوشهر ولنجه وبندر عباس ثم عادت ادراجها . وفي ٣ ديسمبر ١٩٠٢ زارت السفينة الروسية اسكولد Askold ميناء مسقط ومخرت بعد ذلك الى الكويت ، ولنجه وبندر عباس ثم طفقت قافلة . وتلى هذا زيارة

(١) Lorimer, J. G., G. P. G. p. 328.

(٢) Ibid, p. 329.

باخرتين احداهما روسية والأخرى فرنسية لميناء مسقط وتوجهتا الى بوشهر. والكويت ثم زارتا مسقط في رحلة العودة (١).

سببت هذه الرحلات ازعاجا للدوائر السياسية في وسمنستر وسملا وراحوا يعدون الخطط السياسية والعسكرية لمجابهة الأخطار الروسية المحتملة في الخليج العربي وفي فارس وافغانستان. وكـان جليا في نظر حكومة الهند والحكومة البريطانية من ورائها ان انهيار افغانستان معناه تهديد مباشر لحدود الهند الشمالية الغربية التى تحاد سبهول السند اليانعة. كما ادرك البريطانيون يقينا بأن وقوع اسرة آل قاجار تحت السيطرة الروسية هو تهديد مباشر للنفوذ البريطانى في حوض الخليج العربي.

كانت السياسة البريطانية التقليدية تؤمن بضرورة ابقاء سلسلة من البلدان الممتدة من آسيا الصغرى غربا فإيران فافغانستان ثم التبت والصين شرقا بلادا مستقلة سياسيا بدرجة لا تزيد من ان تشكل سدا مانعا للتقدم الروسى صوب الجنوب (٢). ولهذا استماتت بريطانيا في منع روسيا من ان تمد لها خطا حديديا عبر القزوين الى فارس. فالخليج في نظر البريطانيين بحيرة بريطانية تمتلك فارس بعض اجزاء في شماله، غير ان جنوبه هو للبريطانيين يحكمه المقيم في الخليج الذى هو الملجأ والملاذ لكل الأطراف لأنه مسئول عن صيانة السلام فوق تلك المياه (٣). خشى البريطانيون من ان يمكن هذا الخط (*) المزمع لروسيا،

---

(١) Ibid, PP. 330 - 332.

(٢) محمد على الداود، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية، (القاهرة، ١٩٦٠) ص ١٠.

(٣) Curson, G. N., Persia and the Persian Question, Vol. 2, p. 398.

(*) لمعلومات اوفى عن الخطوط الحديدية لروسيا في منطقة فارس منذ احتلالها التركستان في عام ١٨٦٥، انظر: Ibid, Vol. F. PP. 614 - 638.
كذلك:
Curson, G. N., Russia in Central Asia (London, 1889) PP. 34 - 47.

التى تحتفظ في ذلك الوقت بحوالى ٥٠,٠٠٠ جندى على حدود الأفغان المحادة للهند من ان تضاعف عددعم حين تفكر في غزو الهند . وقد جاء في مذكرة ماكجرج Mac Gerg (الدفاع عن الهند) ان ٦٥ الف روسى يمكنهم اخذ الهند في فترة وجيزة. وقد قدرت المذكرة ان الروس يستطيعون بمساعدة السكك الحديدية من ان يأتوا بالقوة الاضافية لغزو الهند في اسبوع واحد ، ويتولون توزيعها في مدى ثلاثة اسابيع بينما تحتاج حكومة الهند الى اربعة اسابيع على أحسن الفروض لاستقدام جنودها وحشدهم في كراتشى ، واسبوع على الأقل لتوزيعهم . وقد أثبتت تصريحات الجنرال بريجفاسكى Prigiraski وكل من يعرفه يدرك انه ليس صديقا لبريطانيا ، بأن لهذا الخط أهمية قصوى للعسكرية الروسية » [١] . ولهذا جهد البريطانيون على مجابهة المد الروسى [*] .

التدخل الفرنسى في الخليج حتى ١٩٠٣م :

ازداد في التسعينات في القرن التاسع عشر التدخل الفرنسى في الخليج العربى خاصة حين وفد انطوان جوجوير Goguer مسقط في عام ١٨٩٩م. وتصف مصادر الهند [٢] جوجوير بأنه فرنسى نشط قدير يتحدث العربية كأهلها . استقر جوجوير في مسقط تاجرا للأسلحة ولكنه ما لبث ان راسل

---

(١) Ibid, PP. 305 - 308.

(*) هنالك عرض مستفيض لمشروعات الغزو الروسية للهند في :
Ibid, PP. 323 - 329.
راجع كذلك عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ - ١٩٤٧ (الرياض ، ١٤٠٢) ص ٧٧ - ١١٤ .

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. p. 339.

الصحف الفرنسية عن شئون الخليج وكتب مقالات طويلة عن السيطرة البريطانية على الخليج ، كما خص البحرين وشيخها بكثير مما كتب . وظهرت بعض مقالات معادية للسياسة البريطانية في الخليج في بعض صحف مصر وروسيا يظن ان كاتبها هو جوجوير . وخشى سالسبرى من تفاقم النفوذ الفرنسى في مسقط فوجه حكومة الهند بأخذ تعهد على السيد فيصل بأنه سوف لا يتنازل او يؤجر او يرهن أو يعطى بأى صورة من الصور أية قطعة من أرضه لأية حكومة اجنبية الا بموافقة الحكومة البريطانية (١) .

وازداد الاهتمام الفرنسى بالخليج العربى حتى ان الحكومة الفرنسية أقامت لها قنصلية في عام ١٨٩٣ في مسقط جعلت عليها نائب قنصل حتى ١٨٩٦ حيث تولى أمرها قنصل . ولم تستطع بريطانيا ان تعترض على هذا الاجراء الفرنسى رغم ان لها مع السلطان عقدا أبرمته في ١٨٩١ يحرم على السلطان التنازل عن أية قطعة أرض من أملاكه لأية قوة اجنبية او ممثلها . كان لفرنسا معاهدة مع مسقط منذ عام ١٨٤٤ اعطتها حق حرية العمل التجاري بيعا وشراء وحق اقامة الأفراد الفرنسيين واستئجار المساكن لهم في مسقط . ولذلك سكتت بريطانيا على مضض . وزاد في مشاكل بريطانيا ان تولى اوتافي Ottavı أمر القنصلية عند انشائها وهو خبير في المؤامرات السياسية . ولم يكد يمضى وقت طويل حتى استحوذ اوتافى على اهتمام السيد فيصل وزعزع ثقته في البريطانيين . كما قام ذلك الداهية بتعيين الشيخ عبد العزيز مستشار السلطان مترجما له ، وتكشفت لاوتافى بذلك دقائق السياسة البريطانية في مسقط (٢) . تكاثر عدد السفن الحربية والتجارية في الخليج العربى منذ عام ١٨٩٥ ، كما بدأت بعض السفن التجارية الفرنسية تجرى رحلات الى الهند وتأسست في عام ١٨٩٦ شركة فرنسية بحرية
Messageries Maritimes Company

(١) (1.0) Pro. of the Foreign dept. govt. of India. F. O. to 1.0, 24 oc. 1890.

(٢) جمال زكريا ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ص ١٨٢ .

وقامت سفنها برحلات منظمة بين بومباى وسواحل الخليج بأجور مخفضة [١] .

تبلورت المشاكل البريطانية الفرنسية في الخليج في مسألتين ، أولاهما ما عرف بمسألة العلم الفرنسي والأخرى بمسألة بندر جصه .

أ — مسألة العلم الفرنسي :

تتلخص المسألة الأولى في ان السلطات الفرنسية في ابوك ومدغشقر وجزر القمر ، كانت منذ ١٨٦٠ توزع الأعلام الفرنسية لبعض السفن العمانية وتسبغ بذلك حمايتها عليهم ، فلا تستطيع سفن الحرب البريطانية ايقافها ولا تفتيشها . واحتجت بريطانيا في عام ١٨٦٣ على ذلك الاجراء لأنه كما قالت يشجع على الاتجار في الرقيق . ولم تقبل فرنسا الاحتجاج بل زادت في منح الأعلام الفرنسية للسفن العربية خاصة في عام ١٨٦٥م حين قامت السلطات الفرنسية بتوزيع الاعلام الفرنسية على عدد كبير من سفن تجار صور الذين كانوا يناوئون السلطان العداء .

قام المقيم كوكس Cox ومعه السلطان على بارجة حربية الى ميناء صور في يونيو ١٩٠٠م بغرض وضع حد لهذه المسألة وأصدر السلطان نداء للأهالى يقضى بتسليم الأعلام الفرنسية ولم يجد النداء صدى ورجع السلطان في صحبة كوكس الى مسقط وخاطب اوتافى في المسألة ولم ينجل الأمر عن شئ كثير[٢].

ب — مسألة بندر جصه :

تفجرت المسألة الثانية [٤] في فبراير ١٨٩٩ حين علمت الحكومة البريطانية

H. B. A. p. 66.

(٢) راجع : عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، السلام البريطاني ص ٤٦ ـ ٥٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٧ ـ ٤٥ .

ان فرنسا قد استأجرت مخزنا للوقود من سيد مسقط . استغلت فرنسا ظروف الثورة التى نشبت في صور في خريف ١٨٩٨ ضد السلطان وارادت ان تستثمرها في الجهد وبحسن نواياها تجاه السلطان . دفعت فرنسا بالبارجة الحربية سكوربيون Scorpion الى ميناء مسقط ولكنها لم تساهم في اخماد الثورة التى كانت قد اخمدت حين وصلت السفينة (١) .

أقام سيد مسقط للسفينة دربارا أعلن فيه اوتافى ان الحكومة الفرنسية تسعى جاهدة لتوثيق عرى الصداقة بعمان ورد سيد فيصل متحدثا عن نواياه الطيبة تجاه الامة الفرنسية (٢) .

ولم تدرك سلطات الهند مغزى الزيارة الا حين أعلنت الصحافة الفرنسية خبر استئجار فرنسا لبندر جصه . وقام السفير البريطانى في باريس بالتحرى في الأمر وانكر ويكاسيه وزير الخارجية الفرنسية كل علم له بهذا الحادث .

قامت حكومة الهند بمساءلة السيد فيصل فتنصل اولا من الاعتراف ولم يعط جوابا صريحا الا انه حين هدد اعترف به وأعلن انه لا يدرك ان استئجار الفرنسيين لبندر جصه مجافيا لاتفاق ١٨٩١ . أما والأمر كذلك فعلى بريطانيا ان تسعى لدى فرنسا لالغاء الاتفاق (٣) .

اقترح كيرزن ، نائب الملك في الهند ، توجيه انذار للسيد فيصل لسلوكه المعادى للبريطانيين وأقرت وزارة الهند الاقتراح وحولته لنائب الملك لكى يهدد فيصلاً بسحب الاعانات المادية والمعنوية التى يستند عليها ملكه (٤) . وكتب

---

(١) Secret P.O. of the Foreign dept. Govt of India No. 92 Pol. agent Musqat, to Sec. Foreign dept. 11 Oct. 1898.

(٢) Same Series, Same number, Pol. agent Musqat to Sec. Foreign dept. 18 Oct. 1898.

(٣) Same Series, No 182, Saiyid Faisal to Pol. agent Musquat 19 Jan. 1899.

(٤) Same Series, No 166 Sec. of state for India to Viceroy 25 Jan. 1899.

كيرزن الى فيصل معنفا قائلا بأن علاقاته مع بريطانيا لن تستقيم الا اذا جهد السيد فيصل في ان يؤكد عمليا بأنه قد غيّر سلوكه تجاه بريطانيا (١) . ولما وصل هذا التهديد الى المقيم ميد Mede رآه ضعيف اللهجة بصورة قد لا تؤثر على فيصل واقترح على كيرزون ان يوجه لفيصل تحذيرا صريح اللهجة يأمره بنقض ما أبرم مع فرنسا حول بندر جصه . وكان هذا هو عين ما اراده كيرزن الا انه تراجع أمام ضغط سالسبرى الذى كان يرى معالجة هذا الأمر مع فرنسا بالدبلوماسية الهادئة ، فقد تمكن سالسبرى لتوه بعد لأى جهيد من استخلاص فشوده من الفرنسيين ، وكانت محادثاته مع ديكاسيه حول بحر الغزال لا تزال دائرة .

وبالرغم من ذلك فقد قام ميد بانذار فيصل بسحب العقد من الفرنسيين ، وزاد بأن أمر فيصلاً ان يعلن ذلك في دربار يقام بهذه المناسبة (٢) . ورفض فيصل متعللا بأسباب كثيرة ولكنه سرعان ما استكان حين صوبت السفينة البريطانية مدافعها الى قلعة مسقط (٣) .

احتج السفير الفرنسى في لندن على هذا الحادث فطلب سالسبرى من كيرزن ان يعيد النظر في هذا الأمر ، ورأى كيرزن في هذا الطلب تطورا خطيرا في السياسة الهندية ولم يتزحزح عن موقفه .

تعرض ديكاسيه لمساءلة مجلس النواب الفرنسى حول هذا الموضوع ، وخشيت الحكومة البريطانية ان تتفاقم الأزمة السياسية بين البلدين فأصدرت الخارجية البريطانية اعتذارا رسميا أعربت فيه عن « عميق أسفها » عن ما قام

---

(١) Same Series, No 192, Memo. by Viceroy.

(٢) Same Series, No 180 Res. P. G. to Sec. Foreign dept. 18 Feb. 1899.

(٣) Same Series, No 166, Res. P. G. to Sec. foreign dept. Govt. of India, 19 Feb. 1899.

به المقيم ميد واعلنت انها لا تعارض البتة في اقامة فرنسا لمخزن للوقود في مسقط .

وفي المفاوضات التي اعقبت هذا التصريح قبلت بريطانيا ان تقيم فرنسا لها مستودع وقود في اى منطقة من سواحل المكلا . وانتهى الاشكال في ١٨ أغسطس ١٩٠٠ م / ١٣١٨ هـ حين اختارت فرنسا محطتها في المكلا ، وتعهدت بريطانيا ان تقدم للفرنسيين احتياجات سفنهم من الوقود من اى مستودع فحم بريطاني تغشاه السفن البريطانية . كما وافق الطرفان على ان تتقاسم فرنسا مع انجلترا محطة فحم شيدها البريطانيون في مسقط في ١٨٧٧ (١) .

لم تنته بهذا المعارضة الفرنسية للبريطانيين في الخليج . كان للفرنسيين صحيفة باللغة العربية سموها فتح البصائر ثم غيروا اسمها الى مرشد القلوب في عام ١٩٠٢م. وقد وصلت اولى اعداد فتح البصائر الى عدن منذ عام١٩٠٠م كما وصلت منها بعض اعداد الى لنجه وبوشهر ، والبحرين في تلك الفترة . كانت فتح البصائر ومرشد القلوب من بعدها تؤلب العرب على البريطانيين . وكان من أبرز أبوابها التى تندد بالبريطانيين باب (البريطانيون شياطين العصر) (٢) .

استمرت مرشد القلوب في الصدور حتى عام ١٩٠٥م وكانت توزع اعدادها في جزر القمر الفرنسية ، ومدغشقر ومسقط ، والبحرين ، والكويت والبصرة ، وطهران ، وبوشهر ، وبندر عباس ولنجه ودبي . ولم تعرف السلطات البريطانية مكان صدورها في بداية الأمر اذ كانت هذه الاعداد ترد من بيروت وورد عدد منها من طنجة . وأخيرا أبلغ سالم قمرى وهو ابن لاحد

---

(١) Same Series, No 89, Sec. of State for India to Viceroy, 16 May, 1900.

(٢) Lorimer, J. G. op. cit. p. 342.

تجار زنجبار للبريطانيين بانه قد تولى تحريرها في باريس لفترة من الزمن تحت رئاسة المستربيات Piat الموظف في وزارة الخارجية الفرنسية [١] .

التدخل الألماني في الخليج حتى ١٩٠٣م :

جاء الضابط الالماني فوق مولتكه Von Moltke في عام ١٨٣٥م الى الباب العالى وعرض خدماته عليه فعينه الخليفة العثماني . وترقى هذا الضابط في سلك الوظائف العثمانية حتى أصبح في عام ١٨٣٨م مستشارا للقائد التركى الذى كلف بالحملة ضد محمد على فركب مولتكه بضعة آلاف من الأميال في اثناء سفره ومخر تيارات الفرات الخطرة ، كما انه زار ورسم خرائط للكثير من الاماكن التي لم يسبقه اليها اوربى منذ عهد اكسنفون Xenphone . وأثار مولتكه انتباه الالمان الى هذه المناطق وصارت بهذا الدراسات الالمانية عن منطقة العراق الى نشاط . وفي عام ١٨٧٥م زارت بعثة المهندس جوزيف سرنيك للبحث التقنى ارض دجلة والفرات وكتبت عنها وزاد ذلك في مطامع المانيا لاستثمار المنطقة [٢] .

وما ان تولى القيصر وليام الثانى أمر المانيا في عام ١٨٨٨م وزار القسطنطينية في عام ١٨٨٩ وعزل بسمارك في ١٨٩٠ حتى أصبح القيصر رمزا للصداقة الالمانية العثمانية التى استمرت طوال عهده وكان لها أبلغ الأثر في اندفاع الالمان تجاه الشرق . وواكب هذا كله تأسيس عصبة عموم الالمان Alldeutche Verband التى عرفت بنزعاتها التوسعية العارمة [٣] .

---

(١) Ibid, p. 343.

(٢) زكى صالح ، مرجع سبق ذكره ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١٤ - ٢١٧ .

قام الامبراطور وليام وزوجته بزيارة الشرق في اكتوبر ١٨٩٩ م / ١٣١٧ هـ ونزل في ضيافة الباب العالى ، ثم طفق بعد ذلك الى فلسطين حاجا . وفي طريق عودته صرح الامبراطور في دمشق بأنه صديق للمسلمين على اطلاقهم . وأثار هذا التصريح على الامبراطور حفيظة القوى الاستعمارية الأخرى خاصة بريطانيا التى كانت تعتبر نفسها (أكبر امبراطورية اسلامية) وقد مكنت هذه النوايا الحسنة للقيصر من ان يصل في ٢٥ نوفمبر ١٨٩٩ إلى اتفاق تمهيدى يعطى الحق لشركة المانية لاقامة ما عرف بخط حديد برلين بغداد . وقد كتب الكثير من المؤرخين عن هذا الخط وأثره في العلاقات الدولية ولا يسعنا الا ان نبرز أثره على العلاقات الالمانية البريطانية في الفترة ١٨٩٠م وحتى زيارة اللورد كيرزن في ١٩٠٣م للخليج .

مشاريع خطوط السكك الحديدية في العراق :

كان للبريطانيين رغبة جادة ، منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، في ربط البحر الأبيض بالخليج العربى ، وقام الكولونيل جسنى Chesney بمسح شواطىء الفرات . ثم أسس الكابتن لنش Lynch احد اتباع جسنى طريقا للملاحة في نهر الفرات بغرض الاستثمار الاقتصادى . وهدفت شركة لنش الى استعمال نفوذها لمقاومة التوسع المصرى الذى بلغ الشام [1] .

وفي ١٨٤٢ قام وليام بارى Pare وهو احد أصحاب البيوتات الصناعية في بريطانيا بتقديم خطة تهمديةي لمشروع خط حديدي يبدأ عند كاليه ويمر بالقسطنطينية ثم يفارقها حتى كلكتا وينتهى عند بكين . وكان هذا مشروعا طموحا فلم يحقق نجاحا . وفي العام التالي تقدم الاسكندر كامبل Campbell بمشروع آخر لحكومة الهند يقضى في خطته التمهيدية ببداية خط حديدى من

(١) عبدالعزيز سليمان نوار ، المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠ - ١٩١٤ ، دراسة وثائقية للتطورات التي ادت الى احتكار بريطانيا للملاحة في العراق (القاهرة ، ١٩٦٨) ص ٣٨ .

اوستند Ostend مارا بڤينا وبلغراد والقسطنطينية ثم يدلف الى آسيا الصغرى ويستمر الى حلب . ويتابع الخط بعد هذا شاطىء الفرات الى سواحل فارس ومنها الى كراتشي ، وكلكتا . ولم ينجح المشروع . وتعددت المشروعات بعد هذا فمنها مشروع جيمس طومسون الذى قدمه للباب العالى في ١٨٥١م ومشاريع اندرو شسني وغيرهما . وفشلت تلك المشروعات جميعها لأن الحكومات البريطانية كلها كانت تحذر من مغامرة الصرف على الخط وضمان الشركات البريطانية لدى الباب العالى .

لما بدأ الفرنسيون العمل في شق قناة السويس نادى بعض البريطانيون بأن يكون لهم طريق حديدى يأخذهم الى الشرق دون حاجة الى قناة السويس . ونشأت في بريطانيا لجنة برلمانية لتنظر في أمر تشييد سكك حديدية في الشرق تربط بين البحرين الاسود والأبيض والخليج العربى . أوصت اللجنة بتشييد خط يبدأ من سلوفيا ويتجه الى بغداد فالبصرة وينتهى الى الكويت . وأبرزت اللجنة اثار الخط السياسية ومآثره العسكرية وفوائده المادية . وانتهت توصيات اللجنة الى فراغ حين رفضت الحكومة البريطانية ضمان تمويل الخط .

وبعد الحرب الروسية التركية وما كان من أمر اتفاق برلين في عام ١٨٨٨ قدر السلطان عبد الحميد أهمية خطوط السكك الحديدية في نقل الجند ومهماتهم . واهتمت الحكومة بمشروعات عبد الحميد خشية من ان تتمكن الاطماع الروسية من الدولة العثمانية وبدأ جهد مشترك ولكنه لم يتمخض عن شيء اذ قاد الاحتلال البريطانى لمصر في ١٨٨٢ الى فتور العلاقات بين الدولتين (١) .

لم يكن السلطان عبد الحميد يرغب في ان تتولى شركة فرنسية امتياز انشاء الخط وتشغيله لأن الفرنسيين فضلا عن اطماعهم السافرة في الدولة العثمانية كانوا

---

(١) William, L. L. op. cit. PP. 269 - 632.

يديرون البنك العثماني والذى يسيطر على الادارة المالية في تلك الدولة ولم يكن السلطان يريد ان يزيد في امتيازاتهم واستثماراتهم المالية بل ود لو يقضى على تحكم البنك العثمانى في ماليته (١) .

اهتبل الالمان الفرصة وفازوا بالعطاء ، وثارت ضجة سياسية في روسيا وفرنسا ، ونقل السفير الروسى في برلين عن حكومته ان تجانس المصالح الاقتصادية للدولتين الالمانية والعثمانية سيخلق بدوره تجانسا سياسيا يباعد بين المانيا وروسيا . ولم تزد الحكومة الالمانية بأن ردت بأن أهدافها في المنطقة هى تجارية بحتة ولا تسعى لأى استثمار سياسي من وراء ذلك . وضجت الصحافة الروسية وعجت بالمواضيع التى تبرز أثر هذا الخط في تعويق الاقتصاد الروسى ، والتقليل من شأن روسيا السياسى في اواسط آسيا . واتهمت الصحافة الروسية المانيا بأنها تريد ان تغير في الوضع الراهن للمنطقة وذلك أمر لا تقبله السياسة الروسية (٢) .

في لندن كان الشعور متضاربا بين الرضى والرفض ، جادل البعض بأن هذا الخط ينتهى الى بغداد التى تبعد حوالى ٥٠٠ ميل عن الخليج فلا ضرر من انشائه لتفيد بريطانيا من بعض استثماراته .ورأى البعض الآخر ان هذا الخط سيأخذ النفوذ الالمانى خطوة في طريق ينتهى عند الخليج . وكان هؤلاء على صواب اذ ظهرت اطماع المانيا سافرة منذ الوهلة الأولى حيث ارسلت في عام ١٨٩٩م باخرتها اركونا Arcona لزيارة الخليج ، وقامت بمسح استطلاعى صاحبه شيء من الدعاية . وخشى كيرزن من مغبة هذه الحركات ، واتصل ، بعد اقتناع لندن ، بشيخ الكويت واخذ عليه عهدا بأن لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر او يتنازل عن جزء من أرضه الا بموافقة الحكومة البريطانية (٣) .

---

(١) Ibid. PP. 632 - 634.

(٢) Ibid. PP. 641 - 643.

(٣) Lewis, E., The German Road to the East (London, 1916) ,PP. 79 - 81.

النشاط الالماني يمتد للخليج :

وفي عام ١٩٠٠ وفدت شركة روبرت ونكهاوس Wonkenhouse الى الخليج واستقر وكلاؤها في لنجه يعملون في شراء الصدف واللؤلؤ . وما لبثت هذه الشركة ان أسست لها فرعا في البحرين في عام١٩٠١م ولكنها لم تصب نجاحا . وبرغم فشل الشركة الواضح في أعمالها التجارية فقد كثرت فروعها وامتدت الى البصرة وبندر عباس ، وبدأت سلطات الخليج البريطانية تتساءل عما اذا كانت نفقات تجارة الصدف واللؤلؤ تغطى نفقات الفروع .

كتب كيرزن نائب الملك في الهند الى حكومته في لندن خطابا بتاريخ ١٨٩٩/٩/٢١ يحذر فيه من ازدياد النشاط الالماني وتكاثره . وما ان حل عام ١٩٠٢ حتى أعلن كيرزن صراحة رأية في خط برلين بغداد واحتمال وصوله الى البصرة فقال ان ذلك الخط سيقضى على التفوق التجاري في المنطقة او في الحقيقة فأن خط سكة حديد بغداد سيقصر طريق الهند كثيرا ولكن بالنسبة لبرلين وليس بالنسبة للندن (١) .

القوى الأخرى في الخليج :

كان هذا هو الوضع الدولى المناهض للنفوذ البريطانى في الخليج العربى في هذه الفترة لخصناه في ايجاز . ولا يفوتنا ان نشير الى ان بلجيكا والولايات المتحدة الامريكية كان لها تأثير طفيف جدا في مسقط . كما كتبت جريدة الأهرام القاهرية مقالا في ١٩٠٢ تهاجم فيه « سلوك البريطانيين وعبيدهم الهنود في مسقط » . وكانت صحيفتا اللواء والمؤيد القاهريتين تهاجمان سياسة البريطانيين في الخليج العربى ، وجدتا في ذلك ربما بدافع عثمانى (٢) . قد

---

(١) Lorimer, J. G., op. cit. PP. 340 - 349.

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. PP. 340 . 349.

جابهت بريطانيا هذا الوضع بعدة اجراءات فأقامت المزيد من سلسلة الاتفاقات لتربط المنطقة اليها واستحدثت معاهدة حظر السلاح التى عقدتها مع شيوخ الساحل العمانى في ١٩٠٢م. كانت زيارة كيرزن (*) الى المنطقة في عام ١٩٠٣ من أهم اجراءات بريطانيا لمعالجة الوضع المتدهور في المنطقة . وقد قام كيرزن بالقاء خطبة سياسية في الشارقة غدت فيما بعد دستورا للسياسة البريطانية في منطقة الساحل المهادن وذلك بعد ان أعلن لاندسون سياسة بلاده في المنطقة منذرا ومحذرا .

تصريح لاندسون **

أعلن الماركيز لاندسون Lonsdowne في مجلس اللوردات في ٥ مايو ١٩٠٣ م / ١٣٢١ هـ سياسة بلاده في الخليج العربي في معرض رده على استفسار مقدم له في هذا الصدد فقال : ان سكة حديد بغداد ستؤثر تأثيرا مباشرا على مصالح البريطانيين في الخليج . وأضاف لاندسون بأن اهتمام البريطانيين بالوضع في الخليج يرجع الى ان للأمة البريطانية تضحيات جسام في الخليج لأنهم لم يبخلوا بأرواحهم ولا بأموالهم لصيانة الأمن فوق مياهه ، « عجّ الخليج بسفن الملاحة الدولية بفضل نفوذ البريطانيين هنالك وعلو سمعتهم وعظم هيبتهم ، وعمق نفوذهم . ولنا ان نفخر بقصب السبق في تطهير تلك المياه من القرصنة وتجارة الرقيق . ونحن حين نستشعر عمق المنافسة الدولية في الخليج نرى ان هذا هو قدرنا لاننا قادة حضارة . ويجب ان نقول ببساطة متناهية ان سياستنا في تلك المنطقة ترتكز على حماية وتطوير التجارة البريطانية فوق تلك المياه . ونحن بهذا لا نحظر التجارة المشروعة للقوى الأخرى ولكننا نقولها صريحة بأننا لن نسمح باقامة اى ميناء محصن او قاعدة لاسطول اجنبى

(*) نائب الملك في الهند .

(**) وزير الخارجية .

على ساحلى الخليج لأن اى عمل كهذا يحمل في طياته تهديدا خطيرا للمصالح البريطانية وسنقاومه بكل الوسائل المتاحة لنا » [١] .

وبهذا رسم لانسدون وزير الخارجية البريطانية السياسية التى عملت الدبلوماسية والعسكرية البريطانية على وضعها موضع التنفيذ .

اتفاقية حظر السلاح ١٩٠٢ م /شعبان ١٣٢٠ مع شيوخ الساحل المهادن :

كانت تجارة الاسلحة والذخيرة في الثمانينات في القرن التاسع عشر يتولاها بيت او اثنان من بيوت التجارة الوطنية في فارس. كما تكونت في ١٨٨٧ شركة بريطانية فارسية للاتجار في السلاح ، وأنشأت لها فرعا في بوشهر [٢] .

ازدهرت تجارة السلاح في المنطقة منذ عام ١٨٩٠ حين وردت الى الخليج كميات كبيرة من الذخيرة والعتاد بعد ان منع مؤتمر برلين السلاح عن افريقيا . وقامت سفن الحرب الأوربية تحاصر الساحل الأفريقى حتى لا تصله الأسلحة . وانحازت التجارة بعد ذلك الى زنجبار ثم وجدت طريقهـا هنالك الى الخليج العربى . وأصبحت مسقط سوقا من أكبر أسواق السلاح في الشرق الأوسط . وردت الى مسقط في عام ١٨٩٥/١٨٩٦م كميات من البنادق قدرت بـ ٤٫٣٥٠ بندقية ، وفي عام ١٨٩٦/ ١٨٩٧م ما يقدر بعشرين الف بندقية وفي عام ١٨٩٨ وردت الى بوشهر ما يقدر بثلاثين الف بندقية وكانت أغلب هذه البنادق صناعة بريطانية [٣] [*] .

---

(١) (P. R. O.) F. O./371/13070 Extract from the Residency of Bushire.

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. p. 316.

(٣) Ibid.

(*) جاء في Frazer, D., Persia and Turkey in Revolt (Edinburgh, 1906) p. 260 ان اغلب الأسلحة المهربة للخليج هي من صنع برمنجهام وأنها تأتى في سفن بريطانية ويرى ان محاربة التجارة بسفن الحرب البريطانية غير مجد ، « علينا ان نوقفها من منبعها من بريطانيا . ان تجارة السلاح مربحة جدا ولذلك فهي مبرمجة منظمة يتعذر ايقافها » .

صارت منطقة الخليج سوقا لقبائل افغانستان والمناطق الشمالية الغربية من الحدود الهندية يستعملونها في حروبهم القبلية وفي مقاومة السلطة المحلية الموالية للبريطانيين في المنطقة . وقد ظهر هذا جليا منذ عام ١٨٩١ . وازدادت كمية العتاد في هذه المنطقة منذ عام ١٩٠٠ زيادة جعلت من المتعذر على البريطانيين ادارة مناطق الحدود في الهند . استطاعت حكومة الهند بموجب معاهدة مع سلطان مسقط ان تمنع تجارة السلاح في جوادر Gwadar منذ عام ١٨٩١ (١) . كما حددت حكومة الهند في ذات العام مع شاه فارس اتفاق ١٨٨١ الذى ينظم الاتجار في السلاح . وعقدت حكومة الهند مع سلطان مسقط عقدا آخر يحظر على سفنه الاتجار في الأسلحة في ١٣ يناير ١٨٩٨ م / ١٣١٥ هـ كما قامت بعقد عقد مماثل مع فارس في ١٨ ديسمبر في نفس العام . وعقدت بريطانيا بعد هذا عقدا في ٢٠ نوفمبر ١٩٠٢ م / ١٣٢٠ هـ مع شيوخ الساحل المهادن تمنعهم من الاتجار في الاسلحة . وفي ١٧ اكتوبر ١٩٠٣ م / ١٣٢١ هـ قامت حكومة الهند بعقد تعهد ثالث مع سيد مسقط واتبعت ذلك بتعهدات مماثلة مع فارس والكويت حتى انتظم الساحل كله عقد من المعاهدات المانعة لم تستثن منه الا قطر (٢) .

ولعلنا نلاحظ ان معاهدة منع السلاح التى عقدتها حكومة الهند مع شيوخ الساحل المهادن تختلف عن مثيلاتها التى عقدت مع مسقط وفارس . قضت بريطانيا في معاهداتها مع مسقط وفارس ان تصادر السفن التى تحمل هوية اى من الحكومتين حين تتجر بالسلاح لصالح تلك الحكومتين . أما معاهدتهم مع شيوخ الساحل المهادن فقد قضت بمصادرة السفن وما عليها لصالح الحكومة البريطانية . وقد حدث ان وقع بعض شيوخ الساحل على كميات قليلة من

(١) Lorimer, J. G., G. P. G. p. 303.

(٢) Ibid, p. 390.

الأسلحة في بعض القوارب التابعة لرعاياهم فأوصى المقيم بأن تترك هذه الكميات لهم طعما لكى يجتهدوا في اصطياد السفن التى تحمل السلاح أبدا [(١)] . كما وجد البريطانيون ان تكاليف الملاحقة والتفتيش التى تتطلبها منع التجارة في السلاح باهظة فلم يأبهوا لشروطهم مع فارس وعمان وصارت سفنهم تستولى على كميات الأسلحة ولا تعطيها للدولتين المعنيتين بحسب منطوق الاتفاق . وقد وجه نائب الملك في الهند مقيمه في الخليج بأن لا ينظر الى تلك الاتفاقات نظرة تقليدية ويفسرها حرفيا انما ينظر في كل حالة على حدة ويعالجها بما يتفق وظروفها [(٢)] . ولعل في هذا ما فيه من ان البريطانيين لم يكونوا ليحترموا نصوص اتفاقاتهم الا اذا عادت عليهم بنفع ما .

ازدادت تجارة السلاح في السنوات ١٩٠٧/١٩١٠ رغم الملاحقة البريطانية ، وكانت بعض السفن العمانية التى ترفع العلم الفرنسى تتجر بالسلاح بحرية لم يقلل منها الوفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا .

ادخلت تجارة السلاح خلال هذه السنوات تعقيدات خطرة على الوضع السياسى والعكسرى في افغانستان وعلى الحدود الشمالية الغربية للهند . واعترفت مذكرة من وزارة الهند بأن « وجود تلك الأعداد الكبيرة من الأسلحة في افغانستان سيزيد في متاعبنا اذا دخل حاكمها معنا في عداء ، او حدثت بها ثورة داخلية وسيتعقد أمرنا جدا اذا وجدت تلك الأسلحة طريقها الى الثوار في الهند » [(٣)] .

لم تثبت الوثائق ان شيوخ الساحل المهادن ورعاياهم كانوا يتاجرون في السلاح ، غير ان تجار السلاح كانوا يستغلون الخلجان الشمالية من ساحل

---

(١) (1.0) L/P & S/10/113 Arms Traffic, Persian Gulf blockade.

(٢) Loc. cit.

(٣) Ibid.

الباطنة لتختبىء فيها الدوات التى تبحر بالسلاح عن انظار السفن البريطانية . واستطاعت السفن البريطانية ان تلقى القبض على بعض تجار السلاح في تلك المنطقة . ولعل هذا هو السبب الذى جعل حكومة الهند تدخل هؤلاء الشيوخ في معاهدات حظر الأسلحة (١) . كما أفاد منع هذه التجارة البريطانيين لانه قضى على آخر أمل للمقاومة الوطنية للبريطانيين في المنطقة .

زيارة اللورد كيرزن الى ساحل الجهاد البحري :

كان كيرزن Curson استعماريا من طراز فريد يرى في بريطانيا دولة فاضلة لانها تعهدت بحكم هذه الملايين من البشر في الهند ، ودفعت من أجل تلك الغاية مالها ، وبذلت جهدها ، وأراقت دماء ابنائها . ويرى كيرزن انه من حق بريطانيا ان تنتظر عائدا شرعيا من وراء ذلك .

يقول كيرزن انه من المغالطات الكبرى ان ينتظر ساسة الهنود وعامتهم من بريطانيا ان ترعى مصالحهم دون مصالحها لأنهم بذلك يتناسون ان هنالك شركة وأن بريطانيا هى الشريك الأكبر . فاذا تناقضت مصالح الشريكين فان مصالح الشريك الأقوى هى التى يجب ان تسود (٢) .

نذر اللورد كيرزن نفسه لعمل واحد وهدف محدد وهو ان تبقى الهند منيعة من الداخل حصينة من الخارج . تصدى كيرزن ليبعد عن حدود الهند كل طارىء قد يستفحل امره ، ورأى ان ذلك واجب على كل الرجال العاملين في الامبراطورية ، لأن الامبراطورية هى واقع وحقيقة سياسية وتاريخية واجتماعية كبرى ، وسيحدث التاريخ عن انها خيرة لانها ضمت - كما يقول - الملايين من البشر في توافق وانسجام (٣) .

---

(١) Ibid.

(٢) Karkaria, R. F. Lord Curson's Farwell to India (London, 1907) p. 4.

(٣) Curson, G. N. Subjects of the Day (London, 1915) p. 5.

كان كيرزن يكره مشاريع روسيا في فارس لأن أهداف السياسة الروسية هى وضع نهاية لامبراطورية بريطانيا ، درة التاج . ويستطرد كيرزن فيقول انه لا يرى هدفا غير هذا في نظام حكومة لا يقوم على الديمقراطية او التخطيط . ان الحكومة الروسية تتحرك بأمر جنرالات لا ضابط لحركتهم الا القيصر الذى يوجه السياسة القومية لبلاده ويصبغها بفرديته . ويرى كيرزن ان روسيا تحارب المدنية لانها حيث يكون العمل محتاجا لعبقرية سياسى تجعله لمزاج عسكرى يتحكم فيه بما يرى [١] .

كان كيرزن يعتقد ان فارس يجب ان تستمر كأمة لها ذاتها وشخصيتها ، وان للشعب البريطانى هدفاً واحداً وهو « اقامة حكومة فارسية قوية تحمى مصالحنا وتزود عن حدودنا » ! . وأضاف كيرزن بأنه يريد ان يشعر المسلمون في كل أقطارهم وأمصارهم بأن بريطانيا هى أحب أصدقائهم اليهم [٢] .

هذه نبذة موجزة عن شخصية كيرزن نائب الملك في الهند الذى زار الخليج في نوفمبر من عام ١٩٠٣ . أصطحب كيرزن معه حشدا من السفن الحربية لبريطانيا يقودها الادميرال جاتكنسون ويليس Welles القائد الأعلى للأسطول في المنطقة . جاء كيرزن الى الخليج ليواجه بنفسه التحديات فيه ، فوصل الى مسقط وقضى بها يوما وغادرها الى اعالى الخليج فبلغ الشارقة في ٢١ نوفمبر ١٩٠٣ [٣] ، وبدأ « الدربار » ظهر ذلك اليوم [*] .

قامت الباخرة باتريك ستيوارت Patrick Stuart بزيارة كل

---

(١) Curson, G. N. Russia in Central Asia PP. 314 - 315.

(٢) Curson, G. N. Subjects of the Day. PP. 198 - 199.

(٣) Curson, G. N. Lord Curson In India (London, 1906) PP. 501 - 503.

(*) زار كيرزن الخليج في ١٨٩١ للمرة الأولى وتجول في الكثير من مناطق فارس ونشر عنها كتابين انظر : Marlowe, J. op. cit. p. 31.

موانىء مشيخات الساحل المهادن وجمعت شيوخ أبو ظبي والشارقة وعجمان ودبي والابن الأكبر لشيخ ام القوين ، وأتت بهم الى كيرزن على ارجونات Argonaut . والقى فيهم كيرزن خطبة وصفها في رسائله للندن بأنها زبدة تاريخ بريطانيا على مياه الخليج (١) . وقد غدت خطبته (**) أساسا قويا سارت عليها السياسة البريطانية في الخليج حتى منتصف الثلاثينات من هذا القرن . وتتلخص خطبة كيرزن (٢) في : -

أ ـــ أن للحكومة البريطانية اتفاقات مع الشيوخ صارت بها حامية للسلم القبلي وأضحت بها بريطانيا « سيدكم الأعلى وحاميكم ولا علاقات لكم بغيرها » .

ب ـــأن الحكومة البريطانية قد دفعت ثمن هذا السلم من مالها ودمها ومن ثم فهي لا تفرط في قرن من الكفاح الباهظ ثمنه . ولن تسمح للشيوخ ان يعكروا صفو الأمن بحرا ولا برا ، لأن ذلك يشكل خرقا لالتزامات الاتفاقيات . وأشار كيرزن الى احداث الفجيرة وأبدى رغبته في ان يحل الأمن محل الاضطراب .

جـ اذا حدثت مشاكل داخلية فسيجد الشيوخ في شخص المقيم البريطاني صديقا ومرشدا يستعمل نفوذه كما فعل في الماضي ليشجب الاضطرابات ويثبت الوضع الراهن .

---

(١) Precis of the Gulf Correspodana. p. 73.

(**) انظر الملحق رقم (١٢) .

(٢) المعاهدات البحارية فيما بين الدولة البهية البريطانية ومشايخ المتصالحين .

(1.0) L/P & S/7/195.

د ــ إن الحكومة البريطانية لا تتدخل في أمر الشيوخ ما قام الشيوخ بحكم رعاياهم بالعدل ، وما احترموا حقوق الرعايا البريطانيين المقيمين في المنطقة .

وانزاح كيرزن من المنطقة الى مناطق اخرى في الخليج العربى يستقرىء التاريخ بطريقته الفريدة حيث أعلن في بوشهر ان تاريخ البريطانيين في الخليج لا يضارعه تاريخ أمة اخرى على هذه السواحل وهو « جزء من فصل ننظر له بإعزاز ويفرض علينا التزامات لا نستطيع ان نتجاهلها » [١] .

رجع كيرزن الى الهند بعد رحلة تركت تأثيرها على منطقة الخليج وبقيت بصماتها تشكل سياسته لفترة طويلة ، وقد انتقلت بعض اخبار هذه الرحلة الى صحف باريس التى انتقدتها نقدا لاذعا ، كما كتبت الأهرام القاهرية تشجب أهداف الرحلة الاستعمارية [٢] .

شكلت هذه الرحلة التاريخية والقرارات التى نجمت عنها سد امام التحديات الدولية التى لم تصب نجاحا كبيرا حتى كانت الحرب العالمية الأولى ، انسحبت روسيا حين تغير نظامها السياسى في عام ١٩١٧ ، وهزمت المانيا وتوارت تركيا حين ورثها ابن سعود والآخرون في المنطقة ، واستأنس البريطانيون فرنسا . وكان سلوك شيوخ الساحل العمانى خلال الحرب يتسم بروح الصداقة لبريطانيا [٣] . واستمرت خطبة كيرزن أساسا للحكم يطبقها المقيم لحفظ أمن البحر ويتدخل في البر احيانا ليحقق مصلحة لبريطانيا او هدفا . ولم تتغير هذه السياسة الا حين ظهرت لبريطانيا مصالح في البر .

---

(١) Curson, G. N., Lord Curson in India p. 503.

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. p. 340.

(٣) عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ، السلام البريطانى ص ١١٠ ـ ١١٢ .

المصالح البريطانية على البر حتى الحرب العالمية الثانية :

أ ــ الخطوط الجوية :

أدركت الحكومة البريطانية ان تسيير المواصلات الجوية العسكرية منها والمدنية ضرورة قصوى لترابط الامبراطورية . وبدأ الفنيون البريطانيون يخططون لبلوغ هذا الهدف منذ الحرب العالمية الأولى الا ان الأمر قد واكبه الكثير من العقبات فتأخر المشروع .

تمت أول رحلة جوية بين العراق والهند في ديسمبر من عام ١٩١٨ قامت بها طائرة تابعة لسلاح الجو الملكى (R. A. F.) . واستطاعت هذه الطائرة ان تحط بأماكن متعددة في الجزء الجنوبى من فارس اذ لم يحكم الفرس حتى هذا التاريخ قبضتهم على الجنوب . ولم يتطلب أمر السفريات الأولى من فارس اذنا [١] .

وفي عام ١٩١٩ بدأت طلائع رحلات المسافات البعيدة نحو الشرق . واستمرت هذه الرحلات بصورة متقطعة حتى قامت هيئة طيران الهند India air Board بتقديم مذكرة في ١٩٢٦ جاء منها ان موضوع ربط الهند بالعالم الخارجى قد اثير في يونيو عام ١٩١٩ عندما تقدمت وزارة الطيران البريطانية بمشروع ربط القاهرة بكراتشى . وكان هدف المشروع عسكريا بالدرجة الأولى . غير ان وزارة الطيران كانت تدرك أهمية هذا الخط في نقل البريد وتنظيمه . وقد ساعدت حكومة الهند في المشروع جهد طاقتها وتكفلت بتجهيز المطارات والمبانى اللازمة للمشروع في المنطقة الممتدة من كراتشى حتى بوشهر . وكانت النية متجهة عندئذ لقيام رحلة اسبوعية بين القاهرة وبوشهر . ولم تر اللجان المتخصصة ضرورة لهذه الرحلة واقتصر الخط الجوى على المهام

(١) (1.0) L/P & S/18 - B. 414, Air communications in the Persian Gulf. 23 Aug. 1928.

العسكرية واقامت سلطات الطيران العسكرية مخزنا لها في كراتشي . ولم يكن ذلك الخط من الخطوط النشطة للعسكرية البريطانية التي كانت تطير بصورة دائبة بين القاهرة وبغداد . وقد ساعدت الاضطرابات السياسية التي لفت العراق في عام ١٩٢٠ ، الى ارجاء النظر (١) في تشغيل ذلك الخط . أراد البريطانيون ان يخطوا طريقا لطائرتهم فوق الأرض العربية على الساحل الغربي للخليج ويبتعدوا عن الساحل الشرقي . كان الساحل الشرقي ، من ناحية فنية ، أنسب للطائرات واستقبالها من الساحل الغربي ، كما كان أكثر امنا للركاب . وكان هنالك مشاكل عدة تجنب البريطانيون من أجلها استعمال الساحل الشرقي لعل أهمها ان فارس كانت عضوا في هيئة الملاحة الجوية ، وقامت برسم خطوط الطيران الاجنبي في سمائها ، وأصدرت أمرها للطائرات بسلك تلك السبل . وقد سمحت فارس للبريطانيين تحت ضغط شديد بأن تستعمل بعض أماكن نزول على الساحل (٢) .

وفي عام ١٩٢٥ م / ١٣٤٤ هـ تمكن البريطانيون من عقد اتفاق جوى بينهم وفارس وتمتعوا بموجب تلك الاتفاقية بحق المرور البرىء في المجال الجوى الفارسي . كما وعدت فارس بتسهيل كافة المشاكل التي يتطلبها تسيير الخط الجوى البريطاني . وبهذا استطاعت الخطوط الجوية الامبراطورية Imperial Airways من ان تنظم رحلة بين القاهرة وكراتشي مرة كل اسبوعين (٣)

نقضت فارس اتفاق ١٩٢٥ . وفي الحقيقة ، لم يكن عقد ذلك الاتفاق ممكنا لولا الصداقة التي ربطت بين رضاخان ، رئيس وزراء فارس والوزير

(١) Loc. cit.

(٢) Loc. cit.

(٣) Loc. cit.

البريطانى السير بيرس لورين Loraine اذ لم يكن هذا الطريق الجوى يعود على فارس بفائدة ملموسة . وكانت فارس تخشى بالاضافة الى ذلك من ان يزيد الطريق الجوى من حدة التدخل البريطانى في شئونها الداخلية . ولم تكن فارس لترحب بأن يندس الموظفون التابعون لشركة الطيران من البريطانيين في اصقاعها ويخالطون المدنيين . ولم تكن فارس لتستطيع ان تأتى بموظفين من الفرس المدربين لادارة المطارات لأن تلك مسئولية ترفض فارس الاضطلاع بها (١) .

بدأت المفاوضات مرة اخرى بين فارس وبريطانيا وقد استعمل البريطانيون في تلك المباحثات كل وسائل الضغط والترغيب . واسفرت المحاولات اخيرا عن عقد اتفاق يناير ١٩٢٩ م / ١٣٤٧ هـ الذي أعطى الطائرات البريطانية حق التحليق فوق سماء فارس في طرق معلومة كما خولهم الاتفاق الحق في النزول في بوشهر والجاسك والنزول في لنجه في الحالات الاضطرارية . غير ان الطيران الجوى كان في تلك الأيام يحتاج لمطارات لا تبعد عن بعضها البعض اكثر من ٢٠٠ ميلا ومحطات للنزول الاضطرارى في كل ٣٠ ميلا . كما تحتاج الطائرات للوقود في كثير من تلك المطارات خاصة عندما تشتد الرياح المعاكسة في بعض أشهر السنة (٢) .

اتجه البريطانيون للساحل الغربي من الخليج العربى فرحب شيخ (*) الكويت بانشاء مطار ببلاده . أما في الاحساء فقد اعترض ابن سعود في

---

(١) Loc. cit.

(٢) Loc. cit.

(*) ادرك شيخ الكويت اهمية الطيران البريطاني في تثبيت حكمه واستنجد بالطائرات البريطانية في عام ١٩٢٠ ضد الاخوان . قامت طائرات سلاح الجو الملكي البريطانية برمى الاخوان بوابل من المنشورات تحذرهم مغبة الهجوم على الكويت فخشوا واستكانوا ولم يهجموا . انظر : Loc. cit.

سبتمبر ١٩٢٧ م / ١٣٤٦ هـ على تشييد اى مطارات في تلك المنطقة خشية على البريطانيين من بأس العرب في المنطة . رأى هؤلاء العرب الحريصون على استقلالهم قيام مستعمرات خاصة بالطيران البريطانى في الصحراء الجنوبية للعراق . وعارض شيخ قطر في تشييد اى مطارات بأرضه بدعوى انه تابع لابن سعود . ووافق شيخ البحرين (*) على التعاون مع البريطانيين في هذا الشأن . أما في ظهير الساحل فقد عارض شيوخ البوريمى المشروع وكان من رأى السلطات البريطانية في الخليج ان المعارضة ستنتهى حين يبذلون لهم النقود (١) .

أما في الساحل المهادن فقد اراد البريطانيون مطارين حددوا احدهما في رأس الخيمة ومحطتين للنزول الاضطراري ، ولقى البريطانيون من الشيوخ والقبائل معارضة شديدة . وقد رأس الخبراء البريطانيون (٢) ان تلك المعارضة ذات شقين ساحلية ، وداخلية . عرف البريطانيون ان أمر المقاومة الساحلية هين يسير وسيفرضون على الشيوخ المطارات التى يريدون تشييدها حين تدعوهم الحاجة ، « وسيعرف هؤلاء ان صيانة الطريق الجوى سترجع عليهم بفائدة اما التعرض له فسيؤذيهم . اننا ندرك ان ما يقومون به من معارضة حاليا هى بغرض ان تنصرف عن هذا الأمر غير انهم عندما يدركون تصميمنا على انه يجب عليهم ان يتمثلوا فسيمثلوا شاكرين (٣) ، أما المعارضة الداخلية فأمرها جد صعب لانها مرتبطة بأمر ابن سعود الذي تتعارض أهدافه في جمع الزكاة

(*) قامت طائرة من سلاح الجو الملكي في عام ١٩٢٤ بزيارة للبحرين بغرض اظهار النفوذ البريطاني وقد « اخذنا شيخ البحرين في رحلة جوية فوق الجزيرة ، الا اننا لا نأبه لمعارضة شيوخ البحرين فهم تحت الحماية البريطانية وتحت رحمة اي عمل يمكن ان نقوم به من البحر » . انظر : Loc. cit.

(١) Loc. cit.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/17815, Tribal Considerations of the air route.

(٣) Loc. cit.

مع فرض كامل سيادته وسيطرته على القبائل » [١] .. أما في داخلية المنطقة فقد قال الشيخ سالم شيخ بنى قتب انه لا يمانع في استعمال أرضه لنزول الطائرات غير انه يرفض بشدة اقامة أية مؤسسات عسكرية او مدنية او اقامة موظفين بريطانيين بأرضه لأن ذلك سيؤلب عليه ابن سعود وسيحط من سمعته وسط العرب . كما اشترط الشيخ ان لا تستعمل الطائرات التى تحط بأرضه ضد القبائل العربية الأخرى [٢] .

رأى المقيم ان تقوم الحكومة البريطانية باغراء شيوخ القبائل بالمال . ولن يدفع البريطانيون ، كما قدر المقيم اكثر من ٣٠٠٠ روبيه في السنة . كما اوصى المقيم بوجوب حماية شيوخ القبائل الذين يوافقون على التعاون في هذا الصدد ودعمهم ضد الاخطار التى يتعرضون لها من جراء موافقتهم على هذا [٣] .

رفض شيخ رأس الخيمة ان يمنح البريطانيين ارضا يقيمون عليها مطارا كما رفض لفريق المسح ان يتجول في منطقته [٤] . ولم يرض نائب مارشال الجو بذلك [٥] فأرسل الى وزارة الهند بأن تبذل كل المحاولات بالطرق السياسية للتمهيد لانشاء الخط ومطاراته . وذكر نائب المارشال حكومة الهند بأن اللجنة المتفرعة عن لجنة الدفاع عن الامبراطورية قد أوصت بأن تشترى الحكومة رضاء الشيوخ بالمال . وقبلت الحكومة البريطانية التوصية وأحالتها لوزارة الخزانة للتنفيذ . وأضاف نائب المارشال بأن مجلس الطيران يضع أهمية قصوى

---

(١) Loc. cit.

(٢) Loc. cit.

(٣) Loc. cit.

(٤) (P. R. O.) F. O. 371/15278, Air Activities in the Persian Gulf S. N. O. to comm. in chief East India 18th Nov. 1930.

(٥) (P. R. O.) F. O./371/15278, Air Vice Marchal to India office 28 Feb. 1931.

على هذا الطريق الجوى الذى سيستلزم مطارات وأماكن للنزول في الساحل العماني . فهذا الخط سيكون مهما لدعم الهند وسنغافورة والشرق الأقصى عسكريا حين تتطلب الظروف ذلك ، كما ان هذا الخط سيسهل التعاون بين الاسطول والطائرات قليلة المدى Flying boats . وتسترسل المذكرة فتضيف بأن تأخير التنفيذ لن يزيد الوضع الا تعقيدا . واختتم برجاء لوزارة الهند بأن يذكر للشيخ المعنى بأن الحكومة البريطانية لن تحتمل المعارضة ، ويذكره بخطوات القسر التى اتخذتها الحكومة البريطانية عندما عارض هذا الشيخ وضع عوامة لتخزين البترول barge عند مدخل مدينته [١] . غير ان شيخ رأس الخيمة تشدد في موقفه فاتجه البريطانيون الى الشارقة يحاورون شيخها . ورفض شيخ الشارقة كذلك لأنه يخشى التدخل الأجنبى . « قال شيخ الشارقة لوكيل المقيمية حين اجبرناه ليوافق على وضع عوامة تخزين بترول في مدخل مدينته انه يخشى ان تكون هذه العوامة معولاً لشق ارضه تمهيدا لزرع النفوذ البريطانى فوق البر . وقد طمأنه وكيل المقيمية ووعده بانه لن يجبر مستقبلا على أى تنازلات ولن يكون للبريطانيين أى مطامع في أرضه تستوجب تنازلا منه . قد لا يرفض شيخ الشارقة ان يعطينا قطعة أرض لتشييد المطار الا انه سيواجه بمعارضة رجال قبيلته الذين سيتهمونه بأنه ترك مقدرات العرب في أيدى الاجانب وسيستغل منافسوه هذا الأمر ضده . وهنا يكمن خطر ثورة قد تلف الساحل بأثره غير انه يمكن لنا ان نجرد حملة تأديبية » [٢] ، وقد استطاع البريطانيون اقناع الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارقة بعد جهد جهيد [٣] .

---

(١) Loc. cit.

(٢) (P. R. O.) F.O. 371/35790. Memo. Establishment of an Air Route, 3 Nov. 1931.

(٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، دراسة التاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ ، ص ٣١٠ ـ ٣١١ .

ب ـ صناعة الزيت :

بدأ أول استثمار بريطاني للزيت في الخليج العربي في عام ١٨٧٢ حين قام البارون جوليوس دى رويتر Julius de Reuter بالحصول على تصديق من فارس يعطيه حق التعدين واستخراج البترول بها ، ثم قامت ظهران بالغاء الامتياز بعد فترة وجيزة . بدأ رويتر سعيا جديدا لدى الحكومة الفارسية واستطاع بمساندة صديقه ووف (H. D. Woef) الوزير البريطاني في طهران في ان يستخلص في ١٨٨٩ امتيازا آخر للتعدين والتنقيب عن البترول . وكون رويتر بعد هذا شركة ما لبثت ان قعدت عن العمل حين أصابت خسارة قدرها ٩٠٫٠٠٠ جنيها [١] .

دخل الوجيه دارسى D'Arcy هذا المجال بتحريض من صديقه ووف فأرسل دارسى مساعده ماريوتو Marioto الى فارس . واستطاع ان يحصل في ٢٨ مارس ١٩٠١ على امتياز لاستخراج البترول . ولم يشمل هذا الامتياز مديريات فارس كلها انما اقتصر على المناطق الجنوبية فقط واستبعد من عقده مديريات فارس الشمالية الخمس [٢] .

كون دارسى شركة لاستثمار البترول وبدأ العمل في ١٩٠٣ ولكن الشركة عجزت عن الاستثمار لما تطلبه ذلك من مال وفير فعرض دارسى امتيازه للبيع .وتصادف ان قرر قادة الاسطول البريطاني في ١٩٠٣ تغيير اسطولهم العامل بالفحم الى اسطول يعمل بالبترول . وعرفت لجنة الاسطول ان دارسى ينتوى بيع امتيازه فأشاروا عليه بالتريث وأشاروا على شركة بترول بورما البريطانية بالمساعدة ليستمر دارسى في عملياته . وبدأت شركة دارسى بعد هذا

(١) Anderson, J. R. L., East of Seuz, A study of Britains Greatest Enterprise (London, 1969) p. 22.

(٢) Ibid, p. 23.

جهودا مضنية حتى توصلت في يوم ٢٦ مايو ١٩٠٨ م / ١٣٢٦ هـ الى استخراج الزيت في الأرض الفارسية (١) .

تطورت شركة دارسى وتغير اسمها الى شركة البترول البريطانى British Petrolum (٢) وأضاف اكتشاف الزيت في الخليج العربى ابعادا جديدة في نظرة بريطانيا للخليج كما تطلعت دول اخرى وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية الى الخليج .

وعقب الحرب العالمية الأولى تقدمت الشركة الانجليزية الفارسية I. P. C. للحصول على امتيازات النقط في امارات الخليج . وقبل ان يتسنى ذلك لها سارع الميجور هولمز Holmes وحصل على امتيازات عدة من شيوخ البحرين والكويت وكذلك من ابن سعود لصالح الشركة الشرقية والعامة Eastern & Genral Syndicate co. . ولما كانت الحكومة البريطانية تساند شركة النفط الانجليزية الفارسية بحكم مساهمتها فقد ساءها ان تتفوق عليها شركة منافسة لها . دفع هذا بالكولونيل تريفر Trevor المقيم البريطانى في الخليج الى ان يكتب لجميع الذين وقعوا امتيازات مع هذه الشركة بأن الحكومة البريطانية لن توافق على هذه المتيازات التى تخرج عن نصوص اتفاقاتها معهم . وان الشركة الشرقية والعامة ليست من الشركات المعتمدة من قبل الحكومة البريطانية ، كما انها لا تتمتع بخبرة وافية في المجال النفطى ولا بالمركز المالى المحترم الذى تتمتع به شركة النفط الفارسية الانجليزية (٣) .

وفي عام ١٩٢٢ م / ١٣٤٠ هـ قامت الحكومة البريطانية بتوجيه سلطاتها

---

(١) Ibid, PP. 29 - 31.

(٢) Ibid, p. 33.

(٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة .. ص ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

في الخليج الى صيغة عقود امتياز ارتضتها لشيوخ الساحل المهادن . وتنص هذه العقود على انه بموافقة حكومة جلالة الملك اعطى الشيوخ للشركة امتيازا شاملا لاستكشاف البترول وتنقيته وبيعه وكذلك استخراج الغاز الطبيعى ومستخرجات البترول الأخرى وذلك في كل المناطق التى تتبع لهم ولمدة ستين سنة . ولدينا اولى تلك التعهدات موقعة من الشيخ خالد بن احمد شيخ الشارقة في ١٧ فبراير ١٩٢٢ ، ومن شيخ رأس الخيمة في ٢٢ فبراير ١٩٢٢ ، ومن الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي في ٢ مايو ١٩٢٢ . كما ارسل حمدان ابن زايد شيخ ابو ظبي وكذلك شيخ عجمان رسالة تعهد مماثلة في ٤ مايو ورسالة اخرى من شيخ ام القوين في ٨ مايو . وقد ارفقت هذه التعهدات بخطاب موحد الصيغة جاء فيه : « انى اكتب هذه الرسالة بمحض ارادتى لاتعهد لسيادتكم بانه اذا كان ثمة أمل في وجود البترول في الأراضى التابعة لى فلن اعطى امتيازه لأحد من الاجانب اللهم الا للشخص الذى تعينه الحكومة البريطانية السامية .. وهذا ما وجب تقريره » (١) ..

رأت الحكومة البريطانية بعد ان تعهد الشيوخ ان ترجى استخراج البترول الى حين وقد وافقت شركة الزيت الانجليزية الفارسية على ذلك لانه كان اكثر موائمة لأهدافها .

بدأت شركة ستاندرد اويل Standard Oil الأمريكية تتطلع الى التعاقد مع الشيوخ بخصوص البترول . وتنبه البريطانيون لذلك فاتفقت جميع السلطات المعنية في بريطانيا والهند على اعانة الشركة البريطانية للوصول الى تسوية سريعة مع شيخ دبي والشيوخ الآخرين في الساحل لإبعاد شبح مؤامرات الشركات الأمريكية . وتوقفت لذلك مفاوضة الشركة الأمريكية مع

---

(١) جمال زكريا قاسم ، عوامل مؤثرة في تطور الوعى البترولي في منطقة الخليج العربي ، في امكانات دول الخليج العربي في التنمية وفي دعم الاقتصاد العربي (منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٧٥) ص ص١٥٨ - ١٧٦ .

الشيوخ انتظارا لما تتمخض عنه مفاوضات بتروليوم كونسشون المحدودة (*) P. C. L. ووجهت الحكومة البريطانية لحكومة الهند نهيا من ان يصرحوا بأنهم لن يقبلوا شركة استاندرد اويل نظرا لجنسيتها غير البريطانية لأن هذا من شأنه ان يجر الحكومة الأمريكية للتدخل في مصالح هذه الشركة «كما سبق ان حدث في الكويت عام ١٩٣١ عندما قبل لنا بمنتهى الوضوح بأنه اذا منعت تلك الشركة من المنافسة في امتيازات البترول في المنطقة فستضار المصالح البريطانية في المناطق التى يسيطر عليها النفوذ الأمريكى. اما بالنسبة للشيوخ فان مجابهتهم بالصدق واجبة (١). لأننا لن نستطيع ان نقول لهم ان شركة ستاندرداويل قد انسحبت نهائيا. واذا قلنا ذلك فسيكشف امرنا امام الشيوخ الذين تجمع بعضهم ارتباطات ببعض الموظفين العرب العاملين في الشركة الأمريكية». واستقر الرأس على ان يقال للشيوخ ان الحكومة البريطانية حين ادركت سعى استاندرد اويل للحصول على امتياز منهم افادت تلك الشركة بأن شركة بتروليوم كونسشون لها حقوق مسبقة في هذه المنطقة (٢). وقامت الحكومة البريطانية باخطار الشيوخ مرة اخرى بان لا يستقبلوا اى مهندس تابع للشركة الأمريكية.

نجحت مفاوضات الشركة البريطانية مع الشيوخ ووقّع شيوخ دبي والشارقة ورأس الخيمة وكلبا في عام ١٩٣٨ على امتيازات تخول للشركة حق التنقيب عن البترول وتخول لهم ايجارات سنوية، كما وقع الشيخ شخبوط شيخ ابو ظبي على عقد الامتياز في ١١ يناير ١٩٣٩ م / ١٣٥٧ (٣).

(*) تكونت بتروليوم كونسشون في اكتوبر عام ١٩٣٥ وهي فرع من شركة الزيت البريطانية الفارسية، وقد تحولت في عام ١٩٣٦ الى بتروليوم دفلمبمنت تروشيال كوست P. D. T. C.

انظر: Mann, C., op. cit. p. 76.

(١) (P. R. O.) F. O. 371/19975 Activities of the Standard Oil Comp. of California in the Persian Gulf, 17 Nov. 1936.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/19975 Clouson to Ballantyne, 16 dec. 1936.

(٣) Mann, Clearance Abu Dhabi, p. 78.

تطورت مصالح البريطانيين في الساحل العمانى على النحو الذى بيّنا وأصبح لذلك لزاما عليهم ان يطوروا في اسلوب ادارتهم للمنطقة للمحافظة على تلك المصالح النامية .

الفصل الحادي عشر

تدعيم السيطرة البريطانية على الساحل المهادن

تدعيم السيطرة البريطانية على الساحل المهادن

(التمهيد ـ السياسة البريطانية على الساحل بين الحربين ، دربار ١٩٣٣ - المصالح البريطانية في الساحل العماني عند بدء الحرب العالمية الثانية ـ الأساليب التى اتخذتها بريطانيا للمحافظة على معاهداتها بالمنطقة ، القهر ، الترغيب ، زرع الفرقة في المنطقة ، التوحيد ، المحافظة على الجهل والتغاضى عن محاربة المرض ، تولى تصريف العلاقات الخارجية للمنطقـة) ..

اختلفت بعد الحرب العالمية الأولى الدولية في الخليج للمتغيرات التى احدثتها الحرب واضحى الخليج بحيرة بريطانية وهو هدف نذرت له السياسة البريطانية نفسها منذ اكثر من قرن من الزمان . ولئن كان الخليج العربى مهما للطرق التى تقود الى امبراطورية البريطانيين في الهند فقد ازدادت اهميته بعد اكتشاف البترول في جنوب فارس ، وبعد اكتمال الطريق الجوى للهند ، وفرض الانتداب البريطانى على العراق (١) .

السياسة البريطانية على الساحل بين الحربين :

أعلن نائب الملك في الهند في عام ١٩٢٨ بأن السياسة البريطانية التى كبحت القرصنة وتجارة الرقيق والأسلحة لن تحتمل ان ترى خطلا في ذلك

(١) (P. R. O.) F. O. 371/13070. Teg. From Viceroy, Copies cireulated, 23 July. 1928.

الصرح الذي اقامته في اكثر من قرن من الكفاح المرير . أضاف ان الحكومة البريطانية لن تحتمل ان يطغى ابن سعود على نفوذها في منطقة الساحل العمانى المرتبط الى النفوذ البريطانى بمجموعة من المعاهدات ، واختتم بتصريحه بأن الحكومة البريطانية لن تحتمل ان يكون لدولة اخرى أى نفوذ في الخليج يطغى على نفوذها . وأعلن نائب الملك بأن طغيان اى نفوذ اوربى على النفوذ البريطانى سيقود الى « تعقيدات في المسألة الهندية وتعقيدات في دروب تجارتنا وسيحط من سمعتنا جدا » (١) ، ولذلك رأى نائب الملك ان تتبع السلطات البريطانية في الخليج السياسة التى اختطها كيرزن من عدم تدخل أية قوة اخرى في المنطقة ، وشجبت حكومة الهند اقتراحا قدم منذ عام ١٩١٧ لتتحول ادارة المناطق العربية في الخليج الى مقيمية البصرة . « إن خروج هذه المناطق من يد حكومة الهند الى منطقة ما بين النهرين التى سيكون لها ادارة سياسية ستصل بها الى حكومة ذاتية قادرة على الوقوف بنفسها أمر خاطىء ، فعمان والبحرين وغيرهما مرتبطان بالهند سياسية واقتصاديا اكثر من ارتباطهما بما بين النهرين » (٢) .

وفي ١٩ نوفمبر ١٩٢٨ قامت اللجنة المتفرعة من لجنة الدفاع عن الامبراطورية بدراسة الوضع في الساحل المهادن ، وجاء في تقريرها ان موقف البريطانيين على الساحل المتصالح كاف لحماية المصالح البريطانية في هذه المنطقة « ولن نسمح بأي طارىء ليهز من وضعنا في هذه الجهة التى لنا فيها من الاتفاقات والمعاهدات ما يسمح لنا بتثبيت غايات سياستنا » . أوصت هذه اللجنة بأن تسعى بريطانيا لربط المنطقة باتفاقات اخرى تفرض فيها الحماية على

---

(١) (P. R. O.) Same Series and Vol. From Viceroy - Copies Circulited 24 July 1928.

في النص الانجليزي Mesopetamia يقصد العراق .

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/5270.

المنطقة بصورة منتظمة [١] ، غير ان هذه التوصية ، وان لم ترفض ، لم تنفذ . وأوصت اللجنة كذلك بأن تبقى منطقة الساحل المهادن تحت ادارة حكومة الهند ، وأباحت اللجنة للمقيم بالتنسيق مع الضابط الأعلى للطيران في العراق من ان يستعمل طائرات سلاح الجو الملكي في زياراته للمنطقة [٢] .

استمر الوضع على حاله في الساحل العماني كما تركه كيرزن . كان الوكيل « الوطني » ينفذ السياسة البريطانية المرسومة له ، ويرسل تقريرا كل اسبوعين حين تمر عليه باخرة البريد . كما كان الاتصال البرقي بين المقيم والوكيل يتم في حالات الضرورة القصوى برقيا من حجام . وكان المقيم في الخليج يزور المنطقة مرة كل سنة ، وقد يكرر الزيارة مرة اخرى في غضون السنة [٣] . كما كانت سفن الاسطول تزور الساحل بطريقة منتظمة متكررة وقد شجب المقيم مبدأ جعل الوكيل « الوطني » « بريطانيا » . وأشار الى ان السير بيرس كوكس Cox قد ناقش هذا الرأي في عام ١٩١٣ وخلص الى عدم جدواه . وقال المقيم بأن الوكيل الوطني « البريطاني » المقترح سيكون اكثر نفعا في تنفيذ الاهداف السياسية الكبرى لبريطانيا في المنطقة غير ان شيوخ المنطقة حساسين جدا فيما يختص بوجود بريطانيين على البر . وأضاف المقيم ان وجود وكيل « كافر » سيكسب ابن سعود « كارتا » رابحا في الدعاية له وسيستغل الأمر لكسب النفوذ في المنطقة . وقضى المقيم بأن يظل الوضع كما هو ، « فأهداف السياسة البريطانية ، كما يعرف الشيوخ والرعية ، واجبة التنفيذ إلا أننا يمكن ان نقسو جدا على الشيوخ واتباعهم ونحاصرهم بحرا ونصادر قوارب صيد اللؤلؤ . غير ان هذه الاجراءات قد تسوق علينا غضب الرأي العام العالمي ذا

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/13723 Secret. Future Policy on the Trucial Coast, 1929.

(٢) (P. R. O.) F. O. C. A. B./24/214, Report on the Sub - Committe of the Persian Gulf, 18 Mar. 1929.

(٣) (P. R. O.) F. O. 371/13723 Secret. From Resident Persian Gulf to Govt of India, 23 April 1929.

الاتجاهات المناهضة للإمبراطورية البريطانية . كما يمكننا ان نصل الى أهدافنا بإثارة الخلاف القبلي في المنطقة بين الهناوية والغفارية » [(١)] .

دربـــار ١٩٣٣ م / ١٣٥٢ هـ :

وقد طرح المقيم البريطانى في الخليج العربي في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٣ سياسة حكومته في منطقة الساحل العمانى . جعل المقيم تعليمات حكومة الهند أساسا لخطبته التى القاها في الشيوخ الذين تجمعوا في دربار منعقد في دبي في ذلك التاريخ . نصت التعليمات على انه يجب على المقيم ان يضع اتفاق ١٨٩٢ في حسبانه ولا يتجاوزه ليمنى هؤلاء الشيوخ بالآمال « لانه ليس لدينا اى التزام بحمايتهم فنحن لا نستطيع ان نعطى مصالحهم وزنا اكثر مما تقتضيه مصلحتنا » . وقضت التعليمات بأن يقول « ان حكومة جلالته ترعاكم لاكثر من قرن وهى مصممة على الوفاء بالتزاماتها التى دخلت فيها نتيجة للاتفاقات كما يمكن ان تقول لهم باستعدادنا لحماية ملاحتهم رغم ان هذا لن يكون ممكن التطبيق » [(٢)] .

جاء المقيم الى دبي في يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٣٣ على الباخرة شروهام تصحبها تسع مدمرات . وقد شهد الاحتفالات شيوخ الساحل المهادن كلهم الا شيخ رأس الخيمة ، لاعتبارات نفسية خاصة به ، وشيخ دبي الذى تعطلت ماكينة قاربه [(٣)] . القى المقيم خطبته جاء فيها [(٤)] :

---

(١) (P. R. O.) F. O. Loc. cit. From Res. Persian Gulf to foreign govt. of India, 5 sept. 1929.

(٢) (P. R. O.) F. O. 16956, Tel. from Sec. of state to Pol. Res. Persian Gulf, 20 Sept. 1933.

(٣) (P. R. O.) F. O. 371/16953. Cont Diary No. 18 of 1923. Political Agen. Bahrain.

(٤) (P. R. O.) F. O./371/16957. Pol. Res. Persian Gulf to Rotaxandum, London, Repeated Simla.

— « ادعوكم لأقدمكم لرجال البحر البريطانيين الذين لا شك انكم تعرفون اكثرهم ، وكذلك ضابط الطيران في العراق الذي أبى الا ان يشاركنا هذا الحفل » .

— « اقيم هذا الاحتفال لتجديد الصداقة بينكم وبين الحكومة البريطانية ولأذكركم بما قاله لكم نائب الملك في الهند قبل أقل من ثلاثين سنة ، من ان الفوضى كانت تعم الخليج وكان كل رجل هنا ، لصا او قرصانا ، ثم فرضت السفن البريطانية خلال اكثر من قرن من الزمان الأمن في المنطقة ووضعت حدا للاضطرابات . ثم قامت الحكومة البريطانية بعد هذا بعقد سلام أبدى معكم ويمكنكم بعد استثمار جهود الاسطول البريطانى التى دامت لأكثر من قرن ان تتنقلوا في البحر كما تشاءون » .

— « نما سلم قبلى كنتيجة لمعاهدات الحكومة البريطانية معكم وازدهرت علاقات هذه الحكومة معكم وصارت بذلك سيدكم الأعلى . وفي هذا المنطلق فانتم لن تدخلوا في علاقات تفاوض او تعاهد او مراسلات مع أية قوة اخرى لان معاهداتنا بكم تقيدكم بذلك ، وقد التزمتهم بهذا القيد انطلاقا من روح الصداقة » .

كان هذا الغرض الرسمى من هذا الاحتفال أن تنشر هذه الكلمة في الصحافة البريطانية لتكون بمثابة إعلان عن الموقف البريطانى تجاه الساحل العمانى [1] كما انها قد وفت بالطبع ، بما ارادوا لها ان تحدث في نفوس الشيوخ . ولعلنا نلاحظ ان هذه الخطبة كانت امتدادا لسياسة كيرزن . وقد اعترفت حكومة الهند في عام ١٩٣٥ بأن « أساس سياستنا في المنطقة هى خطبة اللورد كيرزن التى القاها في نوفمبر ١٩٠٣ » . ورفضت حكومة الهند مبدأ المساندة الادارية للشيوخ الذى اقترحته وزارة الطيران . وأضافت حكومة الهند ان السياسة البريطانية يمكن ان تفرض بتعهدات جديدة يقدمها الشيوخ ،

(١) Loc. cit.

وسيكون ذلك استمرارا للعلاقة التاريخية معهم . « ولن يحيد الشيوخ عن المعاهدات التي نفرضها عليهم لأنهم يدركون ان اجراء مناسبا سيتخذ ضدهم » [١] . وأعلنت الحكومة في الهند ان السياسة البريطانية تقتضى « تشديد القبضة على هذا الساحل العربي بقدر الاستطاعة . وان تحول المقيم الى الساحل العربي هو جزء من سياسة نقصد بها تحسين علاقتنا مع فارس وتحسين الأداء للمقيم ورفع سمعته ، فوجود المقيمية في الساحل الفارسى للخليج لا يسبب الا الاحتكاك ولا يجلب غير المتاعب » . ورأت حكومة الهند ان تحول المقيمية للساحل العربى أمر لا بد واقع ، عاجلا أم آجلا ، ومن الأنسب لنا « أن ننقلها بأنفسنا بدلا من ان نجبر على نقلها » [٢] . وفي نهاية عام ١٩٣٦ بدا للبريطانيين واضحا ان تزايد مصالحهم الى الساحل تقتضى تزايد التدخل وبدأت المصالح المعنية تدلى برأيها .

المصالح البريطانية في الساحل العمانى عند بدء الحرب العالمية :

وعندما بدأت رياح الحرب العالمية الثانية لم يكن للبريطانيين على البر التابع لمشيخات الساحل المتهادن الا المصالح التالية [٣] :

—مكان نزول اضطرارى في جزيرة ياس لإستعمال سلاح الجو الملكى ، ومخزن تزويد بالوقود .

—مطار لسلاح الجو الملكى ، ومخزن للوقود في أبو ظبي .

—مكان لنزول الطائرات البحرية Seaplanes ومخزن للوقود في دبي .

(P. R. O.) F. O. Covt. of India, Foreign & Per. dept. lo Sec. of state for India, 22 April 1935.

(٢) (P. R. O.) F. O. 372/18911 From Knatchbull - Hugessen to Rendel 26 Seb. 1935.

(٣) (P. R. O.) F. O. 371/21826, Trucial Coast. 1928.

ـــمطار للخطوط الجوية الامبراطورية ، واستراحة محصنة ومخزن للوقود ، ومحطة ارصاد ، ومخزن للذخيرة والقنابل ، في الشارقة .

ـــمكان نزول اضطرارى للخطوط الجوية الامبراطورية ، ومخزن للوقود ، ومطار في كلبا .

ـــمحطة تزويد للطائرات الصغيرة في رأس الخيمة .

ارسل المقيم إلى حكومته خطابا[١] بتاريخ ٨ اغسطس ١٩٣٨ جاء فيه انه في حالة قيام حرب « فانه ليس لنا أي التزامات تفرضها علينا العلاقات التعاهدية في حماية الشيوخ المتهادنين على ساحلهم » . وأضاف المقيم ان مصالح الحكومة البريطانية على بر هذا الساحل جد قليلة اذ لم تتقدم صناعة الزيت تقدما يجعلهم يضعونها في اعتبارهم . ولما لم يبدأ البحث الجاد للبترول بعد فان مهمة الدفاع عن الساحل يجب ان تقتصر على حماية مناطق المطارات والطريق الجوى خاصة في الشارقة ودبي . وأشار المقيم الى ان حماية الشارقة ستقتصر على حماية بيت الضيافة (الاستراحة) وما حولها من مطار ومخازن من تدخل كل قوة اجنبية ، أما المعارضة المحلية فيمكن ان يسيطر البريطانيون عليها ببذل المال . ويشكل الدفاع عن دبي مشكلة كبرى اذ ليس للبريطانيين هنالك مناطق محصنة كما في الشارقة يمكن الدفاع عنها . كما أشار الخطاب باهمال امر الدفاع عن المشيخات الباقية وعدم ضرورة حمايتها .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية بدت التغييرات الادارية في الخليج أشد وضوحا اذ نقل البريطانيون مقرهم من بوشهر على الساحل الايرانى الى البحرين في عام ١٩٤٦ . كما أدى استقلال الهند والباكستان في عام ١٩٤٧ الى الغاء حكومة الهند وأصبحت شئون الخليج تدار من قبل وزارة الخارجية

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/21829, Office of Pol. Res. Camp Bushire 8th Ougust 1938. Secret.

البريطانية [1] . وتم انشاء وكالة سياسية في الشارقة نقلت الى دبي بعد ذلك واعتبرت دبي قاعدة سياسية بريطانية تشرف على منطقة الساحل العمانى برمتها بينما استمرت الشارقة محتفظة بمركزها كقاعدة للخطوط الجوية البريطانية الى الشرق الأقصى بالاضافة الى اتخاذها قاعدة عسكرية وجوية هامة لبريطانيا في منطقة الخليج العربي [2] .

الأساليب التى اتخذتها بريطانيا للمحافظة على معاهداتها بالمنطقة :

حافظت بريطانيا على علاقاتها التعاهدية في منطقة الساحل المهادن بالقهر والقسر والتوبيخ وبذل المال وتوزيع الأنواط واحترام المشاعر الدينية ، وبالتفريق بين القبائل واثارة الخلاف ، وبالتوحيد عندما يتطلب الأمر ذلك ، وبالمحافظة على الجهل والتغاضى عن محاربة المرض . ثم حافظت بريطانيا بعد كل هذا وذاك على معاهداتها بادارة العلاقات الخارجية لأهل الساحل المهادن وظهرت في المنطقة حامية لمصالحهم راعية لشئونهم ولم ينكشف أمرها الا قبيل رحيلها .

القهـــر :

ترجع عمليات القهر في الساحل العمانى منذ بدء العلاقة البريطانية بشيوخ ذلك الساحل . فقد جردت عليهم حملات كثيرة عددناها . وقام البريطانيون بفرض عقوبات مالية كبيرة على الشيوخ كانت أغلب الاحيان أكثر من طاقتهم وعملت بسفنها المسلحة على استخلاصها كاملة او مقسطة . وعمد البريطانيون الى حرق المراكب الوطنية ، وان اعتذر المقيم احيانا بأنه « ضد احراق وسائل

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ ص ٣١٩ .

(٢) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ـ دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ ـ ١٩٧١ ص ١٧٦ .

الانتاج غير ان وهج النار المنبعث من داو محترقة في ليل بهيم سيأخذ خبرها الى كل منطقة في الساحل وسيرتفع بذلك ذكرنا ويهابنا الجميع » (١) . وحين ادخل البريطانيون الطيران الى المنطقة استعملوه في ضرب الوطنيين وقد قاموا بغارة جوية بحرية على دبي في عام ١٩٣٤ مناصرة للشيخ ضد أهله (٢) . كما كان البريطانيون يعزلون الشيوخ وينفون من لا يرغبون في وجوده بالمنطقة (٣) ، بل ان السلطات البريطانية قد فكرت حين وجدت معارضة محلية لمصالحها ان تحتفظ بالمنطقة خالية من السكان بعد ان تدحرهم بقوتها الى داخلية الجزيرة العربية .

الترغيب :

بذل البريطانيون الرسميون بعض المال لتحقيق بعضا من أهدافهم كما قاموا بتوزيع الميداليات (٤) . وجهد البريطانيون قدر طاقتهم للظفر بصداقة الشيخ حتى يقضوا منهم ما يريدون ، وتبادل بعضهم الزيارات الشخصية مع الشيوخ في منازلهم .

كان البريطانيون يقدمون للشيوخ ، قبل ان تثرى المنطقة بعائدات البترول ، هدايا سنوية (٥) ، كما كانوا يتعهدونهم بالرعاية الصحية احيانا حين

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/13009, Pol. Res. to foreign Sec. Simla, 13 Dec. 1927.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/17824, Pol. Res. to foreign Sec. Simla, 16 Nov. 1934.

(٣) Loc. cit.

(٤) (P. R. O.) F. O. 371/18911, Report of Political Agent Bahrain, 30 June 1935.

(٥) (1.0) P. & S/20/240 D., Precis of the Gulf ..... From Capt. Kemballi to Anderson, 22 Sept. 1855.

تزور بعض سفن الأسطول المجهزة بمستشفيات الموانيء التابعة للشيوخ وقد يرسلون بعضهم للاستشفاء في مسقط [١] . ولم تكن روح الصداقة التى ميزت الموظفين البريطانيين في المنطقة نابعة من الصلات الانسانية انما اقتضتها السياسة . وقد شكا الكثير من الضباط من ان زيارة مركب حربى بريطانى الى موانيء هؤلاء الشيوخ هو بمثابة هبة من السماء تحل عليهم . يتوافد الشيوخ الى المركب ليقضوا على الماء المثلج ، والسجائر خاصة ذلك الذى يفضله ضباط البحرية » [٢] .

أرادت بريطانيا ان تستثمر المنطقة ومقدراتها ثم يشكو ضباطها بعد ذلك من ترهات تقضيها العلاقات الانسانية . كان البريطانيون الرسميون يدركون ان أهل ذلك الساحل عامتهم وشيوخهم كانوا من الفقراء . وكان الفقر يجلب للشيوخ المتاعب الأسرية فيغتال الشيوخ ، كما تقول الوثائق البريطانية [٣] اخوانهم وأقاربهم ليظفروا بمنصب المشيخة الذى هو أجلب للثراء من غيره . ورأى البريطانيون عدم التدخل في وقف الاغتيالات ، « لأن هؤلاء ليسوا اوربيين ولا هم نتاج للحضارة الحديثة ولذلك يجب علينا ان نصافح القاتل ونعترف به » . وقد كان اسلوب اغتيال الشيوخ مفيدا بالنسبة للسياسة البريطانية لأن الشيخ القاتل يجب عليه ان يتصل بالمقيم في الخليج معترفا بالاتفاقات المعقودة مع اسلافه [٤] وبهذا يضمن البريطانيون دوام تجدد

---

(١) محمد احمد الشارقي الى القبطان تندى ١٣ ربيع ثانى ١٣٦٣ : R./15/2/020 (1.0)

(٢) (P. R. O.) F. O. 372/18911 Secret Intell. Report of the Pol. Agent of Bahrain, 30 June 1935.

(٣) (P. R. O.) F. O. 372/13723, Future Policy .....

انظر كذلك :

(P. R. O.) F. O. 371/8982. Pol. Res. Persian Gulf to foreign Sec. govt of India.

(٤) (P. R. O.) F. O. 371/8952. Pol Res - Persian Gulf to Foreign Sec. govr. of India.

التذكير بالاتفاقات . غير ان البريطانيين حين ارادوا للساحل ان يستقر لتتفرغ شركاتهم للتنقيب عن البترول ذكّروا الشيوخ « بأن قتل الأهل منافيا للدين ومجافيا للأخلاق ، لا يقره الله ولا نبيه وليس هو من طبيعة الانسان » [١] .

حاول البريطانيون استمالة الشيوخ لأنها أقل تكلفة من معاداتهم وأبلغ تأثيرا في نفسية العربى البدوى الذي يرى الكرم واجبا فلا يستغربه عندما يأتى من البريطانيين . وقد قامت البحرية البريطانية رغبة منها في كسب الشيوخ بتحيتهم عند مغادرتهم لمراكبها بعد زيارتهم باطلاق عدد من طلقات المدافع يتراوح عددها بين خمس طلقات لشيخ أبو ظبي وثلاث طلقات لما عداه [٢] . وقد وضع هذا التقنين موضع التنفيذ منذ بداية القرن العشرين . ولعل في هذا دلالة على ان منطقة بنى ياس قد تسلمت الزعامة في منطقة القواسم التى تسلمتها بدورها في منتصف القرن الثامن عشر من النعيم .

زرع الفرقة في المنطقة :

لعلنا قد اوضحنا سلفا ان عوامل الفرقة في منطقة الساحل العمانى متوفرة . وقد أفاد البريطانيون من هذه العوامل حين تتطلب سياستهم ذلك ولعل في ما سردنا سابقا دليلاً كافيا . وفي هذا القرن اعترف البريطانيون بكلبا مستقلة في عام ١٩٣٦ حين دعتهم الحاجة الى تشييد مطار بها [٣] . وكان نفوذ شيخ الشارقة التى كانت المنطقة تتبعه ضعيفا هنالك وعرف البريطانيون انه لن يفى بحماية منطقة المطار . وانتهى أجل الاتفاقية المعقود مع حاكم كلبا في ٢٧ اغسطس

(١) (1.0) R./15/1/14/27. Succession to the Sheikdom of Abu Ditabe Pol. Res. to Sheike of Ajman, Sharjah, Abu Dhabi Debaye and Res al Khaima

(٢) Lorimer, J. G., op. cit. p. 380.

(٣) (1.0) R./15/4/2. E. No. 0210. Pol. agency, Bahrain to Res. agent Sharigah, 14 June 1941.

١٩٤٨ م / ١٣٦٨ هـ [1] فلم يأبه البريطانيون بعدها لاستقلال كلبا بل ارادوا ان يرجعوها الى الشارقة لانه من الأفضل لشركات البترول ان تفاوض أقل عدد من الشيوخ ممكن . ولهذا السبب قاوم البريطانيون الشيخ محمد أحمد الشارقى حين كتب اليهم يخبرهم بأنه يرغب « في توثيق عرى الصداقة والعودة بينى وبين الحكومة البريطانية وان تكون بينى وبينها معاهدة وحسن تفاهم ، كما يسرنى دائما ان اتفاوض معها في كل ما يبدو لها في أطرافنا من لوازم » [2] . وقد عرف البريطانيون ان رغبة الشيخ في الثراء من ريع البترول قد استشرت [3] لأن اسلاف هذا الشيخ اقسموا سلفا يمين الولاء لحاكم كلبا . أراد البريطانيون امتيازات للزيت في كلبا فعرفوا ان نفوذ شيخ الشارقة عليها ضعيفا ثم ارادوا مفاوضة مسقط غير ان الضابط السياسى أشار بخطل تلك السياسة ورأى الاعتراف بالفجيرة وبهذا برزت الى الوجود مشيخة اخرى في عام ١٩٥٢ .

التوحيـد :

أثارت المبالغ التى كانت شركات الزيت تدفعها للشيوخ مشاكلا وقتالا بين المشيخات ، كل تريد ان تستحوذ على أكبر قدر ممكن من الأرض [4] . غير ان البريطانيين ارادوا قدرا من الأمن يوفر للشركات الوقت للعمل . وسعى البريطانيون بالوحدة بين الشيوخ حتى استطاعوا ان يقيموا في ١٩٥٢ مجلسا للشيوخ في الساحل المتهادن وجعلوا هدفه مناقشة الأمور المشتركة بين

---

(١) (1.0) R./15/4/3. British agency sharigah, to sh. Khalid B. Ahmed.

(٢) محمد احمد الشارقي للسيد عبدالرازق وكيل المقيمية ٧ ربيع أول ١٣٦٠ .
(1.0) R./15/4/2.

(٣) (1.0)Same series and Vol. Pol. agent Bahrain to Pol. Res. P. Gulf 10 august 1942.

(٤) Mann., C., op. cit. p. 79.

المشيخات ، وتنسيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، واقرار القضايا ذات الطبيعة الواحدة لجميع الامارات والاتفاق حول مشكلات الهجرة ، والنقد ، والبريد وغيرها (١) . ولم يكن للمجلس دستور مكتوب ولا جهاز تنفيذى حتى ١٩٦٥ .

بدأ المجلس يجتمع بصفة دورية كل أربعة شهور في الوكالة السياسية التى ضمت مكتب الادارة البريطانية والكنيسة ، والمحكمة . وفي عام ١٩٦٥ تنازل الوكيل السياسى البريطانى عن رئاسة المجلس للشيخ صقر بن محمد شيخ رأس الخيمة (٢) وكانت تلك اشارة من بريطانيا للشيوخ للبدء في تدبير أمرهم بأنفسهم . ومنذ تلك السنة لم تعد اجتماعات المجلس في الوكالة انما انتقل الى مقر أقيم له .

ولم يكن قيام هذا المجلس ممكنا في ذلك التاريخ الذى تميز بالصراع بين المشيخات لولا الجهد البريطانى في سبيل رأب الصدع بين الشيوخ . عمد البريطانيون في عام ١٩٥٠ الى تكوين قوة مسلحة عرفت باسم قوة ساحل عمان (تبدل اسمها في عام ١٩٥٥ الى كشافة ساحل عمان) . عهد البريطانيون الى هذه القوة بالمحافظة على الأمن والنظام داخل المشيخات . وكانت قيادة هذه القوة للبريطانيين وجنودها من عناصر وطنية واجنبية كما ساهم بعض ضباط من الجيش الأردنى (*) في قيادة القوة وتدريبها . عملت هذه القوة بتعليمات من الوكيل البريطانى ولم تلتزم اوامر الشيوخ. وقد ساهمت هذه القوة في احداث البوريمى ، وانتقل جنودها الى مسقط يساعدون الحاكم ضد الثوار في عام ١٩٥٧ (٣) مما يعنى انها كانت قوات ردع بريطانية تعمل حيث يريدون لها ان تعمل .

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ١٨٠ .

(٢) Hawley, D., The trucial states, p. 178.

(*) كانت قيادة الجيش الأردنى في يد البريطانيين .

(٣) Marlowe, J., op. cit. p. 197.

لم ينته مجلس الشيوخ للساحل المهادن الى توحيد غير انه كان نواة أفرزت اخيرا عن قيام دولة الامارات العربية المتحدة . ولم تعمل قوة ساحل عمان الى التوحيد الا انها أكدت الأمن في المنطقة وتشرنق حولها اخيرا جيش الامارات العربية المتحدة .

المحافظة على الجهل والتغاضي عن محاربة المرض :

يقول المقيم في الخليج في عام ١٩٣٥ مشيرا الى أهل الساحل المتصالح ، بأن « القوم هنا ، برغم مرور الطريق الجوى ، موغلون في البدائية » [١] . أدرك المقيمون ان الجهل يخدم سياستهم فرعوه . قال الشيخ هزاع ، وهو أخ لشيخ أبو ظبي للضابط السياسى البريطاني انه ذهب الى البحرين وسره ان استمع للمذياع الذى كان ينقل القرآن من محطة القاهرة . فلم يرض المقيم ذلك . وعرف الضابط السياسى البريطانى حين زار الشارقة في ذلك العام ايضا ان شيخ الشارقة ينوى شراء مذياع ومكبر للصوت يجعله فوق قلعته ليمكن أهل بلده من الاستماع . وتحرى المقيم الأمر من الشيخ فأنكره . كتب الضابط السياسى الى المقيم بهاتين الحادثتين وعلق عليهما بأن العرب عاجلا أم آجلا سيستمعون الى الأخبار ويتأثرون بها اذ ان اذاعة بغداد قد بدأت تبث برامجها وبدأ بعض عرب الخليج يلتقطون الأخبار . وأشار الضابط السياسى الى ضرورة ان يحاول البريطانيون السيطرة على برامج اذاعتى القاهرة وبغداد ، لأن برامج هاتين المحطتين ، لو صارتا الى أيادٍ معادية للأمبراطورية البريطانية فستسبب في هذه المنطقة شرا مستطيرا [٢] .

كان البريطانيون في الخليج يخشون وسائل الاعلام العربية من اذاعة

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/18919 From Res. Bushire to Laithwai to 28 Feb. 1935.

(٢) (P. R. O.) Serios and Vol. From Pol. agent Bahrain to Pol. Res. Bushire, 17 Feb. 1935.

وصحف . ولعل في الحوادث التى وقعت في دبي في عام ١٩٣٨ م / ١٣٥٧ هـ ما يؤيد هذا الرأى . طالب اولاد راشد شيخ دبي بمجلس تشريعى كذلك الذى قام في الكويت . وتدخلت السلطات البريطانية وساندت الشيخ مساندة فعالة وانهت الى المجتمعين بأنهم لن يتعاملوا مع المجلس انما سيتعاملون مع الشيخ . واستطاع أهل دبي ان يقيموا مجلسهم في ١٩ اكتوبر بعد ان توصلوا الى حل وسط أبقى على بعض نفوذ الشيخ ولم يجردوه من كامل سلطته . « وهذا هو هدفنا الذى سعينا اليه بشدة » [١] . وفي نهاية مارس حل الشيخ المجلس فقامت اضطرابات راح ضحيتها حشر بن مكتوم وابنه وعشرة رجال من قادة المعارضة ، وسقط بعض الجرحى وفر بعض نفر من دبي ، وقد ظهرت أخبار تلك الحوادث في الصحافة العربية وموقف البريطانيين من قضية الديمقراطية . واقترح المقيم ان يدفع البريطانيون عنهم تلك التهمة باذاعة بيان من الاذاعة البريطانية (القسم العربي) ينفى ذلك الاتهام [٢] . وقد صاغ المقيم خبر ثورة دبي « التي تربطها ببريطانيا علاقات خاصة والتى لا تتدخل بريطانيا في مشاكلها الداخلية » . ويمضى الخبر ليعلن انه بالرغم من ذلك فقد نصحت الحكومة البريطانية الشيخ بأن يشرك اهله معه في الحكم مراعاة للتقاليد العربية المتوارثة ولم يتبع الشيخ النصيحة . حل الشيخ المجلس ونتج عن عمله هذا بعض اضطرابات في دبي راح ضحيتها بعض المعارضين وفر بعض آخر الى الشارقة . وقامت الحكومة البريطانية تنصح الشيخ مرة اخرى بأن يرجع لحكم الشورى فاستجاب لهم الشيخ وكون مجلسا للتجار ضم خمسة أعضاء من المجلس المنحل . كما أشار المقيم بأن تقوم السفارة البريطانية في القاهرة بنشر هذا الخبر على مدى واسع [٣] .

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/23180 Persian Gulf Intell, Report Oc. 1938.

(٢) (P. R.O.) F. O. 371/23186 Res. Persian Gulf to Sec. for Slate, 24 Apr. 1939.

(٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي - دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ١٧٢ .

وقفت بريطانيا ضد تعليم أهل المنطقة فلم تقم فيها حتى عام ١٩٥٣ الا مدرسة واحدة اولية انشأها شيخ الشارقة في ذلك العام وامدته الكويت باثنين من المعلمين ثم نشطت الكويت بعد هذا في مجال التعليم نشاطا محسوسا. كانت سياسة الاحتفاظ بمنطقة الساحل العماني في غياهب الجهل سياسة مرسومة فقد كان من رأى البريطانيين ان الاستغراب Westermization واشاعة العلم ستجعل الشيوخ يقامون النفوذ البريطاني كما سيكون ذلك فرصة طيبة للسعوديين للتدخل في شئون الساحل بحجة ان الاستغراب سيغير من التقاليد العربية الموروثة (١).

أما في المجال الصحي فقد بقى الساحل المتهادن يعاني المرض دون ان يلفت بمعاناته نظر البريطانيين. وفي ٢١ فبراير عام ١٩٣٥ م / ١٣٥٣ هـ كتب الوكيل في البحرين الى المقيم في بوشهر بضرورة ادخال خدمة طبية في منطقة الساحل المتهادن. وأشار انه « ليس من الفطنة السياسية في شيء ان نترك هذه المنطقة ليدخل اليها اطباء من جنسيات اخرى لأن وجودهم سيضعف من النفوذ البريطاني في المنطقة »، وتوقع المقيم ان التطور الذى ستأتى به صناعة الزيت ودروب الطيران سيأتى بالآخرين الى المنطقة وقد حدث فعلا ان زار قطر طبيب أمريكي وطبيبان من البعثة العربية. واضطر البريطانيون الى تعيين مساعد حكيم Medical Officer في ٥ اكتوبر ١٩٣٦ على ان يدفع راتبه مناصفة بين حكومة لندن وحكومة الهند (٢).

تولى تصريف العلاقات الخارجية للمنطقة :

استعمل البريطانيون الحق الذى اعطتهم اياه معاهدة ١٨٩٢ لإدارة الشئون الخارجية للشيوخ لتحقيق هدفين :

(١) (P. R. O.) F. O. 371/Future Policy in the Trucial coast. Pecommendations of Col. Paryet, Pol. Res. P. G. to foreign Sec. govt of India 5th Sept. 1929.

(٢) Same sories, Vol. & title, by Randell.

أ ــ تحقيق المصلحة البريطانية في الانتفاع بخير ارض الساحل وسد الدروب دونها على أي دولة أخرى .

ب ــ الظهور بمظهر المدافع عن السيادة والاستقلال والمحافظة على أرض شيوخ الساحل ، وهذا ما يهمنا هنا .

وقد تطورت علاقات تبعية هذه المشيخات ببريطانيا بعد عام ١٨٨٨ من علاقات تعهدية قسرية لحماية التجارة البريطانية في الخليج الى نوع من علاقة التبعية بالحماية وقد أعترف البريطانيون في عام ١٩٣٥ بأن منطقة الساحل العمانى هى ، بمنطوق القانون الدولى ، مستعمرة لهم وأكدت المصادر البريطانية ان الدول التى لا تدبر شئونها الخارجية لا تعتبر في نظر عصبة الأمم مستقلة . وعندما تتولى دولة ما ادارة الشئون الخارجية لدولة اخرى فان مسئولية تنفيذ الارتباطات المتعلقة بالقانون الدولى تقع على عاتق الحكومة التى تتولى ادارة الشئون الخارجية لتلك الدولة . وفي مذكرة بتاريخ ٣ مارس ١٩٣٦ م / ١٣٥٤ هـ أكدت الحكومة البريطانية [١] مرة اخرى بأن هؤلاء الذين نتولى توجيه سياستهم الخارجية هـم من ناحية القانون الدولى تحت السيادة البريطانية الكاملة . وهذا صحيح « اذ لن تسمح لأى قوة ان تتدخل في شئونهم واذا كان لأى قوة اخرى دعاوى او مشاكل معهم فنحن الذين سنتولاها » .

يرى حسين البحارنه [٢] انه للتفريق بين علاقة بريطانيا بهذه المشيخات وبين المحميات البريطانية الأخرى ان الفارق من الناحية القانونية هو الاعتراف البريطانى المسبق للحكام بالأراضى التى ظلت مستقلة عن التاج البريطانى .

---

(١) (P. R. O.) F. O. 341/15976 Status of Bahrain and Arab Shaikdoms in the Persian Gulf, 3 Mar. 1936 By Berkcit.

(٢) حسين محمد البحارنة ، دول الخليج العربي الحديثة ـ علاقاتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها (بيروت ، ١٩٧٣) ص ٤٣ ـ ٤٥ .

كما اعترفت بريطانيا للشيوخ بشبه استقلال محلى في ادارة شئونهم الداخلية التى كانوا يباشرون أمرها بأنفسهم . وصار وضع هذه المشيخات لا هى بالبلاد المستقلة ولا هى في وضع البلد المحمى انما صار وضعا بين الحماية التقليدية والاستقلال ، ولهذا نرى أنه ليس لبريطانيا من حق في ادارة الشئون الخارجية للمشخيات لانه ليس لاتفاق ١٨٩٢ اى مسوغ دولى خاصة في الوقت الذى بدأت بريطانيا تدافع فيه عن حقوق المشيخات ظاهريا وعن مصالحها الذاتية جوهريا في اواخر العقد الرابع من هذا القرن اذ لم يعد للحماية مكان في ميثاق الأمم المتحدة . ولم تعد الحماية تصلح أساسا شرعيا للوجود البريطانى في المشيخات . أما اذا اعتبرت بريطانيا ان تلك المشيخات لم تكن لتستطيع ان تحكم نفسها بنفسها فتولت هى حكمها كان عليها في هذه الحالة مسئولية [وفقا للالتزامات التى تضمنها الفصل الحادى عشر من الميثاق] عن كفالة تقدم شعب هذه الامارات في شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع حتى تتحرر من الاشراف البريطانى ، وعلى ان تقدم بريطانيا الى الأمم المتحدة بيانات عن هذه الامارات طبقا للمادة ٧٣ وهذا ما لم تكن تفعله بريطانيا (١) .

كانت معاهدات بريطانيا هى معاهدات خاصة ، وقد حافظ البريطانيون على خصوصية هذه العلاقات وقفلوا الساحل عن كل التيارات العالمية . ولم يسمحوا حتى للأفراد الاوربيين الذين لا يمثلون الا أنفسهم ومصالحهم الذاتية ان يستقروا في الساحل بين الشيوخ. ولعل أبرز مثال في هذا الصدد ما وجده هرتيونن (٢) . والدكتور ابراهيم أفندى أبرز مثالين على ذلك ، وكانت سلطات الهند البريطانى ترسل للشيوخ كلما زار الساحل اجنبي ، وقد زاره بعض

---

(١) احمد عثمان ، مبدأ التنظيم الدولي لادارة المستعمرات وتطبيقاته في الانتداب ونظام الوصاية الدولي . (القاهرة ، ١٩٦٣) ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) (P. R. O.) C. O. 727 - Vol. 11 Arabia 1925, British Residency & Conslate Pushire, 22 Nov. 1924.

اليونانيين والفرنسيين في ١٩١١ والالمان في ١٩٢٤ . كتبت المقيمية البريطانية تذكر الشيوخ باتفاق ١٨٩٢ الذي يحظر عليهم استضافة الاجانب . وأملى عليهم اتفاقات ذات صيغ محددة لامهارها . وكانوا الشيوخ يلتزمون بتلك الصيغة وان تمرد عليها مرة شيخ أبو ظبي وكتب غيرها (١) .

أما بالنسبة لعلاقات المنطقة مع الدول فقد كتب في ١٩٠٤ المقيم السياسى البريطانى في مسقط بأن القنصل الفرنسى فيها كتب لسلطانها يدعوه لارسال خطاب تهديد شديد اللهجة الى شيخ دبي بخصوص مركب كانت تبحر تحت العلم الفرنسى قيل انها تحطمت عند سواحل تلك المشيخة وقام أهل المنطقة بنهبها . وأضاف المقيم السياسى بأن الفرنسيين لا يعرفون طبيعة الارتباطات البريطانية بالساحل . واقترح الوكيل ان تفوضه الحكومة لتعريف القنصل الفرنسى بنصوص اتفاق ١٨٩٢ وأن يوعده بالتحقيق في أمر السفينة وسمحت الحكومة لوكيلها بذلك كما كتبت حكومة الهند لوزيرها بأن يتولى عن طريق وزارة الخارجية ابلاغ فرنسا رسميا بمعاهدة ١٨٩٢ وبأن الحكومة البريطانية ستتولى تسوية أمر السفينة الفرنسية وقبلت فرنسا الوضع (٢) .

ولم تظهر فرنسا مرة اخرى في المنطقة الا في مايو ١٩٣٥ م / ١٣٥٤ هـ حيث غشت سفينة فرنسية رأس الخيمة دون أن تطلب من المقيم اذنا بالزيارة . وطلبت حكومة الهند من وزيرها ان يلفت عن طريق وزارة الخارجية نظر حكومة باريس بطريقة ودية بأنهم يرجون اخطار السلطان البريطانية في الخليج حين تريد سفينة فرنسية زيارة ذلك الساحل . ونصحت وزارة الهند وزارة الخارجية بأن تشير لفرنسا بأسلوب خفى للحالة البدائية التي يعيشها الاقليم الشيء الذى يجعل الحكومة البريطانية لا تحبذ زيارة السفن الاجنبية لذلك

---

(١) (P. R. O.) C. O. 727 - Vol. II Arabia 1925, Pritish Residency & Conslate Bushire, 22 Nov. 1924.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/18918. Mr. Walton (1.0) to Mr. Rendel (F. O.) 28 Jan. 1935.

الساحل . ولم تر وزارة الخارجية البريطانية رأى وزارة الهند من ان للفرنسيين مطامع في المنطقة « وإننا ندير الحبال في ذلك المسرح من وراء الكواليس وليس لنا ارضية قانونية تبرر منحنا للسفن الاجنبية من زيارة ذلك الساحل . ونعتقد انه من الصعوبة بمكان ان نفسر منع هؤلاء الشيوخ من اقامة علاقات خارجية مع اي قوة اخرى بمنع سفن القوى الاخرى من زيارة الساحل » ، وخلصت الخارجية الى « اننا سنتصل بحكومة باريس عن طريق سفيرها هنالك فاذا اجدى ذلك فهذا ما صبونا اليه وان لم يجد نرد على وزارة الهند بأنه قد حان الأوان لتغيير طبيعة ارتباطاتهم الادارية بذلك الساحل الى صورة اكثر مباشرة لأن اسلوب المسرح الذى يديره رجلان وولد من وراء الكواليس ما عاد يناسب العصر » (١) .

لعب البريطانيون بورقتهم الرابحة المتمثلة في اتفاقية ١٨٩٢ على متناقضات السياسة المحلية وظهر أثر هذا واضحا في السياسة التى اجروها نيابة عن الساحل المهادن مع كل من الدولة السعودية وايران التى سنفرد لها الفصل القادم .

---

(١) Loc. cit.

الفصل الثاني عشر

معاهدة ١٨٩٢م ومشكلات الحدود

معاهدة ١٨٩٢م ومشكلات الحدود

(التمهيد ـ العلاقات بين شيوخ الساحل المهادن والسعودية ، اتفاقية دارين ، الوضع في ظهير الساحل ١٩١٨ ـ ١٩٢٧ ، الوضع في ظهير الساحل بعد ١٩٢٧ ـ الاحتلال الايراني لبوموسى والطنبين ـ تاريخ السيادة على جزر بوموسى والطنبين حتى ١٨٨٨ ـ بدء مشكلة صيرى والطنبين ـ اضطرابات لنجه ـ الجمارك الفارسية تستولى على اسلحة لأبو ظبي ـ الفنار البريطاني في طنب ـ مباحثات الحكومتين البريطانية والالمانية بشأن بوموسى ـ شركةماينوت تجار ـ حادثة مركب دبي ـ تقرير اللجنة المتفرعة عن لجنة الدفاع عن الامبراطورية ـ فارس ترفض الاعتراف بالمعاهدات البريطانية ـ امتياز الاوكسيد الأحمر في جزيرة بوموسى ـ تطور قضية الجزر الثلاث حتى نوفمبر ١٩٧١ ـ ايران تستولى على الجزر الثلاث ـ ردود الفعل محليا ـ ردود الفعل دوليا وعربيا ـ جزر عربية اخرى تؤول الى فارس) ..

التمهيد :

استطاعت بريطانيا ان تحد الحدود بين ابو ظبي وقطر حين خشيت المد العثماني الى أبو ظبي . ثم استقطبت بريطانيا قطر في عام ١٩١٦ في النظام التهادني وما عادت تخشى رياح التغيير من تلك الناحية .

وبعد تبلور المصالح البريطانية في ساحل الجهاد البحرى صار لبريطانيا همّان اولها ان تتشدد في سياستها التقليدية التى تقف دون ضم منطقة الساحل

العماني لأي قوة تستحوذ على داخلية بلاد العرب ، وثانيهما ان تقف فوق مياه الخليج العربي بين فارس ومنطقة الساحل العماني وتحافظ على وضعها ذاك الذى استحدثته بعد لأى حين انتزعت من العرب ، لصالح فارس ، أراضيهم على الساحل الشرقي للخليج . وقفت بريطانيا دون اطماع فارس تدافع عن جزر العرب الراقدة على مدخل الخليج واستعملت مختلف الاساليب لبلوغ تلك الغاية متعللة باتفاق ١٨٩٢ والاتفاقات السابقة له . ولما تقلص عمر استعمار بريطانيا التقليدى اورثت هذه الجزر لفارس وتناست كل حججها الدامغة التى اثبتت بها عروبة الجزر . وسنتابع في الصفحات التالية مشاكل الحدود التى استحدثها الوجود البريطانى في منطقة الساحل العمانى .

العلاقات بين شيوخ الساحل المهادن والسعودية :

بعد ان صار لعبد العزيز بن سعود الغلبة في نجد تطلع الى الاحساء يريد ان يضمها الى ملكه . وكان عبد العزيز يدرك مدى الاهمية السياسية التى يضعها البريطانيون للساحل فأراد ان يطمئنهم على حسن نواياه تجاههم [١] . ارسل ابن سعود وكيله مسعود بن سويلم الى البحرين حيث قابل المقيم السياسى الكابتن بيردو Birdeaux وانهى اليه رغبة الأمير في مهاجمة الأتراك في الاحساء لطردهم من المنطقة وسيقوم بعد ذلك بأمهار معاهدة صداقة مع الحكومة البريطانية . ولم تسفر تلك البعثة عن شيء اذ رفض نائب الملك في الهند هذا العرض والعروض التى تلته كلها لأنه ليس من أهداف بريطانيا ان تتدخل في علاقات مع عمق الجزيرة العربية . ولم يقبل نائب الملك كل حجج كوكس ، المقيم في الخليج التى اتى بها في خطابة بتاريخ ١٦ يناير ١٩٠٦ من أن حسن العلاقات مع ابن سعود سيؤمن للبريطانيين السيطرة على الساحل العماني ، وسيحد من التدخل السعودى في أمر سطان مسقط [٢] .

---

(١) محمد سعيد المسلم ، ساحل الذهب الاسود (بيروت ، بدون) ص‌ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، ص ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

أ — اتفاقية دارين :

استطاع ابن سعود ان يجتاح الاحساء بالقوة وبالسياسة استطاع ابن سعود ان يصل الى فرمان ١٥ مايو ١٩١٤ م / ١٣٣٢ هـ مع الدولة العثمانية التى خولته حكم الاحساء بالوراثة ، وتغير بهذا الأمر في نظر البريطانيين .

سعى بيرسى كوكس لمقابلة ابن سعود ، واستطاع ان يعقد معه خلال الحرب العالمية الأولى معاهدة دارين في ٢٦ ديسمبر في عام ١٩١٥ ، وكانت معاهدة دارين على غرار اتفاقيات بريطانيا مع شيوخ الساحل في ١٨٩٢ * . ولم تشجب اتفاقية دارين ، في نظر البريطانيين بعد هذا ، الاتفاقية التى وقعوها مع الدولة العثمانية في يوليو من عام ١٩١٣ التى أصرت بريطانيا فيما بعد ، الزام ابن سعود بها باعتباره وريثا للدولة العثمانية في المنطقة [١] .

بدأ ابن سعود يتطلع إلى مد نفوذه على القبائل المجاورة للساحل جنوب الاحساء وسعى الى ذلك سعيا حثيثا مستترا لأنه كان سياسيا مرنا يدرك مدى حساسية بريطانيا التى يسعى لصداقتها تجاه هذه المنطقة. عمل ابن سعود ان يأخذ موقفا وسطا وسط القبائل التى لا تدين له بالولاء في المنطقة فلا يضمها الى كامل سيادته بالحرب انما يعمل على صداقة شيوخها ويستطيع بذلك ان يأخذ منها الزكاة [٢] .

(*) لم تكن اتفاقية دارين سوى خطوة في طريق عبدالعزيز في العلاقات الخارجية والجدير بالذكر ان معاهدة جدة التي عقدتها بريطانيا مع ابن سعود في ١٩٢٧ م/١٣٤٥ هـ جاء فيها اعتراف مطلق باستقلال الدولة السعودية .

(١) جمال زكريا قاسم . الخليج العربي ـ دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ ص ٢٩ .

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/17815 Tribal consideration of the Air Route.

ب — الوضع في ظهير الساحل ١٩١٨-١٩٢٧ م :

كان الوضع القبلى في ظهور الساحل العمانى في عام ١٩١٨ حين كان الشيخ حمدان بن زايد يحكم أبو ظبى مضطربا . شب خلاف بين المناصير والمزروعى وبنى ياس من جهة والعوامر والبوشمس والدارو من جهة اخرى . وذهب شيوخ المناصير والمزروعى الى الاحساء وطلبوا حماية الوالى السعودى عبدالله بن جلوى وساقوا له النجب هدية وتقربا . وقبل ابن جلوى حمايتهم وأثابهم ملابس ونقودا واستقر الكثير من المناصير في الاحساء كما استقر بها بعض من المزروعى . وقصدت قبائل الهوامل والقبيسات والمهريان والعرار الى أبو ظبي واستعانوا بشيخها . وقصد حمدان بن زايد الى البوريمى وأصلح بين القوم ورجعت الكثير من القبائل الى سيرتها الأولى ، وساد الجميع الوئام الى حين . غير ان الشيخ راشد بن مانع الذى كان اكبر شيوخ المناصير طُراً لم يرجع واستقر مع عبدالله بن جلوى وربطت الصداقة بين الرجلين . وقامت بعد هذا بعض قبائل الطرف الثانى الى عبدالله بن جلوى تطلب حمايته . ولعلنا نلاحظ في هذه الاضطرابات القبلية ان الطرفين المتقاتلين قد قبلا حماية ابن جلوى وسعيا لها ، كما قبل الجانبان وساطة شيخ ابو ظبي لانهاء الخلاف ووقف الحرب (١) .

تغير الوضع قليلا حين قام سلطان بن زايد باغتيال اخيه حمدان الذى كانت تربطه بابن سعود وعبدالله بن جلوى علاقة صداقة . وحدث جفاء بين الطرفين عمل سلطان من جانبه على تلافية بأن ارسل ابنه هزاع في سفارة الى ابن سعود ساقت اليه استرضاء ، عددا من النجب . وعرف المقيم في الخليج بأمر هذه الهدية وحقق مع الشيخ سلطان ، وكان رد سلطان بأنه يسير على سنة اسلافه الذين كانوا يرسلون الهدايا الى السعوديين حين يتولى الشيوخ مقاليد

(١) (P. R. O.) F. O. 371/18918 Tribal History in Hinter Land of Trucial Oman. 1918 - 1934.

الحكم في مشيخاتهم . وأكد الشيخ سلطان للمقيم انه سيجابه بالحزم اى امتداد للسعوديين على ساحله وسيخطر به السلطات البريطانية فور وقوعه . وذكر المقيم الشيخ بما سبق ان ارتبط به من معاهدات تحظر عليه التعامل مع أي قوة اجنبية الا بموافقة الحكومة البريطانية ومنعه بموجب تلك المعاهدات من التعامل مع ابن سعود او استضافة أى وكيل له [1] .

حرص البريطانيون على استقلال الساحل العمانى وتدارسوا أمر تدخل القوى المختلفة في شئونه ووصلوا الى ان الخطر الرئيسى يأتى المنطقة من ابن سعود ، لا من فارس . ففارس ال تجمعها بهذا الساحل اى صلات عرقية او مذهبية وليس لها اي حقوق تاريخية في هذه المنطقة بينما كان ابن سعود ، حسب تعبير شيخ البحرين ، أكبر الحكام العرب مكانة ومن الطبيعى ان يلجأ اليه الشيوخ الصغار ويعملون على استرضائه . وادرك البريطانيون وقتها ان من الامور التى ستسهل على ابن سعود ضم الساحل ان له دعاوى تاريخية على الساحل . أما من الناحية الجغرافية فان حدود ابن سعود يمكن ان تمتد ولا تعوقها عقبات طبيعية ، ثم ان ابن سعود وشيوخ الساحل العمانى هم نتاج داخلية بلاد العرب وتجمعهم صلات الدم والدين والمذهب . وعرف البريطانيون ان هذه الأمور مجتمعة تجعل صد ابن سعود عن المنطقة أمرا بالغ الصعوبة « غير ان ابن سعود مراعاة لصداقته معنا لن يقوم بضم المنطقة عسكريا » [2] .

خشى البريطانيون أمر ابن سعود وتابعوا خطواته في تلك الارجاء بقدر كبير من الدقة . علم المقيم ان الحاج خلف العتيبة احد تجار اللؤلؤ في أبو ظبي ، أرسل في مارس ١٩٢٣ م / ١٣٤١ هـ سفارة الى الأمير السعودى . وتحرى

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/8952 Pol. Res. Persian Gulf to F. O. govt of India 18 Mar. 1923.

(٢) (1.0) L/P & S/20/C 248 D. Precis of corrospondance.

المقيم فعرف ان تلك السفارة كانت برئاسة عبدالله بن خلف ارسلت للاعتذار عن عدم تمكن خلف من ان يرسل بحارا كان يستخدمه وكانت نجد تطلبه ، وقد تأكد للمقيم ان ليس لشيخ أبو ظبي اى دخل في أمر تلك السفارة .

وفي عام ١٩٢٤م وصل بعض جباة الزكاة من السعوديين وجمعوا الزكاة من المناصير والمزروعى والقبائل الأخرى . وقد حاول سلطان بن زايد منعهم فلم يفلح . وكان ولاء قبائل الموره البدوية التى ترتحل في المنطقة لابن سعود لكنها لا تدفع له الزكاة الا نادرا [١] .

وبدأ النفوذ السعودى في المنطقة يطغى فكتبت في ٩ مايو ١٩٢٦ م / ١٣٤٤ هـ وزارة الهند الى وزارة المستعمرات تسألها الرأى . ورأت وزارة المستعمرات ان ما يقوم به الأمير عبد العزيز لا يتطلب عملا حاسما سريعا لدرئه اذ لم يتقدم أى شيخ من المتهادنين بالشكوى من النفوذ السعودى وأشارت وزارة المستعمرات الى ان الاجتماع الذى عقدته المصالح المعنية بالأمر في لندن لوضع اتفاق جده (١٩٢٧) م / (١٣٤٥) هـ ترى استئناس ابن سعود ، ولا ترى ضرورة وضع بند في الاتفاق يمنع ابن سعود من ان يقوم بعمل ضد المشاريع المتهادنين ولكنهم سيستعيضون عن ذلك بأن يقدموا لابن سعود في اثناء المفاوضات صورا من معاهداتهم مع الشيوخ المعنيين ، وجاء رد وزارة الهند بأنه ليس في تلك الاتفاقات ما ينم عن ان بريطانيا تتعهد بحماية أرض هؤلاء الشيوخ ، ومن ثم فهي غير مجدية.

الوضع في ظهير الساحل بعد ١٩٢٧ م :

وفي عام ١٩٢٧ اغتال صقر بن زايد اخاه سلطاناً وأصبح حاكما على ابو

(١) (P. R. O.) F. O. 371/17815 Tribal Considerations.

ظبي ..حاول صقر التقرب الى الأمير السعودي والى حاكم الاحساء خوفا من انتقام ابناء أخيه المقتول . فسعى صقر الى جمع الزكاة من منطقة ظهير الساحل وفي البوريمى ودفعها للاحساء .

قتل المناصير الشيخ صقر في ١٩٢٨ وصارت المشيخة الى الشيخ شخبوط وكان السعوديون يجبون الزكاة . بصورة متقطعة في اوائل سنى حكم الشيخ شخبوط . وكان مناصير بينونه وليو وقبائل البنى ياس والمزروعى في ليوا يخبئون جمالهم ويمنعون الزكاة عن الجباة السعوديين ، ولم يحاول الجباة فرض الأمر بالقوة على هذه القبائل ، ولم يدفع الزكاة للسعوديين في هذه الفترة الا قبيلة البومنذر ، وهم قسم من مناصير ليوا يقيم شيخهم راشد بن مانع في الاحساء (١) .

وفي ١٩٣٠ / ١٩٣١ قامت خلافات تلاها قتال بين الهوامل وهم فرع من البنى ياس وبعض نفر من موظفى الاحساء من جباة الضرائب . وكتب الشيخ شخبوط الى أمير الاحساء يشكو من تصرفات رجاله ، ورد الأمير معتذرا بأن القتال قد وقع بين هؤلاء السعاة وبين اتباع الشيخ لسوء فهم من هؤلاء السعاة . وفي هذا اعتراف صريح بتبعية الهوامل لأبو ظبي . وقد لخصت هذه المذكرة الوضع في عام١٩٣٤م في المنطقة بأن المناصير يسعون الى حماية ابن سعود لأن قوته في تزايد واضح وان قوة ابو ظبي في المنطقة تتناقص . غير ان الكثير من القبائل كانت تخبىء الجمال حتى لا تدفع الزكاة كما كانت البنو قتب والظواهر وبنو كعب والنعيم لا يدفعون الزكاة للسعوديين (٢) .

أخذت معالم المصالح البريطانية في ظهير الساحل المهادن تتبلور في هذه السنين . ولذلك فكرت الحكومة البريطانية ان تمد حدودا في ظهير تفصل بها بين المشيخات وابن سعود ، وأوصت لجنة الدفاع عن الامبراطورية في

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/17815 Tribal Considerations.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/18918 Tribal History.

اجتماعها بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٣٤ بذلك وأشارت الى وجوب تقييد ابن سعود بالخط الأزرق (*) .

قام الكولونيل فاولى Fowle (١) بوضع مذكرة عن الحدود المقترحة وكانت صادقة . جاء في المذكرة : « ان الحدود بين هذه المشيخات والسعودية ستكون واضحة انيقة حين نرسمها على الورق ولكنها ستكون مستحيلة حين نحاول ان نضعها على الأرض موضع التنفيذ . ان الحدود هي سمة هامة في كل المناطق الا في الجزيرة العربية حيث يجب الابتعاد عنها . ان في تقنين الحدود في هذه المنطقة سرًّا للسياسة البريطانية مستطيراً لا أوصى بارتكابه الا اذا لم يكن بد من ذلك لأن سكان المنطقة أهل رحلة لا يقيمون في منطقة الا ليفارقونها لغيرها . تتحرك القبائل في هذه القيافي طلبا للكلأ لا وازع على تحركاتهم الا لفصول السنة » .

« ليس للشيخ العربي أية فكرة عن الحدود ، ولا يعرف لارضه بداية او نهاية في تلك السياسة التى تنطمس فيها كل المعالم الجغرافية ، فعندما نريد ان نخطط الحدود يجب ان نراعى الرأى العام في المنطقة ، مهما بلغ بهذا الرأي من التخلف ، والرأى العام في المنطقة يرفض الحدود ولا يعترف بها . والحدود بالنسبة للجزيرة العربية قبلية اكثر منها سياسية . واذا سألنا شيخا من هؤلاء عن مدى امتداد ارضه ونفوذه لن يقول من منطقة كذا الى منطقة كذا انما سيقول لك على هذه القبيلة وتلك .

« ان من محاسن الوضع الراهن حيث لا حدود محلية واضحة اننا سوف لن

(*) جددت المادة الحادية عشر من اتفاقية ١٩١٣ الحدود الشرقية لنجد بموجب خط ازرق . انظر : جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ـ الملاحق .

(١) (P. R. O.) F. O. 371/17815Note by colonel T. C. Fowle, dated 21 Sept. 1934.

نتلخل في مشاكلهم ، اذ لا تداخل حيث لا توجد حدود . أما اذا قمنا بوضع الحدود فكيف نتصرف ان بغت فئة على حدود الأخرى ؟ نريد ان نسترضى ابن سعود وان نحافظ على رضاء التابعين لنا من الشيوخ ، كما نريد ان نحافظ على علاقتنا بسلطان مسقط الذى هو من الناحية القانونية Dejure حاكم مستقل . وعندها ستكون المشاكل ،فالحدود مهما تعددت الوانها في الخرائط الا انها لن تكون واضحة لنا على الأرض ، سيدعونا الشيوخ الى مناصرتهم وسيحتج علينا ابن سعود بالمذكرات وسنجد أنفسنا محاصرين بسيل من الشكاوى لن ينقطع ولن نصل بذلك الى توطيد علاقاتنا بابن سعود انما سنصل الى عكس ما هدفنا » [١] .

استصوبت حكومة الهند رأى فاولى Fowle الذى صاغ المذكرة السابقة ورأت ان ما جاء في المذكرة هو عين الواقع الا انها أضافت ان ازدياد الحركة الجوية سيقود الى احتكاك شيوخ المنطقة بالعالم الخارجي مما سيقضى على السياسة البريطانية الكتبعة في المنطقة ويقود الى صعوبات بالغة التعقيد . ولذلك نصحت حكومة الهند لندن باقتراح وضع الحدود لاختبار رد الفعل في المنطقة ، كما وجهت بدراسة التأثيرات التى ستنجم عن وضع الحدود على استثمار او الحجر لاستثمار مصادر الزيت على الساحل العمانى . وأوصت حكومة الهند كذلك بأن تحديد الحدود وضمانها ليس هو هدف يسعون اليه حاليا « لأن تحديد الحدود وضمانها لا يكون الا حين نبدأ في منح امتيازات البترول » [٢] .

وحين اكتشف النفط في المشيخات وبدأ استخراجه وتطويره بدأت الشركات البريطانية التى تسيطر على بترول منطقة الساحل العمانى تمتد غربا ،

---

(١) Loc. cit.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/17824, India office to Foreign office, 28 Nov. 1934.

وبدأت الشركات الأمريكية التى تسيطر على بترول السعودية تمتد شرقا . وبدأ العراك في ١٩٤٩ بين القوتين العربيتين كل تدعمها حكومة الشركات العاملة بها . ودخل المؤرخون البريطانيون والأمريكان يحرفون تاريخ المنطقة ويرجعون القبائل الى هذه السيادة او تلك فالفوا الكتب . وخاضت الحكومتان الأمريكية والبريطانية معارك كلامية في المحافل الدولية كل منها يدافع عن شركاته حتى ان دلاس صرح بأن موقف بريطانيا في البوريمى موقفاً معاديا لأمريكا .

استأسد البريطانيون في سبيل مصالحهم غير انهم بدوا وكأنهم يدافعون عن أرض منطقة الساحل العمانى وهو شيء لم يكن في تفكيرهم كما تنبيء حوادث التاريخ التى ذكرناها ، على الاطلاق .

هذا ما كان من أمر دفاع بريطانيا عن مصالحها في أرض منطقة الامارات العربية ، اذ حسم العاهلان في المنطقتين أمره في ٢٩ يوليو ١٩٧٤ م / ١٣٩٤ هـ بما يتمشى ومصلحة الامة ، أما ما كان من أمر دفاع البريطانيين عن مصالح هذه الامارات وأراضيها ومياهها الاقليمية ضد فارس فسنتولى أمره بشيء من التفصيل .

الاحتلال الايرانى لبوموسى والطنبين :

بدأ البريطانيون بعد زوال الخطر الفرنسى حين فشلت حملة بونابرت على مصر ينفذون خططهم الرامية الى القطيعة بين ساحلى الخليج العربى . ساندت بريطانيا من طرف خفى فارس ضد امام عمان في ١٨٢٣ حين ارادت فارس سلب هذه الممتلكات من امام عمان ، وانتهت المشكلة بزيادة ايجار حيازة المنطقة . ووقفت بريطانيا بدعوى حقوق الصداقة وروابطها بين الامام ومعاقبة منطقة بندر عباس التى حاول شيخها التنكر للعمانيين في ١٨٢٦م [١] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

وفي عام ١٨٥٤ قامت الحكومة الفارسية بطرد سيف بن نبهان ممثل عمان في بندر عباس . وقام سلطان عمان من زنجبار الى مسقط وأعد حملة بحرية عقد لوأها لابنه ثويني . وجهز الشيخ سعيد بن طحنون ، شيخ ابو ظبي ، مراكبه وأعدّ رجاله للسير مع اسطول الامام الى بندر عباس . وتحركت حملة طحنون واعترضها قائد السفن البريطانى في الخليج وأجبر الشيخ على الرجوع فورا الى مينائه . وقد فسر المقيم للأمام هذا السلوك بأن « سموكم [١] يدرك يقينا ان قبائل ساحل عمان قد تعاقدت فيما بينها بضمان الحكومة البريطانية على ان تبتعد جملة وتفصيلا In toto عن كل ما قد يثير العداء في البحر ويجلب الاضطراب . كما ان هؤلاء الشيوخ قبلوا ، في وقت سابق لهذا التعهد ، بأن تلتزم سفنهم المسلحة خطا مانعا لا تتعداه سفنهم . والان فان سموكم ستتفهمون جيدا معنى خرق احد الأطراف لهذه التعهدات فهنالك من لهم آراء مضادة وسينحاز هؤلاء الى الجانب المعارض . كما ان عرب الساحل الفارسى وهم من اتباع الشاه قد يتدخلون في الصراع . ان الفوضى التى ستنجم في هذا لن تفرق بين العدو والصديق وسينهى كل هذا الى القرصنة التى ستعوق التجارة ، وسينتهى سلم البحر الذى اقامته الحكومة البريطانية بعد جهد جهيد . وانى إذ اسوق لكم حديثى هذا أضيف بأن الحكومة البريطانية لم تقصد من منع هذا الشيخ من التكاتف معكم الا لحفظ الامن ، ولم ترم الى عرقلة خططكم او غمط حقوقكم ، أو الوقوف ضد رغباتكم ومصالحكم » .

نجحت حملة ثوينى في بدء أمرها فاستردت بندر عباس وميناب وتوابعها ولكنها ما لبثت ان تراجعت أمام الضغط الفارسى . وانتهى الإشكال بتدخل بريطانيا وتوقيع اتفاق ١٧ نوفمبر ١٨٥٦م الذى دعم السيادة الفارسية . زاد هذا الاتفاق في القيمة الايجارية ونقل موقف سلطان مسقط من وضع المالك الى وضع من يلقى العناء في استمراره على تلك الحال [٢] .

(1.0) Precis of the Gulf Correspondance, (Calcuta, 1906) p. 17. (١)

(٢) جمال زكريا ، الادعاءات الايرانية ، ص ١٨٧ .

سقنا حديثنا هذا لنبرهن على ان السيادة على ساحلى الخليج العربى كانت ، الا لفترات وجيزة متقطعة خلال القرن الثامن عشر ، في أيدى العرب ، وان الادعاء الفارسى على بوموسى والطنبين وبقية جزر الخليج ليس له ما يسنده من وقائع التاريخ الباكر . غير ان الفرس قد استطاعوا بالتدريج الاستيلاء على بوموسى والطنبين وصيرى وحنجام وفارس وعربى وغيرها من الجزر نتيجة للضعف الذى أصاب تلك المنطقة العربية من جراء حملات بريطانيا التى شنتها على المنطقة منذ ١٨٠٥ وسلسلة الاتفاقات التى قيدت بها بريطانيا المنطقة . وقد أصاب الوجود العربى على الخليج من كل هذا وهنا عظيما .

تاريخ السيادة على جزر بوموسى والطنبين حتى ١٨٨٨ م :

ترى الوثائق البريطانية (١) ان تتبع تاريخ جزيرة بوموسى والطنبين قبل عام ١٧٢٠ أمر غير متيسر . ولكن هذه الوثائق تشير الى ان نشاط القواسم قد بدأ واضحا على الساحل الشرقي للخليج منذ ١٧٢٠ حين مكنوا لنفسهم في باسيد ومناطق اخرى على الساحل الشرقي للخليج . وارسل الفرس حملة في ١٧٣٧ قامت بضرب رأس الخيمة ولكنها لم تنجح في فرض سيادتها هنالك ولم تستطع البقاء .

وفي ١٧٥٠ قام القواسم بمساعدة حاكم بندر عباس وهرمز ضد الشاه واستولوا على لنجة (*) في مواجهة قشم ومناطق اخرى على الساحل . واستمر القواسم يحكمون لنجه وأصبح شيخ لنجه حاكما على كل الجزر التى تساحل

(١) (P. R. O.) F. O. 371/1130/O. Status of the Islands Tamb, Abu Musa. and Siri.

(*) الميناء الرئيسى لمقاطعة لارستان . للنجه تجارة مزدهرة في وقتها سكان لنجه اكثرهم عرب بينهم الفرس فالأفريقيون وهنالك خليط مهجن .

Curson, op. cit. Vol. II

المنطقة ، واعترف له الفرس بذلك . وتغير الوضع في ١٨٨٧ حين قام بعض الجند الفارسى والقى القبض على شيخها العربى ونفوه الى طهران ، وقامت هذه القوة ببناء ثكنات لها في لنجه . ومن لنجه ارسل الفرس قوة الى جزيرة صيرى التى كانت ولأجيال ممتدة من ممتلكات القواسم . ولما كان سكان هذه الجزيرة فقراء يعيشون على الكفاف لم يكن عندهم ما يدافعون عنه لم يقاوموا الفرس . «كان منظر الجنود (حتى الفارسيين !) من المناظر التى تثير الرعب في نفوس هؤلاء الفقراء ولذلك استسلموا دون مقاومة » . ولم يستطع شيوخ القواسم خشية الاسطول الهندى ، من ان يقوموا بحماية اتباعهم في تلك الجزيرة .

أما مناطق جزيرة بوموسى التى هى كالطنبين في المنطقة المحظورة على السفن العربية فقد كانت تتبع القواسم . ومن المؤكد انه ليس للفرس أية سيادة على هذه الجزيرة او الطنبين . كان لهذه الجزيرة اتصالات عميقة مع شيوخ العرب من القواسم على الساحلين الغربي والشرقي للخليج . وقد اتفق شيوخ القواسم في فترة سابقة لعام ١٨٨٧ على ان يدير شيوخ الساحل الشرقي هذه الجزيرة . « والشيء المؤكد هو ان قواسم عمان لم يقروا لفارس بالسيادة على هذه الجزيرة في أي يوم من الأيام » (١) .

أما طنب فقد كان مقيم الخليج يظن خطأ حتى ١٨٧٣ انها فارسية ، وذلك للتلاصق المكانى والادارى بين لنجه وتلك الجزيرة . تغيرت الفكرة عند المقيم حين عرف ان الجزيرة تتبع شيخ الشارقة . أمد الوكيل الوطنى في الشارقة المقيمية في ١٨٨٢ بخطابات ووثائق تثبت ملكية الجزيرة لشيوخ الساحل العمانى . ويضيف المقيم أنه قد أطلع بنفسه على تلك الوثائق وفحصها واستوثق من صحتها (٢) .

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/117827. F. O. Mamo., by Randel, 14 Sept. 1934.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/130/O. Status of .....

بدء مشكلة صبرى والطنبين :

كانت أول مطالبة فارسية بجزيرة طنب في ١٨٨٧ . ارادت حكومة الهند ان تتحرى الأمر فابرقت في ذات السنة للمقيم في الخليج وللوزير المفوض في طهران تسأل عن مدى احقية فارس في صيرى وطنب . ورد الاثنان بان جزيرتي صيرى وطنب هما من أملاك شيوخ العرب المستظلين بالاتفاقات البريطانية الذين يسكنون الساحل الغربي للخليج ، ويشاركهم في السيادة على هذه الجزر أقرباء وهم الذين يقطنون الساحل الشرقى [١] . وقام المقيم في وقت لاحق من عام ١٨٨٧ بأرسال تقرير لحكومة الهند جاء منه ان هاتين الجزيرتين عربيتان وغالبا ما كانت الادارة فيهما لعرب الساحل الشرقي من القواسم . وأضاف ان مطالبة فارس بهاتين الجزيرتين جاءت بعد ان « ارتضى » قواسم الساحل الشرقي الهوية الفارسية واصبحوا يتبعون فارس اداريا [٢] . واشفع المقيم تقريره بخطاب من الشيخ على بن خليفه حاكم لنجه كتبه في ١٨٧٧ الى شيخ رأس الخيمة معترفا صراحة بأن طنب هى من توابع قواسم عمان وانه ليس لفارس اي حق في السيادة عليها او التدخل فيها الا اذا وافق شيخ رأس الخيمة على هذا [٣] .

قام شيخ الشارقة في ١٦ اكتوبر ١٨٨٧ م / ١٣٠٥ هـ بتقديم احتجاج للمقيم على اعتداء الفرس على جزيرة صيرى . وطلب الشيخ ان تقوم بريطانيا بموجب التزاماتها التعاهدية بحماية طنب من مصير مماثل . وطلبت حكومة الهند من الوزير البريطانى في طهران ان يبدأ المفاوضات حول صيرى مع رجال الشاه [٤] .

(١) Ibid.

(٢) (P. R. O.) F. O. 371/13070Lord Cushenduin to Foreign office.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid

أبرق المقيم بالأعمال في طهران الى المقيم في الخليج بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٨٨٧ يقول : « ان حجة فارس في احتلالها لصيرى ومحاولتها احتلال طنب هي ان هاتين الجزيرتين تدفعان الضرائب لفارس منذ ثماني سنوات مضت ويمكن لحاكم بوشهر ان يبرز الايصالات الخاصة بذلك » : وتحرى المقيم في الأمر من الحاكم فاتضح انه ليس لدى حاكم بوشهر اي ايصالات للضرائب ، كما عرف ان حاكم بوشهر كان أبرق سلفا الى أمين السلطان بأن يعفيه من الاحراج ، ومناقشة هذا الموضوع مع المقيم . ولما تحرى المقيم الأمر من شيخ الشارقة وضح هذا الشيخ الصلة التى تربط صيرى بشيوخ لنجهالقاسميين وأضاف بأن طنب غير مأهولة وتلك حقيقة لا تعرفها فارس التى تدعى عليها الملكية وتزعم عن دفع مواطنيها ضرائب لسلطاتها . كما أبرز الشيخ ثلاثة خطابات من شيوخ لنجه يعترفون فيها بحيازة شيخ رأس الخيمة لتلك الجزيرة [1] .

ويستفاد من الخطابين المتبادلين بين القائم بالاعمال وبين المقيم في يناير ١٨٨٨ م / ١٣٠٥ هـ ان الحكومة الفارسية قامت بتقديم خمسة خطابات من الشيخ يوسف بن محمد شيخ لنجه السابق يؤيد دعوى الفرس على الجزيرتين . وكان رد المقيم في ٢٣ يناير ١٨٨٨ بأنه بعد فحص هذه الخطابات والتحرى من صحتها وجد أنها لا تسند الدعاوى الفارسية « فالشيخ يوسف بن محمد لا يزيد عن كونه تابعا للشيخ على بن خليفة القاسمى . وقد غدر هذا الرجل بشيخه بقتله ليصبح حاكما في لنجه وأبرز هذه الخطابات ليحوز على رضاء الفرس » . وأكد المقيم في خطابه ان هذه الخطابات الخمسة سوف لن تسلب شيوخ العرب القاسميين من ممتلكاتهم والموروثة منذ القدم وحقوقهم الماثلة للعيان في الجزيرة ، وأضاف المقيم ان الشيخ يوسف بن محمد سبق ان كتب في ٢٩ مارس ١٨٨٤ خطابا الى شيخ رأس الخيمة يؤكد ملكية طنب للقواسم . وانتهى المقيم بأن قرر بأن شيوخ العرب كانوا يمارسون السلطات على الساحل

---

(١) Ibid.

الشرقي للخليج بصفتهم حكاما بالإنابة عن الفرس كما كانوا يمثلون السلطة على صيرى بصفتهم قواسما وليس بصفتهم كحكام فرس [١] .

وفي ٢ مارس ١٨٨٨ قام الوزير البريطاني في طهران بتسليم مذكرة الى أمين السلطان تتمشى في معناها مع ما ورد في خطاب المقيم . وانتهت المذكرة بسؤال للحكومة الفارسية عن الأسباب التى حدتها الى ضم صيرى . وردت الحكومة الفارسية في ١٠ مارس ١٨٨٨ بأن صيرى هى من توابع لنجه ولما كانت من ممتلكاتهم وجب ضمها بعد ان فرضوا سيطرتهم على لنجه . وأرسل المقيم مذكرة اخرى أكد فيها ان صيرى من ممتلكات القواسم وان رفع العلم الفارسى عليها قد غير من وضعها الراهن وان التذرع بضم لنجه لغرض السيادة على صيرى هو تذرع غير مقبول وانتهت المذكرة بالسؤال عن هل لدى فارس براهين اخرى لأن حكومة وستمنستر لا تود ان ترى اي تغيير في الوضع القانونى للجزيرة [٢] .

ولم ترد فارس على هذه المذكرة في حينها .

قام المقيم في ٢٨ ابريل ١٨٨٨ بارسال تقرير أعده أمين السلطان وتحمل عليه المقيم بصفة خاصة ، وقد جاء في تقرير أمين السلطان ادعاءات جديدة على جزيرة بوموسى وهى ادعاءات كما قال المقيم في خطابة ليس لها ما يبررها على الاطلاق [*] .

قامت فارس بالرد على المذكرة البريطانية وذكرت في ردها بأن شيوخ القواسم على الساحل الشرقي فارسيون وكانوا يحكمون الجزيرة من لنجه وان

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

(*) Has no Justification Whatsoever.

الحكومة الفارسية لا تعتبر ان هنالك دليلا او حجة أقوى من هذا . وقد ورد هذا في برقية من الوزير البريطاني في طهران بتاريخ ٢٦ يوليو ١٨٨٨ وكرر المقيم رده بأن شيوخ القواسم في لنجه حين كانوا يحكمون صيرى كانوا يمثلون سلطة الشيوخ من القواسم « وليس للحكومة الفارسية ادنى صلة بالجزيرتين » [١] .

وقررت الحكومة البريطانية في اغسطس من عام ١٨٨٨ ان تغض النظر عن الاحتلال الفارسي لجزيرة صيرى دون ان يسحبوا اعتراضهم على ملكية الشاه للجزيرة . ولم تجد شيوخ القواسم مذكرات الاعتراض التى قدموها في ١٨٩٥ . أكدت تقارير المقيم لعام ١٩٠٤م بأن عرب « ساحل القراصنة » لم يسحبوا اعتراضهم على ملكية الجزيرة رغم انهم سكتوا على مضض خوف الغضب البريطاني .

اضطرابات لنجـه :

جاء في برقية من الوزير البريطاني في طهران بتاريخ ١٤ اكتوبر ١٨٩٩ م / ١٣١٧ هـ بأنه قد وصلته رسالة من رئيس وزراء فارس يفيد بأن الشيخ الجمد Algmed والسيد يوسف اللذين كانا يحركان الثورة في لنجه قد هربا الى الساحل العماني . ويخشى الصدر الاعظم من ان يجمع هذان الشيخان بعض اتباعهما من تلك المنطقة ويكران على لنجه مرة اخرى . وطلب الصدر الاعظم في رسالته من ان تقوم حكومة الهند بمنع هذين الشيخين من مهاجمة لنجه . ووصلت الى المقيم برقية اخرى من حكومة الهند تحضه على تحذير شيوخ الساحل العماني من التدخل بأى اسلوب من الاساليب في اضطرابات لنجه وتسأله ان يواليها بأخبار الشيوخ في هذا الصدد اولاً بأول [٢] .

(١) Ibid.

(٢) L/P. & S./20/C. 248. D. Precis of the Gulf Correspondance. p. 72.

وجاء في رسالة اخرى للحكومة الفارسية الى حكومة الهند ارسلتها في يناير ١٩٠٠ م / ١٣١٧ هـ ان الشيخ محمداً ، أحد شيوخ لنجه الثائرين ، قد هرب ايضا من المنطقة والنجا الى شيخ رأس الخيمة الذى اجاره وآواه . وتخشى الحكومة الفارسية من ان يقوم شيخ رأس الخيمة بمساعدة الشيخ محمد في الهجوم على لنجه . وترى الحكومة الفارسية ان تتخذ حكومة الهند من الاجراءات ما يمنع ذلك وإلا فستجد نفسها مضطرة لمطاردة ذلك الشيخ وتعقبه الى رأس الخيمة . وسألت حكومة الهند المقيم في الخارج فأفاد بأنه سبق ان حذر الشيوخ في اكتوبر عام ١٨٩٩ من التدخل او مساعدة شيوخ لنجه ، كما قام الجنرال ميد Meade بتقديم تحذير مماثل عندما زار الساحل العمانى في ديسمبر في نفس العام . وقال ان الشيخ حمد شيخ رأس الخيمة لا يقرالشيخ محمداً على هجومه على لنجه ، وأكد انه سيلتزم امر المقيم ولا يحيد عن نصيحته . وأضاف الشيخ حمد انه سيقدم للمقيم كشفا تفصيليا عن ممتلكات القواسم التى استولى عليها الفرس في لنجه برجاء المساعدة في التعويض [١] .

قام المقيم بارسال تحذير ثالث الى الشيخ حمد في رأس الخيمة حملته السفينة الحربية ملبومنى Malpomene التى أمر قائدها بضرب أي تجمع في رأس الخيمة يسعى لاسترداد لنجه . ولما وصلت سفينة الحرب وجدت الشيخ محمداً في رأس الخيمة وعرفت انه قد ترك أمر مهاجمة لنجه بعد ان تضافرت عليه قوى الفرس والبريطانيين. وسلمت السفينة التحذير لشيخ رأس الخيمة وقفلت ادراجها لتؤكد عدم صحة الخبر [٢] .

الجمارك الفارسية تستولى على اسلحة لابو ظبي :

قامت الجمارك الفارسية بالاستيلاء على داود لابو ظبي كانت تحمل اسلحة

(١) Idem

(٢) Ibid, p. 73.

وعتادا مصرحا بهما من قبل المقيم . شكا شيخ ابو ظبي للمقيم وكتب الأخير الى هاردنج A. Hardinge القائم بالاعمال البريطانى في طهران برقية بتاريخ ٩ يوليو ١٩٠٣ م / ١٣٢١ هـ يسأله الاتصال بالحكومة الفارسية لاستخلاص اسلحة أبو ظبي وليفاوض في أمر تعويض أهل الذين قتلهم الفرس في الطنبين حديثا على سواحل صيد اللؤلؤ بالقرب من الساحل الفارسى ، كما كلفه ايضا ببحث أمر حدائق النخيل التى يمتلكها شيخ الشارقة في لنجه التى استولى عليها الفرس . وأوصى مقيم الخليج القائم بالاعمال ان يعمل جهد طاقته لاصابة نجاح كبير في مفاوضاته لانه اذا نجح فسيعلو ذكر البريطانيين وسيعرف العرب المهادنون ان أمرهم في أيدٍ قوية (١) .

أبرق السير هاردنج لرئيس الوزراء في ٢٢ يونيو ١٩٠٣ في شأن أسلحة أبو ظبي وغيرها من الأمور التى اوكلت له . غير ان هاردنج لم يكن فيما يبدو ، يعرف شيئا عن اتفاق ١٨٩٢ ، فلما تبين للمقيم ذلك ارسل اليه صوراً من الاتفاقات التى تربط شيوخ الساحل المهادن بالحكومة البريطانية . وأكد له ان هذه الاتفاقات تعطى للحكومة البريطانية في شخص مقيمها في الخليج ودوائره حق تمثيل مشيخات الساحل المهادن مع فارس وغيرها . وأكدت حكومة الهند ببرقية بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٠٣ ما جاء في برقية المقيم .

وصلت برقية حكومة الهند الى القائم بالاعمال حين كان يناقش مع رئيس وزراء فارس البنود المبدئية لاتفاق ١٩٠٣ وجاء فيها حديث عن المناطق « تحت الحماية البريطانية » فقام القائم بالاعمال بتغييرها بعد وصول البرقية الى المناطق التى «هي ليست جزءا من الامبراطورية انما تتولى الحكومة البريطانية امر علاقاتها الخارجية بدرجات متفاوتة والتى يقع على عاتق الحكومة البريطانية مسئوليات خاصة تجاهها » (٢) .

---

(١) Idem.

(٢) Idem.

لم تنجح مساعي المقيم اذ اندفع رجال الجمارك البلجيكيين التابعين لفارس يلاحقون السفن والقوارب العربية وفجروا بذلك مشكلة بوموسى .

بـدء مشكلة بوموسى :

جد الفرس في الاستيلاء على بوموسى منذ عام ١٩٠٣ ، جاء في تقرير المقيم لذلك العام انه نسبة لتصرفات رجال الجمارك البلجيك فقد حاول تجار لنجه ان ينقلوا نشاطهم الى بوموسى ، وقد اتصلوا بالفعل في هذا الشأن مع شركة بوس البحرية والشركة الفارسية البحرية يعرضون عليها استبدال ميناء لنجه بميناء بوموسى للتزود والتموين . وأضاف المقيم في تقريره بأنه يخشى ان يقود ازدهار الميناء الى طمع فارسي فيه فالميناء هو من ممتلكات شيوخ القواسم في الشارقة ، وأشار التقرير ان قواسم الشارقة لا يرفعون في الوقت الحالي علمهم فوق تلك الجزيرة وانه من المستحسن ان ينصح شيخ الشارقة برفع علمه هنالك ليقوم دليلا على ملكيته للجزيرة (١) .

أقرت حكومة الهند توصية المقيم وارسلوا الى شيخ الشارقة لرفع علمه على بوموسى ، وقد فعل . كما نصحت الحكومة شيخ رأس الخيمة برفع علمه على طنب ، وقد كان .

وفي ابريل ١٩٠٤ م / ١٣٢٢ هـ أبرق نائب الملك في الهند الى وزارة الهند بلندن يقول ان موظفي الجمارك البلجيكيين قد قاموا بازالة الاعلام العربية في بوموسى وطنب ، ووضعوا اعلاما فارسية بدلا عنها ، كما وضعوا بعض الجنود الفرس على الجزيرتين . وأضافت البرقية ان شيخ الشارقة قد احتج على هذا التصرف واتصل بالمقيم يستحث ارتباطات الاتفاقات العربية البريطانية ويرجو اتخاذ الخطوات التي تحفظ حقوقه (٢) . واقترحت حكومة الهند ، لمعالجة هذا

---

(١) (P. R. O.) F. O./371/13009 Persian Seizure of Debai Dhow.

(٢) (P. R. O.) F. O./371/13010 Status of Islands of Tonb.

الأمر ، ارسال مركب مسلح مع بعض مندوبي شيخ الشارقة لازالة الاعلام الفارسية ، والقبض على الجنود الفرس وترحيلهم الى الساحل الشرقي ، وبعد مداولات عدة رؤى القرار بأن تعطى الحكومة الفارسية انذار لتنسحب من الجزيرتين ثم اللجوء للقوة بعد الانذار .

وفي ٢٤ مايو ١٩٠٤ نقل الوزير في طهران للحكومة الفارسية بأن هاتين الجزيرتين هما من ممتلكات قواسم عمان ولا يجوز الافتئات على حقوقهم ، وانه ينصح باسم الحكومة البريطانية بأن تقوم فارس بسحب قواتها وانه لا يود ان يناقش هذا الأمر البين فالنقاش في الأمور الجلية لا يزيد عن كونه مضيعة للزمن . واستكان الفرس وانسحبوا ، ورفرفت الاعلام العربية على الجزيرة مرة اخرى . وفي عام ١٩٠٥ شكت فارس من ان شيخ الشارقة قد شيد بعض المباني على الجزيرة (١) وتبينت السلطات البريطانية ان فارس لا تقصد من شكواها الا تجديد دعاويها .

الفنار البريطاني في طنب :

قررت الحكومة البريطانية في عام ١٩١٢م ان تشيد لها فنارا على جزيرة طنب فلم تتصل بفارس في ذلك الشأن انما اخطرت مقيمها السير بيرسى كوكس لكى يخاطب شيخ الشارقة في هذا الأمر وأمرته ان يبلغ الشيخ المعنى ان حقوق سيادته على الجزيرة لن تضار بانشاء هذا الفنار . وقد كتب كوكس في ٢٢ اكتوبر ١٩١٢ للشيخ الشارقي مؤكدا له سيادة الشارقة على الجزيرة ويسأله اقامة فنار بريطاني عليها وأضاف كوكس بأن وجود هذا الفنار « سيحفظ لك حقك من ان يتجرأ عليه الآخرون » . ورد صقر بن خالد شيخ الشارقة بخطاب مؤرخ في ١ ذى القعدة على المقيم بأن « ما ذكرته صح معلوم خصوصا من طرف جزيرتنا طنب كونكم تستدعون منا الإجازة في وضع منارة فيها لأجل

---

(٢) Ibid.

هداية المراكب فلا بأس ونرجو منكم عدم التعبث فيها زيادة عن ذلك وهذا شرط منا » (١) .

قامت وزارة (٢) الخارجية الفارسية في فبراير ١٩١٣ بطرق أمر هذه الجزر مرة اخرى مع الوزير البريطانى في طهران . واحيل الأمر الى المقيم الذى رد بأن ملكية هذه الجزر ليس موضوعا للنقاش او الرد او المساءلة وانه قد اجلى هذه الحقيقة لكل حكام موانىء الخليج ووعوها جيدا . وأضاف بأن اتباع شيخ الشارقة يقيمون في هذه الجزيرة بصورة منتظمة منذ ١٩٠٥م وان علم الشارقة يخفق على جزيرتها . وأشار المقيم انه اذا جدد الفرس السؤال فانه يتحتم على السلطات البريطانية المعنية ان تكون قاطعة في رفض مناقشة هذا الأمر الجلى ، « أما اذا أصّر الفرس على النقاش فعلى الحكومة البريطانية ان تصر على احياء موضوع صيرى الذى جمدته في الوقت الراهن » (٣) .

مباحثات الحكومتين البريطانية والالمانية بشأن بوموسى :

قامت في الفترة بين ١٩٠٧ و١٩١٤م مباحثات مكثفة بين الحكومة البريطانية والحكومة الالمانية بشأن تبعية بوموسى . وأتت الحكومة البريطانية بكثير من الدلائل والحجج والبراهين المحلية التى تقطع بسيادة شيخ الشارقة على الجزيرة ، وذلك حين احتجت الحكومة الالمانية نيابة عن شركة السادة فونكاوس الالمانية Wonckhanhoux حين قام شيخ الشارقة بالغاء امتيازها . وكانت الحكومة الالمانية تصر على ان السيادة في الجزيرة غير واضحة . وقد قام الوزير البريطانى في طهران في عام ١٩١٨ برد الفرس عن التدخل فيما يدور

(١) فهرس ملحق لمقاولات وغيرها المخفية فيما بين مشايخ المتعاهد في عمان والدولة البهيسة القيصرية (B. M.) I. S./158/2. 1 - 6.

(٢) جمال زكريا قاسم ، الادعاءات الايرانية ... ص ١٩٤ .

(٣) (P. R. O.) F. O./371/13010. Status of .....

وذكّر الحكومة الفارسية بانذار ١٩٠٤ وحذرهم من تكرار دعاوى السيادة على الجزيرة (١) .

شركةماينوت تجار * :

أبرق الوزير البريطاني في طهران الى الخارجية البريطانية في ٢٧ ابريل ١٩٢٣ م / ١٣٤١ هـ يقول انه علم ، بطريقته الخاصة ، ان شركة ماينوت تجار Moin-ut-Jujjar التي تجرى امتياز الاوكسيد الأحمر في هرمز قد حرضت الحكومة الفارسية على تجديد دعاويها على بوموسى والبحرين ، وان تأخذ الحكومة الفارسية هذا الأمر الى أروقة عصبة الأمم ان وقفت بريطانيا في طريقها . وأضاف الوزير ان صاحب الشركة هو احد اثرياء فارس ، وله نفوذ قوى على الحكومة والسياسة الفارسية . وردت الخارجية البريطانية على الوزير ليلفت نظر رئيس وزراء فارس لحادث ١٩٠٤م وما اعقبه وان يؤكد ان حكومة صاحب الجلالة كانت تعنى تماما ما قالته وكانت على أتم استعداد للتدخل المسلح لازالة الاعلام الفارسية . وان على الوزير ان يشير ، من طرف خفي ، بأن تجديد الدعاوى الفارسية على الجزر سيدفع الحكومة البريطانية لاتخاذ موقف متشدد ، وستنفذ ما قامت في الماضي بتجنبه . ونفذ الوزير أمر الخارجية حين قابل رئيس الوزراء الفارسي ، ولكنه تسلم بعد عشرة ايام من تلك الحادثة مذكرة فارسية تؤكد فيها الحكومة دعاويها على طنب وبوموسى . ولم يجد الوزير لورين Loraine . حرجا في ان يعيد المذكرة الى الحكومة الفارسية مرفقة بخطاب شديد اللهجة (٢) .

قام رجال جمارك فارس في ١٩٢٥ بزيارة جزيرة بوموسى في قارب بخاري

---

(١) Ibid.

(*) يقصد ـ ملك التجار .

(٢) Strongly worded.
(P. R. O.) F. O. 371/1310. Status of Islanda of tanb.

وتفقدوا مناطق الاوكسيد الأحمر في الجزيرة واخذوا ملء كيس من تلك المناطق وقفلوا راجعين . وقامت الحكومة البريطانية بالاحتجاج على هذا الأمر وردت فارس على احتجاج وزارة الخارجية البريطانية بأن بوموسى هى من ممتلكات الحكومة الفارسية . وقام الوزير البريطانى في طهران بتذكير وزير الخارجية الفارسى بالانابة بما جاء في المذكرة البريطانية في عام ١٩٢٣م، وحذره بأن الاصرار الفارسى على التغول على حقوق الآخرين سيدفع بحكومة الهند لإرسال بارجة حربية ترابط عند بوموسى وتقيم عليها حقوق شيخ الشارقية وسيادته . ولم تجد الحكومة الفارسية بُداً من التراجع فأمرت موظفي جماركها بالابتعاد عن طنب وبوموسى حتى تصل وزارة الخارجية الى قرار بشأنهما (١) .

حادثة مركب دبي :

وفي ٢٠ يوليو ١٩٢٨ م / ١٣٤٧ هـ قامت بعض الزوارق البخارية التابعة للجمارك الفارسية بالتعرض لداو في دبي . كانت الداو تبحر تحت علم الساحل المهادن من دبي في طريقها الى بوموسى وعليها بعض النسوة والأطفال وكمية قليلة من السكر . اتهم الفرس الداو بالتهريب وتمكنوا منه لعدم تمكن النسوة من المقاومة واقتادوه الى لنجه . وفي لنجه جرد الفرس النساء والغلمان من ملابسهم واستولوا على حليهن ومتاعهن وكل ما كان بالداو من أشياء (٢) .

اهتمت الحكومة البريطانية للأمر لانه يثير مسألة ملكية بوموسى ويجدد الادعاءات الفارسية عليها . ولما كانت الحكومة البريطانية تدرك يقينا ان تلك الجزيرة عربية كان عليها ان تتصرف حفاظا على سمعتها التى بنتها وسط العرب بعد ضنك ولأى . خشيت الحكومة البريطانية كما تقول المذكرة ، من ان

---

(١) (P. R. O.) F. O./371/13009 Telg. From Pary Tehran, Augst 8, 1928.

(٢) (P. R. O.) F. O./371/13723. From India office to Treasury.

يحاول الحكام العرب اتخاذ اجراءات عدائية ضد فارس ، وهو أمر اراده الشيوخ لولا خوفهم من الاسطول البريطانى المرابط في الخليج [1] ، وكان هذا هو السيب الرئيسى الذى أقعدهم عن التصرف وجعلهم ينتظرون نتيجة المساعى الدبلوماسية للحكومة البريطانية لدى الحكومة الفارسية .

طلبت الحكومة البريطانية بصفتها الحكومة التى ترعى مصالح الشيوخ الخارجية ، مبلغ ٥٠٠٠ روبية كتعويض عن الحادث وفك اسر الداو ومن عليها « وحتى الان لم نظفر بأكثر من فك أسر الداو ومن عليها وقد تسبب هذا التأخير في كثير من الاشياء لدى العرب والشعور بالعداء ضد فارس . ونحن اذا لم نقم بعمل شيء ما فستسبب ذلك في تقليل هيبة الحكومة البريطانية في نفوس هؤلاء » [2] . وانتهت المذكرة بوصية من وزير الدولة بأن تساهم وزارة الخزانة بدفع مبلغ ٢٥٠٠ روبية لهؤلاء الشيوخ على ان تقوم وزارة الهند بدفع ما يتبقى وما ذلك الا ضريبة لحفظ هيبة الحكومة الامبراطورية . ودفعت وزارة الخزانة المبلغ بعد مشاورات ومداولات عدة تساءل فيها وزير الخزانة عن ذنب دافع الضرائب البريطانى الذى يجعله يتحمل هذا العبء ! .

رأت حكومة الهند اتخاذ اجراءات اخرى لتحتفظ بهيبتها في نفوس هؤلاء العرب ان يقام احتفال كبير في جزيرة بوموسى تحشد فيه سفن اسطول الخليج وتقوم باستعراضات لاظهار قوتها وان يرفع علم الشارقة على الجزيرة في بداية الاحتفال .

وأرسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة للحكومة الفارسية جاء منها ان الحكومة البريطانية سوف لن تتحمل بعد هذا اى دعاوى للحكومة الفارسية

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

على بوموسى التى يمتد تاريخ سيادة القواسم عليها لاكثر من مائتى سنة على الأقل ، وان الحكومة البريطانية لا تعرف لفارس اي سند على دعاويها (١) في تلك الأرض (*) . وأحالت وزارة الخارجية هذه المذكرة الى اللجنة المتفرعة عن لجنة الدفاع عن الامبراطورية لتنظر في أمثل الطرق لتجنب أى اعتداء فارسى على بوموسى والطنبين مستقبلا .

تقرير اللجنة المتفرعة عن لجنة الدفاع عن الامبراطورية :

ناقشت هذه اللجنة الوضع بإفاضة متناهية ورأت اللجنة بأن التغول الفارسى على هذه الجزر العربية وتكرار الادعاءات عليها لا يدأرهما الا احد أمرين : -

أ — أن ترفع الحكومة البريطانية يدها عن هذه الجزر وتوكل أمر الدفاع عنها للحكام العرب الذين هم حاليا كما كانوا في الماضى ، أهل حرب ولم يرد هؤلاء العرب عن الحرب او يثنيهم عنها الا الوجود العسكرى لبريطانيا فوق مياه الخليج العربى » . وأضافت المذكرة انه لولا الوجود

(١) (P. R. O.) F. O./13070/Foreign office to Sir R. Clivo. 7 Nov. 1926.

(*) لعله من الطريف ان نذكر انه في خلال تلك اللقاءات النشطة بين الوزير البريطاني والوزراء الفرس ان ذكر السيركليف R. Clive لوزير البلاط ان ادعاءات فارس على البحرين غير ثابته وان السعوديين وشيوخ العرب في المنطقة سيقاومون هذا بضراوة وعنف . وافق الوزير على هذا الرأى ولكنه اضاف ان فارس لن تترك البحرين الا بقرار لجنة بها مندوب فارسى ومندوب للشيخ وثالث يرتضيه الطرفان ثم عاد فعرض حلا اخرا طلبت منه ان يعيده على مسمعى مرة اخرى لأتأكد من انى لم أسيء الفهم وكان اقتراحه كالتالى :

ان تعترف الحكومة البريطانية بالدعاوى الفارسية على البحرين ثم تقوم فارس ببيع حقوقها في الجزيرة لبريطانيا التي يمكنها ان تحتفظ بالجزيرة او تسلمها للشيخ او ان تفعل فيها ما تراه وينتهى اشكال البحرين بهذا الى الأبد ويكون بهذا العمل قد حفظنا لفارس كرامتها .. عدت لأسأل الوزير ماذا يقصد بأن تبيع حقوقها ؟ رد بأن كلمة «بيع» نستعملها فقط لحفظ ماء وجه الحكومة الفارسية .

البريطانى لقام العرب حاليا كما كانوا يفعلون في الماضى ، بالهجوم على سواحل فارس ولنشروا « القرصنة » في اعالي البحار . وتستطرد المذكرة وتلقى السؤال التالي :

« ماذا لو تركنا للعرب حرية الدفاع عن ممتلكاتهم وهم القادرون على ذلك ؟ »

يرى واضعو المذكرة ان البريطانيين لو وقفوا موقف المتفرج من هذا النزاع فسيقوم العرب المهادنون بتأكيد سيادتهم على تلك الجزر مما يصيب السياسة البريطانية التي أقامتها في المائة سنة الأخيرة بطعنة نافذة [١] . « ففى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر وبعد كفاح مستعر مستمر ضد هؤلاء القراصنة الذين كانت لهم السيادة على السواحل الجنوبية للخليج قامت حكومة « جلالته » باجبار اسلاف هؤلاء المشائخ على ان يدخلوا في اتفاقات امتنعوا بموجب شروطها من قتال البحر ، والتزموا بسلم أبدى ووافقوا على ان يردوا خلافاتهم للمقيم ليحكم فيها. وانه لمن فخر حكومة جلالته ان استطاعت ان تؤسس السلام البريطانى Pox Britanica الذى أشادته بالجهد منذ ذلك التاريخ والذى ثبت ولم يهتز الا في مناسبات نادرة . ان هذا السلام هو من صنع هذا البلد واننا لن ندعى زورا لو قلنا بأن الالتزام الادبي الذى يجعلنا نسيطر على الخليج يكمن في اننا وطدنا ، ولا زلنا نوطد الأمن بين القبائل شبه الهمجية على كلا ساحلى الخليج ونحمى تجارتنا وملاحة جميع الأمم من اخطار القرصنة والحروب المحلية » . وانتهت المذكرة بانه « اذا شجعنا او حمينا او تغاضينا عن هجوم يقوم به أحفاد هؤلاء القراصنة العرب الذين عاقوا بقرصنتهم الملاحة في الخليج زمنا ، فإن ذلك العمل سيكون غلطة تظل الحكومة تندم عليها مستقبلا ،

(١) Ibid.

وسيكون هذا العمل سببا كافيا وبرهانا ساطعا بأن الحكومة البريطانية ليست مستعدة لأن تحمى أمن الخليج وتقيم فوقه السلم وترعاه . وسيتخذ هؤلاء العرب هذا العمل دلالة على ان الحروب المحلية ليست محظورة ، وستكون الحرب ظاهرة عامة من ظواهر المنطقة . ان نجاح هؤلاء العرب في هزيمة الفرس وإبعادهم سيشد في عضدهم ويجعلهم يتطلعون الى مغامرات بحرية اخرى ، ويقومون بنهب الساحل الفارسى والجزر الفارسية ويعاودون القرصنة على الملاحة الدولية » ، وأضافت المذكرة ان فشل العرب في حالة قيامهم بالدفاع عن جزرهم قد يقود الى احراج الحكومة البريطانية عندما يقومون بطلب المساعدة العسكرية منها . وخلصت المذكرة الى استبعاد اطلاق القوى العربية اذ سيسبب نجاحها او فشلها مشاكل كثيرة (١) .

ب —« يبقى بعد هذا ان العرب سوف لن يحتملوا الاحتلال الفارسى لارضهم ولذلك يجب ان نتبع الأمر الثانى بعد فشل المساعى الدبلوماسية . ويقضى الطريق الثانى ان ترسل الحكومة وحدة بحرية او عسكرية لإزاحة الفرس بالقوة . وعلينا ان نخطر الفرس بما نريد تنفيذه وذلك حين تقر لجنة الدفاع عن المستعمرات .C. D. D هذا الرأى ويقره مجلس الوزراء، سيقوم الوزير البريطانى السير كليف Clive بعدئذ بتبليغ الحكومة بمزيد من الوضوح ان احتلالهم لهذه الجزر أمر غير مسموح به .

وتضيف المذكرة ان الفرس قد يلجأون الى عصبة الأمم وفي هذه الحالة سيكون موقف البريطانيين في الدفاع عن الجزر العربية قويا وواضحا . أما اذا ارادت بريطانيا ان تكون هي البادئة بالشكوى

---

(١) Ibid.

للعصبة فعليها ان تفعل ذلك في هذا الحين لأن الشكوى البريطانية لدى العصبة لن يفيد كثيرا في حالة احتلال فارسى فعلى على هذه الجزر. ولن يكون لذلك اى نتائج ايجابية لدى الشيوخ الذين ستهتز صورة بريطانيا في نظرهم.

فارس ترفض الاعتراف بالمعاهدات البريطانية :

تطور أمر النزاع المترتب على حادثة مركب دبي بين الحكومتين الفارسية والبريطانية ، فأرسلت وزير الخارجية الفارسية في ٣٠ ابريل ١٩٣٤ مذكرة الى الوزير البريطانى في طهران جاء منها [١] « انى قد دهشت كثيرا لعلاقاتكم بشيوخ الساحل الجنوبى للخليج . ولذلك ارجو ان استشير لسعادتكم عن سياسة حكومتنا تجاه هذا الأمر الذى سبق ان وضحناه بموجب مذكرة وزارة الخارجية الفارسية برقم ١١٠٢٤ المؤرخة في ٢١ اغسطس ١٩٢٨ ، وكذلك المذكرة رقم ١٣٠١٨ بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٢٨ ، والمذكرة رقم ١٨١٠٣ بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٩٣٣ ، وأتشرف ان اؤكد لسعادتكم مرة اخرى بأن الحكومة الايرانية ليست طرفا في تلك المعاهدات التى ابرمتموها ، ومن ثم فهي غير ملزمة لها . ولا تجد الحكومة الفارسية لديها ما يجعلها تعترف بهذه الاتفاقات او تعتبرها صحيحة » . وأضاف الوزير الايرانى ان تلك المعاهدات جميعها لا تمثل اى التزام للحكومة الايرانية وعليه فان الاتفاقات والامتيازات والارتباطات المترتبة على تلك المعاهدات غير ملزمة لايران من الناحية القانونية خاصة ان كانت منافيه للمصالح الايرانية وخلص الوزير الايرانى الى بطلان هذه المعاهدات لعدم شرعية عقدها . وأضاف ان بريطانيا بعقدها لهذه الاتفاقات قد جافت حقوق صداقتها مع ايران وتجاوزتها . وانتهت المذكرة الى

---

(١) (P. R. O.) F. O./371/17224 Persian Adminster for Foreign Affairs (Dept. of Europe and Americe) to His Majesty, Minster, dated (April 30, 1934).

ان .ايران تعترض بكل شدة واصرار على هذه الاتفاقات لانها تخرق حقوق السيادة الايرانية فوق ارضها ومياهها .

ورد الوزير البريطاني في طهران بأن الحكومة البريطانية تشرف على الشئون الخارجية لهؤلاء الحكام العرب فإذا رفضت ايران الاعتراف بهذه الحقيقة فسيكون من الصعب على ايران الاتصال بهؤلاء الحكام العرب وركزت مذكرة الوزير البريطاني للوزير الايراني على ان بريطانيا تقوم حاليا بتصريف الشئون الخارجية لهؤلاء القوم « وإن إنكاركم لهذه المعاهدات لهو أمر لا يخص الحكام العرب ولا الحكومة البريطانية فذلك شأنكم وحدكم . وان عدم اعتراف الحكومة الايرانية بهذه المعاهدات التى تخولنا بعضها رعاية الشئون الخارجية لهؤلاء الحكام لن يؤثر بأي شكل في واجبنا تجاه هؤلاء » (١) .

وقامت الحكومة البريطانية باصدار تعليماتها الى الجهات المسئولة في الخليج بانتهاج سياسة حازمة تجاه النشاط الايراني في المياه الأقليمية العربية .

امتياز الأوكسيد الأحمر في جزيرة بوموسى :

في سبتمبر ١٩٣٤ م / ١٣٥٣ هـ منح شيخ الشارقة تصريحا للكابتن بايلدون R. C. Bayldon لفحص الاوكسيد في بوموسى لحساب شركة الوادي الذهبي المحدودة . وقد زار احد مهندسى الشركة الموقع في نوفمبر ١٩٣٤ وأخذ عينه من الأوكسيد لفحصها (٢) . وجاءت نتائج الفحص مبشرة فوقعت الشركة عقدا مع شيخ الشارقة في مارس ١٩٣٥ م / ١٣٥٣ هـ . ولم ترض الحكومة الايرانية ذلك التصرف وقدمت احتجاجا أكدت فيه تبعية

(١) Same Series & Vol. Sir. R. Hoore to Sir John Simos, 24 May 1934.

(٢) (1.0) R./15/2/8/41, Annual Report on trucial coast Oman. 1934.

جزيرة بوموسى لها وانه ليس للشركة حق التعاقد مع الشيخ الشارقي او القيام بعمليات الاستغلال (١) ورفض الاحتجاج الايراني .

تطور قضية الجزر الثلاث حتى نوفمبر ١٩٧١ :

لم تنته ايران او تقتنع بالحجج البريطانية فقد ارادت هذه الجزر الثلاث لموقعها الذى يحتل مكانا وسطا في مدخل الخليج وهو موقع استراتيجى يؤمن لها السيطرة والاشراف على كل وسائل المواصلات البحرية التى تمخر الخليج العربي . كما ستزيد حيازة هذه الجزر في امتداد المياه الاقليمية لايران ومن طاقة ايران النفطية والمعدنية ويضيف الى نطاق مصائد الاسماك واللؤلؤ في ايران .

فترت ايران عن المطالبة بهذه الجزر بعد عام ١٩٣٥ ولم تعد تثير مسألتها كثيرا بعد ان تبين لها جدية الموقف البريطانى لحماية هذه الجزر العربية . كان البريطانيون يدركون حالة الضعف السياسى والاقتصادى والعسكرى التى صار اليها العرب من ملاك هذه الجزر ، كما كان البريطانيون هم المتحكمين في السياسة الخارجية لتلك الأمارات فحافظوا على الجزر من التغول الايرانى . لم تكن بريطانيا لتضمن تقلب ميزان السياسة في ايران ومدى التقارب او التنافر بين ايران وروسيا والقوى الأخرى فأرادت ان تحتفظ بهذه الجزر لتتحكم بريطانيا من خلال حكام الشارقة ورأس الخيمة في مدخل الخليج ..

في عام ١٩٥٧ و ١٩٥٨ زار المقيم البريطانى جزيرتى طنب الصغرى والكبرى واسترعى انتباهه ان علم رأس الخيمة لم يعد يخفق على الجزيرتين فتحرى الأمر واجابه ممثل حاكم رأس الخيمة في الجزيرة بأن العلم موجود عنده الا انه غير مرفوع لصعوبة غرسه في تلك التربة الصلبة فأكد المعتمد البريطانى على الشيخ وممثله ضرورة رفع علمهم على الجزيرة .

---

(١) (P. R. O.) F. O. 371/18911, Bahrain intall, Report, No. 3, 1935.

انظر كذلك :

جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي .. ١٩١٤ - ١٩٤٥ ، ص ص ٣٠٥ - ٣٠٩ .

وفي أواخر مارس ١٩٦٤ م / ١٣٨٣ هـ نشرت أنباء القاهرة ان قوات ايرانية احتلت جزيرة بوموسى التابعة للشارقة . ونفى وزير الخارجية الايرانية هذا النبأ في لقائه مع بعض السفراء العرب في طهران في الرابع من ابريل ١٩٦٥ ودلت التحريات بعد هذا بأن ايران قد انزلت بعض جنودها في هذه الجزيرة وفي جزر عربية غيرها في اثناء مناورات حربية مشتركة مع الاسطول الأمريكى في نطاق الحلف المركزى . ثم جلت ايران عن هذه الجزر بعد انتهاء المناورات الا انها وضعت على الجزيرة علامات ايرانية تدخلها في نطاق المياه الاقليمية لايران . كتب على هذه العلامات مجلس الوزراء الشاهنشاهى - مصلحة خفر السواحل والموانىء واحتج شيخ الشارقة على ذلك وارسلت بريطانيا سفينة عليها بعض رجالها ورجال حاكم الشارقة لانتزاع هذه العلامات ولم تحتج ايران على اعادة الحق في نصابه [١] .

كانت ايران تقدم المساعدات الى المشيخات الفقيرة على الساحل العمانى . وحدث في نوفمبر عام ١٩٦٤ م / ١٣٨٤ هـ ان زار شيخ رأس الخيمة ايران للحصول على بعض مساعدات لبناء المدارس والمشافى كما طلب الشيخ مده بعدد من الأطباء وأجاب الشاه الشيخ الى طلبه الا انه فوجىء باعطائه وثيقة يوقع عليها خاصة بتنازله عن الجزر التى تطمع ايران فيها ورفض الشيخ ان يوقع [٢] .

ايران تستولى على الجزر الثلاث :

يقول ديوك كان الكل يعرف ان بوموسى والطنبين يتبعون الشارقة ، ورأس الخيمة الا شاه ايران الذى رفض ان يعرف . وعرف الشيوخ جميعهم ان ايران

(١) سيد نوفل ، مرجع سبق ذكره جـ ٢

(٢) عبدالحميد غنيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١١ .

هى أقوى قوة ضاربة في الخليج يجب ان ترض عليهم الا شيخ رأس الخيمة الذى أبى ان يعرف (١) .

كان هذا هو الوضع عشية الانسحاب البريطانى في منطقة الساحل العمانى . كانت ايران تنشر دعاويها بحملات دبلوماسية واسعة . وكان البريطانيون يميلون الى تسليم الجزر لايران بعد ان تبلورت سياستها وعرف البريطانيون اتجاهاتها . وبدأت الصحف البريطانية منذ يوليو ١٩٧١ تردد وجوب تسليم هذه الجزر الثلاث لايران قبل ان تنسحب بريطانيا من المنطقة وبالرغم من أن الاحتلال الايرانى لهذه الجزر بعد اخلاء بريطانيا للمنطقة سيثير الرأي العام العربى وستحتج على هذا العمل الحكومات العربية ولكنها ستنسى احتجاجاتها بسرعة كما عودتنا وقائع التاريخ ، وستعود العلاقات الى سابق عهدها (٢) . وصرح شاه ايران لصحيفة الفيجارو الفرنسية بأن هذه الجزر الثلاث ايرانية استولت عليها بريطانيا في فترة ضعف ايران أما الآن فانى امتلك قوة بحرية وجوية ضاربة يمكننى ان احتل بها هذه الجزر متحديا قوة بريطانيا في المنطقة .

صمم الشاه على حيازة الجزر بالمفاوضات او بالقوة اذا استدعى الأمر . يقول ديوك (٣) انه عرف من بعض البريطانيين الموثوق فيهم انهم قد عرفوا من بعض مستشارى الشاه ان الشاه لم يكن يريد هذه الجزر لأسباب حربية او استراتيجية رغم تصريحاته التى نحت ذلك المنحى . فقد أراد الشاه هذه الجزر لتثبيت صورته كحاكم قوى في اذهان الشعب الايرانى . نالت البحرين استقلالها ونال ذلك من صورة الشاه كحاكم قوى فكان عليه ان يصل شيئا لكى تعود صورته قوية كما كانت في نفوس شعبه .

---

(١) Anthony, J. D., Arab states ... p. 138.

(٢) Ibid. p. 140.

(٣) Ibid. p. 141.

ويقول ديوك [١] نقلا عن احد الثقات ان وزارة الخارجية الفارسية قد اخبرت الشاه والحت عليه في القول خلال عام ١٩٧١ بأن العالم العربي مشغول بالقضية الفلسطينية ومواجهة اسرائيل وان العرب بوضعهم هذا سيكون من الصعب عليهم مواجهة ايران دبلوماسيا أو عسكريا لأن قضية الأرض الفلسطينية المحتلة ادعى للجهود الدبلوماسية والعسكرية من بعض صخور على الخليج ، غير ان هؤلاء الدبلوماسيين عادوا في اكتوبر في العام ذاته يقولون للشاه انهم قد عرفوا ان بوموسى بصفة خاصة تنال اهتماما خاصا من جامعة الدول العربية فعلى الشاه ان يدخل في اتفاق مع حاكم الشارقة بخصوص تلك الجزيرة . واقترحت بريطانيا على الشاه ان يشترى بوموسى والطنبين او يؤجرها ايجارا سرمديا لا ينتهى بالزمن . ولم يكن الشاه حتى هذا التاريخ يؤمن بالتفاوض اذ ادعى ان بريطانيا قد ساومته سلفا بأن يترك ادعاءاته في البحرين لينظروا في أمر الجزر بطريقة ترضية . وأنكر المفاوضون البريطانيون ما قاله الشاه جملة وتفصيلا .

اضطر الشاه ان يدخل في مفاوضات مع شيخى الشارقة ورأس الخيمة تحت الوساطة البريطانية وتمخضت مفاوضات شيخ الشارقة عن تسوية بينه وبين ايران قبلها الشيخ بموجب خطابه الى وزير الخارجية البريطانية في ١٨ نوفمبر ١٩٧١ والذى جاء منه [٢] اشارة لمباحثاتنا حول الترتيبات بين الشارقة وايران بخصوص مسألة بوموسى اؤكد لكم انى اقبل الترتيبات المبينة في مذكرة التفاهم المرفقة بهذه الرسالة . وأكون ممتنا لتأكيد قبول الحكومة الايرانية من جانبها لهذه الترتيبات . وجاء رد طهران في ٢٥ نوفمبر ١٩٧١ من وزير الخارجية عباس على خلعتبرى يؤكد ان حكومته تقبل المذكرة الخاصة بأبى موسى .

---

(١) Ibid. p. 142.

(٢) محمد عزيز شكرى ، مسألة الجزر في الخليج العربي والقانون الدولي (دمشق ١٩٧٢) ص ١٨ .

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٧١ م / ١٣٩١ هـ أذاع أمير الشارقة [١] خالد بن محمد القاسمي من اذاعة صوت الساحل بانه قد تم الاتفاق بينه وبين الحكومة الايرانية على ما يلي : -

— ان ترتيبات هذا الاتفاق سوف لن تمس نظرة الشارقة في سيادتها على بوموسى حيث سيبقى علم الشارقة مرفوعا عليها كما سيبقى مرفوعا على مركز الشرطة في الجزيرة وعلى الدوائر الحكومية فيها وسيبقى مواطنو الشارقة يقيمون على الجزيرة كما كانوا .

— ستقوم شركة (بيوتس غاز آند أويل) بالكشف والتنقيب عن النفط في جزيرة بوموسى ومياهها الاقليمية البالغة ١٢ ميلا بحريا بحيث يجرى تقسيم دخل المصادر الطبيعية المستخرجة من هذه المنطقة مناصفة وبالتساوى بين الشارقة وايران .

— ستصل قوات ايرانية الى منطقة معترف عليها بين الطرفين .

— ستحصل الشارقة من ايران على مبلغ مليون ونصف المليون من الجنيهات الاسترلينية سنويا ولمدة تسع سنوات على ان يدفع هذا المبلغ للشارقة مباشرة ويجرى إنفاقه في مصالحها العامة . وتتوقف ايران عن الدفع حين يبلغ دخل الشارقة من النفط ثلاثة ملايين جنيه استرليني .

أما الاتفاق ذاته [٢] فقد نصت بعض بنوده على انه :

لن تتخلى ايران او الشارقة عن ادعائها في بوموسى ولا تعترف اي منهما بادعاء الأخرى وعلى ذلك تمت الترتيبات التالية : -

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

- تصل قوات ايرانية الى بوموسى وتحتل اماكن متفق عليها .

- في حدود المناطق المتفق عليها والتى تشغلها قوات ايرانية ستكون لايران ولاية كاملة وسترفع العلم الايرانى على هذه المناطق .

- تحتفظ الشارقة بولاية كاملة على باقي الجزيرة ويبقى علم الشارقة مرفوعا على مركز الشرطة كما سيرتفع العلم الايرانى على المراكز العسكرية الايرانية .

- تقر ايران والشارقة على ان حدود المياه الاقليمية للشارقة هى ١٢ ميلا بحريا .

- يتم استغلال المصادر النفطية في بوموسى وفي قاع البحر وما تحته ضمن المياه الاقليمية لها . وستستغله شركة بيوتس غاز آند اويل بموجب الاتفاقية القائمة التى يجب ان تقبلها ايران . ستدفع الشركة نصف العائدات النفطية الحكومية الناجمة عن هذا الاستغلال ، ابتداء من هذا التاريخ لايران ونصفه الآخر للشارقة .

- يكون لرعايا ايران والشارقة حقوق متساوية في الصيد في المياه الاقليمية لبوموسى .

- توقع بين ايران والشارقة اتفاقية مساعدة مالية .

وفي تبرير للشيخ خالد لاتفاقه مع ايران اكد انه كان مرغما على ذلك الاتفاق نتيجة للعوامل التالية : (١) .

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر - ١٩٤٥ - ١٩٧١ (القاهرة ، ١٩٧٤) ، ص ص٢١٥ - ٢١٦ .

—ان الدول العربية تعيش ظروفا صعبة ولن تتخذ اى اجراء ايجابى تجاه النوايا الايرانية .

—ان بريطانيا كانت حريصة على انهاء مشكلة الجزر قبل تنفيذ انسحابها النهائي من الخليج العربي وان ايران لم تكن لتسلم بقيام دولة الامارات العربية المتحدة ما لم تحل مشكلة الجزر.

—ان بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تساندان ايران في موقفها .

وذكر شيخ الشارقة بصدد ذلك « ماذا استطيع ان أفعل .. انا حريص على قيام الاتحاد وعلى عروبة الجزر وعلى حقن دماء أبناء شعبي » (١) .

وعلى عكس شيخ الشارقة رفض الشيخ صقر حاكم رأس الخيمة التفاهم مع ايران حول الطنبين رغم التحذيرات التى وجهها اليه السير وليام لويس مستشار الحكومة البريطانية الخاص في منطقة الخليج . حذر وليام لويس شيخ رأس الخيمة بأن ايران ستحتل الجزيرتين بالقوة ما لم يصل معها الى تسوية بشأنهما وان بريطانيا سوف لن تعتبر نفسها مسئولة عن ذلك اذ انها بصدد انهاء معاهداتها الخاصة بالحماية مع رأس الخيمة وغيرها من امارات الساحل العمانى . ورفض الشيخ ان يصل الى اتفاق رغم عرض ايران من انها ستشترى الجزر من الشيخ مقابل دفعات سنوية قدرها ١ر٦ مليون جنيه استرلينى لمدة تسع سنوات ومنح رأس الخيمة ٤٩ ٪ من اي ثروة معدنية اونفطية تكتشف في الجزيرتين . ورد الشيخ صقر على هذه العروض التى حملها لويس بأننا « لن نتخلى أبدا عن ارضنا ولسنا مستعدين للدخول في صفقات لبيع الأرض » (٢) .

وفي الساعة الخامسة من صباح الثلاثاء ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ قامت وحدات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) محمد عزيز شكرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٥ .

من طائرات الهليوكبتر من سلاح الجو الايرانى بالتحليق على طنب الكبرى كما احاطت بالجزيرة وحدات من الاسطول الايرانى . ونزل الجند الى الجزيرة واستشهد اربعة من الشرطة من اصل ستة أفراد بالمركز واصيب الآخران بجراح وقتل ثلاثة أفراد من القوات الغازية .

واحتلت القوات الايرانية طنب الصغرى التى كانت خالية من السكان تماما .

ردود الفعل محليا :

أصدرت رأس الخيمة بيانا تشجب فيه الاحتلال العسكرى الايرانى للجزر وأعلنت انها قدمت لبريطانيا احتجاجا لتخليها عن مسئوليتها ازاء الجزر . كما أوضح البيان ان رأس الخيمة لن تدخل في اتحاد الامارات العربية الا وفقا للشروط التالية [١] :

أ ــ أن يتبنى الاتحاد مشكلة الجزر واعادتها بالطرق الدبلوماسية ..
ب ــ عدم اقامة اي علاقات سياسية واقتصادية وثقافية بين الاتحاد وايران .

جـ ــ أن يتم ترحيل جميع الايرانيين الموجودين في الامارات والذين لم يمض على وجودهم اكثر من خمس سنين ولم يحصلوا على جنسية من احدى الامارات .

وعلى المستوى الشعبى قامت مظاهرات عنيفة في رأس الخيمة ودبي والشارقة معادية لبريطانيا وايران واحرق المتظاهرون بعض المؤسسات الايرانية . كما أعلن الشيخ صقر شيخ رأس الخيمة في ٣ ديسمبر ١٩٧١ ان امارته تتطلع

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ٢١٧ .

لاستقبال اى قوة عربية بغرض الدفاع عن الجزر التى احتلها ايران سواء كانت هذه القوة من دولة عربية واحدة او من عدة دول .

حاول البعض اغتيال حاكم الشارقة وشقيقه صقر بن محمد الذي استقبل القوات الايرانية التى احتلت بوموسى ، وتمّ مصرعه بالفعل في ٢٥ يناير ١٩٧٢ في المحاولة الانقلابية التى تزعمها صقر بن سلطان حاكم الشارقة السابق . وقد كان واضحا ان تلك الحركة ما هى الا بمثابة رد فعل للاحتلال الايرانى للجزر . هذا مع عدم استبعادنا بطبيعة الحال للدوافع الشخصية وراء المحاولة الانقلابية [١] .

ردود الفعل دوليا وعربيا :

في ايران صرح عباس هوفيدا رئيس الوزراء بأن وزر مقتل البعض من شرطة طنب الكبرى يقع على المسئولين في رأس الخيمة الذين لم يأمروا الشرطة بعدم مقاومة الاحتلال [٢] .

وفي بريطانيا صرحت الحكومة معلنة عن أسفها للأرواح التى ازهقت وأعلنت الحكومة البريطانية مسئوليتها عن الحادث . كما أعلنت الحكومة البريطانية عن أسفها لعدم توصل شيخ رأس الخيمة وايران لاتفاق على غرار اتفاق حاكم الشارقة رغم العروض السخية التى قدمت له . وأعربت الحكومة البريطانية عن أملها في ان لا تعلق الجامعة العربية اهتماما كبيرا على احتلال ايران لجزيرتين صغيرتين ، وان عليها ان تقارن بين النجاح الذى احرزته السياسة البريطانية ازاء قضايا الخليج الأخرى كاستقلال البحرين وقطر ، واعلان قيام دولة الامارات المتحدة . وأضافت الحكومة البريطانية ان على

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
(٢) عبدالحميد غنيم ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٢ .

جامعة الدول العربية ان تركز الجهود لانضمام رأس الخيمة الى دولة الامارات العربية وتدعيم العلاقات العربية الايرانية [1] .

أما على المستوى العربي فقد طلب مجلس الأمة الكويتي باتخاذ اجراءات مشددة ضد الاطماع الايرانية ، كما وافق المجلس على التجنيد الاجباري لأول مرة في تاريخ الكويت . وطالب وزير الدولة الكويتي وزراء الخارجية العرب باتخاذ استراتيجية عربية موحدة لمواجهة الموقف بجد وفعالية [2] .

وقررت دولة العراق قطع علاقتها الدبلوماسية مع ايران وطالبت الدوائر الرسمية والشعبية في العراق بمبادرة جميع الدول العربية لقطع علاقاتها بايران وبريطانيا وعلى ارغام ايران عن طريق الأمم المتحدة على سحب قواتها . كما أصدرت الاحزاب والمنظمات الوطنية في العراق بيانات تندد بالاحتلال الايرانى للجزر وأكدت ان ذلك العمل يستهدف عروبة الخليج ويمهِّد للمخططات الإمبريالية في المنطقة .

أما ليبيا فقد سحبت أرصدتها من البنوك البريطانية وقامت بتأميم شركات البترول البريطانية كما طلبت الى العراق السماح لها بانزال قواتها في البصرة [3] .

ولم تزد بقية الدول العربية عن اصدار بيانات تعرب عن دهشتها واستنكارها .

واجتمع في ١٣ نوفمبر ١٩٧١ ، تلبية لدعوة الأمين العام للجامعة العربية التى جاءت نتيجة للمذكرة المقدمة من الحكومة العراقية التى طالبت بتحالف

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ٢١٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) Anthony, J. D., op. cit. p. 27.

عربي لمواجهة الاطماع الايرانية قبل ان تتحقق . ولم تتمخض اجتماعات الجامعة العربية عن شيء اذ تغلبت ابان تلك الاجتماعات الاتجاهات التي كانت تدعو الى التقارب العربي الايرانى فاعتبر موضوع الجزر مشكلة تتعلق ببريطانيا والعرب وليس بين العرب وايران [1] .

وأثيرت المشكلة في مجلس الأمن في ٩ ديسمبر ١٩٧١ فأصدر المجلس قرارا يعرب عن أمله في ان تسفر وساطة يجريها طرف ثالث عن تسوية سلمية . وكان ممثلو الدول العربية قد طالبوا باتخاذ اجراءات ضد بريطانيا التى لم تنفذ التزاماتها المنوطة بها بموجب المعاهدات التى تفرض عليها حماية جزر الخليج . وتبارت الوفود العربية في وصف ما قامت به ايران وقالوا ان ذلك يمثل خرقا واضحا وفاضحا لميثاق الأمم المتحدة وان الاحتلال كان تواطئا بين ايران وبريطانيا وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية . رد المندوب الايرانى انه ليس لايران اى سياسة توسعية وان تلك الجزر كانت دائما جزءا من ايران واستشهد على ذلك بالخرائط البريطانية الصادرة عام ١٨٧٠ والتي تشير الى جزيرتى طنب باعتبارهما جزيرتين ايرانيتين . ولعل المقصود بذلك ان هاتين الجزيرتين قد ظهرتا في الخرائط بنفس اللون الذى اعطته الخريطة لإيران ، وهذه حجة واهية لأن المحاكم الدولية التحكيمية والقضائية تتحفظ كثيرا في قبول الخرائط بمثابة دليل على الحدود . فالمحاكم لا تعرف بالضبط مصدر معلومات رسامى الخرائط وهذه الخرائط التى استشهد بها المندوب الايرانى لا يمكن نسبتها الى الحكومة البريطانية الا اذا كانت من وضع شخص يمثل الحكومة البريطانية في علاقاتها الدولية وهذا شرط غير متوفر في هذه الحالة [2] .

---

(١) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ٢١٨ .

(٢) محمد عزيز شكرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص٣٤ - ٣٥ .

جزر عربية اخرى تؤول الى فارس :

ومن الجزر التى آلت إلى فارس ، جزيرة حنجام التى كان يسيطر عليها البنو ياس ثم عاقتهم الاتفاقات البريطانية دون تثبيت حقوق سيادتهم عليها . قامت فارس في مطلع هذا القرن بالهجوم على حنجام (١) وطردت شيخها العربي الذى كان صهر شيخ دبي . ولم تكن لهذا الشيخ علاقة من اى نوع بفارس ولا اتباعها إنما كانت علاقتهم بأهلهم من عرب الساحل الغربي للخليج العربي وطيدة . ساعد قائد البحرية البريطانى الحكومة الفارسية على طرد الشيخ العربي . وأدرك شيوخ الساحل المهادن انه لولا المساعدة البريطانية ما تمكنت الحكومة الفارسية من ان تقلع الشيخ العربي من أرضه . وقال شيخ دبي للمقيم صراحة انه « لولا مرابطة مراكب البريطانيين المسلحة بالمدافع لهرع العرب بالآلاف واستردوا سيادتهم على قشم وحنجام وكل الموانىء والمناطق التى كانت لهم عليها سيادة في الجزء الشرقي من الخليج » . وأضاف شيخ دبي في حديثه للمقيم تحذيرا للبريطانيين بأنهم اذا تقاعسوا عن مساندة العرب ضد اخطار الاستعمار الفارسى فلا بد للعرب من ان يمزقوا هذه الاتفاقات التي لا تغنى ، ولا بد لهم أيضا من تعطيل المصالح البريطانية فوق البحر وتعويق الطريق الجوى كما سيقتل العرب كل فارسى يقطن الساحل الغربي للخليج العربي (٢) . ولم يجد البريطانيون بدا من ان يتدخلوا دبلوماسيا لدى فارس وأعاد هؤلاء الشيخ الى الجزيرة . ثم ما لبث الايرانيون ان تمكنوا من الجزيرة مرة اخرى حين احتلوها عسكريا في عام ١٩٥٠ . وفي عام ١٩٦٤ قامت ايران بتأكيد حيازتها لجزيرة صيرى كما انتزعت في عام ١٩٦٨ ثلاث جزر من الكويت هى فارس وحارق وعربى (٣) ثم قامت في اواخر عام ١٩٧١ بحيازة بوموسى والطنبين .

---

(١) (1.0) L/P. & S./18 - B. 403, the Tzrucial Chiefs, 1908 - 1928.

(٢) Ibid.

(٣) (P. R. O.) F. O. 371/20773, Status of Islands in the Persian Gulf 1937, Farsi, Harque and Arabi.

ولنجمل ما فصلنا سرده نقول ان البريطانيين قد وصفوا الخطين المانعين ثم اتفاق ١٨٥٣ الذى منع عرب الساحل العمانى من الحرب على اطلاقها وفصلوا بهذا الجزر العربية عن الساحل الغربي للخليج العربي . حافظ البريطانيون على هذه الجزر ووقفوا ضد ايران متعللين باتفاق ١٨٩٢ وكثيرا ما كان البريطانيون يوصون شيوخ الساحل العمانى برفع أعلامهم على جزرهم حتى لا تصير الى غيرهم . وقد اتضح اخيرا ان كل ذلك النصب كان لتحقيق مصلحة بريطانيا الذاتية في إبعاد أية قوة اخرى عن مداخل الخليج ثم لإظهار سطوتهم في المنطقة والظهور بمظهر من يحافظ على الحق لاصحابه حتى يركن الحكام اليهم ويأنسوا الى سياستهم .

ولما أرادت بريطانيا انترحل من المنطقة رأت ان تسلم مفاتيح الخليج العربي لايران بعد ان وضح خط سياستها فما عادت بريطانيا والمعسكر الذى تتبعه يخشى من تسلط حكومات الشاه في الخليج . وبهذا ضاعت - على الأقل في الوقت الحاضر - هذه الجزر من أطراف العالم العربى وصارت الى ايران .

الخاتمة

الخاتمة

للخليج عدة مآثر استراتيجية واقتصادية أدرك الاستعمار اولاهما قبل الثانية فجاء البرتغاليون يستثمرون ويستعمرون ويبشرون . عاصر البرتغاليون في الخليج منافسة قوى اوربية اخرى خاضت معهم معارك وانتهى أمر البرتغاليين في الخليج بضربات قاضية جاءتهم من عرب عمان بعد سلسلة متصلة طويلة من الكفاح العربي ضد الاستعمار .

استطاعت شركة الهند البريطانية ان تجد لنفسها موطىء قدم على الساحل الشرقي للخليج ، ثم ما لبثت ان أسست الوشائج الطيبة بالهدايا مع المسئولين الفرس الذين ما كان الخليج في تلك الفترة يعنيهم كثيرا اذ سيطرت القبائل العربية على سواحله ، وإمام عمان الذي أراد أن يستعمل قوة البريطانيين في تأمين تجارته ضد أهل الساحل العمانى ، تناقضت المصالح التجارية في المنطقة مع مصالح أهل ساحل عمان الذين عملوا بالتجارة والملاحة وكان ابن ماجد أشهر ملاحى طلائع العصر الحديث منهم .

خنقت التجارة البريطانية وتعاونها اللصيق مع مسقط تجارة أهل ساحل عمان فأنقلبوا يقاومونها ونالوا منها كثيرا ، ساعدهم في هذا طبوغرافية الساحل الذي كانوا يقطنونه ، وخبراتهم الموروثة في البحر والابحار . أعمل البريطانيون القانون الاستعمارى فرق تسد ، وضربوا القواسم بأهل مسقط وأفادوا في تأمين تجارة بريطانيا بموجب اتفاق ١٨٠٦ . غير ان المد التسربي والعسكرى للدولة السعودية الأولى انهى اتفاق ١٨٠٦ وتجدد الكفاح ضد البريطانيين ورعاياهم من غير أهل الكتاب . وغيرهم من أهل المنطقة الذين لا يؤمنون

بالقيم السلفية . وجرد البريطانيون الحملات بمساعدة سلطان مسقط الذي اتحدت مصالحه مع البريطانيين في مقاومة المد السلفى حفاظا على سلطنته . وكانت اولى هذه الحملات حملة ۱۸۰۹ التى لم تنته الى تعهد او اتفاق اذ لم تجد في منطقة الساحل من تعتمد على نفوذه وتفاوضه فقد كان الأمر بيد السعوديين . ولم تشأ بريطانيا ان تدخل في علاقات مع السلفيين الذين كانت تخشى امتداد حركتهم التوحيدية وان كانت تصانعهم وتداهنهم لضمان استمرار سير بريدها الصحراوى .

ساقت بريطانيا بمساعدة مسقط حملة في ١٨١٤ وكانت واجهة هذه الحملة مسقطية . وسيرت حملة اخرى في عام ١٨١٩ بعد سقوط الدولة السعودية الأولى بغرض « سحق » قوة الساحل العمانى تماما . ونالت هذه الحملة من قوة أهل المنطقة فدخل شيوخها في ١٨٢٠ في اتفاقية السلم العام بعد ان أمهروا عدة تعهدات انفرادية وجاء اتفاق ١٨٢٠ مفروضا من ظافر على خاسر لا يصلح ان يكون أساسا لعلاقة دولية .

صار أهل الساحل العمانى يحسون قوة بريطانيا بعد هذا التاريخ وأكد البريطانيون هذا الاحساس بتصديهم لكل محاولات الثورة العربية بالردع الحاسم وكانت محاولة ابو ظبي للثورة على السيطرة البريطانية في عام ١٨٣٥ هى آخر المحاولات المنظمة الجادة .

اقتصرت العلاقات بين بريطانيا وأهل الساحل العمانى على البحر اذ لم تكن بريطانيا ترى في ذلك البر المقفر شيئا يسترعى التدخل . وكان الساحل لعرب الساحل العمانى هو الحياة بعينها اذ لم يكن لديهم الا القليل يستثمرونه في البر ولذلك وقعت بعض الحوادث في البحر بين القوى المحلية فأرادت بريطانيا القضاء عليها قضاء مبرما لئلا يستفحل أمرها ويتطور . وبدأ السعى البريطانى الحثيث لذلك الهدف فنظمت سواحل صيد اللؤلؤ باتفاق فرضته على الشيوخ في عام ١٨٧٩ ، كما عقدت اتفاقات الرقيق المختلفة بغرض احكام سيطرة

السفن البريطانية على تجارة ومقدرات المنطقة ، وأبت بريطانيا ان تشاركها الدولة العثمانية في التعرض لسفن الشيوخ وتحقيق « الغرض الانسانى » من وراء كبح تجارة الرقيق . واستطاعت بريطانيا بهذه المعاهدات ان تراقب أمور الساحل وتحصى سفنه وتسعى الى إبطال كل أثر للتجارة العربية لمشيخات الساحل وتقطع من علاقاتها بافريقيه التى كانت تمد المنطقة بالكثير من الرجال العاملين في صناعة اللؤلؤ وفي المجالات العسكرية .

ابتدع البريطانيون نظام الخط المانع وطبقوه في المنطقة منذ عام ١٨٣٥ بحيث لا يستطيع اي شيخ ان يأخذ سفنه المسلحة الى ما وراء ذلك الخط . ولما كانت سفن التجارة مسلحة لم تستطع تلك السفن التجارية بفضل محاصرة البريطانيين ، من ان تستمر في أعمالها وتناقص عددها تناقصا ملحوظا . واتجهت المشيخات للعمل في سواحل اللؤلؤ . وابتدع البريطانيون بعد هذا أيضا نظام الهدنات البحرية في مواسم صيد اللؤلؤ . اقترحت بريطانيا تنظيم الهدنات البحرية وأحدث المقيم الاتفاق الأول وأمهره الشيوخ. تطور نظام الهدنة البحرية في مدته ومفعوله في الفترة ١٨٣٥ ـ ١٨٤٣ من ستة أشهر ، الى ثمانية أشهر ثم الى سنة كاملة تجدد دوريا . وامتد عمر الهدنة بعد عام ١٨٤٣ الى عشر سنوات ثم غدت الاساس لاتفاقية السلم الشاملة في ١٨٥٣ . حرمت اتفاقية السلم العام الشيوخ من حق الحرب المشروعة الذي اباحته اتفاقية عام ١٨٢٠ وأصبح المقيم البريطانى في الخليج هو الملجأ والملاذ والقاضى في المشكلات التي تنشأ بين المشيخات المختلفة على البحر . وبهذا أصبح المقيم في الخليج هو الحاكم الفعلي والمسيطر الاساسى على المقدرات الاقتصادية والسياسية في المنطقة وكان همه الاساسى هو المحافظة على « الوضع الراهن » حتى لا يقوى شيخ بضم اراضى شيخ آخر . وضع البريطانيون في اتفاقاتهم مع شيوخ المنطقة أمن البر كشرط من الشروط ولكنهم وجدوا في اقتتال المشيخات برا مصلحة لهم اذ تشغل الحرب البرية الشيوخ عن حرب البحر وتزيد في ضعفهم وتفككهم .

وأصبحت منطقة الساحل العماني شبه مستعمرة بريطانية يحقق فيها الاستعمار ما يصبو اليه دون ان يقيم معسكرات لجنده في منطقة مجدبة ، وظروف مناخية واجتماعية صعبة . وكان عدم التدخل السافر في شئون المستعمرات من أبرز النقاط التى ميزت الاستعمار البريطانى عن غيره في كل اصقاع العالم . فقد كان البريطانيون يصلون الى هدفهم في السيطرة من وراء ظروف تكوين الاقليم والاستعانة بالاتفاقات والادارة الأهلية . والرعايا والمجندين من أهل الشعوب المغلوبة .

سيطر البريطانيون على البحر واقتصر الشيوخ على البر وأورثهم هذا فقرا جعل البيوتات تنقسم على بعضها البعض وكثرت المؤامرات في عائلات الشيوخ كل يريد ان يظفر بما في يد أخيه فيقتله وأصبحت اصابة الحكم في المنطقة بالطرق الشرعية من الأشياء النادرة .

عقدت الحكومة البريطانية أول اتفاق مانع في ١٨٣٩ مع شيخ الشارقة حيث حظر شيخها على نفسه التعامل مع القوى الأخرى الا عن طريق بريطانيا . وكان القصد من هذا الاتفاق مقاومة المد المصرى في ايام محمد على على المنطقة . وبدأت في تلك السنة فكرة استعمال الساحل العمانى . وبعد ان حصروا رجاله في البر ، كدولة عازلة لتتكسر عندها كل القوى العربية الزاحفة الى المنطقة عن طريق داخلية الجزيرة العربية ، وغدت تلك هى المهمة الاساسية لهذا الساحل في السياسة البريطانية حتى تغير الأمر حين ارادوا ان يستعملوا البر كطريق للطيران وانقلبت السياسة تماما حين تدفق البترول .

تعرضت بريطانيا لتدخل القوى الكبرى في الخليج والعمل ضد المصالح البريطانية . كما تطلع الفرس الى البحرين والساحل العمانى بعد ان استطاعوا بالتغاضى البريطانى السيطرة على بعض الأجزاء العربية في الساحل الشرقي للخليج . ولم ترض بريطانيا عن الاطماع الفارسية الجديدة اذ قضت مصلحتها حصر رجال الساحل العمانى في المنطقة الغربية في الخليج وقطعهم هنالك من

ان يكون لهم بعرب الساحل الشرقي اي اتصال يكثر من رحلات السفن العربية وانتعاشها وتستطيع ان تحقق بذلك شق الخليج الى قسمين وتجد منفذا بين البينين لطرقها التجارية ، ولذلك فهى بالمثل لن تسمح للفرس بنسج ذلك التمزق .

اتحدت المصلحة البريطانية مع المصلحة الفارسية في سيطرة الفرس على الساحل الشرقي للخليج وتناقضت مصالح الأثنين حين طمح الفرس الى المزيد . عقد ذلك المقيم اتفاق ١٨٨٨ ليمنع به التطلع الفارسى عن الساحل العمانى ويبعده عن ما ظنوه تدخلا فرنسيا. وتأكد هذا التعهد باتفاق ١٨٩٢ السرمدى المانع اذ ضمن الأخير لهم عدم التعامل مع القوى الأجنبية الا من خلال بريطانيا وعدم استضافة مندوبين للقوى الأخرى في المنطقة وهو ما ضمنه الأول كذلك ، غير ان هذا الاتفاق قد ربط الشيوخ الذين أقروه كما ربط كل من يخلفهم من ورثتهم بأحكامه .

أبقى البريطانيون علي الساحل المهادن بعيدا عن رياح التغيير فحجبوه بموجب تلك الاتفاقات عن العالم وحافظوا بحجة عدم التدخل على الجهل وتغاضوا عن المرض واستأنسوا الشيوخ والوجهاء بالوعيد وبالترغيب .

كان دفاع بريطانيا عن حدود مشيخات الساحل العمانى ضاربا وصادقا حفظا لمصالحهم في تلك المنطقة فوقفوا ضد الاتراك العثمانيين وامتدادهم في الخليج ، وأعانوا أبو ظبي على تثبيت حدودها في خور العديد الذى وجد له مكانا في جدول أعمال مجلس الوزراء البريطانى واخذ الكثير من اهتمام بريطانيا العظمى . كما وقف البريطانيون يدافعون عن حدود المنطقة ضد السعودية ، وهم المدركون تماما ان الحدود في تلك الصحراء وهمية ، وان العرب امة بعضها من بعض ، وان الحدود بين الاشقاء هى حدود مصلحية عارضة . ودافع البريطانيون عن أرض الساحل العمانى ضد النفوذ الفارسى وبرهنت الاحداث لعذ ذلك ان ما فعلته بريطانيا كان دفاعا عن مصالحها واستراتيجيتها

اذ سلمت بعض أرض العرب التى استأسدت لاكثر من قرن من الزمان في المنافحة عنها الى الفرس ثم رحلت ، بعد ان ألغت اتفاقاتها جميعها في ١ ديسمبر ١٩٧١ .

المَلاحِق

ملحـــق رقـــم / ١

معاهدة عام ١٨٠٦ بين الأمير سلطان بن صقر بن راشد وشركة الهند الشرقية بتاريخ ٦ فبراير ١٨٢٠ (*)

كانت هذه أولى معاهدات بريطانيا ومشيخات الساحل العماني ويلاحظ ان الاتفاق ، رغم انه جاء نتيجة لانكسار القواسم ، لم يكن مجحفا تماما اذ اعترفت سلطات الشركة للأمير بأرضه على جانبي الخليج العربي .

ولعل في كل « أمير » التي جاءت في الوفاق ما يدل على ان الشيخ سلطان بن صقر كان يستمد سلطته الشرعية من الدرعية .

(*) نقلا عن :

Aitchison, C. U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads Relating to India and the neighbouring Countries, Vol. VIII, (Calecuttá, 1856) Treaty No. L XIII.

نص المعاهدة

Coulnamah or Agreement between sheik Abdulla Bin Groosh, on the part of sheik-Ul Mus sheikh Ameer Sultan Bin Suggur Bin Reshid, Goasme and Captain Devid Seton, on the part of the honourable East India Company. In Bunder Abbass, This 6 day of Feb.

Article I.

There shall be peace between the Ronovuable East India Company and Sultan Bin Suggur, Joasmee and the whole of his dependants and subjects on the shores of Arabia and Persia, and they shall respect the flag and the property of the Honourable East India Company, and their subjects whenever and in whatever it may be, and the same the Honourable East India Company Towards the Joasmee.

Article II.

Should the Joasmee infringe the above, they shall be liable to the sum of dollars 30,000 and on this condition Captain David Seton agrees to receive from Amir Sultan Bin Suggur the Brig now Lying at Muscat and to drop the claims to the cargo, guns, etc. of the Said Vessel and the Shannon.

Article III.

Whatever British Property shall be found in the Sorie fleet shall be restored.

Article IV.

Should any British Vessel pouch the coasts of the Joasmee for wood or water, or be forced on shore by stress of wheather or any other causes, the Joasmee shall assist and protect the Said Vessel and property and permit it to be dispased or carried away, as their owners shall see fit, without claim or demand.

Articl V.

Should Johood compell the Joasmee to infringe this peace, they shall gire three month's notice in all places.

Article VI.

When the above is confirmed and ratified by both parties, the Joasmee shall frequent the English ports from Surat to Bengal.

Signed/David Seton
Sealed/Abdulla bin Croosh

Signed, Sealed and Confirmed
Sultan bin Suggur

Approved and Sanctioned by the Governer General in Council on 29th April 1806.

ملحق رقـــم / ٢

نموذجان من المعاهدات الانفرادية (*)

—جاءت هذه المعاهدات الانفرادية التي عقدت مع شيوخ الساحل المختلفين بعد حملة ١٨١٩ وقبل الدخول في اتفاق ١٨٢٠ وذلك بقصد ان يعالج القائد البريطاني الأمور ذات الصبغة الفردية في كل مشيخة بما يتفق وأهداف السياسة البريطانية وما يلائم وضع الشيخ في أهله قوة وضعفا ومنزلته عند حاكم مسقط . وقد حملت هذه المعاهدات روح التفرقة التى سادت الأقليم والتي استغلها البريطانيون بعد هذا كلما كان ذلك ملائما لأهدافهم .

—ربط بين هذه المعاهدات الانفرادية خيط واحد جمع شعثها وهى روح الانتقام من قبائل الساحل العمانى كلها وتدمير تجارتها فقد استولت الحملة لصالح الجيش الغازى والتابعين له على كل السفن الكبيرة التى وقعت عليها الحملة . كما احرقت الحملة عددا كبيرا من السفن الكبيرة ولم تترك لأهل المنطقة الا سفن صيد السمك والغوص للؤلؤ وذلك تحقيقا لهدف الحملة من تدمير كل قوة للقواسم والتابعين لهم « تدميرا كاملا » .

تسبب الانكسار العربي وضعف السفن الحربية العربية بعد هذا في تفتيت المشيخات وبداية ضمور المشيخات العربية على الجانب الشرقي من الخليج .

---

(١) نقلا عن :

Aitchison C. U., Ibid. Treaty No. L XIV.

Traslation of Preliminary Treaty with Hassun Bin Rahmah

In the name of God, the merciful, the Compassionate

Know all men that Hassun Bin Rahmah has been in the presence of General Sir William Grant Keir, and there have passed between them the following stipulations.

Article I.

The towns of Ras alKhyma and Maharra and the Towers which are in the date groves near the town, shall remain in the hands of the British Government.

Article II.

If any of the vesseles of Hassum B. Rahmaha are in Sharjah, or Umin-Ul-Govyn or Amam, or any other of the places to which the General shall go with the force, they shall be surrendered to the General, and the General will leave those which are for the pearl fishery and fishing boats.

Articte III.

Hassun B. Rahmaha shell give up all the Indian Prisonere if any are in his possession.

Article IV.

After the excution of these engagements, Hassun, B. Rahmaha shall be admitted to the terms of the general treaty with the friendly (literally the pacified) Arabs.

End of Articles

Issued atRas al Khyma in the forenoon of saturday, the twenty-second of the month of Rube-Ul-awal, in the year of the Hegire, one thousand two hundred and thirty-five, corresponding to the eights of January 1820.

Signed/W. Grant Keir
Major General
The signature of Hassun Bin Rahmaha

Copy of the Articles between the general & Hassun Bin Rahmaha. Witness my hand and seal.

Signed/W. Grant Keir
Major General

Translation of a treaty of sheik of Dubey

In the name of God, The Merciful, The Compassionate.

Know all men that Mahmed bin Haza bin Zaal, a minor, Accompenied by Ahmed bin Futiess, Has been in the Presence of William Grant Keir, and there have passed between them the following stipulations.

Article I.

The people of Dubey shall surrender to the general the vessels which are in Dubey and its dependencies and guns which are in the Towers. The general will leave the boats which are in the pearl fishery and the fishing boats.

Article II.

The people of Dubey shall give up all the Indian Prisoners if any such are in their Possessions.

Article III.

The general will not the Troops to enter the town to lay it waste, as a mark of consideration towards his highness the Imam Saeed bin Sultan on the part of the general, he will not demolish the port and the Towers.

Article IV.

After the excution of these engagements, Mohmed bin Haza bin Zaal and his followers shall be admitted to the same terms of peace of the remainder of the friendly (literally the pacified) Arabs.

On these conditions there is a cessation of hostilities between the British and Mohmed bin Haza bin Zaal and his followers with the exception that their boats are not allowed to go to sea.

Done at Ras al Khyma on 23rd. of the month of Rube-Vl-Awal in the year 1235, Corresponding to 9th of January 1820.

Signed/W. Grant Keir
Seal Ahmed Futeiss

Witinessed by the signature of sheik Hamza bin Mohmed bin Zubu al Moyzzine, sheik of Kism, with his own hand.

Copy of the article between the general and Mohmed bin Haza. Witness my own hand and seal.

Signed/W. Grant Keir
Major General

ملحق رقم / ٣

المعاهدة العمومية ـ ١٨٢٠ (*)

ـ شكلت هذه المعاهدة أساسا لبداية السيطرة الفعلية على الساحل العمانى إذ افرخت عن وجود لوكيل وطنى دائم في المنطقة صار لبريطانيا الولد الذى يدير حبال المسرح .

ـ تميزت هذه الاتفاقية بغموضها الثقيل مما جعل أمر تفسيرها في يد المقيم البريطانى في الخليج وسلطات حكومة الهند .

ـ وضعت الاتفاقية تجارة الرق موضع القرصنة وذلك لإدراك واضعي الاتفاقية لمكانة الرق في عصب اقتصاد المنطقة الذى ارادوا له ان يضعف .

ـ جاءت هذه الاتفاقية بعد انكسار عرب الساحل العمانى تماما أمام البريطانيين وقد استعمر البريطانيون هذه الأرض عسكريا ولكنهم جلوا عنها للظروف الطبيعية والبيئية ثم حكموها بعد هذا بالزيارات المتكررة لقطع اسطول الخليج لموانىء الساحل .

(*) نقلا عن : (1.0) L/P & S/7/195.

المعاهدات البحارية فيا بين دولة البهية البريطانية ومشايخ المتصالحين ١٣٣٦ هـ ـ ١٩٠٦م

كما اننا نجد نفس الوثيقة في (1.0) L/P & S/18/387B. 409.

وكذلك في (1.0) L/P & S/20/C./89.

ولذلك فان اشاراتنا القادمة « للمعاهـدات التجارية » يمكن الرجوع اليها في اي من هذه السلاسل .

كذلك في المتحف البريطاني (B. M.) تحت I. S./158/2

معاهدات فيمابين دولت البهية البرطانية و مشايخ المتصالحين في عمان -

للملاحظة

اذا بعد هذا حصل الاشتباه في معنى عبارة اي جزء من نص الشرايط المعاهدات في الكلية او عربية فالنص الانكليزي موثوق به للتوضيح ذالك قطعياً

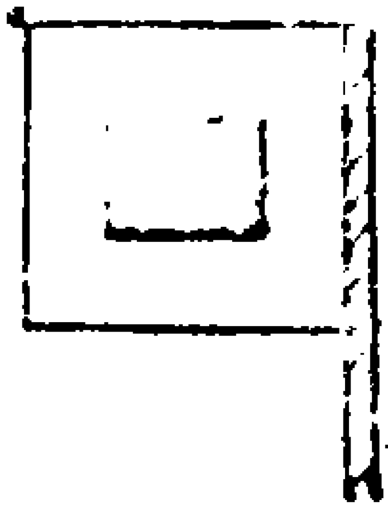
معاهدة العمومية مع الاقوام العرب في خليج فارس في سنه ١٨٢٠ ع

ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ

الحمدلله الذى جعل الصلح خيراً للانام وبعد قد صار الصلح لدائيم بين دولة سركار الانكريز و بين الطوايف العربيه المشروطين على هذه الشروط ـ

الشرط الاول ـ ان يزال النهب والغارات في البر والبحر من طرف العرب المشروطين في كل الازمان ـ

الشرط الثاني ـ ان تعرض احد من قوم العرب المشروطين على المترددين في البر والبحر من كافة الناس بالنهب و الغارات لا بحرب معروف فهو عدو لكافة الناس فليس له الامان على حاله ولا ماله و الحرب المعروف هو الذى مناداً به معلنين مامور به من دولة الى دولة وقتل الناس و اخذ المال بغير منادية و تبيين و امر دولة فهو النهب و الغارات ـ



الشرط الثالث ـ ان العرب المتصالحين لهم في البر والبحر علم احمر فيه حروف اولا حروف على مطلوبهم وهو في نفقة ابيض عرض الابيض اللذي في الكفة يعادل عرض الاحمر كما هو مصور في الحاشية وان هذا هو علم العرب المصالحين فيستعملون به ولا يستعملون بغيره ـ

الشرط الرابع ـ ان الطوايف المصالحين كلهم على حالة الاول الا انهم صار الصلح بينهم و بين دولة سركار الانكريز و ان لا يحارب بعضهم بعضاً و العلم هو الشاهد على ذلك فقط وليس هو شاهد على غيره ـ

الشرط الخامس - ان مركب العرب المصالحين كلهم بايديهم قرطاس مرشوم بخط اميرهم فيه اسم المركب وطوله و عرضه و كم يحمل من كاره و بايديهم ايضاً مكتوب آخر مرشوم بخط اميرهم فيه اسم صاحب المركب و اسم الناخدا و عدد الرجال و عدد السلاح و من اين سار وفى اي وقت و الى اي بندر بتوجه فان تعرض لهم مركب من الانكريز او غيرهم يعرضون عليه القرطاس و المكتوب -

الشرط السادس إن العرب المصالحين ان كان مرادهم يرسلون رسولا الى سركار الانكريز في بحر الفارس و معه الذي يحتاج اليه فيجلس مع السركار حتى يقضى غرضهم منه و سركار الانكريز ان كان مراده يرسل رسولا ايضاً الى عندهم كذالك و الرسول يلحق خطه الى خط اميرهم في قرطاس مراكبهم المذكور الذي فيه طول المركب و عرضه و كم يحمل من كاره و ينبغي خط الرسول يجدد فى كل سنة و ايضاً كل من المرسولين خرجه على قومه -

الشرط السابع - ان كان طايفة او غيرهم لا يزالون من النهب و الغارات فالعرب المصالحون يقومون عليهم على قدر حالهم و يصير بين العرب المصالحين و بين الانكريز كلام فى ذالك فى وقت وقوع ذلك النهب والغارات -

الشرط الثامن - ان قتل الناس بعد تسليم السلاح فهو من الغارات ولا من العرب المعروف و ان كان طائفة يقتل الناس مسلمين اوغيره بعد تسليم السلاح فهو قد اخلف الصلح فان العرب المصالحين مع الانكريز يقومون عليهم وان شاء الله تعالى فلا يزال عليهم العرب الا بعد تسليم من فعل بذالك وحكم به -

فرشمه من طرف محمد بن هزاع بن زعل شيخ دبي و هو صغير السن في الشارقة في يوم الجمعه ثاني عشر من شهر ربيع الثاني سنه ١٢٣٥ الهجريه مائتين خمس وثلاثين بعد الالف ـ

زايد بن سيف علي محمد (بن سيف عبد ايد)

فرشمه في شارقه في تاريخ ظهر يوم الجمعه تسعة عشر من شهر ربيع الثاني سنه ١٢٣٥ الهجريه مائتين خمس و ثلاثين بعد الالف ـ

كتبه سلطان بن صقر بيده (بن صقر الواثق بالله سلطان)

فرشمه في شارقه الوكيل من طرف الشيخين سليمان بن احمد و عبدالله بن احمد بحسب و كالته عن الشيخين في تاريخ يوم السبت عشرين من شهر ربيع الثاني سنه ١٢٣٥ الهجريه مايتين خمس و ثلاثين بعد الالف ـ

(ابن عبد الجليل السيد يس)

بسم الله قد كتبه بيده السيد عبدالجليل بن السيد يس الوكيل عن الشيخ سليمان بن احمد و الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفه شيخي البحرين ـ

فرشمه عبدالله بن احمد آل خليفه في ٩ جماد الاول سنه ١٢٣٥ في البحرين وقبلوا ذالك في ظهرية الاربعا

(عبدالله بن احمد آل خليفه)

فرشمه سليمان بن احمد آل خليفه في ٩ جماد الاول سنه ١٢٣٥ في البحرين و قبلو ذالک في ظهرية يوم الاربعا

(سليمان بن احمد آل خليفه)

فرشمه في الفلية في ظهر يوم الاربعا في تاريخ تسع و عشرين من شهر جماد الاول سنه ١٢٣٥ الهجريه مايتين وخمس و ثلاثين بعد الالف كتبه راشد بن حميد بيده

(بن سلطان عبده راشد بن حميد)

فرشمه في الفلية في ظهر يوم الاربعا في تاريخ تسع وعشرين من شهر جماد الاول سنه ١٢٣٥ الهجرية مايتين وخمس و ثلاثين بعد الالف كتبه عبدالله بن راشد بيده

(بن راشد عبده عبدالله)

فرشمة من طرف محمد بن هزام بن زعل شيخ دبي و هو صغير السن فى الشارقة فى يوم الجمعه ثاني عشر من شهر ربيع الثانى سنه ١٢٣٥ الهجريه مايتين خمس و ثلاثين بعد الالف ـ

زايد بن سيف على محمد | بن سيف عبده زايد

فرشمه فى شارقه فى تاريخ ظهر يوم الجمعه تسعة عشر من شهر ربيع الثانى سنه ١٢٣٥ الهجريه مايتين خمس و ثلاثين بعد الالف ـ

كتبه سلطان بن صقر بيده | بن صقر الواثق بالله سلطان

فرشمه فى شارقه الوكيل من طرف الشيخين سليمان بن احمد و عبدالله بن احمد بحسب و كالته عن الشيخين فى تاريخ يوم السبت عشرين من شهر ربيع الثاني سنه ١٢٣٥ الهجريه مايتين خمس و ثلاثين بعد الالف ـ

| ابن عبد الجليل السيد يس |

بسم الله قد كتبه بيده السيد عبدالجليل بن السيد يس الوكيل عن الشيخ سليمان بن احمد و الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفه شيخي البحرين ـ

فرشمه عبدالله بن احمد آل خليفه فى ٩ جماد الاول سنه ١٢٣٥ فى البحرين وقبلوا ذالك فى ظهرية الاربعا | عبدالله بن احمد آل خليفه

فرشمه سليمان بن احمد آل خليفه فى ٩ جماد الاول سنه ١٢٣٥ فى البحرين و قبلو ذالك فى ظهرية يوم الاربعا | سليمان بن احمد آل خليفه

فرشمه فى الفلية فى ظهر يوم الاربعا فى تاريخ تسع و عشرين من شهر جماد الاول سنه ١٢٣٥ الهجريه مايتين وخمس و ثلاثين بعد الالف كتبه راشد بن حميد بيده

| بن سلطان عبده راشد بن حميد |

فرشمه فى الفلية فى ظهر يوم الاربعا فى تاريخ تسع و عشرين من شهر جماد الاول سنه ١٢٣٥ الهجرية مايتين وخمس و ثلاثين بعد الالف كتبه عبدالله بن راشد بيده

| بن راشد عبده عبدالله |

ملحق رقم / ٤

اتفاقية الهدنة البحرية الأولى في ٢١ مايو ١٨٣٥ (*)

—بدأ اسلوب مسرح العرائس يعمل بنجاح تام اذ لم تظهر بريطانيا في هذا الاتفاق بطريقة واضحة وبدا الاتفاق وكأنه بين الشيوخ وشهده المقيم البريطانى بالإنابة في الخليج .

—وافق الشيوخ على ان يصبح المقيم البريطانى حكما في كل خلافاتهم على البحر وبهذا تم لبريطانيا السيطرة على مياه الخليج واستقرت سياستها التى توجت بعد هدنات سنوية متعددة بهدنة السنين العشر في ١٨٤٣ ثم اتفاق ١٨٥٣ بعد ذلك .

—كانت اتفاقية الهدنة الأولى نتيجة لتفكير البريطانيين في تنظيم حركة الملاحة العربية فوق البحر بما يواكب اهدافهم وبما يحفظها للملاحة العربية ضعفها الذى بدأ منذ عام ١٨١٩ . ولهذا استصدر المقيم من الشيخ تعهدا في ١٨٣٦ بخط مانع لا تتعداه سفنهم الحربية (وبالتالى التجارية اذ لم يكن للعرب سفن حربية بعضها) وأدت هذه مع الزمن الى ان تتقطع تباعا أطراف الوطن العربي على الساحل الشرقي للخليج وتسقط جزره الواحدة تلو الأخرى لفارس .

(*) نقلا عن :

(1.0) Boards Colls. Vol. 1596, No. 64625, Hennell to chief Secretary of the govt. of India, Bascdu, 26 May 1835.

The First Maritime Truce, 21 May 1835

TRANSLATION of the terms of a truce for six months agreed upon by the Chiefs of the Arabian Coast in the presence of Captain Hennell, the Acting Resident in the Persian Gulf, dated Bassadore, the 21st May, 1835.

We whose seals are here unto attached, Vizt. Sultan bin Suggur, Shaik of the Joasmee Tribe, Shackboot, the father and plenipotentiary of Shaik Khuleefa, Chief of the Beniyas, Obed ben Saeed, the Chief of the Boo Felasa tribe and Debaye, and Rashid ben Humed, the Shaik of Eyman, being fully impressed with a sense of the evils suffered by our subjects and dependents in consequence of their being debarred from carrying on the Pearl Fishery on the Banks during the present state of Hostilities among ourselves, and duly appreciating the gneral advantages that would be derived from the establishment of a Truce during the Fishing Season, do hereby agree to bind ourselves down to observe the following conditions:

1st. That from the 22nd Mohurrum, A. H. 1251 (or 21st May 1835). there shall be a cessation of hostilities at sea between our respective subjects and dependents, and that from the above date until the 29th Rujub, A. H. 1251 (21st November 1835). an inviolable truce shall be established, during which period our several claims upon each other shall rest in abeyance.

2d. That in the event of any one of our subjects or dependents committing an act of aggression by sea upon those of the parties to this engagement we will immediately afford full redress upon the same being brought to our notice.

3d. That in the event of an act of aggression being committed at sea upon any one of our subjects or dependents who are parties to the truce, we wil not proceed to immediately retaliate, but will inform the Rest. at Bushire or the Commodore at Bassadore, who will forthwith take the necessar steps for obtaining reparation for the injury inflisted upon its bein satisfactorily proved.

4. That on the 30th Jumadee-al-Akhir 1251, by the blessing o Providence, we will endeavour to arrange either an extension of this truce or a firm and lasting peace, but in the event of our not being able to come t a satisfactory arrangement regarding our respective claims amon ourselves, we hereby bind ourselves to give notice on or about the abo date, to the Resident of Bushire of our intention to renew hostilities aft the expiration of the term now fixed upon for this Truce, Vizt. the 29 Rujub 1251.

L.S	Seal of Sultan bin Suggur
L.S	Seal of Obed bin Saeed
L.S	Seal of Rus heed bin Humed
L.S	Seal of Hajee Ahmed ⎤ - as witnesses for Shackboot
L.S	Seal of Moollah Hoossein ⎦

- True translation
/Signed/S. Hennell,
Assistt. in Charge of the Resy.,
Pr. Gulf.

ملحق رقـم / ٥

نموذج لمعاهدات تجارة الرقيق

ـــيشكل هذا الاتفاق اول اتفاق صريح قائم بذاته لمنع تجارة الرقيق في منطقة الساحل العمانى .

ـــاعطى الاتفاق لبريطانيا حق تفتيش السفن وقد استغله الجند البريطانى بعد ذلك كما هو معروف لتحقيق مغانم شخصية .

(*) نقلا عن :

المعاهدات البحارية ...

(1.0) L/P & S/7/195.

المعاهدة الشيخ سلطان بن صقر شيخ راس الخيمه و الشارجه في ترك المعاملة الرقيق سنه ١٨٤٧

بسم الله

بملاحظة ما انّ جناب عاليجاه ذي الشوكة و الاجلال الاجل الافخم ميجرهنّل صاحب باليوز خليج فارس اخبرنا ان بهذ الايّام قد جرى بعض المعاهدات فيما بين الدولة العلية الانكليسة و جناب الافخم السيد السّعيد امام بندر مسقط و غيره من الدول في توقيف حمل و نقل العبيد من سواحل برّا لافريقية و غيرها و ايضاً اتضح لنا ان موافقة مشايخ سواحل برّ العرب من الخليج الفارس و اعانتهم لا نجاز تمام مطلب تلك المعاهدة المربورة ضرورة لازمة فلاجل ذالك انا ي سلطان ابن صقر شيخ القواسم لاستحكام روابط الاتحاد الكائن في مابيني وبين جناب حضرة السركار ذي الشوكة و الاقتدار الا نقريز الافخم انعهد و التزم على نفسي ان امنع جميع اخشابي و اخشاب رعاياى و المتعلقين على من حمل و نقل العبيد من سواحل برّ افريقيبة وغيرها و ابتداء المنع من غرة شهر محرم سنه ١٢٦٤ مطابق عاشر دذمبر سنه ١٨٤٧ ثم اتقبل ايضاً متى ما لاقت المراكب الدولة العلدة الانكليسيه اخشابي و اخشاب رعاياي والمتعلقين علي و يظنون بهم انهم مشغولين في تجارة العبيد ان يعطلوهم و يفتشوهم ففي الحالة التي يجدون احدى الاخشاب المذ مخالفة

للمعاهدة المذكورة في حمل العبيد من سواحل بر الافريقية و غيرها با عذر و سبب يقبضوها و يضبطوها جرى ذلك م ١٤ شهر جمادي الاو سنه ١٢٦٤ مطابق ثلاثين ابريل سنه ١٨٤٧ع ـ



شيخ مكتوم بن بطي شيخ دبي رسمى معاهدة موافقاً لذلك في ١٤ شهر جمادي الاول سنه ١٢٦٣ ـ

شيخ عبد العزيز بن راشد شيخ عجمان امضى معاهدة موافق لذلك في ١٥ شهر جمادي الاول سنه ١٢٦٣ ـ

شيخ عبدالله بن راشد حاكم ام القيوين امضى معاهدة موافق لذلك في ١٥ شهر جمادي الاول سنه ١٢٦٣

شيخ سعيد بن طحنون شيخ بني ياس حاكم بوظبي امضى معاهدة موافقاً لذلك في ١٧ شهر جمادي الاول ـ سنه ١٢٦٣

ملحق رقم / ٦

معاهدة الصلح الدائمة لعام ١٨٥٣ (*)

ـ جاءت هذه المعاهد تأكيدا لمعاهدات الهدنات البحرية المختلفة وبدأ التدخل البريطانى سافرا حين أكد الشيوخ بأنهم سيرفعون خلافاتهم البحرية بعد هذا « لجناب ذى الشوكة والاجلال الأفخم الاشيم باليوز خليج فارس وعالى الجاه الأفخم الاشيم صاحبه الذى يقيم في باسيدوه ليأخذ اى منهم بالقصاص » . وبالرغم من هذا التدخل البريطانى السافر لا يظهر المقيم البريطانى أو من يمثله بصورة واضحة وبدا الاتفاق كأنه اتفاق بين شيوخ المنطقة .

ـ يمكن اعتبار هذه الاتفاقية اعادة صياغة الاتفاقية ١٨٢٠ استلزمها تغيير الوضع في المنطقة باتفاقات الهدنة وما عادت الحرب المشروعة على البحر تواكب الأهداف البريطانية فعملوا على وقفها بهذا الاتفاق .

(*) نقلا عن ..

المعاهدات البحارية ..

(1.0) L/P. & S/7/195.

المعاهدة الصلح الدايمة سنه ١٢٦٩ هجريه مطابق سنه ١٨٥٣ -

قد وقع قرار الصلح التام المستقيم فى البحر بين المشايخ المزبورة اسماءها تضمنته هذه الورقة لدى قبطان كنبل باليوزشيلي فارس -

ارلد كنبل

حيث اننا نحن يا سلطان ابن صقر شيخ القواسم و سعيد ابن طحنون شيخ بنى ياس اهل ابي ظبي و عبدالله ابن راشد شيخ ام القيوين و حميد ابن راشد شيخ عجمان و سعيد ابن بطي شيخ دبي الذين ضمنا في هذه الورقة قد جربنا سنيناً عديدة الفوايد و المنافع التي حصلت لنا من اجراء المهادنة البحرية فيمابين بعضنا ببعض بواسطة جناب عالى الجاه ذي الشوكة والاجلال الافخم الاشيم باليوز خليج فارس و تجديدها الكائن آناً بعد آن الى هذا اليوم فلا جل ذلک قد اثر بخواطرنا النتايج الفاسدة التي كانت تلحق من وجود المحاربات الجارية فيمابين بعضنا ببعض فى البحر التي هى موجبة لامتناع رعايانا والمتعلقين علينا عن الغوص فى الا مان و المعارضته و التزاحم فى التردد للاكتساب فلاجل ذلک اننا نحن المذكورين قد تعهد نا باجراء الصلح التام المستقيم لنا ولمن يعقبنا من اليوم الذي سيذكر الى مابعد و لذا قد تقبلنا هذا القرار والقول بالشرائط التي ياتى بيان ذكرها و التزمنا بالقيام لا مضائها _

الشرط الاول ـ انه من تاريخ يوم الخامس و العشرين من شهر رجب سنه ١٢٦٩ هجرى مطابق الرابع من شهر مى. سنه ١٨٥٣ عيسوي الى مابعد ينقطع الحرب و الجدال

فى البحر . فيمابين رعايانا و المتعلقين علينا وليستقيم بين الجميع منا و من بعقبنا صلح تام فى البحر على الدوام .

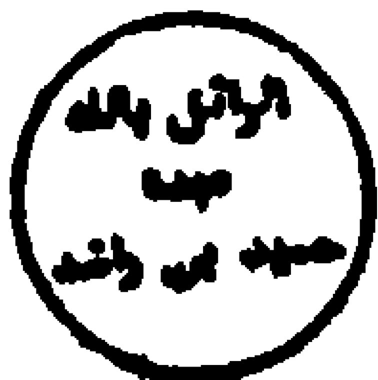
الشرط الثاني - متى ما لا قدر الله تعالى صدر امر من التعدى و التعرض فى البحر من احد رعايانا و المتعلقين علينا فى مال [illegible] على احد من الداخلين معنا فى سلك الصلح [illegible] يجازى الفاعل و نعوض بالقصاص للمفعول فيه بمجرد و صول الخبر الينا .

الشرط الثالث - متى ما صدر امر من ال[illegible] التعرض فى البحر من الداخلين معنا فى سلك الصلح على احد رعايانا و المتعلقين علينا فلا يكون فوراً نقوم باخذ القصاص من الفاعل بل نلتزم برفع الامر لجناب ذى الشوكة و الاجلال الا فخم الاشيم باليوز خليج فارس ام عالي الجاه الافخم الاشيم الكمدور صاحب الذي فى باسيدوه حتي يكون فوراً اذا تحقق الخبر يفعل الذى يجب ويلزم من الاسترداد و اخذ القصاص ولقد تقبلنا الصلح نقرره بهذا لنوع ان يكون جناب حضرة السركار فى الانتظار مناظراً و واقفاً على اجرائه و مراقباً لاستقامة شروط الصر بورة موافق القانون و القاعده فى كل آن والله على ذالك خير، شاهد و وكيل .

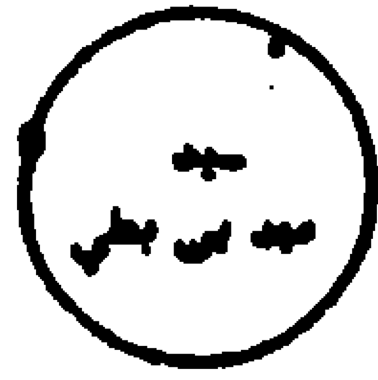
نعم رضينا به و انا سلطان ابن صقر



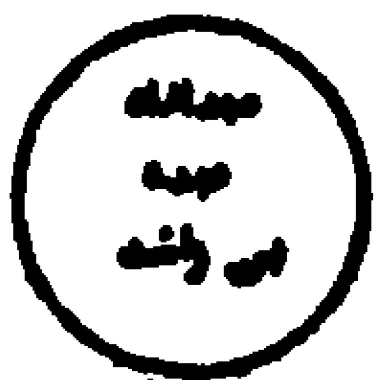
نعم رضيت و قبلت به و انا حميد بن راشد



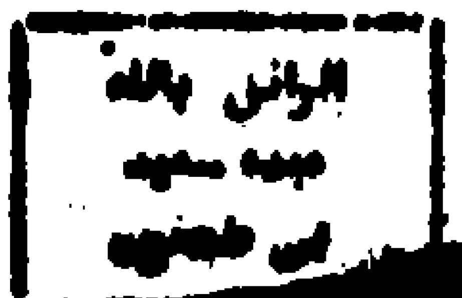
نعم رضيت وقبلت به وانا سيفد بن بطي



نعم رضيت و قبلت به عبدالله بن راشد



نعم رضيت و قبلت به و انا سعيد بن طحنون



ملحق رقـم / ٧

نموذج لتطور معاهدات الرقيق (*)

ـــتعهد من الشيوخ بالقاء القبض على السفن العاملة في تجارة الرقيق .

(*) نقلا عن :
المعاهدات البحارية ...
(1.0) L/P & S/7/195.

معاهدة ملحقة لا ... نسال للتجارة

الرقيق ...

حيث ان جناب عالي الجاه ذي الشوكة و الاجلال الافخم الا
القبطان جونس صاحب بالیوز خلیج فارس قد اخبرنا ان الاورا
الالتزام التی اعطوها مشایخ سواحل عمان لجناب حضرة السركار ذ
الافتخار من جهة منع جلب الخدام و المعاملة بهن المورخة فی
جمادی الاول سنه ۱۲۶۳ مطابق اول مئی سنه ۱۸۴۷ لم یندرج فیه
شرط واحد فلاجل ذلک انا یا سلطان ابن صقر شیخ الجواسم اتعهد
و التزم علی نفسی امراعات مداقة جناب حضرة السركار الافخم
و الموافقة لتکمیل مطلب خاطره الشریف اجزاء ذلک الشرط و هو هذا بانه
متی ما انفهم و تحقق توصیل الخدام الی البلدان و المحال المتعلقة
علیّ من ایّ ناحیة کانت طوعاً و رغبة منی اقبضهن و اسلمهن
للمراکب السرکاریة و ان صار معلوماً کانت مسهولة فی اخفائی
و اخفاء رعایای و المتعلقین علي و من الاتفاق ما وقعت

عليها المراكب السركاريه هي اي ناحية نزلتها فالتزم انى احجر تلك الخشبه ونوخذاها عن السفر الى ان يصل الحكم عنها من جناب عالي الجاه الافخم الاشيم البايوز صاحب هذا والله تعالى خير شاهد و وكيل جرى و حرر ١٧ رمضان سنه ١٢٧٢ ـ

بن راشد
سلطان بن صقر

شيخ عبدالله ابن راشد حاكم ام القيوين امضى معاهدة موافقاً لذلك فى ١٧ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى ـ

شيخ سعيد ابن بطى حاكم دبي امضى معاهدة موافقاً لذلك فى ١٩ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى ـ

شيخ حميد ابن راشد حاكم عجمان امضى معاهده موافقاً لذلك فى ١٩ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى ـ

شيخ زايد بن خليفه شيخ بني ياس حاكم ابي ظبي امضى معاهدة موافقاً لذلك فى ٢٠ رمضان سنه ١٢٧٢ هجرى ـ

ملحق رقم / ٨

اتفاق حفظ اعمدة التلغراف لعام ١٨٦٢ (*)

- يمثل هذا الاتفاق رأس رمح المصالح البريطانية في أرض الساحل العمانى .
- ذكر هذا الاتفاق الشيوخ باتفاق ١٨٥٣ وعدد للشيوخ الفوائد التى جنوها من اتفاق ١٨٥٣ .
- التزم الاتفاق بتقديم الخدمات البرقية لأهل المنطقة على غرار ما يقدم للرعايا البريطانيين !

(*) نقلا عن :
المعاهدات البحارية ...

(1.0) L/P., & S/7/195.

فصل مزيد فى معاهدة الصلح مع المشايخ المتصالحين المؤرخة فى ١٤ شهر مئى سنه ١٨٥٣ لاجل وضع اسم تلغراف وحفظه فى املاكهم سنه ١٨٦٤ ع

الفصول المستزادة لاجل محافظة سيم الصاعقة و اماكنه قد قبلت بحضور جناب ذى شوكة و الاجلال الكرنل لويس بلي باليوز خليج فارس وصارت ملحقة بمعاهدة الصلح المورخة فى ٤ شهر مئى سنه ١٨٥٣ مطابق ٢٥ شهر رجب سنه ١٢٦٩ هجرى

حيث انه فى تاريخ الخامس و العشرين من شهر رجب سنه ١٢٦٩ مطابقاً لرابع شهر مئى سنه ٨٥٣ نحن يا شيخ القواسم و شيخ ابي ظبي و شيخ ام القيوين و شيخ عجمان وشيخ دبي قد نقبلنا معاهدة الصلح الدائم فى البحر و من اجل ذلك قد صارت اخشابنا محشومة و متاجر تنا مترقية و من حيث ان الدولة العلية الانكليسية بملاحظة ازدياد منافع المتاجرة و السكينة العامة

سوف تهيئاء سيم الصاعقة و اماكنه فى مواضع عديدة فى خليج فارس عاقاربه فلاجل ذلك نتعهد و نلتزم عن انفسنا و وارثينا او من يتخلف فى مقامنا ان نحترم و نمنع كل ... ن اي من المداخلة التى تتعلق على مشغلة ... سيرور الذي سيوني من الدولة الانكليسية فى املاكنا و ... ثارنا و بالفرض لا قدرالله تعالى ان احد من رعايانا و المتعلقين علينا قدم بالا عتدآء على السيم المذكور او اماكنه او متعلقاته ... شرير المعتدى فوراً و نقدم على السدالد الدام ... صحضاً لمنافع العامة رعايانا او المتعلقين علينا ... يتركون ان يتخابروا فيه على قرار السعر الذى يؤخذ من رعايا الانكليس جرى ف ١١ القعدة سنة ١٢٨٠ مطابق ١٨ ابريل سنة ١٨٦٤ ـ

بن صقر سلطان | صقر ... | الواثق بالله عبدالله بن حميد بن راشد | على راشد احمد | زايد ابن خليفه

ملحق رقم / ٩

اتفاق عام ١٨٧٩ لمنع هروب الغاصة *

ـ جهد البريطانيون في القضاء على حوادث البحر بعد ان اخمدوا فوقه حركة الجهاد . وكان هروب الغاصة من منطقة الى اخرى بسبب بعض الاحتكاك بين المناطق فعمل البريطانيون على وقف حركة الهروب .

ـ أمر ثان وهو محاولة من البريطانيين للحفاظ على الازدهار الاقتصادى لرعاياهم الذين كانوا أثرياء المنطقة ، يقوم ثراؤهم على الربا والتجارة مع مراكب الغوص . وكانت حقوق المرابين والتجار مرهونة برجوع الغاصة بعد موسم « القفل » فأراد المقيم ضمان مصالح رعايا دولته .

ـ بدأ بهذا الاتفاق نوع من السيطرة البريطانية على المقدرات الاقتصادية فوق الساحل العمانى وازدادت لذلك تسلطا على المقدرات السياسية وصارت مراكب البريطانيين تحاصر الموانى لتستورد للرعايا البريطانيين ما يطلبون دون اعتبار لرأى الشيخ في تلك المطالب .

(*) المعاهدات البحارية .... (1.0) L/P & S/7.

هذه المعاهدة انعقدت فيمابين المشايخ المتصالحين فى مادة الغواويص الهاربين سنه ١٨٧٩ ع -

حرر ذلك فى ٣ شهر رجب سنه ١٢٩٦ مطابقاً ف ٢٤ جون سنه ١٨٧٩ العيسوى

حيث ان باعثاً لفوايد كافة المشايخ المتعاهدين ان يتفقوا لاجل منع رعايا هم عن الفرار و التزبن من البلد الى بلد الاخرى خصوصاً غواويص و البحريه فلهذا الذي بعدا رشمنا و صححنا فى هده الورقة نقر و نتعهد على انفسنا بمحضر الحاج ابوالقاسم المنشى الكوتى مخصوصاً المرسول لا جل امضاء هذا العمل والحاج عبدالرحمن بن محمد وكيل الدولة البهية القيصرية فى بر عمان باندا نلتزم على انفسنا اننا نعاون باي وجه من الوجوه فى امتناع ان لا يحصل المساعده و الملجاء الى هؤلاء الاشخاص الذينهم يفرون فلاجل هذا القرار نقبل على انفسنا -

اولا - اذا كان احد يهرب ويلتجي فى بلداننا بحراً و براً فعلينا ان نرده فوراً الى حاكم الذي فار من تحت ادارته -

ثانياً - اذا كان يثبت ان شخص الهارب حصل له الحمايه من احد الحكام و ولا رده و لم يقدل ان يادى الدين الذي عليه حينما يطالبه وكيل الدوله البهية فى عمان هكذا الغيث يزيد

عليه النكال مبلغ خمسين ريال من دون ذلك الدين الحقيقى الثابت الذى على الهارب

ثالثاً _ اذا كان احد من المشايخ يعطي ملجاء الى احد الهاربين ويابي تسليمه او قبوليه وجه ديو نه حينما يطالبه وكيل الدوله فى بر عمان ويدعه ان يتوجه الى الغوص فى شغله فهكذا الشيخ سيورد عليه مبلغ ماية ريال من النكال من دون ذلك الحقوق الطلب الثابة الذى على الهارب _

رابعاً _ عند مايقع المباحثه فى و قايع الحقوق فيكون يترتب مجلساً للا صلاح براسه وكيل الدوله فى بر عمان و المشايخ المتعاهدين المدعيين يرسلون وكيلا من جانبهم ام اذا ارادوا حضور انفسهم شخصاً و انفصال اهل ذلك المجلس سوف يستحكم بامضاء البآليوز دولة البهية لقيصرية فى خليج فارس _

خامساً _ اخذ هذا النكال المذكور سوف يتخذ حينما جناب البآليوز يحصل له الكفاية شافياً بان حاكم المشتكى عند هو لحقيقة مقصراً و مستحق للنكال هذا نحنا الذى كتبنا صحيحاتنا ورشمنا فيهما نقبل و نتعهد على اجرآء هذا المكاتبه من دون خلاف _

صحيح سالم بن سلطان بن صقر القاسمى بيده

بن صقر بن راشد
سالم بن سلطان
الوا ق بالله عبدالله

صحيح شد س احميد بن راشد النعمى

بن احميد
بيده
راشد بن

صحيح حشر بن مكتوم

حشر بن مكتوم

صحيح الفقير الى الله تعالى زايد بن خليفه

زايد
بن خليفه

صحيح احميد بن عبدالله بن سلطان القاسمى بيده

بن سلطان
احميد بن عبدالله

صحيح احمد بن عبدالله بن راشد

الواثق بالله
احمد بن عبدالله

ملحق رقم / ١٠

اتفاقية ١٨٩٢ (*)

—أضحى هذا الاتفاق الركيزة الاساسية للوجود البريطاني في المنطقة رغم انه لم تكن للاتفاق اى صبغة دولية حين قامت المنظمات الدولية المختلفة .

—بهذا الاتفاق صارت المنطقة تحت الحماية المقنعة Veiled Protectorate كما اسمتها المصادر البريطانية او مناطق تحت الحماية Under Protection ولم تكن محميات Protectorates وقد اشارت الوثائق البريطانية لذلك الى هذه المشيخات بصفتها دويلات قزمية مستقلة Independant Petty States ولعل في هذه المسميات المختلفة ما ينبىء بأن وضع المنطقة كان غامضا حتى للبريطانيين أنفسهم .

—أضاع هذا الاتفاق الماهية الدستورية للمنطقة فأصبح وضعها الفعلى De Facto أشبه بالمستعمرة يتحكم فيها البريطانيون عن طريق الادارة الأهلية .

—أتاحت هذه الاتفاقية لبريطانيا التصرف في العلاقات الخارجية للمنظمة بعد ان ضمنت لها الاتفاقات السابقة التصرف في الشئون الداخلية . واستطاع البريطانيون بموجب هذا الاتفاق ان يحظروا على المنطقة التعامل مع العالم الخارجي ومسايرته وأقام الاتفاق حول المنطقة سدا

(*) نقلا عن :
المعاهدات البحارية ... (1.0) L/P & S/7/195.

أبعد عنها كل رياح التغيير وبهذا الجم البريطانيون المنطقة وتملكوا زمامها نهائيا .

ـأحاط البريطانيون المنطقة العربية من الخليج بتعهدات مماثلة مع حكام مسقط والسعودية وقطر والكويت . ويقع تماثل الاتفاق في أن :

١) حظرت كل هذه الاتفاقات على تلك المناطق والدول من ان تتعامل مع العالم الخارجي ايجارا او بيعا او رهنا او تنازلا عن أي قطعة من ارضها الا من خلال الحكومة البريطانية .

٢) منعت هذه الاتفاقات جميعها جميع المناطق والدول فيما عدا مسقط من التفاوض مع الدول الأجنبية او استضافة اى مندوب لأى قوة دولية اخرى .

٣) في كل هذه الاتفاقات نجد التزاما من الحكومة البريطانية بحماية هذه المناطق بحرا إما نصا صريحا كما في حالة السعودية او بواقع الحال كما اثبتت الحوادث في الساحل العمانى ـ كما التزمت الحكومة البريطانية في اتفاق قطر بالنوايا الطيبة Good Offices لدرء اى هجوم عليها من ناحية البر.

هذه المعاهدة الشيوخ[١٩] المتصالحين يتعهدون بان لايكون لهم علايق مع الدول الاجنبيه الا الدولة البهية الانكليسه سنة ١٨٩٢ ع

انا زايد بن خليفه حاكم ابوظبي فى حضور كرنيل اي ـ سى ـ تالبت سي ـ آئي ـ اي الباليوز فى خليج فارس قد التزمت بهذ الورقة وقبلت لنفسى و لورثتى و لخلفائى الشروط الذيل :ـ

انى لا ادخل ابداً فى قرار ما ولا محاورة مع احد من الدول سوى الدولة البهيته الانكليس بغير رضاء الدولة البهية الانكليس لا اقبل ان يسكن فى حوزة ملكى وكيل من دولة غير الدولة البهية الانكليس ـ ابداً لا اسلم ولا ابيع ولا ارهن ولا اعطى للتصرف اوللتبوء بنوع ماشيئاً من ممالكى لاحد الا للدولة البهية الانكليس جرا ذلك فى اليوم السادس من شهر شعبان المعظم سنة الف و ثلاثماة و تسع من الهجرة مطابق ليوم الخامس من شهر مارچ سنة الف و ثمانماة و اثنين و تسعين المسيحية ـ

صحيح الفقير زايد بن خليفه حاكم ابوظبي حرره فى ٥ شعبان سنه ١٣٠٩ ـ

زايد
بن خليفه

شيخ صقر بن خالد حاكم الشارقه امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم الثامن منشهر شعبان سنه ١٣٠٩

شيخ راشد بن مكتوم حاكم دبى امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم الثامن منشهر شعبان سنه ١٣٠٩

شيخ حميد بن راشد حاكم عجمان امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم الثامن منشهر شعبان سنه ١٣٠٩ ـ

شيخ احمد بن عبدالله حاكم ام القيوين امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم التاسع منشهر شعبان سنه ١٣٠٩ ـ

شيخ حميد بن عبدالله بن سلطان حاكم راس الخيمه امضى معاهدة موافقاً لذلك فى اليوم التاسع منشهر شعبان سنه ١٣٠٩ ـ

(Sd.) A. C. TALBOT, *Lieut.-Col.*,
Resident, Persian Gulf

(Sd.) LANSDOWNE,
Viceroy and Governor General of India.

Ratified by His Excellency the Viceroy and Governor General of India at Simla on the twelfth day of May 1892.

(Sd.) H. M. DURAND,
Secretary to the Government of India, Foreign Department.

ملحق رقم / ١١

اتفاق ١٩٠٢ لنزع السلاح (*)

—قضى البريطانيون بهذا الاتفاق على آخر أمل في المقاومة التى يمكن ان يحركها تدفق السلاح الى المنطقة .

(*) المعاهدات البحارية ...

(1.0) L/P & S/7/195.

(٢٠)

هذه القرار الذي التزموا الشيوخ المتصالحين على انفسهم لاجل منع ادخال الاسلحة والبارود والرصاص في ممالكهم سنة ١٩٠٢ ع

نحنا اسامينا ادناه قد تعهدنا كاملاً بان امنع كلية دخول الا سلحة للبيع في الممااليكنا والخروج منهما ولاجل اجراء هذا قد صدرنا اعلاناً الى كافة المباشرين بهذه الامر تحرير باليوم ثلاثه والعشرين منشهر شعبان سنه ١٣٢٠ مطابق الرابع والعشرين من شهر نومبر سنه ١٩٠٢ -

صحيح صقر بن خالد بيده

يعرف الى الله
ياصقر على تكون خالدا

صحيح راشد بن احمد بيده

راشد بن احمد
الواثق بالصمد

صحيح مكتوم
بن حشر

مكتوم بن حشر
بن مكتوم

صحيح الغني بالله والفقير الى الله
زايد بن خليفة

زايد
بن خليفه

صحيح عبدالعزيز بن احميد بيده

بن احميد
عبدالعزيز

ملحق رقـم / ١٢
خطبة اللورد كيرزن في الشارقة عام ١٩٠٣ *

— جاء كيرزن الى نيابة الملك في الهند في وقت تضافرت فيه القوى العالمية المختلفة وتحددت الريادة السياسية لبريطانيا في منطقة الخليج . كان وضع كيرزن في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شبيها بوضع الماركيز ويلسلى في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر فقد وقع على كليهما مجابهة القوى العالمية المختلفة فوق الخليج . ارسل ويلسلى الكابتن مالكولم الى الخليج العربى وجاء كيرزن بنفسه الى المنطقة ، ولعله من الطريف ان نشير الى الحقائق التالية :

* جاء ويلسلى الى نيابة الملك في الهند في عام ١٧٩٧ وهو عمره ٣٨ سنة وجاء كيرزن الى نيابة الملك في الهند في عام ١٧٩٨ وعمره ٣٨ سنة .
* حكم كلا الرجلين الهند لمدة سبع سنوات .
* صار ويلسلى بعد رجوعه الى بريطانيا شيخا ايرلنديا وكذلك كان مآل كيرزن .
* كانت سياسة روسيا في فارس وسياسة فرنسا في مسقط تشغل الرجلين بدرجات متفاوتة .
* استقبال كلاهما للسياسة المتشددة تجاه الأمور التى تخص الهند واختلف كلاهما مع حكومته بشأنها .

— وفي خطبة اللورد كيرزن نجد دستورا لسياسة بريطانيا تجاه المشيخات . وقد ظل هذا الدستور يحكم حتى تغيرت الأوضاع السياسية في المنطقة بتغير نوعية المصالح البريطانية في المنطقة واختلال ميزان القوى العالمى .

---

(١) المعاهدات البحارية .. (1.0) L/P & S/7/195.

هذه ترجمة الخطبة التى القاها حضرة العالیجناب اللورد کرزن بدربار المنعقد فی بندر شارجه بتاریخ ۲۱ شهر نومبر سنه ۱۹۰۳ ع مطابق سلخ شهر شعبان المعظم سنه ۱۳۲۱ هجري

يا مشايخ سواحل العرب المعاهدون بالدولة البهية البرطانية انا جئت هنا في حيثية نواب سلطنة الهند العظمى من جانب الدولة البرطانية التى قد عرفتموها انتم و اباء كم و اجدادكم و جرت بينها و بينكم المعاملات من مدة اكثر من مئة سنة و غرض مجيئنى ان اظهر عليكم انكم ومن تسكنون على بعد من سواحل الهند مانسينكم تلك الدولة بل انها قائمة على طريق الحماية الذى حصل لكم منه الامن و الضمان لحقوقكم من مدة تبلغ مئة سنة قريبا ـ و ان اول نواب الهند الذى دخل هذا البحر لا يخرج منه بدون السعى فى ملاقاتكم ولا بدون تجديد المواعيد و المعاهدات التى كانت سببا لاتحادنا فى هذه المدة الطويلة ـ

ايها المشايخ لاشك ان اباء كم و اجدادكم قد حكوا عليكم الحالات الماضية لا يخفى عليكم ان مئة سنة قبل اليوم كان الجدال و القتال جاريا على الدوام و كل رجل تقريبا ما كان له شغل الا القتل او الغارة كانت سرقة الانسان و بيعه كالعبيد فى غاية الشدة ـ القتل و سفك الدماء ماله حد ولا وقف زمانا ـ حتى لا يمكن لاى سفينة تجري فى البحر الا ان تخاف حملة السارقين - كل سنة لايزال القتل في محل الغوص ـ حفظ التجارة و الامن مالها وجود ابدا ـ عند

دخلت الدولة البرطانية فی هذا المادة و اظهرت انها نظرا الى فوائد رعاياها و تجارها و الى حقوقها الجايزة فی البحور التی تحيط بسواحل الهند لاتترک الامر علی هذا الشان فظهرت سفن البرطانية فی هذا البحر و احتلت افواجها هذا البنادر و المدائن الساحلية التی نراها من ظهر هذا المرکب - کان الخصام الذي وقع فيمابين شديدا ولکن قصير المدة - فی سنة الف وثمانمئة و عشرين انعقدت المعاهدة الاولی العمومية بين الدولة البرطانية و المشايخ و بلغ هذه المعاهدة و امثالها الى عدد لا اقل من ثمان و فی سنة الف و ثمانمئة و تسع و ثلثين انعقدت معاهدة الهدنة البحرية و تجددت وقتاً فوقتاً حتی انها عوضت فی سنة الف و ثمانمئة وثلث و خمسين بمعاهدة الصلح الدائم التی قايمة الى آلان و من شرائط تلک المعاهدة ان يصير وقف کامل للحرب البحري بين رعايا الروساء المعاهدين و يکون حسب العبارة المستعملة فی المعاهدة صلح کامل بحری على الدوام وانه عند وقوع جملة على احد على البحر لا ينتقم المظلومون و ترفع دعواهم الى باليوز الدولة البرطانية فی خليج فارس - و ان الحکومة البرطانية تراقب على الامن في الخليج و تلزم على المعاهدين تعميل شرائط المعاهدة فی کل وقت - ايها المشايخ لا بدانه مع وجود هذه المعاهدة قد وقع احيانا بينکم الشر و القتال و قد ظهر من الناس بعض الاوقات الغفلة عنها و الخلاف لها - ولکنها کانت عموما مستحقة للاسم الذی وضع لها و نتجت منها لکم السلامة و الامن هکذا حتی لايتذکر الا کبر منکم عمرا تلک الحالات الماضية الا کالقصص القديمة وماراوا صغراء کم ابدا القتال ولا سفک الدماء على البحر و الآن قد جرت لاخر نقض الامن مدة احدی عشرة سنة -

ايها المشايخ من الروابط التى حصلت بينا على هذا الطريق و جعلت بها الدولة حسب رضاكم محافظة لقيام الصلح بين القبائل نشأت فيمابين حكومة الهند و بينكم علاقات سياسية التى صارت الدولة البرطانية بسببها اميرا عليكم و محافظا لكم وما بقيت لكم رابطة باحد من الدول الأخر ـ كل واحدة من الحكومات المعروفة باسم الحكومات ذات المعاهدة قد اوجبت على نفسها كمالا يخفى عليكم ان لا تعمل معاهدة ولا مكاتبة مع دولة من الدول غير البرطانية ـ و إن لا تقبل من الدول الأخر وكيلا و ان لا تترك من يدها شيئاً من بلادها ـ هذه الشرائط واجبة على كل واحد منكم و انتم ما زلتم قائمين عليها بالخلوص و هكذا هى و اجبة من الجانب الثانى على الحكومة البرطانيه ايضاً ـ فما دامت المشايخ قائمين عليها بالصدق لا يمكن لا حدان يضر حقوقكم و حرنيكم ـ لا

اظن احيانا ان الوقائع الماضية فى خطر النسيان و بعض الرجال يسئلون ما سبب دوام الدولة البرطانية على تنفيذ هذه السلطة فتاريخ بلادكم و عائلاتكم والحالة الموجودة فى الخليج جواب لهذا السؤال ـ نحن وصلنا هنا قبل ان ظهرت احدى من الدول فى هذا البحر فى القرون الا خيرة ـ نحن وجدنا فيها النزاع فجعلنا النظام ـ تجارتنا و هكذا امنكم كانا فى الخطر فصار حفاظتهما لا زمة علينا ـ فى كل بندر على هذه المواحل رعية جلالة ملك انكلتره ساكنون و مشغولون بتجارتهم الي الان ـ مملكة الهند العظمى التى حفظها و صيانتها واجبة علينا هى من غاية قربها كانها على باب بلادكم ـ نحن انجينا كم من الهلاك على ايدى جيرانكم ـ

نحن. فتحنا ابواب هذه البحار لسفن جميع الملل فامكن لهم نشر اعلامهم فيها بالسلامة ما اخذنا ملككم ولا قبضنا عليه - ولا اعدمنا استقلالكم بل حفظناه سالماً - نحن لا نضيع مساعي مئة سنة تحتوى على همم فائزة و مصارف كثيرة ولا نحتر امن التواريخ اطهر الاوراق من كل غرض و لابد الآن ايضا ان يُحفظ امن هذا البحر ويبقى استقلالكم على ماهو عليه في الزمان السابق و يلزم ان يكون اقتدار الدولة البرطانية فوق الكل بلا منازع -

ثم اذكر امراً واحداً الذى فيه للمشايخ انفسهم مقدرة التجنب من الشر فى الزمان الآتى - لاتبغى الدولة البرطانيه المداخلة فى اموركم الداخلية - ولم تفعل ذالک فى زمان ماض بشرط ان المشايخ يحكمون على بلادهم بالعدالة و يحترمون حقوق تجار الا جانب الذين هم يسكنون فيها و ان وقع شى من المشاجرات الداخلية تجدون دائما باليوز الدولة البرطانيه مديتكم الذى يسعى كما عمل مرات كثيرة فى اطفاء نار هذه التنازعات و فى البقاء الحالة الموجودة - نحن لا نؤذن للمشايخ المستقل ان يحمل بعضهم على بعض بطريق البر لهذا السبب فقط انه لا يجوز له الحملة من طريق البحر وبهذه الحيلة يستخلص نفسه من حقيقة فرايض المعاهدة الصلح - انا اذكر امراً يصلح بان يفصل بطريق الصداقة كمابينت لكم فى خطابى - لا يختفى عليكم ان بعض الحصة تلک القطعة الساحل المعروفة بالباطنة على الجانب الثانى من شبه جزيرة عمان تحت رئيس الجواسم ومع ذلک بعض الناس يقاومون حكومته فالمرغوب هى ازالة هذه المنازعات و اقامة الصلح على الدوام -

ايها المشايخ هذه هى العلايق الكائنة بين الدولة البهية البرطانية و بينكم و جلالة ملک الدولة البهية البرطانية يسكن منكم على بعد ما حصل لاحد منكم زيارته ولا يحصل ابداً - لكن فى كل مكان من مملكته الوسيعة تجرى او امره على يد عماله و اليوم مجيئي هناك نائبه فى الهند المسئول عن صلاح اموركم و الغرض منه ان نلاقيكم و نجدد المواعيد القديمة و نرجو لكم الرفاهية فى الوقت الاتى -

ملحق رقم / ١٣ (*)

— نماذج من الخطابات التى كان البريطانيون يستكتبونها للشيخ لابعاد رعايا الدول الأخرى من المنطقة .

(*) نقلا عن : (P. R. O.) C. O. 727, 11, Sec. Title.

Translation of a letter, dated 17th Rabi-ul-Awwal 1343 (16th October 1924), from Shaikh Sultan bin Salim, Chief of Ras-ul-Khaimah, to the Residency Agent, Shargan

A. C.

I beg to acknowledge receipt of your letter stating that under instructions from the Hon'ble the Political Resident you have to enquire whether I consent that German subjects should reside in my town or not.

In reply I beg to state that H. B. M's. Government are well awars of the difficulties I experience in my administration of the Arabs here, who are uncivilized and cannot live with others of a distinctly different nationality; still moré when they may see a thing of this sort, they will attach great importance to it, and I shall not be surprised if some evil will take place then as they are all ignorent people. I can'ot therefore consent that Germans should enter and reside in my town and district.

Translation of a letter, dated 29th Rabi-ul-Awwal 1343, (28th October 1924), from Shaikh Sultan bin Zaid, Chief of Abu Dhabi, to the Residency Agent, Shargah

A. C.

I beg to acknowledge receipt of your letter, which came to hand through Khalid bin Abdul Qadir, enquiring whether I consent that German subjects may come and reside in my town and district, and suggesting that I should reply like the other Shaikhs of the Trucial Coast.

In reply I beg to state that you know that I do not follow the other Sheikhs in my dealings in this or any other matters, and that I act quits independently in everything.

As regards German subjects I will never consent that they should enter or reside in the town of Abu Dhabi and district. God willing, there shall be nothing but friendship ..... with H. B. M's. Government as here to fore.

بسم الله الرحمن الرحيم

من طحنون بن زايد الى جناب الأجل الأكمل المكرم الأحشم الأفخم حميد الشيم عاليجاه كرنيل ميجر كاكس بالبوز و قونسول جنرال الدولة البهية القيصرية في خليج فارس المحترم سلمه الله تعالى -

ورعاه وحرسه من كل آفة وألم ونجاه من جميع المكاره والنقم آمين انشاء الله الموجب الكتاب ابلاغ جنابك جزيل السلام والتفحص بالسؤال عن صحة حالك الشريف على الدوام الأخبار فيطرفنا طيبة والحركات من فضل الله ساكنة مطمئنة فلا زال وحدث الآن مايه مسرة الخاطر كتابك الشريف المورخ ٢٣ شهر رجب من يد جناب الأفخم معتمد الدولة خان بهادر عبد اللطيف وكيل الدولة البهية القيصرية وصل وحصل لنا به الأنس حيث انه انبأنا بصحتكم و اخبرنا حال سلامتكم وما ذكرته واليه اشرته صار عند محبك معلوم بحال ما اشر جنابك باننا متذكرين من جهة الشبهة تذكرة التي صدرت من خان بهادر عبد اللطيف من جنابكم حذرنا ان لا يكون ربط الفساد فذلك عندنا مفهوم و انشاء الله ما يرى منا خلاف - ثم عرف جنابكم من طرف التاجر اليوناني [illegible] في الخليج من مدة سنتين انه لا يكون بعد منا مدخل في اشئ من المعاني الذي تمنعها و نحن من المعلوم والمحقق ملاكه مقصد في الامور التي لم جرت بها العادة في الأول ولا كانت في القواعد التي من قبلنا مثلما تعلم ان الخصم لم تسمح بذلك ولا يكون خاطرك للشك لتحيط به علماً على الدوام لا تقاطعنا من اخبارك السارة مهما يحولك من اللوازم بقضي لاجهوه الأعلام ولا زالت محروس برفاهية مأنوس و انت سالم   في ٢٤ من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٢٩



ملحق رقم / ١٤

ـ نموذج من الخطابات التى كان المقيم البريطانى في الخليج يستكتبها للشيوخ عندما يتولون الحكم في مشيخاتهم وفيها يذكر الشيوخ التزامهم بالمعاهدات مع بريطانيا (*) .

(*) نقلا عن : (P. R. O.) F. O. 371/8952, Swe title.

From - The Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf
To - The Foreign Secretary to the Government of India in the Foreign and Political Department, Delhi

Memorandum No. 456.
Dated Bushire, the 18th March 1923.

Succession of Shaikh Sultan bin Zaid as Chief of Abu Dhabi

With reference to cerrespondence ending with your memorandum No. 65/571-Ext., dated 16th January 1923, I beg to forward, for your information, a translation, of a letter from Shaikh Sultan bin Zaid, Chief of Abu Dhabi, declaring to abide by all treaties and agreements entered into with the British Government by his predecessors.

2. I recently visited Abu Dhabi and saw the Shaikh and he declared his intention of abiding by the treaties etc.

Sd/A. P. Trevor Lt. Col.

Political Resident in the Persian Gulf

Translation of a letter, dated 22nd Rajab 1341 (10th March 1923) from Shaikh Sultan bin Zaid, Chief of Abu Dhabi, to the Hon'ble Lieut-Colonel A. P. Trevor, C. S. I., C. I. E., Political Resident in the Persian Gulf.

After compliments.

At an auspicious time I received your letter dated 10th Jumadi 11, 1341 (27th January 1923) together with book of Treaties and the Supplementery Volume by the hands of Khan Sahib Isa ben Abdul Latif. Your friend read them and understood what you mentioned about the Treaties existed between my predecessors and the British Government. I am steadfast to abide by (the treaties) and to accept all the obligations which were accepted by my predecessors. I trust that I will not do anything except what pleases you. I will carefully keep the book and the supplementary in a safe place.

ملحق رقـم / ١٥

اتفاقات لمصالح بريطانيا على البر (*)

أ ـــ اتفاقية مطار الشارقة يوليو ١٩٣٢ ..
ب ــ اتفاقية الطيران التجارية لدبى يوليو ١٩٣٨ ..
جـ ــ اتفاقية بين شركة النفط الايرانية ودبي مايو ١٩٣٩ ..

* * *

ـتغيرت طبيعة العلاقة بين حكام المنطقة من الشيوخ وبين السلطات البريطانية حين صار للبريطانيين مصالح على البر.

ـكان الخط السياسى لبريطانيا يعمل على استرضاء الشيوخ ببذل المال.

ـللظروف السياسية المتغيرة في فارس حيث بدأت نهضتها القومية ورأى البريطانيون ان يسترضوها نقلوا مقيميتهم الى البحرين في ١٩٤٦، ولتزايد المصالح البريطانية على الساحل العمانى رأى البريطانيون تشديد قبضتهم بكل الأساليب فأعادوا تنظيم الادارة، عين البريطانيون مع أوائل الحرب العالمية الثانية ضابطا سياسيا بريطانيا في الشارقة. وقد تغير منصب الضابط السياسى مع تزايد المصالح البريطانية الى وكيل سياسى وانتقل مقره الى دبي في ١٩٥٤. كما أقام البريطانيون في ١٩٥١ مجلس حكام الامارات وقوة عسكرية لحفظ الأمن.

(*) الإتفاقات الثلاث نقلا عن :
(1.0) R/15/4/3 Copies of Agreements, Concessions.

AGREEMENT BETWEEN SHAIKH SULTAN BIN SAQAR, RULER OF SHARJAH, AND THE BRITISH GOVERNMENT FOR THE ESTABLISHMENT OF AN AIR STATION AT SHARJAH

It having been intimated to me, Sultan bin Saqar, Shaikh of Sharjah and its villages, by Lieutenant Colonel Sir Hugh Biscoe, Political Resident in the Persian Gulf, that the High British Government desire to establish an air route along the Arab Coast for the aeroplanes of the Imperial Airways Company here in after referred to as the Company), and that they wish to have an air station at sharjah at which British aeroplanes can land. I hereby agree to grant to the said Company the following facilities:-

1 _The Company may select a landing ground at Sharjah, and may put on it such marks as are necessary, and their aeroplanes may land on that ground.

2 _I will construct a rest house for the passengers and staff of the Company on a site to be selected by the Company and in accordance with plans drawn up by them, and under the supervision of an Engineer of the British Government. The house and fixed fittings to be considered as my property.

3 _The Company shall have the right to import, free of duty, petrol and spare parts for aircraft, provisions for the passengers and staff, and whatever may be required for their service.

4 _The Company may send their employees to reside in the rest house, but neither they nor the passengers shall enter the town of Sharjah without my permission.

I further accept full responsibility for the protection of the staff and passengers of the Company and their aircreft, so far as my dependents, relatives and subjects are concerned, and further for their protection as far as possible against marauders from outside my jurisdiction.

I will supply 35 guards and 2 head guards.

In return for the above, it is agreed that the British Government shall make me the following payments:-

(I) Pay for 35 guards and two chiefs at the rate of Rs. 20 p. m. for each guard and Rs. 40 p. m. for each of the two head guards, payment to commence from the date the guards are appointed.

(II) Rent for the Air Station is Rs. 800 p. m., payment to commence from the date the first commercial aeroplane lands.

(III) Rent for the Rest House Rs. 300 p. m.

The Government shall advance me by instalments such sums as may be considered reasonable by the Engineer supervising the work for the construction of the building, and no rent shall be payable to me until all sums advanced have been repaid. The Government shall supply gratis doors, windows and steel joints and corrugated iron.

(IV) For the responsibility that I have accepted, a personal subsidy of Rs. 500 p. m. to conmence from lst July 1932.

(V) A landing fee of Rs. 5. for every commercial aeroplane that lands on the aerodrome. No charge shall be made for aeroplanes belonging to the Royal Air Force.

The Company and their employees shall not deal direct with Shaikh but through the Residency Agent or Political Resident.

This agreement shall be for Eleven Years but payments will only be made for so long as the facilities are utilised.

Should the British Government require to renew this agreement at the end of the above period they may do so provided three months'notice is given me.

Should there be any dispute as to the text of this Agreement the Engiish wording shall prevail.

sd/H. R. P. Dickson, Lt.-Col.
for the Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf
22nd July 1932.

(Signed) Sultan bin Saqar,
(& sealed) Ruler of Sharjah

Witnesses

sd/Edward C. Denison, Capt., R. N.,
Commanding H. M. S. "Bideford"
sd/Humaid bin Ali bin Humaid
sd/Isa bin Abdul Latif,
Residency Agent, Sharjah

DUBAI COMMERCIAL AIR AGREEMENT

اتفاقية الطيران التجارية لدبي

This Agreement is made between His Majesty's Government and Shaikh Sa'id bin Maktum, O.B.E., Ruler of Dubai.

تم الدخول في هذه الاتفاقية بين حكومة جلالة الملك والشيخ سعيد بن مكتوم أو. بي. تي. حاكم دبي .

1. This Agreement to be for a Commercial Landing Base for aircraft of Imperial Airways Limited.

١ — هذه الاتفاقية هي لأجل محطة طيران بحرية تجارية لطيارات شركة الامبريل اير ويز ليمتد .

(a) The area to be defined as before by Imperial Airways Limited and properly buoyed and marked.

(آ) — ستحدد المنطقة كما سبق من قبل شركة الامبريل اير ويز ليمتد ويضعوا فيها بويات وعلامات كما ينبغي .

(b) The rent to be charged is to include the pay of guards, the use of the alightin area and the space required for the permenent jetty, sheds for the motor launches, passenger shelter and store. It will be Rs. 940/- a month. This sum is exclusive of landing charges.

(ب) — وسيدخل في الاجار معاش الحراس واستعمال ساحة النزول والمحل اللازم لأجل الفرضة الدائمية وقوادى لاجل اللنجات البخارية وملجأ لاجل المسافرين ومخزن ومبلغ هذا الاجار هو تسعماية وأربعين روبيه شهريا عدى رسم النزول .

2. (a) The buildings and other constructions mentioned in Clause 1 (b) above will be carried out by the Company. All such buildings and constructions, if of

٢ — (آ) — المباني والمنشآت الاخرى المذكورة في فقرة ١ أعلاه تؤسسها الشركة . وعند انتهاء العقد

an immovable nature, will become the Shaikh's property on termination of the lease.

تصبح جميع هذه الابنية والمنشآت الغير منقولة ملكا للشيخ .

(b) Buildings and constructions must be on land or water owned by the Shaikh.

(ب) — المبانى والمنشآت يجب أن تكون على أراضى أو مياه راجعه ملكيتها إلى الشيخ .

(c) All materials such as stones and it's reqired for building and construction work to be obtained from the Dubai mines.

(ج) — جميع ما يحتاج اليه البناء والمنشآت من صخور وجص يكون مما يستخرج من المقاطع الموجودة بدبي .

3. Should this sea landing base ... dredging or other Work carried out in cosnection with it, then the cost of such work is to be borne by the Company and the Shaikh will in no way be held liable for the payment of any compensation to the Company.

٣ — اذا لزم هذه المحطة البحرية بعض الاصلاح من الحفريات ولوازمها فذلك يكون على الشركة مجانا بدون اي تعويض من الشيخ للشركة .

4. Labourers required for work on the landing base should be natives of Dubai.

٤ — العمال الذين تحتاج اليهم هذه المحطة البحرية يكونون وطنيين من اهالي دبي .

5. Should any employee of the Company commit any crime, the Shaikh should lodge a complaint against him with the Political Resident who will investigate the case and take what action may be desirable.

٥ — اذا أجرم احد من موظفي الشركة فيقدم الشيخ شكاية عليه عند رئيس الخليج الفارسي الذي سيحقق في الامر ويتخذ الاجراءات التي يراها مناسبة .

6. Should any Dubai subject be

٦ — اذا أتهم احد من رعايا

accused of any offence in respect of the Commercial Landing Base at Dubai he shall not be punished until the offence has been proved to the joint satisfaction of the Shaikh of Dubai and the Political Agent.

دبي في جريمة ما تتعلق بمحطة الطيارات البحرية التجارية في دبي فانه لا يعاقب الى ان تثبت الجريمة بصورة مرضية للشيخ ولباليوز الدولة معا .

7. No employee (foreing) of the Company shall enter the town at night. Should any person infringe this rule by entering the town at night and, God forbid, suffer injury or loss, then the Shaikh will not be held responsible.

٧ — لا يحق لأى شخص (اجنبي) من رجال المحطة دخول البلد ليلا وان خالف هذا احدهم ودخل فحدث لا سمح الله اى ضرر فالشيخ ليس مسؤل عن ذلك .

8. Guards and watchmen of the landing base will be appointed by the Shaikh.

٨ — حرس المحطة ورجال المحافظة فيها يعينون من قبل الشيخ .

9. (a) No women or sailors should be permitted to seek refuge in the landing base.

٩ — (آ) — عدم قبول اى ملتجىء الى المحطة من النساء والبحرية .

(b) The Shaikh's internal affairs shall not be interfered with in any manner whatsoever.

(ب) — لا يجوز التعرض الى اي شيء من امور الشيخ الداخلية .

10. A charge of Rs. 5/- will be paid to the Shaikh for every landing by an aircraft.

١٠ — يدفع للشيخ رسم خمس روبيات على كل طيارة تنزل .

11. If any injury is done to the aircraft its people by any outside enemy then the Government,

١١ — اذا لا سمح الله جرى من عدو اجنبي مضرة في الطيارة أو اهلها واحتاج الأمر ضروري فعلى

when necessity arises, should assist the Shaikh by all means.

الدولة المساعدة للشيخ بكل وجه من الوجوه .

12. Natives of Dubai should be employed by the Company in the landing base for all such work as they are capable of doing.

١٢ — اذا وجد من أهل البلد من به الكفاية ان يشتغل في بعض وظائف المحطة البحرية ينبغي ان تعينه الشركة .

13. Should liquor be necessary for the special use of the landing base the Company shall on no account permit the sale of such liquor to the natives of and persons residing in the Country and Town of Dubai.

١٣ — اذا جرى في المحطة استعمال المشروبات لهم خاصة فلا لهم رخصة في بيع المشروبات على الاهالي والمتوطنين في بلاد او مدن دبي .

14. This Agreement will be for a period of five years with effect from the 22nd July 1938.

١٤ — تكون مدة هذا العقد خمس سنوات اعتبارا من ٢٢ جولاى ١٩٣٨ .

Political Agent, Bahrain

Ruler of Dubai

حاكم دبي

AGREEMENT made on Jen. 10 of May 1939. between the ANGLO - IRANIAN OIL COMPANY LIMITED hereinafter referred to as the COMPANY and His Excellency Shaikh Sa'id bin Maktum, Ruler of DUBAI, referred to hereinafter as the LESSOR.

عقدت هذه المقاولة في اليوم العاشر من شهر مايو سنة ١٩٣٩ بين شركة النفط الانكليزية الايرانية المحدودة التي سوف تسمى فيما يلي الشركة وبين صاحب السعادة الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي الذي سيدعى فيما يلي بالمؤجر.

The LESSOR agrees to lease to the COMPANY a plot of land situated on the shore of the Lagoon and forming part of a property known as HAMRIYAH measuring 340 Feet by 140 feet, the frontage being the ridge which marks high tide.

يوافق المؤجر بالتأجير للشركة قطعة أرض واقعة على ساحل الخور التي هي جزء من الملك المعروف بالحمرية ومساحة تلك الارض هي ثلاثمائة وأربعين قدم ووجهتها هي الخط الذي يعين أعلاه صعود الماء اثناء المد.

The LESSOR agrees to allow the COMPANY to erect on the aforesaid plot such buildings as they require, to perform their services as suppliers of Oil Products in Dubai and for delivery to aircraft; the LESSOR agrees also to allow the COMPANY to erect a Jetty extending from the entrance to the Store into the Lagoon a distance sufficient to give six feet of water at the Jetty head at a low tide and to fix a buoy in the Lagoon for the

يوافق المؤجر بالسماح للشركة بتشيد هكذا ابنية التي يحتاج اليها على تلك الأرض للقيام باشغالها كمجهزة للمحصولات النفطية في دبي ولاعطاء الوقود للطائرات المائية وكذلك يوافق المؤجر بأن يسمح للشركة لتشيد أسكلة تمتد من المدخل الى المخزن ومن ثم الى الخور وذلك لمساحة كافية لاعطاء ستة

purpose of mooring a launch used for refuelling Flyingboats.

اقدام من الماء على رأس الأسكلة عند وقت الجزر الكامل . وكذلك يوافق المؤجر بأن تضع عوامة (برية) في الخور لربط الزورق البخاري الذى يستعمل لأجل الطائرات المائية .

The LESSOR agrees to supply FREE all local Stones and Gatch required in the construction of the Depot Buildings.

ويوافق المؤجر على تجهيز كافة الاحجار المحلية والجص التي يحتاج اليها لتشيد أبنية المخازن مجانا .

In consideration of the above the COMPANY agrees to pay the LESSOR for the land monthly rental of Rs. 200/- (Rupees Two Hundred Only). The COMPANY agrees also to hand over to the LESSOR ten years from the date of occupation, all the buildings erected on the LESSOR'S PROPERTY: this doernot include the Buoy and the Jetty.

ومقابيل ما سرد أعلاه فان الشركة توافق بأن تدفع للمؤجر اجارا شهريا قدره مائتين روبية فقط للأرض . وتوافق الشركة أيضا بتسليم كافة الأبنية المشيدة على ملك المؤجر بعد اشغالها مدة عشر سنوات وذلك ما عدى العوامة (بوبية) والأسكلة .

This AGREEMENT is renewable for another period to be

وان هذا العقد ممكن تمديده الى مدة يتفق عليها فيما بعد بين الطرفين

agreed upon by both the contracting parties and the Clauses being adhered to and unchanged.

المتعاقدين على ان تبقى مواد هذا العقد معمولا بها بدون تغير.

RULER OF DUBAI

حاكم دبي

Inspector, Gulf Ports Agencies
ANGLO IRANIAN OIL COMPANY LTD.

مفتش وكالات النفط لشركة
النفط الانكليزية الايرانية المحدودة
في خليج فارس

WITNESS/OCCUPATION

شهد بذلك

WITNESS/OCCUPATION

شهد بذلك

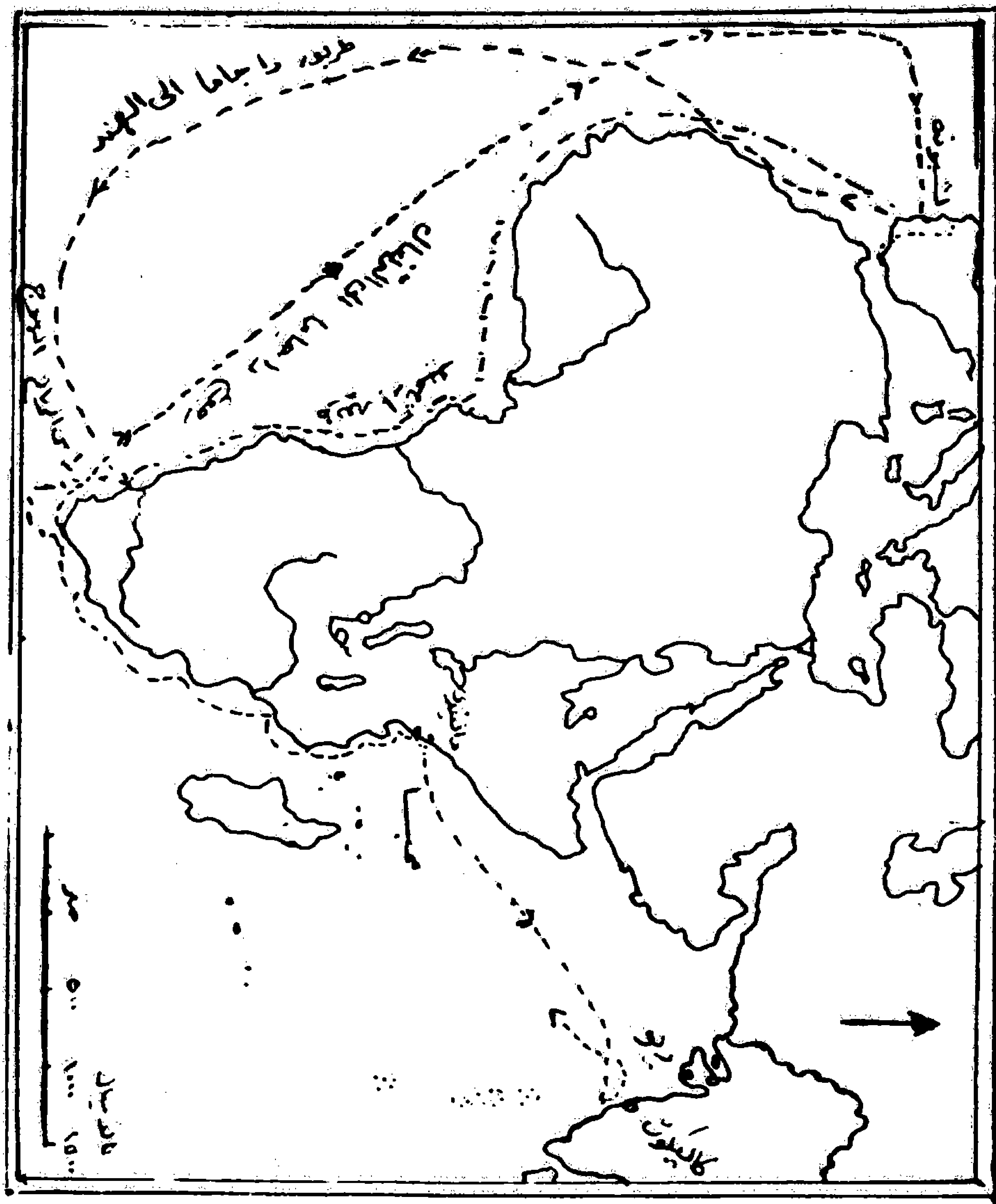
ملحق رقـم / ١٦

١ — خريطة تبين بداية الاستكشاف الاوربى لطريق الهند (*) .

٢ — خريطة تبين أسماء أهم المناطق التى ذكرت في البحث (**) .

(*) نقلا عن : Sharaf.

(**) نقلا عن : Kelly, Britain and the Persian Gulf 1975. 1880 (Oxford 1968).



خريطة رقم أ

الخريطة رقم ب

قائمة بالاختصارات

قائمة بالاختصارات

(P. R. O.) F. O.
(Public Record Office) Foreign office
(1.0) India office
S. R. I.
Selections from the Records of India.

- H. S. R. M.
  Historical Stetch of the Rise & Progress of the Government of Muscat.
- H. S. W.
  Historical sketch of the whabee tribe of Arabs.
- H. S. R. P. G. M.
  Historical sketch Rise and Progress of the government of Muscat.
- H. S. J.
  Historical sketch of the Joasmee tribe of Arabs.
- H. S. B. Y.
  Historical sketch of the Ben Yas tribe of Arabs.
- M. R. L. R. T. A. S. P. G.
  Memorandum on the Resources, Localities and Relations of the tribes inhabiting the Arabian Shores of the Persian Gulf.
- C. T. E.
  Chronological Table of Events.
- H. S. B.
  Historical sketch of the Booflasa tribe of Arabs.
- O. P. P. B. G. A. T. P. G.
  Observation of the Past Policy of the British Government Towards the Arabs tribes of the Persian Gulf.
- R. P. A. T. P. G.
  Rise and Progress of the Arab tribes of the Persian Gulf.
- E. B. N. H. I. G. M. A. C.
  Extracts From brief notes containing Historical and other information of the government of Muscat and adjoing countries.
- E. R. B.
  Extract From the Residency of Bushire.
- H. S. R. J.
  Historical sketch on the Procedings of Rahma Bin Jabir.

H. B. A. - Handbook of Arabia.
G. P. G. - Gazetter of the Persian Gulf.
P. G. P. - Persian Gulf Piolot.
B. P. G. - Britain and the Persian Gulf.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

أ — وثائق غير منشورة من وزارة الهند (1.0)

- Boards Collection Vol. 192.
- Boards Collection Vol. 596.
- Political and secret Letters and Enclosures From India Vol. 2
- Political and secret letters and Enclosures From India Vol. 7
- Political and secret letters and Enclosures From India Vol. 11
- Political and secret letters and Enclosures From India Vol. 12
- Political and secret letters and Enclosures From India Vol. 14
- Political and secret letters and Enclosures From India Vol. 20
- Political and secret letters and Enclosures From India Vol. 22
- Secret Letters and Enclosures from India, Vol. 16
- Bengal Political consultation No. 10
- Political Proceedings Government of India No. 161
- Political Proceedings Government of India No. 601
- Bombay Political and Secret Proceedings, Range 383, Vol. 2
- Bombay Political and Seret Proceedings, Range 383, Vol. 11
- Bombay Political and Secret Proceedings, Range 383, Vol. 14
- Bombay Political and Secret Proceedings, Range 383, Vol. 17
- Bombay Political Proceedings, Range 385 Vol. 23
- Bombay Political Proceedings, Range 385 Vol. 25
- Bombay Political Proceedings, Range 385 Vol. 32
- Bombay Political Proceedings, Range 385 Vol. 36
- Bombay Political Proceedings, Range 385 Vol. 43
- Bombay Political Proceedings, Range 385 Vol. 47
- Bombay Political Proceedings, Range 386 Vol. 32
- Bombay Political Proceedings, Range 386 Vol. 40
- Bombay Political Proceedings, Range 386 Vol. 41.
- Bombay Secret Proceedings Vol. 41
- Bombay Secret Proceedings Vol. 43
- Bombay Secret Proceedings Vol. 45
- Bombay secret letters received Vol. 1
- Bombay secret letters received Vol. 4
- Bombay secret letters received Vol. 5
- Bombay secret letters received Vol. 9
- Bombay secret letters received Vol. 10

- Bombay secret letters received Vol. 10
- Bombay secret letters received Vol. 19
- Enclosures to Bombay secret letters Vol. 14
- Enclosures lo Bombay secret letters Vol. 17
- Enclosures lo Bombay secret letters Vol. 19
- Persia and the Persian Gulf, Vol. 32
- General Letters lo Bombay Range10 No. Vol. 997.
- Secret Proceedings of the foreign dept. govt. of India No. 89
- Secret Proceedings of the foreign depl, govt. of India No. 92
- Secret Proceedings of the foreign dept, govt. of India No. 166
- Secret Proceedings of the foreign dept, govt. of India No. 180
- Secret Proceedings of the foreign dept, govt. of India No. 182
- Secret Proceedings of the foreign dept, govt. of India No. 192
- R/15/4/1, File No. 0205, sharjaly affairs.
- R/15/4/2, File No. 0210, Fujairah affairs.
- R/15/4/3, File No. 425 Micellaneoos correspondance.

ب — وثائق غير منشورة من وزارة الخارجية (P. R. O.) F. O.

- F. O. I. (Admirality) Vol. 185
- F. O. 78 (Turkey) Vol. 343
- F. O. 78 (Turkey) Vol. 373
- F. O. 84 (Slave Trade) Vol. 783
- F. O. 371 (Foreign Correspondance) Vol. 527

  Same Series 8952
  Same Series 12247
  Same Series 13009
  Same Series 13010
  Same Series 13070
  Same Series 13723
  Same Series 15278
  Same Series 16066
  Same Series 16956
  Same Series 16957
  Same Series 17815
  Same Series 17824
  Same Series 17827
  Same Series 18911
  Same Series 18915
  Same Series 18952
  Same Series 19967

Same Series 19975
Same Series 20773
Same Series 21826
Same Series 21829
Same Series 23180
Same Series 35790

جـ — وثائق منشورة في شكل ملخصات ومذكرات

- L/P & 3/3/3, Political Home correspondance.
- L/P & S/5/ secret Letters From India, Vol. 14.
- L/P & S/7/195, Pol. Dept, India office

المعاهدات التجارية فيما بين الدولة البهية البريطانية ومشايخ المتصالحين ١٩٠٦

- L/P & 5/10]118, Persian Gulf Wireless stations (1907)
- L/P & 5/10/1045, From Issue No. 1690 (1932)
- L/P & 5/18/B. 338, memorandum by lewis Pelly to the Government of India in the Political Department, Bombay (1863)
- L/P & 5/18/B. 387, Memorandum by the Political department India office on treaties and agreements Between the British governments and the Various rulers and chiefs of Arabia and Persian Gulf.
- L/Pas/18/B. 403 The Trucial chiefs 1908 - 28.
- L/Pas/19/B. 407 Slavery in the Persian Gulf.
- L/Pas/18/B. 409 memorandum by Political Department India office on treaties and agreements between the British Government and the various rulers and chiefs of Arabia in the Persian Gulf.
- L/Pas/18 B. 414, Air communication in the Persian Gulf.
- L/Pas/20 C. 189, Handbook of Arabia
- L/Pas/20 C. 248 D. Precis of correspondance regarding the Trucial chiefs (Calcutta 190).

د — وثائق منشورة في شكل كتب .

- Aitchison, C. M.,(ed) A collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and neighbouring countries.
- Hurewitz, J. C. (ed) The Middle East and North africa in world politics - 2nd ed. Yale 1975.

- Lorimer, The Gazetter of the Persian Gulf Vol. Ipart 1 Calcutta 1915.
- Saldanha, J. A., (ed) Selections From the state Papers Regarding the East India Companys connection with the persian Gulf, with a summary of Events 1600-1800

Calcutta 1908.

Public Diary No. 9 of 1735.
Public Diary No. 10 of 1735-36
Public Diary No. 10 of 1736
Public Diary No. 4 of 1740-41
Public Diary No. 34 of 1760
Report of Captain Maclom On the State of Trade Between Persia and India and the means for imporving it - 1800.
- Selections From the Records of India. Bombay series No. XXIV - Bombay 1856.
H. S. W.
H. S. R. M.
H. S. R. P. G. M.
H. S. J.
H. S. B. Y.
M. R. L. R. T. A. S. P. G.
C. T. E.
H. S. B.
O. P. P. B. G. A. T. P. G.
R. P. A. T. P. G.
E. B. N. H. I. O. M. A. C.
E. R. B.
H. S. R. J.
- Handbook of Arabia.

ثانيا : المراجـع : ـ

أ ـ المراجع العربية :

ـ **ابن الأثيـر** ، الكامل في التاريخ ، نشر المطبعة الدمشقية والمكتبة التجارية القاهرة ١٣٤٨/١٩٥٨ .

ـ **احمد طربيـن** ، بناء الدولة . الفصل الأول في : دولة البحرين دراسة في تحديات البيئة والاستجابة البشرية . معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٥ .

ـ **احمد عثمـان** ، مبدأ التنظيم الدولى لادارة المستعمرات وتطبيقاته في الانتداب ونظام الوصاية الدولى ، القاهرة ١٩٦٣ .

ـ **السالمى** ، الامام نور الدين عبدالله بن محمد تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

ـ **أمـل الزيانـى** ، البحرين من ١٧٨٣ الى ١٩٧٣ ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ **أمين السعيـد** ، الخليج العربي في تاريخه السياسى ، ونهضته الحديثة ، بيروت ـ بدون تاريخ .

ـ **أنور عبد العليـم** ، ابن ماجد الملاح ، العدد ٦٣ من سلسلة أعلام العرب .

ـ **ابـن ايـاس** ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ .

ـ **جمال زكريا قاسم** ، الخليج العربي ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٦٦ .

— **جمال زكريا قاسم** ، مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى ، المحفوظة في دور السجلات البريطانية ، الكويت ١٩٧٢ .

= الادعاءات الايرانية في الخليج العربي ، اصول المشكلة وتطورها ، بحث مستخرج من المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد العشرون ـ القاهرة ١٩٧٣ .

= الخليج العربي دراسة لتاريخ الأمارات العربية ١٩١٤/١٩٤٥ . القاهرة ١٩٧٣ .

= الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥/١٩٧١ . القاهرة ١٩٧٤ .

= عوامل مؤثرة في تطور الوعي البترولى في منطقة الخليج العربي في منشورات مركز دراسات الخليج العربي الكتاب الأول . بغداد ١٩٧٥ .

= الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية . معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

— **ابن حجر** ، شهاب الدين ابي الفضل العسقلانى . فتح البارى لشرح البخاري ـ الجزء السادس . القاهرة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م .

— **حسين محمد البحارنه** ، دول الخليج العربي الحديثة ـ علاقاتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها . بيروت ١٩٧٣ .

— **حسين بن غنام** ، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام المسمى بتاريخ نجد . تحقيق ناصر الدين الأسد . القاهرة ١٩٦١ .

— **دائرة التخطيط** ، النشرة الاحصائية ١٩٧٤ .

— **زكى صالح** ، بريطانيا والعراق حتى ١٩١٤ . دراسة في التاريخ الدولى والتوسع الاستعمارى . بغداد ١٩٦٨ .

— **زين نور الدين زين** ، الصراع الدولى في الشرق الأوسط ، وولادة دولتى سوريا ولبنان . بيروت ١٩٦١ .

— **سليم التكريتى** ، الصراع على الخليج العربي .

— **سيد على الناصرى** ، الأغريق تاريخهم وحضارتهم . القاهرة ١٩٧٤ .

— **سيد نوفل** ، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ، الكتاب الثانى ـ إمارات ساحل عمان . القاهرة ١٩٦٧ .

— **سيف مرزوق الشملان** ، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي . بيروت ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٥ .

— **شارل ديل** ، البندقية جمهورية ارستقراطية . ترجمة احمد عزت عبد الكريم . القاهرة ١٩٤٧ .

— **شركة الزيت العربية الأمريكية** ، ادارة العلاقات شعبة البحوث . عمان والساحل الجنوبى للخليج الفارسى . القاهرة ١٩٥٢ .

— **صالح اوزيران** ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (مترجم) . بغداد ١٩٧٩ .

— **صالح محمد العابد** ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسى في الخليج العربي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ . بغداد ١٩٧٩ .

ـــ **صلاح العقاد** ، الاستعمار في الخليج الفارسى . الألف كتاب ١٢١ ـ القاهرة .

ـــ **صلاح العقاد** ، التيارات السياسية في الخليج العربى . القاهرة ١٩٦٥ .

ـــ **صلاح العقاد** ، معالم التغيير في الخليج العربي . القاهرة ١٩٦٧ .

ـــ **عائشة السيار** ، دولة اليعاربة عمان وشرق افريقيا في الفترة ١٦٤٢ ـ ١٧٤١ . بيروت ١٩٧٥ .

ـــ **عباس العزاوى** ، تاريخ العراق بين احتلالين . بغداد ١٣٦٩/ ١٩٤٩ .

ـــ **عبد الأمير محمد أمين** ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثاني عشر ، بغداد ، ١٩٦٦ .

ـــ **عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم** ، الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ ـ ١٨١٨ م ١١٥٨ ـ ١٢٣٣ هـ القاهرة ١٩٧٦ .

ـــ **عبد العزيز سليمان نوار** ، المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤ . القاهرة ١٩٦٨ .

ـــ **عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم** ، حكومة الهند والادارة في الخليج العربي ، الرياض ، ١٤٠١ هـ .

ـــ **عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم** ، السلام البريطانى في الخليج العربي ١٨٩٩ ـ ١٩٤٧ الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

ـــ **عبد الكريم الغرايبه** ، قيام الدولة السعودية العربية . معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٤ .

— **عبدالله بن محمد بن خميس** ، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ـ معجم اليمامة ج ١ الرياض ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

— **عبدالله يوسف الغنيم** ، الغوص على اللؤلؤ في المصادر العربية القديمة . الكويت ١٩٧٣ .

— **عثمان بن بشر** ، عنوان المجد في تاريخ نجد . مكة المكرمة ١٩٣٠ .

— **على صادق ابو هيف** ، القانون الدولى العام . ط ٧ ـ القاهرة ١٩٦٥/١٩٦٤ .

— **فوللر** ، أثر التسلح في التاريخ في حروب القرون الوسطى لنهاية القرن التاسع عشر .

— **كيلى** ، **ب ـ جـ** ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية . ترجمة بيروت ١٩٧١ .

— **مانع العتيبة** ، اقتصاديات أبو ظبي قديما وحديثا . ط ٢ . بيروت ١٩٧٣ .

— **محمد خليفة بن محمد بن موسى النبهانى** ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ط ٢ . القاهرة ١٣٤٢ هـ .

— **محمد سعيد المسلم** ، ساحل الذهب الأسود . بيروت ١٩٦٢ .

— **محمد عزيز شكرى** ، مسألة الجزر في الخليج العربي والقانون الدولي . دمشق ١٩٧٢ .

— **محمد على الداود** ، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية . القاهرة ١٩٦٠ .

— **محمد على الداود** ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي . بحث مستل من العدد الثالث من مجلة كلية الآداب جامعة بغداد شباط ١٩٦١ .

— **محمد على الداود** ، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ - ١٦٥٠ . بحث مستل من العدد الثاني من مجلة كلية الآداب جامعة بغداد . شباط ١٩٦٠ .

— **محمد متولى** ، حوض الخليج العربي . القاهرة ١٩٧٠ .

— **محمود بهجت سنان** ، امارة الشارقة . السلسلة السياسية رقم ١٥ ، بغداد ١٩٦٥ .

— **مؤلف مجهول** ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب . تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢) الرياض - بدون .

— **مؤلف مجهول** ، تاريخ امارة كعب العربية . تحقيق وتعليق على نعمة الحلو ، النجف ١٩٦٨ .

— **وزارة الصناعة والتجارة الكويتية** ، (ادارة البحوث) . امارات الخليج العربي . الكويت .

— **يسرى عبد الرازق** ، الكشوف الجغرافية ، دراسة للكشوف الجغرافية وتطور الفكر الجغرافي . دار المعارف . مصر ١٩٦٥ .

— **يوسف محمد السميط** ، الخليج العربي دراسات في احوال السكان . القاهرة ١٩٧٠ .

— **دائرة المعارف الاسلامية** ، مادة شهاب الدين احمد بن ماجد .

ب — بحوث غير منشورة : —

— **جمال زكريا قاسم** ، البناء التاريخى لدولة الامارات العربية المتحدة ـ بحث غير منشور مقدم إلى قسم الدراسات السياسية والاقتصادية بمعهد البحوث العربية ، القاهرة .

— **عبد الحميد غنيم** ، مشكلات الحدود السياسية في الساحل الغربي للخليج العربي . رسالة ماجستير مقدمة لقسم الجغرافيا كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٥ .

جـ — مراجع باللغة الانجليزية : —

- Abdul Amir, British interest in the Persian Gulf, Leiden 1967.
- Abo Hakima, A., History of Eastern Arabia, The Rise and Development of Bahrain & Kuwait, Beirout 1965.
- Abo Hakima, A., Political Movements in Arabia and its impact on India in the 19th Century, India in the Arab world. ed. S. M. Mohemed. New Delhi Sept. 1969.
- Admirality, Persian Gulf Pilot 9th ed. London 1942.
- Al varez, Father Francisco, Narrative of the Portuguese Embassay to Abyssinia During the years 1520-1527. Trans. & ed. Ford Stanly of Alderly, London 1881.
- Anderson, J. R. L., East of Seuz A Study of British Greatest Enterprise, London 1969.
- Anthony, J. D., Arab States of Persian Gulf, People, Polities, Petroleum. Washington 1975.
- Badger, G. B., History of Imams and Sayyids of Oman & Original Sources by Salil B. Razik From A. D. 1856.
- Barthurist, R. D., Maritime Trade Immate government in Oman. in Arabian Studies.
- Bartlett, M., Pirates of Trucial Oman. London 1966.
- Brydges, An Account of His Majesty's Mission to the court of Persia in the years 1807 to 1811. London 1834.
- Brydges, A Brief History of Whabee Vol. 11, London.
- Coupland, R., Exploitation of East Africa. London N D.
- Coupland, R., East Africa and its Invadors, London.
- Curson, G. N., Russia and central Asia, London 1889.
- Curson, G. N., Persia and the Persian Gulf Question. 2 Vols. London 1892.
- Curson, G. N., Lord Curson in India, London 1906.
- Curson, G. N., Subject of the Day. London 1915.
- Dennis, R. O., Muscat, Bushire, Bassrah. Paris 1883.
- Dodwell, H. H. and others. TheCambridgeshorter History of India Delhi 1964.

Doughty. Travels in Arabia Deserta Vol. 1, London 1888.
- Foster, William, England Quest. for Eastern Trade. London 1933.
- Frazer, D., Persia and Turkey in Revolt. Edinburgh 1906.
- Garratt, G. T., Indo British Civilization, The legacy of India Oxford 3rd ed. 1957.
- Gray, J. History of Zanzibar From the Middle Ages to 1856. London 1962.

- Haje Khalifa, The History of the Maritime wars of the Turks. London 1831.
- Hay, R. The Persian Gulf States. Washington 1954.
- Hawley. D. The Trucial States. London 1970.
- Karkaria, R. F. Lord Curson's Farewell to India, London 1907.
- Kay, J. W., The Administration of the East Indian Company. London 1853.
- Kay, J. W., The life and correspondance of Sir Jhon Malcolm, London 1856.
- Kelly, J. B., A Prevalence of Furies in Arabian Studies. 11.
- Kelly, J. B., Britain and the Persian Gulf 1795-1880. in Arabian Studies 11.
- Kumar, R., India and the Persian gulf Region. Bombay, 1965.
- Landen, R. G.,]man Sinec 1856 Disruptive Modernization in A traditional Arab Society. Prinston Univer Press 1957.
- Lewise, E., The German Road to the East. London. 1916.
- Lewis L. V. T., Europian Imperialism in the Middle East, Background of the Middle East.
- Lienttardt, The Autherity of the Shyks in the Gulf. Arabian Study 11.
- Lockchort, L., Nadir Shah Campaigns in Oman. London.
- Low, C. R., History of Indian Navy 1613-1863. Vol. 1, London 1877.
- Malcolm, Sir John, Sketches of Persia, London 1845.
- Mann, Major clarence, ABU DHABI Birth of an Oil Shaikdom. Beirut 1969.
- Marlowe, J. The Persian Gulf in the Twenteith century, London 1962.
- Miles, S. B., The Countries and Tribes of the Persian Gulf. 2nd. ed. 2 Vols. in one. London 1965.
- Morrier, J. A., Journey through Persia and Asia to Conistantinople 1809. London 1812
-Mourizi, V. Shaik Monsour, History of sayed Said, Sultan of Muscat, with an Account of the people and the Shores of the Persian Gulf, Particularly the Whabee. London 1819.
- Palgrave, W. G., A year Journey through Central and Eastern Arabia. London 1865.
- Pinkerton, J. General Collection of the Best and Most Interesting Voyages and Travells in all Parts of the world, Many of which are Now first Translated to English. Vol. IX, London 1805/1811.
- Russell, C. E. B. General Rigby, Zanzibar and Slave trade, London 1935.
- Sanger, R. The Arabian Peninsula. New York 1959.
- Sehoff, W. P. ed., The Periplus of the Arytherean Sea. London 1958.
- Serjeant, R. B., The Portugeuse of the South Arabian Coast. Hadarmi Chronicles with Yamani and Europian Accounts of Dutch Piratesoff Mocha in the Seventeenth Centurey. Oxford 1963.

- Sidi Ali Reis, The Travels and the Adventures of the Turkish Admiral, Sidi Ali Reis in India, Afghanistan, Central India and Persia During the Years 1853-1856. Trans. From Turkish, London 1899.
- Skeet, 1, Muscat and Oman. The End of an Era. London 1974.
- Sykes, Sir Percy, A History of Persia Vol. II, London 1951.
- Thesiger, W., Arabian Sands. 5th ed. London 1965.
- Tarn, W. W., The Greek in Bacteria and India. Cambridge 1938.
- Wilson, A. T.. The Persian Gulf. 3rd ed. 1959, London 1959.
- Wiskon, J. C., Origins of the Omani State in (Arabian Studies).

فهرس محتويات الكتاب

صفحة

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

صفحة

بيـــان الملاحق

صفحة

صفحة